

# زَهْرُ الْأَدَابِ وَفَرْحَةُ الْأَلْبَابِ

لأبي إسحاق إبراهيم بن عليّ الحنبلّي الشيرازي  
(المتوفى سنة ٥٤٣هـ / ١١٦١م)

شَدِيدُ النَّقْطَةِ وَفَرِحَةُ رُؤُوسِ مَنَارِهِ  
الدكتور صلاح الدين الحواري

المكتبة العصرية  
طبعة ١٤٢٥هـ

# زَهْرُ الْأَجَابِ فِي مِثَرِ الْأَلْبَابِ

لأبي إسحاق إبراهيم بن عليّ الحَصْرِيِّ القَيْرَوَانِيِّ  
(المتوفى سنة ٤٥٣هـ / ١٠٦١م)

قَدَّمَ لَهُ وَصَّيْطَهُ وَشَرَحَهُ وَوَضَعَ فَهْرَسَهُ  
الدكتور صلاح الدين الهواري

المجلد الأول

المكتبة العصرية  
بيروت

جميع الحقوق محفوظة للناشر  
الطبعة الأولى  
١٤٢١هـ - 2001 م

شركة أبناء شريف الانصاري للطباعة والنشر والتوزيع

المكتبة العصرية للطباعة والنشر

الدار النورية للنشر المطبعة العصرية

بغروت - ص ١١/٨٣٥٥ - تلفاكس ٠٠٩٦١١٦٥٥٠١٥  
صيدا - ص ٢٢١ - تلفاكس ٠٠٩٦١١٧٢٣١٧





# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

حديقة أريجة، وسفر أدبي بديع، ذلك هو «زهر الآداب وثمر الألباب» الكتاب الذي قلَّ نظيره في أدبنا العربي، بما اشتمل عليه من عجائب وفرائد، وغرائب ونوادر، وأزهار وأطياب، ملأ عطرها فضاء القيروان، وفاح لَيْعَمُ الأقطار والبلدان.

صنّفه أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م، وأهداه - على عادة أهل زمانه<sup>(١)</sup> - لأبي الفضل العباس بن سليمان، ليستغني به، ويكفّ عن طلب سواه.

ولم يخرج الحصري في تأليف كتابه عن الخطة التي كان يتبعها سابقوه من الكتّاب، أو معاصروه، كالجاحظ (ت ٢٥٥ هـ / ٨٧٠ م) في «البيان والتبيين» و«الحيوان»، وابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ / ٨٩٠ م) في «عيون الأخبار»، وابن عبد ربّه (ت ٣٢٨ هـ / ٩٤٠ م) في «العقد الفريد»، وابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م) في «العمدة». فهو مثال للكتّاب باللغة العربية الذي كان يجمع الكثير من العلوم والفنون والآداب في مصنف واحد.

ولعل أبرز ما وُصِفَ به «زهر الآداب» أنه كتاب جمع كلَّ غريبة<sup>(٢)</sup>. ولا شك أن قارّته سيجدّه زاخراً بموضوعات شتى، ففيه الوصف، والمديح، والهجاء، والثناء، والنسيب،

(١) كان ابن رشيق القيرواني قد أهدى كتاب «العمدة» لأبي الحسن علي بن أبي الرجال رئيس ديوان الإنشاء في قصر المعزين باديس بالقيروان، وأهدى ابن حزم الأندلسي كتاب «طوق الحمامة» لأحد أصدقائه المتأدبين. وكان الجاحظ من قبل قد أهدى كتاب «الحيوان» للوزير ابن الزيات، وكتاب «البيان والتبيين» للقاضي أحمد بن أبي دؤاد، وغيرهم كثير.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٥٤/١.

وفيه الحكم، والتراجم، والرسائل، والنكت، والنوادر، والأخبار. وفيه اهتمام خاص بأخبار الصحابة والتابعين وآثارهم، وتركيز على أنباء المصيبة بأبناء النبوة<sup>(١)</sup>، يدفعه إلى ذلك تدينه، وتشيعه لآل البيت.

ومن موضوعات الكتاب الأساسية أيضاً الحديث عن البلاغة والبلغاء، والآداب الاجتماعية في السلوك الفردي والجماعي، ومخاطبة الملوك، وما يتصل بالحقوق والواجبات المرعية في أيامه.

أما مصادر الكتاب، فقد أشار إليها الحصري في مقدمته فقال: وألفت له (أي أبو الفضل العباس بن سليمان) هذا الكتاب ليستغني به عن جميع كتب الآداب، إذ كان موشحاً - متقياً - من:

- بدائع البديع (بديع الزمان الهمذاني المتوفى سنة ٣٩٨ هـ / ١٠٠٨ م).

- لآلي الميكالي (الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي النيسابوري المتوفى سنة ٤٣٦ هـ / ١٠٤٥ م).

- شهتي الخوارزمي (أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م).

- غرائب الصاحب (الصاحب بن عباد المتوفى سنة ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م).

- نفيس قابوس (شمس المعالي قابوس بن وشمكير المتوفى سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١٣ م).

- شذور أبي منصور (أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري المتوفى سنة ٤٢٩ هـ / ١٠٣٨ م).

بكلامٍ يمتزج بأجزاء النفس لطافةً، وبالهواء رقةً، وبالماء عذوبةً<sup>(٢)</sup>.

وقد تحدث الحصري عن منهجه في «زهر الآداب» فقال: «ولم أذهب في هذا الاختيار إلى مطولات الأخبار، كأحاديث صعصعة بن صوحان، وخالد بن صفوان، ونظائرها؛ إذ كانت هذه (يريد الفقر القصيرة) أجمل لفظاً، وأسهل حفظاً. وهو كتاب

(١) من ذلك قوله في أحدهم: «قد نعي سليل من سلالة النبوة، وفرع من شجرة الرسالة، وعضو من أعضاء الرسول، وجزء من أجزاء الوصيّ البتول. (الحصري، زهر الآداب: ٩٩/١).

(٢) الحصري، زهر الآداب: ٣٥/١.

يتصرف فيه الناظر من ثره إلى شعره، ومطبوعه إلى مصنوعه، ومحاورته إلى مفاخرته، ومناقلته إلى مساجلته، وخطابه المُبْهَت إلى جوابه المُسَكَّت، وتشبيهاته المصيبة إلى اختراعاته الغريبة، وأوصافه الباهرة إلى أمثاله السائرة، وجده المُعْجِب إلى هزلِه المُطْرِب، وَجَزَلِه الرائع إلى رقيقه البارِع»<sup>(١)</sup>.

ويدافع أبو إسحاق عن منهجه هذا كما فعل الجاحظ من قبل<sup>(٢)</sup>، فيقول: «وقد يَعْزُّ المعنى، فألحق الشكل بنظائره، وأعلق الأول بآخره، وتبقى منه بقية أفرقها في سائره، ليسلم من التطويل المُملِّ، والتقصير المُخِلِّ، وتظهر في التجميع إفادة الاجتماع، وفي التفريق لذاذة الإمتاع؛ فيكمل منه ما يُوقُّ القلوب والأسماع، إذ كان الخروج من جدٍّ إلى هزل، ومن حَزْنٍ إلى سَهْلٍ أنفى لِلْكَلِّ، وأبعد من الملل»<sup>(٣)</sup>.

ويمكننا أن نحصر ما تميَّز به أسلوب الكاتب ومنهجه في «زهر الآداب» بالنقاط التالية:

- براعته في تجبير مطلع الكتاب وخاتمته، فقد بدأ كتابه بقوله: «الحمد لله الذي اختص الإنسان بفضيلة البيان، وصلى الله على محمد خاتم النبيين، المرسل بالنور المبين، والكتاب المستبين، الذي تحدَّى الخلق أن يأتوا بمثله، فعبجوا عنه، وأقروا بفضله، وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً»<sup>(٤)</sup>.

وختمه بقوله: «وقال ابن الأعرابي: أمدح بيت قاله المحدثون قول أبي نواس:

أَخَذْتُ بِجَبَلٍ مِنْ جِبَالِ مُحَمَّدٍ      أَمِنْتُ بِهِ مِنْ طَارِقِ الْحِذْثَانِ<sup>(٥)</sup>»

وهذا من أجمل وأجل ما سطره المصنفون في مطالع كتبهم وخواتيمها في ذلك العصر.

- اعتماده الذوق الشخصي في اختيار النصوص، وقد أشار الحصري إلى ذلك في مقدمة كتابه فقال<sup>(٦)</sup>: «وبعد فهذا كتاب اخترت فيه قطعة كاملة من البلاغات، في الشعر

(١) الحصري، زهر الآداب: ٣٣/١ - ٣٤.

(٢) انظر كتاب الحيوان للجاحظ: ٣/١ - ١٦، فيه ردٌّ مفصَّلٌ على من انتقد كتابه، ودفاع عن منهجه في تأليفه.

(٣) الحصري، زهر الآداب: ٣٤/١ - ٣٥.

(٤) المصدر نفسه: ٣٣/١.

(٥) المصدر نفسه: ١١٦٠/٤.

(٦) المصدر نفسه: ٣٣/١.



والخبر، والفصول والفقر، مما حَسُنَ لفظه ومعناه، واستدل بفحواه على مغزاه، ولم يكن شاردًا حوشياً، ولا ساقطاً سوقياً.

وقد حرص الكاتب على تطبيق هذا المنهج في الاختيار في معظم كتابه، ولم يخرج عن إطار ذوقه الشخصي إلا في حالاتٍ نادرة.

- وَلَعَنَهُ بالاستطراد في الموضوع الواحد بما يناسبه من تراجم ونوادر وأشعار وأقوال.

- ميله في الغالب إلى انتقاء القصير من النصوص الأدبية شعراً كانت أو نثراً «إذ كانت هذه أجمل لفظاً، وأسهل حفظاً»<sup>(١)</sup>.

- حرصه على التنوع في النصوص، مما يزود القارئ بصورٍ متعددة لمواقف أو عواطف متشابهة.

- إذا اضطر إلى اختيار نصوص طويلة، فإنه كان يعمد إلى اختصارها بطريقة لا يضيع معها من المعنى الأصلي شيء، لأنه كان يأخذ منها فقرات كاملة متصلة المعنى، ويترك ما زاد عن حاجته منها.

- اتخاذ جانب الحيطة والحذر في إصدار الأحكام، وإبداء الآراء، وإذا ما أصدر حكماً، أو أبدى رأياً، فإنه كان يستخدم أقصر العبارات، وأكثرها إيجازاً، فيكتفي فيها بالكلمة الواحدة، أو بالكلمتين، مثل «ويستحسن»، «ومن جيد»، «ومن أفضل»، وغيرها. ولا ضير في ذلك ما دام قد قبل ما اختاره عقلاً وذوقاً وحساً قبل اختياره.

- لَعَلَّه كان يدرك أن الخصومة الأدبية التي كانت شائعة بين الأدباء في عصره<sup>(٢)</sup>، قد تجرَّ عليه بعض النقد والتجريح<sup>(٣)</sup> لميله في كتابه إلى الجمع والنقل والاختيار أكثر من ميله إلى التجديد والابتكار، لذلك رأيناه يعطي لنفسه العذر، فيُضْمِنُ مقدمته اعترافاً صريحاً بما

(١) الحصري، زهر الآداب: ٣٤/١.

(٢) من أهم الخصومات التي وقعت بين كتاب ذلك العصر خصومة الهمداني (ت ٣٩٨ هـ/ ١٠٠٨ م) والخوارزمي (ت ٣٨٤ هـ/ ٩٩٤ م)، وخصومة التوحيدي (ت نحو ٤٠٠ هـ/ نحو ١٠١٠ م) والصاحب بن عباد (ت ٣٨٥ هـ/ ٩٩٥ م)، وخصومة ابن رشيقي القيرواني (ت ٤٥٦ هـ/ ١٠٦٤ م) وابن شرف (ت ٤٦٠ هـ/ ١٠٦٧ م).

(٣) من أمثلة النقد والتجريح ما تعرض له ابن رشيقي القيرواني في كتابه «العمدة في محاسن الشعر»، مما اضطره للرد على منتقديه ردّاً عنيفاً مفحماً (انظر العمدة: ٢/٢٣٩).

صنعه في كتابه - وإن كان جليلاً - فيقول<sup>(١)</sup>: «وليس لي في تأليفه من الافتخار، أكثر من حسن الاختيار؛ واختيار المرء قطعة من عقله، تدلُّ على تخلفه أو فضله... إذ كان معلوماً أنه ما انجذبت نفس، ولا اجتمع حسٌّ، ولا مال سرٌّ، ولا جال فكر، في أفضل من معنى لطيف، ظهر في لفظٍ شريف».

- اعتداله في فهم البلاغة، وعنايته بعرض الكثير من آراء علماء البلاغة، أو البلغاء، مثل الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م)، وابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ / ٩٠٩ م)، وعمرو بن عبيد (ت ١٤٤ هـ / ٧٦٢ م)، وابن المقفع (ت ١٤٢ هـ / ٧٥٧ م)، والروماني (ت ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م)، وغيرهم.

- حرصه على نسبة النصوص والأقوال التي اختارها إلى أصحابها، وأحياناً إلى المصادر التي استقاها منها بدقة وأمانة قلَّ نظيرهما في كتب غيره.

- موازنته بين شاعرين أو أكثر في معنى من المعاني، كموازنته بين البحري (ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م) وأبي تمام (ت ٢٣٢ هـ / ٨٤٦ م)، وقد نقلها عن الحاتمي<sup>(٢)</sup>، وموازنته بين العتابي (ت ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م) والعباس بن الأحنف (ت ١٩٢ هـ / ٨٠٨ م)، وقد نقلها عن الصولي<sup>(٣)</sup>.

- ذكره لكثير من الآداب الاجتماعية التي كان الناس يحمدها في عصره، وحفظه لحياة عصره الأدبية بما نقله من استعمالات معاصره في شتى المواضيع الأدبية والاجتماعية، وغالباً ما كان يذكرها تحت عنوان «ألفاظ لأهل العصر».

- تحرُّجه من ذكر أخبار المُجَّان والخلعاء وأشعارهم، صوناً للكتاب، والتزاماً بمنهج ديني وأخلاقي يكفُّه عن ذلك<sup>(٤)</sup>.

(١) الحصري، زهر الآداب: ٣٦/١: ويلاحظ أن الحصري اعتذر لكتابه «زهر الآداب» بمثل ما اعتذر به ابن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ / ٩٤٠ م) لكتابه «العقد الفريد»، فلأخير في المعنى نفسه ما نصّه: «وإنما لي فيه تأليف الأخبار، وفضل الاختيار، وحسن الاختصار، وفرش في صدر كلِّ كتاب، وما سواه فمأخوذ من أفواه العلماء، ومأثور عن الحكماء والأدباء. واختيار الكلام أصعب من تأليفه، وقد قالوا: اختيار الرجل وأفد عقله» (ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٢/١).

(٢) الحصري، زهر الآداب: ٦٥٥/٣ - ٦٦٢.

(٣) الحصري، زهر الآداب: ١٠١٥/٤.

(٤) علّق الدكتور زكي مبارك في تقديمه للكتاب على هذا التزمّت الأخلاقي عند الحصري فقال: «إن =

وظلَّ «زهر الآداب» تداوله الأيدي، وتختزنه المكتبات، حتى قُدِّرَ له أن يظهر منشوراً على هامش «العقد الفريد» في بولاق سنة ١٣٠٢ هـ / ١٨٩٥ م.

ثم طُبِعَ نصفه مستقلاً في المطبعة الوهية في القاهرة بدون تأريخ.

وقام الدكتور زكي مبارك بتفصيله وضبطه وشرحه ونشره بالقاهرة سنة ١٣٤٤ هـ /

١٩٢٥ م.

ثم نُشِرَ في القاهرة سنة ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٣ م، بتحقيق الأستاذ علي محمد البجاوي.

وحققه، وزاد في تفصيله، وضبطه، وشرحه، الأستاذ محمد محيي الدين عبد

الحميد، وصدر عن دار الجيل - بيروت - للمرة الرابعة سنة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م.

ونظراً لأهمية هذا الكتاب من الناحيتين الأدبية والتاريخية، ورغبةً منا في خدمة تراثنا

الأدبي ولغتنا المجيدة، نُخْرِجُ اليوم هذا الكتاب، ونقدمه للقراء بحلّةٍ جديدة، وإضافات

مهمة في الشرح والضبط والتوثيق والفهرسة.

ويقوم عملنا فيه وفقاً للخطة التالية:

- اعتماد نسخة الكتاب التي فضّلها وشرحها الدكتور زكي مبارك، وحققها وزاد عليها

محمد محيي الدين عبد الحميد - دار الجيل - بيروت سنة ١٩٧٢ م.

- تصدير الكتاب بمقدمة تشتمل على حياة المؤلف أبي إسحاق إبراهيم بن علي

الحصري، وآثاره، وعصره، ومنهجه في تأليف الكتاب.

- شكل الألفاظ والعبارات الواردة بالحركات المناسبة، خاصة إذا لم تشكل في

الأصل.

- ضبط أسماء الأعلام والأماكن، وإبعاد التصحيف والتحريف عنها.

- ضبط الآيات القرآنية وتوثيقها وفقاً لورودها في القرآن الكريم.

- التعريف بالأعلام الواردة في الكتاب ما أمكن، والإحالة إلى أهم المصادر التي

ترجمت لهم.

= حرص الحصري على الأخلاق ضيغ علينا ما أعرض عنه من الآثار الأدبية، وكنا في حاجةٍ إلى

أن نعرف كلّ ما ترك الأولون». (الحصري، زهر الآداب، مقدمة المحقق: ١٧/١).

- التعريف بالشعراء أصحاب الشواهد الشعرية ما أمكن، وردّ شواهدهم إلى مظانها ومصادرهما، من دواوين وكتب أدبية.
- الحرص على تحريّ أصحّ الأقوال في نسبة المقطوعات الشعرية والثرية والأخبار إلى أصحابها.
- التأكد من سلامة الشواهد الشعرية من الناحيتين الإملائية والعروضية.
- ضبط الأبيات الشعرية، وشرحها، وبيان أوزانها وبحورها.
- تخريج الأمثال العربية، وردّها إلى مصادرهما في كتب الأمثال والأدب.
- شرح وتفسير ما غمض من مشكلات الكتاب وألفاظه وعباراته.
- تزويد الكتاب بمجموعة من الفهارس الفنية التي تُساعد القارئ، وتمكنه من الرجوع إلى موادّ الكتاب بسهولة ويُسر.
- وبعد، فهذا ما حاولناه في هذا الكتاب، وإن كنّا قد قصّرنا في بعض جوانبه، فالكمال لله وحده، وحسبنا أننا توخينا السداد، والله وليّ الهدى واليسير.
- ٢٠ جمادى الأولى ١٤٢٠ هـ / ٣٠ آب ١٩٩٩ م
- صلاح الدين الهواري

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## ترجمة المؤلف

### حياته:

هو أبو إسحاق، إبراهيم بن علي بن تميم الحضري<sup>(١)</sup>، الأنصاري<sup>(٢)</sup>، القيرواني<sup>(٣)</sup>: أديب، شاعر، ناقد. ولد في القيروان<sup>(٤)</sup>، ونشأ فيها في أواخر عهد الفاطميين بالمغرب. ولا نعرف شيئاً واضحاً عن نشأته الأولى، غير أنه تتلمذ على أعلام عصره في علوم الدين واللغة والأدب.

ولما انتقل الفاطميون إلى مصر، وأخذوا معهم كبار الأدباء والشعراء، خلت القيروان للحصري، فبرز كأديب كبير تتمحور الحياة الأدبية حوله، ويأخذ عنه الكثيرون، وفي ذلك يقول ابن رشيقي القيرواني<sup>(٥)</sup> في كتابه «أنموذج الزمان في شعراء القيروان»<sup>(٦)</sup>: «كان شبان القيروان يجتمعون عنده، ويأخذون عنه، ورأس عندهم، وشرف لديهم، وسارت تأليفاته، واتثالت عليه الصلات من الجهات».

- (١) الحضري (بضم الحاء ومكون الصاد): نسبة إلى عمل الحصر أو بيعها، وقيل: نسبة إلى «الحصر»، وهي قرية قرب القيروان كان يصنع بها الحصر.
- (٢) الزركلي، الأعلام: ٥٠/١.
- (٣) القيرواني: نسبة إلى القيروان (يفتح القاف ومكون الباء وفتح الراء)، وهي مدينة كبيرة في المغرب العربي، بناها عقبة بن نافع الفهري. والقيروان لغة: القافلة (فارسي معرب).
- (٤) بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ١٠٥/٥.
- (٥) هو أبو علي، الحسن بن رشيقي القيرواني: شاعر، أديب، ناقد. ولد بالمسيلة بالمغرب، وأقام في القيروان فنسب إليها. توفي سنة ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م. ومن آثاره: «العمدة في محاسن الشعر وادله ونقده» و«أنموذج الزمان في شعراء القيروان» و«قراصة الذهب» وغيرها. (ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٨٥/٢؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء: ١١٠/٨؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب: ٢٩٧/٣؛ الهواري، الشعر والشعراء في كتاب العمدة: ص ٢٧).
- (٦) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٥٤/١.

وقد أثنى الذين ترجموا للحصري على شاعريته، وأوردوا له نثفاً من شعره، منها قوله<sup>(١)</sup>:

إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبًّا لَيْسَ يَلُغُهُ      فَهَمٌّ وَلَا يَنْتَهِي وَصْفِي إِلَى صِفَتِهِ  
أَقْصَى نَهَايَةِ عِلْمِي فِيهِ مَعْرِفَتِي      بِالْعَجْزِ مِنِّي عَنْ إِدْرَاكِ مَعْرِفَتِهِ  
وقوله<sup>(٢)</sup>:

أُورِدَ قَلْبِي الْوَرْدَى      لَأُمُّ عِزَّارٍ بَـلَدَا  
أَسْوَدَ كَالْكَفْرِ فِي      أَيْضٍ مِثْلِ الْهُدَى  
وقوله<sup>(٣)</sup>:

كَتَمْتُ هَوَاكَ حَتَّى عِيلَ صَبْرِي      وَأَدْنَيْتُنِي مَكَاتِمِي لِسَرْمِي  
وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى إِخْفَاءِ حَالِ      يَحُولُ بِهَا الْأَسَى دُونَ الثَّأْسِي  
وَحُبُّكَ مَالِكٌ لِحَظِّي وَلَفْظِي      وَإِظْهَارِي وَإِضْمَارِي وَحِثِّي  
فَإِنْ أَنْطَقْتُ فَمِنْكَ جَمِيعُ نُطْقِي      وَإِنْ أَسْكُتُ فَمِنْكَ حَدِيثُ نَفْسِي

وأبو إسحاق الحصري هو ابن خالة الشاعر أبي الحسن الحصري المتوفى سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م، وكثيراً ما كان الرواة يخلطون بينهما في السيرة والأشعار. وكانت وفاة أبي إسحاق في المنصورة<sup>(٤)</sup> سنة ٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م<sup>(٥)</sup>.

## آثاره:

لأبي إسحاق الحصري تصانيف عدّة في الأدب والشعر، نذكر منها:

- (١) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٥٤/١.
- (٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٥٥/١، نقلًا عن «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» لابن بسام.
- (٣) ياقوت الحموي، معجم الأدباء: ٩٤/٢.
- (٤) بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ١٠٥/٥؛ عمر كحالة، معجم المؤلفين: ٦٤/١.
- (٥) كذا في «الذخيرة» لابن بسام، و«الأعلام» للزركلي، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة. وفي «وفيات الأعيان» لابن خلكان، و«معجم المؤلفين» لعمر كحالة أنه توفي سنة ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م. وإذا صحَّ ما قيل إنه ألف كتاب «زهر الآداب» سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٧ م، فيكون التاريخ الذي أثبتناه هو الأكثر دقة، والأقرب إلى الحقيقة التاريخية.

- كتاب «زهر الآداب وثمر الألباب»، ويقع في ثلاثة أجزاء<sup>(١)</sup>. وهو أكبر كتب الحصري على الإطلاق، وبه ذاع صيته، وعليه قامت شهرته.
- «المصون في سرّ الهوى المكنون»<sup>(٢)</sup>، وهو كتاب في الأخبار والنوادر والنصوص المختارة من الشعر، ويقع في مجلد واحد.
- «ذيل زهر الآداب» أو «جمع الجواهر في الملح والنوادر»<sup>(٣)</sup>.
- «نور الطرف ونور الظرف»<sup>(٤)</sup>، ويسمى أيضاً «رسالة النورين»<sup>(٥)</sup>. وهو كتاب في مجلد واحد، ويشتمل على مختارات شعرية قصيرة.
- كتاب «العجائب والطرف»<sup>(٦)</sup>.
- «طيبات الأغاني، ومطربات القيان»، وهو كتاب لم يصل إلينا، ولا نعلم إذا كان هذا هو اسمه بالضبط أم لا، غير أن الحصري نفسه قد أشار إلى كتاب له في هذا المعنى، ونقل منه قطعاً في كتابه «جمع الجواهر»، وقال عند نقله: «وأنا أعيد منها هنا قطعة ترتاح إليها الأرواح».
- ديوان شعر<sup>(٧)</sup>، ويعرف بديوان الحصري، وهو كتاب مفقود. وقد قام حسن حسني
- 
- (١) هذا ما ذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان: ٥٤/١. وجعله الدكتور زكي مبارك أربعة أجزاء، ولم يجد ضميراً في ذلك، لأن الكتاب - برأيه - مبني في الأصل على التنقل والاستطراد. (الحصري، زهر الآداب، مقدمة المحقق: ص ٢١).
- (٢) وقيل: «المصون في اللزّ المكنون». ويقال: إن نسخة خطية منه توجد في مكتبة شيخ الإسلام بالمدينة، ونسخة أخرى في مكتبة «لايدن» بهولندا.
- (٣) وقيل: «جواهر النوادر ولمح الملح». وقد ذكره بروكلمان والزركلي وعمر كحالة، وأغفله كل من حاجي خليفة وابن خلكان. ونشره عبد العزيز البشري بالقاهرة سنة ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م، وطبع في القاهرة بالمطبعة الرحمانية بلا تاريخ، ونشره علي البجاوي بالقاهرة سنة ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م. (بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ١٦٠/٥).
- (٤) ذكره حاجي خليفة، وبروكلمان، والزركلي، وقيل: إن هذا الكتاب هو مختصر وضعه الحصري لكتاب زهر الآداب. (الزركلي، الأعلام). وهو موجود في مكتبة الاسكوريال بإسبانيا.
- (٥) بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ١٠٦/٥.
- (٦) انفرد بذكره بروكلمان في تاريخ الأدب العربي: ١٠٦/٥.
- (٧) انفرد ابن خلكان بذكره في وفيات الأعيان: ٥٤/١.

عبد الوهاب بجمع ما تفرق من شعر الحصري في أمهات الكتب، ونشر قسماً منه في كتابه «المنتخب المدرسي من الأدب التونسي».

ويروى أن الحصري كان قد شرع بتأليف كتاب عن «الشعراء الإفريقيين، وجعلهم طبقات وفقاً لأعمارهم، لكن ابن رشيق القيرواني - وكان أصغر شعراء القيروان سناً في ذلك العصر - عاجله ببيتين يقول فيهما<sup>(١)</sup>:

رَفَقاً أَبَا إِسْحَاقَ بِالعَالَمِ      حَصَلْتَ فِي أَضْيَقِ مِنْ خَاتَمِ  
لَوْ كَانَ فَضْلُ السَّبْقِ مَثْدُوحَةً      فَضَّلَ إِبْلِيسُ عَلَى آدَمِ

فأمسك الحصري عن تأليف كتابه، واعتذر عنه، ومات وقد سدَّ عليه باب الفكرة فيه، ولم يصنع شيئاً.

ويقال: إن ابن رشيق لجأ إلى هذه الحيلة ليفوز دون غيره بالترجمة لشعراء عصره، فكان كتابه «أنموذج الزمان في شعراء القيروان» الفريد في بابهِ.

### عصره:

عاش الحصري ما بين أواخر القرن الرابع الهجري ومنتصف القرن الخامس / القرن الحادي عشر الميلادي، وهي الفترة التي اصطلح على تسميتها بالعصر الذهبي لمدينة القيروان التي شهدت ولادة الحصري ونشأته ووفاته.

ونراه مفيداً أن نضمن هذه المقدمة الموجزة شيئاً عن عصر الكاتب وبيئته التي نما فيها، لما لهما من تأثير كبير على تكوينه الثقافي والفكري والأدبي.

### البيئة السياسية:

كان المغرب تابعاً بعد الفتح الإسلامي لولاية مصر، ثم انفصل عنهم في منتصف حكم الدولة الأموية. وفي عهد الدولة العباسية وليّ عليه إبراهيم الأغلب سنة (١٨٤ هـ/ ٨٠٠ م). ثم توارث حكمه أبناؤه من بعده، حتى ظهر الفاطميون، فانتزعوها منهم سنة (٢٩٦ هـ/ ٩٠٩ م) وأصبح المغرب منذ ذلك التاريخ جزءاً من الدولة الفاطمية.

(١) ابن رشيق القيرواني، الديوان: ص ١٥٠.



وعين المعز لدين الله الفاطمي (ت ٣٦٥ هـ / ٩٧٥ م) على حكمها بلكين بن زيري سنة (٣٦١ هـ / ٩٧٢ م)<sup>(١)</sup>. ثم خلفه ابنه المنصور (ت ٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م)، ثم ابن المنصور باديس (ت ٤٠٦ هـ / ١٠١٦ م) الذي اتخذ من سردانية سكناً له<sup>(٢)</sup>.

وقد تمكن باديس لقوة شخصيته، ولبعده عن سلطة الخلافة المركزية ورقابتها، من إطلاق يده في طول البلاد وعرضها، فعين عمه حماد بن بلكين (ت ٤١٩ هـ / ١٠٢٩ م) على إحدى مدن المغرب، فعمل على الانفصال عنه، وأسس الدولة الحمادية التي أخذت تناوى الباديسيين في بلاد المغرب.

وبعد وفاة باديس، خلفه ابنه المعز (ت ٤٥٤ هـ / ١٠٦٢ م) الذي أعلن انفصاله عن الفاطميين في القاهرة، وخطب للخليفة العباسي القائم بأمر الله (ت ٤٦٧ هـ / ١٠٧٥ م) وذلك سنة ٤٣٩ هـ / ١٠٤٨ م<sup>(٣)</sup>.

ثم قامت بين المعز وأبناء عمومته الحماديين فتنة داخلية غذاها الفاطميون في القاهرة عبر إرسالهم قبائل من الأعراب كانت تقيم في الصعيد المصري إلى المغرب لتتقم لهم من أهل البلاد وزعيمها المعز بن باديس.

وقد قامت تلك القبائل بحملة رعب مهولة في مدينة «برقة» تردد صداها في أنحاء المغرب، وفي القيروان بخاصة، وأحدثت تصدعاً وضعفاً في صفوف جيش المعز، فلم يستطع الثبات أمامها أكثر من أربع سنوات، دخلت بعدها القبائل المهاجمة القيروان، وفتكت بأهلها، وخربت عمرانها، فلجأ المعز إلى المهدية، واتخذها عاصمة له. وفرّ العديد من العلماء والأدباء والشعراء إلى الأندلس وغيرها من البلدان طلباً للنجاة. وكان لهذه الفاجعة صدئ عميقاً في الأدب العربي بالمغرب، لا يقل عن الصدئ الذي أحدثه تخريب الزنج لمدينة البصرة في ثورتهم سنة (٢٤٣ هـ / ٨٧٠ م).

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٢٨٦/٢ و ٢٢٦/٥.

(٢) الزركلي، الأعلام: ٤١/٢. و سردانية: جزيرة في بحر المغرب، ليس هناك بعد الأندلس وصقلية واقريطش أكبر منها. احتلها المسلمون سنة ٩٢ هـ / ٢٩١ م. (ياقوت الحموي، معجم البلدان: ١٠٩/٣).

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٢٣٤/٥.

وكانت القيروان قد شهدت منذ نشأتها وحتى خرابها حالة سياسية مستقرة، لم تستطع الثورات أو الاضطرابات المحلية أن تعكر صفوها، أو أن تعطل مسيرة الحضارة فيها.

ولعل أفضل حالات استقرارها السياسي كانت في الفترة الممتدة ما بين النصف الثاني من القرن الرابع الهجري إلى نهاية النصف الأول من القرن الخامس، الأمر الذي مكّن الحياة الثقافية والأدبية فيها من التقدم والازدهار، بفضل عدد من الأمراء الكبار (باديس، المعز، تميم) الذين غمروا العلماء والأدباء والشعراء بالحفاوة والتكريم والجوائز السنية وشجّعوهم على التصنيف والابتكار.

### البيئة الاجتماعية:

كانت القيروان في عصر الحصري من أزهى عواصم العالم العربي ازدهاراً إلى جانب دمشق وبغداد والكوفة وقرطبة. وكانت حياتها الاجتماعية على مستوى عالٍ من النشاط واتساع العمران. واجتذبت سكانها حياة الدعة والرخاء فأسرفوا في البذخ، وصاروا يرفلون بأثواب الثرف والنعم.

ويقال: إن البساتين كانت تتخلل أبنية القيروان، وإن ما يقرب من ثلاثين ضاحية كانت تمتد حولها<sup>(١)</sup>.

وشكلت دور العلم فيها، وأنواع الملاهي، وأسباب الارتزاق التجاري مغريات ومصايد للرواد والوافدين من أنحاء المشرق والمغرب طلباً للعلم، أو رغبة في التجارة، أو سعيًا وراء متع النفس والحس.

وكان أكثر ولوع الطبقات الشعبية في القيروان بسباق الخيل، والحراب، أو بالشطرنج، والتخلق حول القصاصين في مجالسهم الشعبية. وكان الشبان منهم يترددون على حانات الغناء والرقص والشرب، ويمضون الأيام والليالي المتتالية في جوّ من المرح واللهو.

أما الموسرون، فقد بالغوا في التأنق بالمأكل والمشرب، حتى قيل: إن أحد القضاة ترك كسوة بعد وفاته قُدّرت بألف دينار. وإن المائدة الواحدة عندهم كانت تشتمل على عشرات الأنواع من المأكولات والحلويات والفاكهة.

(١) حسن حسني عبد الوهاب، بساط العقيق: ص ١٤.

وأُسرفت المرأة القيروانية في لباسها وزينتها، وكانت تعتمد المشي في شوارع القيروان مزهوة برثة خلاخيلها، فتجذب الأسماع والأنظار.

### البيئة الثقافية:

كانت القيروان - مسقط رأس الحصري، وملعب طفولته، ومسرح نبوغه - أولى المدن التي تأسست في الإسلام، وظلت طيلة قرون عديدة مركزاً للإشعاع الثقافي في المغرب العربي.

وفي الحقبة التي عاش فيها الحصري، كانت معظم الأنشطة العلمية والأدبية المغربية قد تركزت في هذه المدينة الفتية، حيث كثرت الدواوين والمساجد وحلقات العلم والأدب. وحيث أدى التنافس بين الأدباء والشعراء فيها إلى نشوء حركة فكرية أدبية لم تر إفريقية مثلاً في عصر من عصور الدولة الإسلامية، أصبحت القيروان معها كعبة للعلم يحج إليها العلماء من جميع أصقاع المغرب، ومن الأندلس.

ومن أعلام القيروان الذين لمعت أسماؤهم في ذلك العصر:

- أبو علي، الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٥٤٦ هـ / ١١٦٤ م)، صاحب كتاب «العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده»، وهو أول محاولة في العربية وضعت أسس النقد الأدبي الصحيح.

- أبو عبد الله، محمد بن أبي سعيد المعروف بابن شرف القيرواني (ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م)، صاحب كتاب «رسائل الانتقاد» في الشعر والشعراء.

- أبو عبد الله، محمد بن جعفر القزاز القيرواني (ت ٤١٢ هـ / ١٠٢١ م) وكان إماماً باللغة، بارعاً بعلومها، ومن آثاره: «ضرائر الشعر» و«العشرات في اللغة».

- أبو الحسن، علي بن أبي الرجال (ت ٤٥٤ هـ / ١٠٦٢ م) رئيس ديوان الإنشاء في قصر المعز بن باديس. ومن آثاره: «البارع في النجوم» و«أرجوزة في الأحكام».

- أبو الحسن، علي بن عبد الغني، الفهري، المقرئ، الضرير، القيرواني، الشاعر (ت ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م) صاحب القصيدة الدالية التي افتن الشعراء في معارضتها، ومطلعها:

يَا لَيْلُ الصَّبِّ مَتَى غَدُهُ      أَقِيَامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ

- خلف بن أحمد القيرواني، الشاعر المطبوع (ت ٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م).

- وأبو إسحاق، إبراهيم بن علي الحصري (ت ٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م) صاحب كتاب «زهر الآداب وثمر الألباب» الذي ترجم له في هذه المقدمة.

وقد أدى وجود هذا العدد من الأعلام الكبار في القيروان وما جاورها من المدن المغربية إلى ظهور كمّ هائل من الكتب والمصنفات في شتى مجالات العلم والمعرفة.

وكان من عادة الكتّاب في القيروان أن يهدوا أهم مصنفاتهم إلى الحكام والرؤساء طمعاً بالمال، أو سعياً وراء الشهرة والمجد، أو غير ذلك. ومن تلك الكتب المهداة:

- كتاب «العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده» الذي أهده ابن رشيق لأبي الحسن علي بن أبي الرجال، صاحب ديوان الإنشاء في قصر المعز بن باديس.

- وكتاب «زهر الآداب وثمر الألباب» الذي أهده الحصري لأبي الفضل العباس بن سليمان، ليستغني به عن سواه من الكتب.

وبعد، ففي هذه البيئة السياسية والاجتماعية والثقافية نشأ الحصري، وفي أجوائها الحافلة بالدعة والعلم والأدب حصّل علومه، وصنّف كتبه، فهو ابن هذه البيئة، وريب هذا المجتمع. أثر فيه بقدر ما تأثر به، فخلف للمكتبة العربية من عصارة فكره ما تزهو به على مرّ الأجيال.



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي اختصَّ الإنسانَ بفضيلةِ البيانِ، وصلى الله على محمدٍ خاتمِ النبيين، المرسلِ بالنور المبين، والكتابِ المستبين، الذي تحدَّى الخلقَ أَنْ يَأْتُوا بمثله ففعلوا عنه، وأقروا بفضله، وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد؛ فهذا كتابٌ اخترتُ فيه قطعةً كاملةً من البلاغات؛ في الشعر والخبر، والفصول والفقر<sup>(١)</sup>، مما حُسِّنَ لفظُهُ ومعناه، واستُبدِلَ بِفَحْوَاهُ على مَغْزَاهُ<sup>(٢)</sup>، ولم يكن شاردًا حُوشِيًّا<sup>(٣)</sup>، ولا ساقطاً سُوقِيًّا<sup>(٤)</sup>، بل كان جميع ما فيه، من ألفاظه ومعانيه، كما قال البُحْتَرِيُّ<sup>(٥)</sup>:

فِي نِظَامٍ مِنَ الْبَلَاغَةِ مَا شَدَّ      لَكَ أَمْرُؤُ أَنْهُ نِظَامٌ فَرِيدٌ<sup>(٦)</sup>  
حُزْنٌ مُسْتَعْمَلُ الْكَلَامِ اخْتِيَارًا      وَتَجَنَّبُ نَظْمُ التَّعْقِيدِ

- (١) الْفَقْرُ: جمع فقرة - بكر الفاء وفتحها - وهي فصل أو بيت شعر، يقال: ما أحسن فقر كلامه، أي نكته، وهي في الأصل حلى تُصاغ على شكل فقر الظهر.  
(٢) مَغْزَى الْكَلَامِ: ما يُراد منه، هدفه. وفحواه: ما يفهم منه ذلك المراد أو الهدف.  
(٣) الشَّارِدُ: من شرد البعير، يَشْرُدُ شَرْدًا وَشُرُودًا: نقر، ومنه قافية شرود: عائرة سائرة في البلاد، تشرد كما يشرد البعير.

الحوشي من الكلام: وحشيته وغريبه، يقال: فلان يتبع حوشي الكلام، وحشي الكلام، وَعُقْمِي الكلام، بمعنى واحد. وفي حديث عمر: ولم يتبع حوشي الكلام، أي وحشيهِ وَعَقْدُهُ والغريب المشكل منه.

- (٤) الشُّوقِي: نسبة إلى السوق، وهم عامة الناس.

- (٥) هو أبو عبادة، الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد بن شمال بن جابر بن مسلمة بن مسهر بن الحارث بن جشم الطائي البحتري: شاعر، أديب، فصيح، بليغ. ولد ونشأ بمنج من أعمال حلب، ورحل إلى العراق، فاتصل بالخلفاء، ومدح عدداً منهم، أولهم المتوكل العباسي. توفي ببغداد سنة ٢٨٤ هـ/ ٨٩٨ م، وكان يقال لشعره: سلاسل الذهب. (ابن المعتز، طبقات الشعراء: ٣٩٣؛ الأصفهاني، الأغاني: ٣٩/٢١؛ البغدادى، تاريخ بغداد: ٤٤٦/١٣).  
(٦) الفريد: هو الدر الذي يفصل بين الذهب في القلادة المفصلة، قاله فيها فريد.

وَرَكِبْنَ اللَّفْظَ الْقَرِيبَ فَأَدْرَكَ — نَبْ بِهْ غَايَةَ الْمُرَادِ الْبَعِيدِ  
ولم أذهب في هذا الاختيار، إلى مطولات الأخبار، كأحاديث صَفْصَعَةَ بْنِ  
صُوحَانَ<sup>(١)</sup>، وخالد بن صَفْوَانَ<sup>(٢)</sup>، ونظائرهما؛ إذ كانت هذه أجملَ لفظاً، وأسهلَ حفظاً.

### منهج المؤلف في الكتاب

وهو كتابٌ يتصرف الناظرُ فيه من نثره إلى شعره، ومطبوّعه إلى مصنّوعه، ومحاورته  
إلى مفاخرته، ومُتَأَقِّلَتِهِ<sup>(٣)</sup> إلى مُسَاجَلَتِهِ<sup>(٤)</sup>، وخطابه المُبْهَتِ<sup>(٥)</sup> إلى جوابه المُسَكَّتِ،  
وتشبيهاته المُصَيِّية إلى اختراعاته الغريبة، وأوصافه الباهرة إلى أمثاله السائرة، وجِدِّهِ  
المُعْجَبِ<sup>(٦)</sup> إلى هَزْلِهِ المُطْرَبِ، وجَزْلِهِ الرَّائِعِ إلى رفيقه البارِعِ.

وقد نَزَعْتُ فيما جمعت عن ترتيب البيوت<sup>(٧)</sup>، وعن إبعاد الشكل عن شكله، وإفراد  
الشيء من مثله؛ فجعلتُ بَعْضَهُ مُسَلْسَلًا<sup>(٨)</sup>، ونرَكَتُ بَعْضَهُ مُرْسَلًا<sup>(٩)</sup>؛ لِيَحْصَلَ مُحَرَّرُ  
التَّقْدِ<sup>(١٠)</sup>، مُفَلَّرُ السَّرْدِ<sup>(١١)</sup>؛ وقد أخذ بِطَرَفِي التَّأْلِيفِ، واشتمل على حاشِيَتِي التَّصْنِيفِ؛ وقد  
يَعَزُّ المعنى، فألحق الشَّكْلَ بنظائره، وأعلق الأول بآخره، وتبقى منه بقية أُفْرِقُهَا في سائرهِ<sup>(١٢)</sup>  
ليسلم من التطويل الممل، والتقصير المخل، وتظهر في التجميع إفادة الاجتماع؛ وفي

(١) هو صفعصة بن صوحان: خطيب بليغ، من سادات عبد القيس. شهد صفين مع علي، ونفاه  
المغيرة بن شعبة إلى الجزيرة بأمر من معاوية بن أبي سفيان، فمات فيها نحو سنة  
٦٠ هـ / ٦٨٠ م، وكان مسلماً في عهد النبي ﷺ ولم يره (الجاحظ، الحيوان: ٥٨٨/٥).

(٢) هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهم التميمي المتفري: كان يجالس عمر بن عبد  
العزيز وهشام بن عبد الملك. نشأ بالبصرة، وكان أكثر أهلها مالاً، ولم يتزوج، وتوفي نحو سنة  
١١٥ هـ / ٧٣٤ م. (الجاحظ، الحيوان: ٩١/١، الزركلي، الأعلام: ٢٨٧/٢).

(٣) المناقلة: المناقضة، وناقله: ناقضه.

(٤) المساجلة: المفاخرة.

(٥) المُبْهَتُ: المُحَيَّرُ.

(٦) المُعْجَبُ: الذي يعجبك جماله.

(٧) البيوت: هي الأبيات: جمع بيت.

(٨) المُسَلْسَلُ: من السَّلْسَلَةِ، وهي اتصال الشيء بالشيء.

(٩) المرسل: غير المسلسل. يقال: أرسل الكلام: أطلقه من غير تقييد.

(١٠) التقد: الوزن.

(١١) السَّرْدُ: النسخ والتحرير.

(١٢) سائرهِ: باقيهِ.

التفريق لَدَاذَةِ الإمتاع، فيكمل منه ما يُؤنق<sup>(١)</sup> القلوب والأسماع؛ إذ كَانَ الخروجُ من جَدٍّ إلى هَزَلٍ، ومن حَزَنٍ إلى سَهْلٍ<sup>(٢)</sup> أَتَقَى لِلْكَلَلِ<sup>(٣)</sup>، وَأَبْعَدَ مِنَ الْمَلَلِ؛ وقد قال إسماعيل بن القاسم [هو أبو العتاهية]<sup>(٤)</sup>:

لَا يُضْلِحُ النَّفْسَ إِذْ كَانَتْ مُدَابِرَةً إِلَّا التَّنْقُلُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ<sup>(٥)</sup>

### الداعي لتأليف الكتاب

وكان السبب الذي دعاني إلى تأليفه، وَنَدَّبَنِي إلى تصنيفه، ما رأيته من رغبة أبي الفضل العباس بن سليمان - أطال الله مُدَّتَه، وأدام نعمته! - في الأدب، وإنفاقِ عمره في الطلب، وماله في الكتب؛ وأنَّ اجتهاده في ذلك حمله على أن ارتحل إلى المشرق بسببها، وأغمضَ في طلبها<sup>(٦)</sup>، باذلاً في ذلك ماله، مستعذباً فيه تعبهُ، إلى أن أورد من كلام بلغاء عصره، وفصحاء دهره، طرائف طريفة، وغرائب غريبة، وسألني أن أجمعَ له من مُختارها كتاباً يَكْتَفِي به عن جملتها، وأُضِيفَ إلى ذلك من كلام المتقدمين ما قاربه وقارنه، وشابهه ومائله؛ فسارعتُ إلى مراده، وأعنته على اجتهاده، وألفتُ له هذا الكتاب، ليستغني به عن جميع كتبِ الآداب؛ إذ كان مُوشِحاً<sup>(٧)</sup> من بدائع البديع، ولآلئ الميكالي، وشهَيِّ الخوارزمي، وغرائب الصاحب، ونفيس قابوس، وشُدُور أبي منصور<sup>(٨)</sup> بكلامٍ يمتزجُ بأجزاء النفس لطافة، وبالهواء رقة، وبالماء عذوية.

(١) يُؤنق: يُعجب.

(٢) الحَزَن: ما غلظ من الأرض، ويقابله السهل.

(٣) الكلل والكلال: التعب والإعياء.

(٤) هو أبو إسحاق، إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني، العتري بالولاء، الشهير بأبي العتاهية: شاعر مكثّر مطبوع، سريع الخاطر. ولد في عين التمر، ونشأ في الكوفة، وسكن بغداد. اتصل بالخلفاء وعلت مكانته، وكان أكثر شعره في الزهد والأمثال وذكر الموت. توفي سنة ٢١١ هـ/ ٨٢٦ م. (ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٦٧٥/٢، ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٢١٩/١).

(٥) المدابرة (في الأصل): الهزيمة، ومدابرة هنا: ذات سأم وملال.

(٦) أغمض وأغمض: ذهب، ومته: غمض السيف في اللحم: غاب.

(٧) الموشح: المُرصع.

(٨) البديع (بديع الزمان الهمداني)، والميكالي، والخوارزمي، والصاحب (ابن عباد)، وقابوس (ابن وشكير)، وأبو منصور: كل هؤلاء أعلام سوف ترد في هذا الكتاب طُرف من شعرهم ونثرهم، وسنذكر تراجمهم في موضع الاستشهاد بآثارهم الأدبية.



وليس لي في تأليفه من الافتخار، أكثر من حُسْن الاختيار؛ واختيارُ المرءِ قطعةً من عقله، تدلُّ على تَخَلُّفه أو فَضْلِهِ؛ ولا شك - إن شاء الله - في استجادة ما استجدت، واستحسان ما أوردت؛ إذ كان معلوماً أنه ما انجلبت نفسٌ، ولا اجتمع حسنٌ، ولا مال سِرٌّ، ولا جال فِكْرٌ، في أفضل من معنى لطيف، ظهر في لفظٍ شريف؛ فَكَسَاهُ من حسن الموقع، قبولاً لا يُدفع، وأبرزه يَخْتَالُ من صفاء السبك [ونقاء السلك] وصحة الديباجة، وكثرة المائبة، في أجمل حُلة، وأجلى حلية:

يَسْتَبْطِ السُّرُوحَ اللَّطِيفَ نَسِيبَهُ      أَرْجَأْ، وَيُؤْكَلِ بِالضَّمِيرِ وَيُشْرَبُ<sup>(١)</sup>

وقد رغبتُ في التجافي عن المشهور، في جميع المذكور، من الأسلوب الذي ذهبُ إليه، والنحو الذي عولتُ عليه؛ لأن أول ما يقرع الآذان، أدعى إلى الاستحسان، مما مجَّته<sup>(٢)</sup> النفوسُ لطول تكراره، ولفظته<sup>(٣)</sup> العقولُ لكثرة استمراره؛ فوجدت ذلك يتعدَّر ولا يتيسر، ويمتنع ولا يتسع<sup>(٤)</sup>؛ ويوجب ترك ما ندر إذا اشتهر؛ وهذا يوجب في التصنيف دخلاً<sup>(٥)</sup>، ويكسب التأليف خللاً؛ فلم أعرض إلا عما أهانه الاستعمال، وأذاله الابتذال<sup>(٦)</sup>؛ والمعنى إذا استدعى القلوب إلى حفظه، ما ظهر من مُسْتَحْسَن لفظه؛ من بارع عبارة، وناصع استعارة، وعُدُوْبَةٍ مورد، وسهولة مقصِد، وحسن تفصيل، وإصابة تمثيل؛ وتطابق أنحاء، وتجانُس أجزاء، وتمكُّن ترتيب، ولطافة تهذيب، مع صحَّة طبع وجودة إيضاح، يثقفه<sup>(٧)</sup> تثقيف الفداح، ويصوره أفضل تصوير، ويقدره أكمل تقدير؛ فهو مشرق في جوانب السمع، لا يُخْلِقُه<sup>(٨)</sup> عَوْدُه على المستعيد:

وَهُوَ الْمُشَيِّعُ بِالمَسَامِعِ إِنْ مَضَى      وَهُوَ الْمُضَاعَفُ حُسْنُهُ إِنْ كُرِّرَا

- (١) يستببط: يستخرج.
- (٢) مجَّته النفوس: مقتته، كرهته.
- (٣) لفظته: ألقت به، رمته.
- (٤) يتسع: يسهل.
- (٥) الدَّخْلُ: العيب، الفساد.
- (٦) أذاله الابتذال: أهانه.
- (٧) يثقفه: يقوّمه، يُسَوِّيه.
- (٨) لا يخلقه: لا يبلّيه، أو لا يذهب بجذته ورونقه.

وإن كنتُ قد استدركتُ على كثير ممن سبقني إلى مثل ما جريتُ إليه، واقتصرت في هذا الكتاب عليه، لِمُلْحٍ<sup>(١)</sup> أوردتها كَنَوَافِثِ السَّحَرِ<sup>(٢)</sup>؛ وفقر نظمها كالغنى بعد الفقر، من ألفاظ أهل العصر، في محلول النثر، ومعقود الشعر؛ وفيهم من أدركته بعُمري، أو لحقه أهلُ دهري؛ ولهم من لطائف الابتداع، وتوليدات الاختراع، أبكارٌ لم تفتَرعها الأسماع<sup>(٣)</sup>، يصبو إليها القلبُ والطرفُ، ويقطر منها ماءُ المَلَاحةِ والطَّرْفِ، وتمترجُ بأجزاء النفس، وتسترجع نافرَ الأنس، تخللت تضاعيفه، ووشحت تأليفه، وطرزت ديباجه، ورصعت تاجه، ونظمت عقوده، ورقمت بُروده؛ فنورُها يَرف، ونورُها يشف، في روضٍ من الكلم مُونق، ورؤق من الحكم مُشرق:

صفا ونفى عنه القذى فكأنه إذا ما استشفته العيون مُصعد<sup>(٤)</sup>  
فهو كما قلت:

بَدِيعُ نَثَرٍ رَقَّ حَتَّى غَدَا يَجْري مع الرُّوح كما تَجْري  
فَمِنْ مُذْهَبِ الوَشْيِ على وَجْهِهِ دِيبَاةٌ لَيْسَتْ مِنَ الشعرِ<sup>(٥)</sup>  
كَزَهْرَةِ الدُّنْيَا وقد أَقْبَلْتُ تَرُودُ في رَوْنِقِهَا النَّضْرِ<sup>(٦)</sup>  
أَوْ كَالنَّسِيمِ الغَضُّ غِبَّ الحَيَا يَخْتَالُ في أَرْدِيَةِ الفَجْرِ<sup>(٧)</sup>

ولعل في كثير مما تركتُ، ما هو أجود من قليل مما أدركت؛ إذ كان اقتصاراً من كل على بعض، ومن فيض على برص<sup>(٨)</sup>؛ ولكنني اجتهدتُ في اختيار ما وجدتُ؛ وقد تدخل اللفظة في شفاعة اللفظات، ويمرُّ البيت في خلال الأبيات، وتعرض الحكاية في عرض الحكايات؛ يتمُّ بها المعنى المراد، وليست مما يُستَجاد، ويبعث عليها فرطُ الضرورة إليها

(١) المُلْح: جمع المُلْحَة، وهي الكلمة المُستملحة المستعذبة.

(٢) النوافث: جمع النافثة، وهي الساحرة. وفي التزليل العزيز: «وَمِنْ شَرِّ السَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ» (سورة الفلق، آية ٤).

(٣) افترع الأنسة البكر: افترضها (فض بكارتها).

(٤) مُصْعَدٌ: من تصعد إذا ارتفع.

(٥) وشي مذهب: مطرز بالذهب.

(٦) ترود: تذهب وتجيء مختالة (تختال).

(٧) الحيا: المطر. وغب الحيا: عقبه.

(٨) الفيض: الكثير، والبرص: القليل.

[في إصلاح خلل]؛ فمهما تره من ذلك في هذا الاختيار، فلا تُعرض عنه بطرف الإنكار؛ وما أقل ذلك في جميع المسالك الجارية في هذا الكتاب، الموسوم بـ «زهر الآداب»، وثمر الألباب» لكنني أردت أن أشارك من يخرج من ضيق الغترار، إلى فسحة الاعتذار:

وَيْسِيءُ بِالْإِحْسَانِ ظَنًّا، لَا كَمَنُ يَأْتِيكَ وَهُوَ بِشِعْرِهِ مَقْتُونٌ<sup>(١)</sup>  
والله المؤيدُّ والمُسَدِّدُ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

(١) البيت لأبي تمام، ويروى:

وَيْسِيءُ بِالْإِحْسَانِ ظَنًّا لَا كَمَنُ هُوَ بِأَنْبِهِ وَبِشِعْرِهِ مَقْتُونُ  
(أبو تمام، الديوان: ١٧١/٢)، والبيت من قصيدة يمدح بها الواثق بالله العباسي.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لِسِحْرًا]

الزُّبْرَقَانُ بْنُ بَدْرٍ وَعَمْرُو بْنُ الْأَهْتَمِ بَيْنَ يَدَي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

روي عن عبد الله بن عباس - رضوان الله عليهما! - قال:

وَفَدَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الزُّبْرَقَانُ بْنُ بَدْرٍ وَعَمْرُو بْنُ الْأَهْتَمِ؛ فَقَالَ الزُّبْرَقَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَنَا يَدُ تَمِيمٍ، وَالْمِطَاعُ فِيهِمْ، وَالْمَجَابُ مِنْهُمْ، أَخَذُ لَهُمْ بِحَقِّهِمْ، وَأَمْنَعُهُمْ مِنَ الظُّلْمِ، وَهَذَا يَعْلَمُ ذَلِكَ - يَعْنِي عَمْرًا.

فَقَالَ عَمْرُو: أَجَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنَّهُ مَانِعٌ لِحَوْزَتِهِ<sup>(١)</sup>، مُطَاعٌ فِي عَشِيرَتِهِ، شَدِيدُ الْعَارِضَةِ فِيهِمْ<sup>(٢)</sup>.

فَقَالَ الزُّبْرَقَانُ: أَمَّا إِنَّهُ وَاللَّهِ قَدْ عَلِمَ أَكْثَرَ مِمَّا قَالَ، وَلَكِنَّهُ حَسَدَنِي شَرَفِي!

فَقَالَ عَمْرُو: أَمَّا لَنْ قَالَ مَا قَالَ؛ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتَهُ إِلَّا ضَيِّقَ الْعَطَنِ<sup>(٣)</sup>، زَمَرَ الْمَرْوَةَ<sup>(٤)</sup>، أَحْمَقَ الْأَبِ، لَثِيمَ الْخَالِ، حَدِيثَ الْغَنَى.

فَرَأَى الْكَرَاهَةَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمَّا اخْتَلَفَ قَوْلُهُ؛ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ رَضِيتُ فَقُلْتُ أَحْسَنَ مَا عَلِمْتُ، وَغَضِبْتُ فَقُلْتُ أَفْحَحَ مَا عَلِمْتُ، وَمَا كَذَبْتُ فِي الْأُولَى، وَقَدْ صَدَقْتُ فِي الثَّانِيَةِ!

(١) حوزة الرجل: ما يحوزه ويملكه.

(٢) العارضة: البديهة وقوة الكلام.

(٣) العطن: المناخ حول الوزد، وضيق العطن: بخيل.

(٤) زمر المروءة: قليلها.

فقال رسول الله ﷺ: إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا، وَإِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةً. وَيُرْوَى لِحُكْمًا، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ.

والذي روى أهل الثُّبُت، من هذا الحديث أَنَّهُ قَدِمَ رَجُلَانِ مِنَ أَهْلِ الْمَشْرِقِ فَمُخْطَبَا؛ فَعَجِبَ النَّاسُ لِبَيَانِهِمَا؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا، أَوْ إِنَّ مِنْ بَعْضِ الْبَيَانِ لَسِحْرًا<sup>(١)</sup>.

### ترجمة عَمْرُو بْنِ الْأَهْتَمِ

وَعَمْرُو بْنُ الْأَهْتَمِ هُوَ: عَمْرُو بْنُ سِنَانِ بْنِ سُمَيٍّ [بْنِ سِنَانِ بْنِ خَالِدٍ] بْنِ مِثْقَرِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ الْحَارِثِ، وَالْحَارِثُ هُوَ: مُقَاعَسُ بْنُ عَمْرِو بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ. وَسُمِّيَ سِنَانُ الْأَهْتَمِ لِأَنَّ قَيْسَ بْنَ عَاصِمِ الْمُنْقَرِي سَيِّدَ أَهْلِ الْوَبَرِ ضَرَبَهُ بِقَوْسِهِ فَهَتَمَ فَاهُ. هَذَا قَوْلُ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمٍ بْنِ قَتِيْبَةٍ<sup>(٢)</sup>. وَقَالَ غَيْرُهُ: بَلْ هُتِمَ فُوهُ يَوْمَ الْكَلَابِ الثَّانِي، وَهُوَ يَوْمٌ كَانَ لِبَنِي تَمِيمٍ عَلَى أَهْلِ الْيَمَنِ. وَكَانَ عَمْرُو يَلْقَبُ الْمُكْحَلَّ لِحِمَالِهِ، وَبَنُو الْأَهْتَمِ أَهْلُ بَيْتِ بِلَاغَةٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ. وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْأَهْتَمِ هُوَ جَدُّ خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ وَشَيْبِ بْنِ شَيْبَةَ. وَكَانَ يُقَالُ: الْخُطَابَةُ فِي آلِ عَمْرُو، وَكَانَ شَعْرُهُ حُلَلًا مُنْشَرَّةً عِنْدَ الْمُلُوكِ تَأْخُذُ مِنْهُ مَا شَاءَتْ. وَهُوَ الْقَاتِلُ:

ذَرَيْنِي فَإِنَّ الْبُخْلَ يَسَا أَمَّ مَالِكٍ      لِيَصَالِحَ أَخْلَاقُ الرِّجَالِ سَرُوقُ  
لَعَمْرُكَ مَا ضَاقَتْ بِلَادٌ بِأَهْلِهَا      وَلَكِنَّ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ تَضِيقُ<sup>(٣)</sup>

(١) القصة بتمامها في مجمع الأمثال للميداني: ٧/١. ويضرب قول النبي ﷺ في استحسان المنطق، وإيراد الحجة البالغة.

(٢) هو أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: عالم في اللغة والنحو، وغريب القرآن ومعانيه، وغريب الحديث، والشعر، والفقه، وأيام الناس. سكن بغداد وحدث فيها، وولي قضاء دينور. توفي سنة ٢٧٦ هـ/ ٨٨٩ م. من آثاره: «أدب الكاتب»، و«عيون الأخبار»، و«الشعر والشعراء»، وغيرها. (عمر كحالة، معجم المؤلفين: ١٥٠/٦).

(٣) ومثله قول بشار بن برد:  
وَلَا ضَاقَ فَضْلُ اللَّهِ عَنْ مُتَعَفِّفٍ      وَلَكِنَّ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ تَضِيقُ  
(بشار بن برد، الديوان: ١٢١/٤).

## ترجمة الزُّبْرَقَانِ بْنِ بَدْرٍ

والزُّبْرَقَانُ: اسمه حُصَيْنُ بْنُ بَدْرٍ بنِ امرئ القيس [بن الحارث] بن بَهْدَلَةَ بنِ عوف بن كَعْب بن سعيد. وسمي الزُّبْرَقَانُ لجماله؛ والزُّبْرَقَانُ: القمر [قبل تمامه] وقيل: لأنه كان يُزْبَرْقُ عمامته، أي يصفرُّها في الحرب.

وكانوا يسمّون الكلام الغريب «السُّحر الحلال»، ويقولون: اللفظ الجميل من إحدى النِّقَاطِ في العُقْدِ<sup>(١)</sup>.

## عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَغُلَامٌ يَتَقَدَّمُ وَفَدَ قَوْمَهُ

وذكر بعضُ الرُّوَاةِ أنه لما اسْتُخْلِفَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رضي الله عنه<sup>(٢)</sup> قَدِمَ عليه وفودُ أهل كل بلد؛ فتقدّم إليه وَفْدُ أَهْلِ الْحِجَازِ، فاشْرَأَبَ<sup>(٣)</sup> منهم غُلَامٌ للكلام، فقال عمر: يا غلام؛ ليتكلّمَ مَنْ هُوَ أَسَنُّ مِنْكَ! فقال الغلام: يا أمير المؤمنين! إنما المرءُ بِأَصْغَرِيهِ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ، فإذا مَنَحَ اللَّهُ عَبْدَهُ لِسَانًا لَافِظًا، وَقَلْبًا حَافِظًا، فَقَدْ أَجَادَ لَهُ الْاِخْتِيَارَ؛ وَلَوْ أَنَّ الْأُمُورَ بِالسِّنِّ لَكَانَ هَا هُنَا مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِمَجْلِسِكَ مِنْكَ.

فقال عمر: صدقت، تكلم؛ فهذا السُّحْرُ الحلال! فقال: يا أمير المؤمنين، نحن وفد التهئة لَا وَفْدَ الْمَرْزَةِ<sup>(٤)</sup>، وَلَمْ تُقَدِّمْنَا إِلَيْكَ رَغْبَةً وَلَا رَهْبَةً؛ لِأَنَّا قَدْ أَمِنَّا فِي أَيَّامِكَ مَا خِفْنَا، وَأَدْرَكْنَا مَا طَلَبْنَا!

فسأل عمر عَنْ سِنِّ الْغُلَامِ، فقيل: عشر سنين.

وقد روي أن محمد بن كَعْبِ الْقُرْظِيِّ كان حاضراً، فنظر وَجْهَ عمر قد تهلّل عند ثناء

(١) النِّقَاطُ: جمع نفثة، وهي أَنْ تَنْفِلَ السَّاحِرَةُ بِرَيْقِهَا عَلَى مَا تَعْقِدُهُ. ويروى: «النِّقَاطَاتُ» جمع نفّاة، وهي السَّاحِرَةُ نَفْسُهَا.

(٢) هو أَبُو حَفْصٍ، عمر بن عبد العزيز بن مروان، أمير المؤمنين، وخامس الخلفاء الراشدين: بُويعَ له بِالْخِلَافَةِ بعد سليمان بن عبد الملك، وكان يُدْعَى: أَشْجَ بنِي أُمِيَّةَ، لِأَنَّهُ فَرَسًا كَانَ قَدْ شَعَبَهُ بِحَافِرِهِ وَهُوَ صَغِيرٌ. اشتهر بِالْعَدْلِ، وَالزُّهْدِ، وَشِدَّةِ الْوَرَعِ، وَالْعِلْمِ بِالْدِينِ حَتَّى بَلَغَ مَرْتَبَةَ الْاجْتِهَادِ. تُوُفِيَ سنة ١٠١ هـ/ ٧٢٠ م بدير سمعان من أرض المعرة. ودامت خلافته ستين وستة أشهر وأياماً. (ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب: ١/ ١١٩).

(٣) اشْرَأَبَ: تَطَلَّعَ.

(٤) رَزَا فُلَانٌ فُلَانًا: إِذَا بَرَّهَ، وَرَزَاهُ، يَرْزُوهُ رُزْءًا وَمَرْزِيَّةً: أَصَابَ مِنْهُ خَيْرًا.

الغلام عليه؛ فقال: يا أمير المؤمنين؛ لا يَغْلِبَنَّ جهلُ القوم بك معرفتك بنفسك؛ فإن قوماً خَدَعَهُمُ الشَّاءُ، وغرَّهم الشكر، فرَلَّتْ أقدامُهم فَهَوَّوا في النار. أعاذك الله أن تكون منهم، وألحقك بِسَالِفِ هذه الأمة؛ فبكي عمر حتى خِيفَ عليه، وقال: اللهم لا تُخَلِّنا من واعظا!

وقد رُوي أن عمرَ قال للغلام: عِظْني، فقال هذا الكلام، وفيه زيادة يسيرة ونقص. وأخذ قولَ عمر: «هذا السحر الحلال» أبو تمام<sup>(١)</sup> فقال يعاتب أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي<sup>(٢)</sup>:

إِذَا مَا الْحَاجَةُ انْبَعَثَتْ يَدَاهَا      جَعَلْتَ الْمَنْعَ مِنْكَ لَهَا عَقَالاً<sup>(٣)</sup>  
فَأَيُّنَ قَصَائِدُ لِي فِيكَ تَأْبَى      وَتَأْنِفُ أَنْ أَهَانَ وَأَنْ أَذَالَ<sup>(٤)</sup>  
هِيَ السُّحْرُ الْحَلَالُ لِمُجْتَلِيهِ      وَلَمْ أَرَ قَبْلَهَا سِحْرًا حَلَالاً<sup>(٥)</sup>

### من ابن العميد لبعض إخوانه

وكتب أبو الفضل بن العميد<sup>(٦)</sup> إلى بعض إخوانه جواباً عن كتاب ورد إليه [فأحمده]:  
وَصَلَّ مَا وَصَلْتَنِي بِهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، مِنْ كِتَابِكَ، بَلْ نَعْمَتِكَ الثَّامَةِ، وَمُتَّكَ الْعَامَةِ؛

(١) هو أبو تمام، حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس الطائي: شاعر، أديب، من أمراء البيان في عصره. ولد في جاسم (إحدى قرى حوران سورية)، ورحل إلى مصر، ثم قدم بغداد، فنال حظوة الخليفة المعتصم وأكابر دولته. توفي بالموصل سنة ٢٣١ هـ / ٨٤٦ م. من آثاره: «ديوان شعر - ط»، و«ديوان الحماسة - ط»، و«مختار أشعار القبائل»، و«فحول الشعراء»، وغيرها. (الأصفهاني، الأغاني: ٣٠٣/١٦).

(٢) أبو تمام، الديوان: ٧٣/٢.

(٣) العِقالُ: الرباط الذي يُعَقَلُ به، وجمعه عُقْلٌ. وقد عقله عن حاجته: حبسه، وأصل ذلك من: عَقَلَ البعير: إذا ثنى وظيفه مع ذراعه، وشدهما جميعاً في وسط الذراع.

(٤) أذال: أهان، وأذلته أنا: أهنته ولم أحسن القيام عليه، والإذالة: الإهانة.

(٥) اجتلى الشيء وتجلأه: نظر إليه، والتجلى: النظر. وفي الديوان: «من السحر الحلال لمُجْتَلِيهِ».

(٦) هو أبو الفضل، محمد بن الحسين بن محمد، المعروف بابن العميد: أديب، شاعر، من أئمة الكتاب. له معرفة بالفلك والنجوم، وخبرة واسعة بأمور السيادة والملك. ومما قيل فيه: «بدئت الكتابة بعبد الحميد، وختمت بابن العميد». وُلِّيَ الوزارة لركن الدولة البويهية، ومدحه المتنبي، فوهبه ثلاثة آلاف دينار. توفي بهمدان بعلي القولنج والنقرس، سنة ٢٦٠ هـ / ٩٧٠ م.

(أبو منصور الثعالبي، يتيمة الدهر: ١٨٣/٣؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان: ١٠٣/٥).

فَقَرَّتْ عَيْنِي بِوَرُودِهِ، وَشُفِيَّتْ نَفْسِي بِوَفُودِهِ، وَنَشَرْتُهُ فَحَكَيْ نَسِيمَ الرِّياضِ غِبَّ المَطَرِ، وَتَنَفَّسَ الأَنْوارِ<sup>(١)</sup> فِي السَّحَرِ، وَتَأَمَّلْتُ مُقْتَتَحَهُ، وَمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ لَطَائِفِ كَلِمِكَ، وَبِدَائِعِ حِكْمِكَ؛ فَوَجَدْتُهُ قَدْ تَحَمَّلَ مِنْ فَنُونِ البرِّ عَنكَ، وَضُرُوبِ الفَضْلِ مِنْكَ، جِدًّا وَهَزْلاً، مَلَأَ عَيْنِي، وَعَمَّرَ قَلْبِي، وَغَلَبَ فِكْرِي، وَبَهَّرَ لُبِّي؛ فَبَقِيْتُ لَا أَدْرِي: أَسْمُوطُ ذَرٍّ خَصَصْتَنِي بِهَا، أَمْ عَقُودُ جَوْهَرٍ مَنَحْتَنِيهَا؟ كَمَا لَا أَدْرِي أَبْكَرًا زَفَقْتَهَا فِيهِ، أَمْ رَوْضَةً جَهَزْنَهَا مِنْهُ؛ وَلَا أَدْرِي أَخْذُوداً ضُرَّجْتَ حَيَاءً ضُمَّتَتْهُ؛ أَمْ نَجُوماً طَلَعَتْ عِشَاءً أَوْدَعَتْهُ؛ وَلَا أَدْرِي أَجِدُّكَ أَبْلَغَ وَالْطَفِّ، أَمْ هَزْلُكَ أَرْفَعُ وَأَظْرَفُ؛ وَأَنَا أُوكَلُ بِتَتَبُعِ مَا انْطَوَى عَلَيْهِ نَفْسًا لَا تَرَى الحِظَّ إِلَّا مَا اقْتَنَنَتْهُ مِنْهُ، وَلَا تَعُدُّ الفَضْلَ إِلَّا فِيمَا أَخَذْتُهُ عَنْهُ، وَأُمْتَعُ بِتَأَمُّلِهِ عَيْنًا لَا تَقْرُ إِلَّا بِمِثْلِهِ، مِمَّا يَصْدُرُ عَنْ يَدِكَ، وَيَرِدُ مِنْ عِنْدِكَ، وَأُعْطِيهِ نَظْرًا لَا يَمْلَهُ، وَطَرْفًا لَا يَطْرِفُ دُونَهُ، وَأَجْعَلُهُ مِثَالًا أَرْتَسِمُهُ وَأَحْتَذِيهِ، وَأُمْتَعُ خَلْقِي بِرَوْقَتِهِ، وَأَغْذِي نَفْسِي بِبَهْجَتِهِ، وَأَمْزِجُ قَرِيبَتِي بِرِقَّتِهِ، وَأُشْرِحُ صَدْرِي بِقِرَاءَتِهِ، وَلِئِنْ كُنْتُ عَنْ تَحْصِيلِ مَا قُلْتَهُ عَاجِزًا، وَفِي تَعْدِيدِ مَا ذَكَرْتُهُ مُتَخَلِّفًا؛ لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّهُ مَا سَمِعْتُ بِهِ مِنَ السَّحَرِ الحَلَالِ.

### من وصف الكلام بالسحر

وقال بعض المحدثين يمدح كاتباً:

وَإِذَا جَرَى قَلَمٌ لَهُ فِي مُهَرَّقِ	عَجَلَانَ فِي رَفْلَانِهِ وَوَجِيفِهِ <sup>(٢)</sup>
نَظَمْتُ مَرَاشِفُهُ قَلَانِدَ نُظْمَتِ	بِنَقِيسِ جَوْهَرٍ لَفْظِهِ وَشَرِيفِهِ
بِدَعَاءٍ مِنَ السَّحَرِ الحَلَالِ تَوَلَّدَتْ	عَنْ ذَهْنٍ مَصْقُولِ الذِّكَايَةِ مَشُوفِهِ <sup>(٣)</sup>
مَثَلًا لِضَارِبِهِ وَزَادَ مُسَافِرِ	جُعِلَتْ وَتُخَفَّةَ قَادِمٍ لِأَلِيفِهِ

(١) الأنوار: جمع نور، وهو نوار الزهر.

(٢) المُهَرَّقُ: الصحيفة، والجمع: مهارق. العجلان: المسرع. الرَفْلَان: السير في تجتر. الوجيف: السير السريع.

(٣) المشوف: المجلو، قال عنترة بن شداد:

وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ المُدَامَةِ بَعْدَمَا  
رَكَدَ الهَوَاجِرُ بِالمَشُوفِ المُعْلَمِ  
والمَشُوفُ المُعْلَم: هو الدينار المجلو، الذي نُقِشَ عليه. (صلاح الدين الهواري، شرح المعلاقات العشر: ص ٢٦٣).



### وصف رجل محبوب

وعلى ذكر قوله: «وَتُحَفَّةَ قَادِمٍ» قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي<sup>(١)</sup>: وصف رجلًا فقال: كان والله سَمَحًا سَهْلًا، كأنما بينه وبين القلوب نَسَبٌ، أو بينه وبين الحياة سَبَبٌ، إنما هو عيادة مريض، وتُحَفَّةَ قَادِمٍ، ووَاسِطَةَ عِقْدٍ.

### عود إلى وصف الكلام بالسحر

وأخذ بعض بني العباس رجلًا طالبيًا، فهمم بعقوبته، فقال الطالبي: والله لولا أن أفد ديني بفساد دنياك لملكت من لساني أكثر مما ملكت من سوطك، والله إن كلامي لفوق الشعر، ودون السحر، وإن أيسره ليثقب الخرذل، ويحط الجنذل.

وقال علي بن العباس<sup>(٢)</sup> يصف حديث امرأة<sup>(٣)</sup>:

وَحَدِيثُهَا السَّحَرُ الْحَلَالُ لَوْ أَنَّهُ  
لَمْ يَجْنِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَرِّزِ<sup>(٤)</sup>  
إِنْ طَالَ لَمْ يُمْلَلْ، وَإِنْ هِيَ أَوْجَزَتْ  
وَدَّ الْمَحَدِّثُ أَنَّهَا لَمْ تُوجَزْ  
شَرَكُ الْعُقُولِ، وَنُزْهَةٌ مَا مِثْلُهَا  
لِلْمُطْمَئِنِّ، وَعُقْلَةُ الْمُسْتَوْفِرِ<sup>(٥)</sup>  
أَلَمَ فِي بَيْتِهِ الْآخِرَ بِقَوْلِ الطَّائِي<sup>(٦)</sup>:

(١) هو أبو محمد، إسحاق بن إبراهيم بن ماهان بن بهمن بن نسل التميمي بالولاء، الأرجاني الأصل، المعروف بابن التديم الموصلي: عالم باللغة والشعر، وأخبار الشعراء، وأيام الناس. وكان من ندماء الخلفاء، وله الظرف المشهور، والخلاعة والغناء اللذان تفرَّد بهما. توفي سنة ٢٣٥ هـ/ ٨٥٠ م. (ابن خلكان، وفيات الأعيان: ١/ ٢٠٢).

(٢) هو أبو الحسن، علي بن العباس بن جريح الرومي: شاعر كبير مطبوع. ولد ونشأ ببغداد، وكان هجاءً سليط اللسان، هجا كبار أهل زمانه، ولم يُبق على الخليفة المعتز نفسه. وكان يُعنى بالنظم المعجيب، والتوليد الغريب، والغوص على المعاني النادرة وإيرازها. توفي ببغداد مسموماً، سنة ٢٨٣ هـ/ ٨٩٦ م. (البغدادى، تاريخ بغداد: ٢٣/ ١٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ٧٩/ ١١).

(٣) ابن الرومي، الديوان: ٢٤٧/ ٣.

(٤) المتحرز: المتحفظ، المُتَوَقِّي. وفي الديوان: «لو أنها لم تجن».

(٥) الشَّرَكُ: الفخ. العقلة: العقال: الرباط الذي يُعقل به. والمستوفز: المستعجل، أو الذي قعد غير مطمئن وكأنه يتهاى للوثوب. - يقول: حديث هذه المرأة نزهة للمطمئن، ورباط للمستعجل الذي يؤدُّ الانصراف. وفي الديوان: «شرك النفوس».

(٦) هو أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، والبيتان في ديوانه: ١٤٠/ ١.

كَوَاعِبُ أَتْرَابٍ لَغِيْدَاءُ أَصْبَحَتْ      وَلَيْسَ لَهَا فِي الْحَسَنِ شِكْلٌ وَلَا تَرْبُ<sup>(١)</sup>  
لَهَا مَنَظَرٌ قَيْدُ النَوَاطِرِ لَمْ يَزَلْ      يَرُوحُ وَيَغْدُو فِي خَفَارَتِهِ الْحُبُّ<sup>(٢)</sup>

وأول من استشار هذا المعنى امرؤ القيس بن حجر الكندي<sup>(٣)</sup> في قوله<sup>(٤)</sup>:

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا      بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ<sup>(٥)</sup>  
وَقَالَتْ عَلِيَّةُ بِنْتُ الْمَهْدِيِّ:

إِشْرَبْ عَلَى ذِكْرِ الْغَزَالِ      الْأَغْيَدِ الْحُلُوِّ الدَّلَالِ<sup>(٦)</sup>  
إِشْرَبْ عَلَيْهِ وَقُلْ لَهُ:      يَا غُلَّ أَلْبَابِ الرِّجَالِ<sup>(٧)</sup>

### علية بنت المهدي أخت الرشيد

وكانت عَلِيَّةُ لطيْفَةً المعنى، رقيقة الشعر، حسنة مجاري الكلام، ولها أَلْحَانٌ حَسَنٌ، وَعَلِقَتْ بغلام اسمه «رشأ» وفيه تقول:

(١) الكواعب: جمع الكاعب، وهي الفتاة التي نهذ ثديها. قال تعالى: ﴿وَكَوَاعِبُ أَتْرَابًا﴾ (سورة النبأ، آية ٣٣). والأتراب: الخديبات، وتاربت الفتاة: خادتها. قال كثير عزة:  
تُشَارِبُ بِيضاً إِذَا اسْتَلْعَبَتْ      كَأُمِّ الطَّبَاءِ تَرِفُ الْكِبَاءُ  
والأتراب أيضاً: الميولات في السن والحسن.

(٢) قيد النواظر: هو للنواظر كالقيد. والخفارة: الحماية.

(٣) هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي: أشهر شعراء العرب على الإطلاق. ولد بنجد، واشتهر بلقبه، واختلف المؤرخون في اسمه، فقليل: حنجد، وقيل: مليكة، وقيل: عدي. وهو من فحول الشعراء في الجاهلية، من الطبقة الأولى. سبق الشعراء إلى أشياء ابتدعها، فاستحسنها من جاء بعده من الشعراء، وقلدوه فيها. توفي نحو ٨٠ ق. هـ/ نحو ٥٤٥ م. (ابن سلام، طبقات الشعراء: ٥٢؛ الأصفهاني، الأغاني: ٧٦/٩؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ٩٧/١).

(٤) امرؤ القيس، الديوان: ص ٥١.

(٥) أغتدي: أغدو. الوكات: مواقع الطير، وإحدثها: وكنت، والوكن: عش الطائر. المنجرد: الماضي في السير، وقيل: قصير الشعر. الأوابد والأبْد: الوحوش، الذكر: أبْد، والأنثى: أبْدَة. والهيكل: الفرس الضخم.

(٦) الأغيد: الناعم، والأنثى: غيداء.

(٧) الغل: الطوق يُوضع في عنق الأسير.

أَصْحَى الْفُؤَادُ بِزَيْنَبَا      صَبَّأَ كَثِيبًا مُتَعَبَا<sup>(١)</sup>  
فَجَعَلْتُ زَيْنَبَ شُرَّةً      وَكَتَمْتُ أَمْرًا مُعْجَبَا  
[قولها: بزئب تريد برشاً]:

فَنَمِيَ الْأَمْرُ إِلَى أَخِيهَا الرَّشِيدِ، فَأَبْعَدَهُ، وَقِيلَ: قَتَلَهُ. وَعَلَقَتْ بَعْدَهُ بَغْلَامَ اسْمِهِ «طَلَّ»، فَقَالَ لَهَا الرَّشِيدُ: وَاللَّهِ لئن ذَكَرْتَهُ لَأَقْتُلَنَّكَ! فَدَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمًا عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ وَهِيَ تَقْرَأُ: فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَمَا نَهَى عَنْهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَضَحِكَ، وَقَالَ: وَلَا كُلَّ هَذَا، وَهِيَ الْقَائِلَةُ:

يَا عَاذِلِي قَدْ كُنْتُ قَبْلَكَ عَاذِلَا      حَتَّى ابْتُلَيْتُ فَصِرْتُ صَبَا ذَاهِلَا<sup>(٢)</sup>  
الْحُبُّ أَوَّلُ مَا يَكُونُ مَجَانَةً      فَإِذَا تَحَكَّم صَارَ شُغْلًا شَاغِلَا<sup>(٣)</sup>  
[أَرْضَى فَيَغْضَبُ قَاتِلِي فَتَعَجَّبُوا      يَرْضَى الْقَتِيلُ وَلَا يَرْضَى الْقَاتِلَا]  
وهي القائلة:

وُضِعَ الْحُبُّ عَلَى الْجَوْرِ، فَلَوْ      أَنْصَفَ الْمَعْشُوقُ فِيهِ لَسَمِجَ<sup>(٤)</sup>  
[وَقَلِيلُ الْحُبِّ صِرْفًا خَالِصًا      لَكَ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ قَدْ مُزِجَ]  
لَيْسَ يُسْتَحْسَنُ فِي نَعْتِ الْهَوَى      عَاشِقٌ يُحْسِنُ تَأْلِيفَ الْحُجَجِ

### أشباه لشعر عليّة بنت المهدي

وكانها ذهبت في الأول إلى قول العباس بن الأخنف<sup>(٥)</sup>:

وَأَحْسَنُ أَيَّامِ الْهَوَى يَوْمُكَ الَّذِي      تُرَوِّعُ بِالْهَجْرَانِ فِيهِ وَبِالْعَتَبِ  
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحُبِّ سُخْطٌ وَلَا رِضَاً      فَأَيْنَ حَلَاوَاتِ الرِّسَائِلِ وَالْكَتَبِ

(١) الصَّبُّ: الْمُحِبُّ الْمَشْتَقُ.

(٢) ذَهَلَ الشَّيْءُ وَعَنَهُ ذَهَالًا: غَفَلَ عَنْهُ، أَوْ نَسِيَ لِشُغْلٍ، فَهُوَ ذَاهِلٌ، وَهِيَ ذَاهِلَةٌ.

(٣) الْمَجَانَةُ: الْعَبَثُ.

(٤) سَمِجَ الشَّيْءُ: قَبِحَ.

(٥) هو أبو الفضل، العباس بن الأخنف بن الأسود بن قدامة، من بني حنيفة: شاعر، مجيد، مطبوع، لطيف الديباجة. نشأ ببغداد، واتصل بالرشيدي، ونال عنده حظوة. وأكثر شعره الغزل. توفي سنة ١٩٢ هـ/ ٨٠٨ م. (ابن المعتز، طبقات الشعراء: ٢٥٤؛ الزركلي، الأعلام: ٢٥٩/٣).

وقد زاد التُّمَيْرِي<sup>(١)</sup> في هذا فقال:

رَاحَتِي فِي مَقَالَةِ الْعُدَالِ      وَشِفَائِي فِي قِيلِهِمْ بَعْدَ قَالِ  
لَا يَطِيبُ الْهَوَى وَلَا يَحْسُنُ الْحُ      بُّ لَصَبٌ إِلَّا بِخَمْسِ خِصَالِ  
بِسْمَاعِ الْأَذَى، وَعَذْلِ نَصِيحِ،      وَعِتَابِ، وَهَجْرَةِ، وَتَقَالِ<sup>(٢)</sup>

وقال بعض المحدثين:

لَوْلَا أَطْرَادُ الصَّيْدِ لَمْ تَكُ لَذَّةٌ      فَتَطَارِدِي لِي فِي الْوِصَالِ قَلِيلًا<sup>(٣)</sup>  
هَذَا الشَّرَابُ أَخُو الْحَيَاةِ وَمَا لَهُ      مِنْ لَذَّةٍ حَتَّى يُصِيبَ غَلِيلًا<sup>(٤)</sup>

وقال آخر:

دَعِ الصَّبَّ يَصْلَى بِالْأَذَى مِنْ حَبِيهِ      فَإِنَّ الْأَذَى مِمَّنْ تُحِبُّ سُرُورُ<sup>(٥)</sup>  
غِبَارُ قَطِيعِ الشَّاءِ فِي عَيْنِ ذُبْهَا      إِذَا مَا تَلَا أَثَارُهُنَّ ذُرُورُ<sup>(٦)</sup>

وَأُنْشِدَ الْأَصْمَعِي<sup>(٧)</sup> [لَجَمِيلِ بْنِ مَعْمَرِ الْعُذْرِيِّ<sup>(٨)</sup>]:

(١) هو عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل، من بني نمر بن عامر بن صعصعة، ولقب بـ«الراعي» لكثرة وصفه للإبل، أو لرعيها. وهو شاعر فحل مقدم. وقيل: إنه لم يطلب لدى السلطان حاجة لنفسه. توفي سنة ٩٠ هـ/٧٠٩ م. (الأمدي، المؤلف والمختلف: ١٧٧؛ البغدادى، خزنة الأدب: ٥٠٤/١).

(٢) التَّقَالِي: التَّبَاغُضُ.

(٣) أطراد الصيد: جريه.

(٤) الغليل: الظم الشديد.

(٥) يَحْتَرَقُ: يحترق.

(٦) الذرور: الملح يُذَرُّ عَلَى اللحم والفلفل، وهو كذلك الدواء في العين، والمراد أن غبار الشاء في عين الذئب هو كالتوابل تُوضَعُ فِي الطَّعَامِ.

(٧) هو أَبُو سَعِيدٍ، عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ قَرِيبِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَصَمِّعِ الْبَاهِلِيِّ، الْمَعْرُوفُ بِالْأَصْمَعِيِّ: أَدِيبٌ، لُغَوِيٌّ، نَحْوِيٌّ، إِخْبَارِيٌّ، مُحَدِّثٌ، فَقِيهٌ، مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ. قَدِمَ بَغْدَادَ فِي أَيَّامِ هَارُونَ الرَّشِيدِ، وَتُوفِيَ بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ ٢١٦ هـ/ ٨٣١ م. (عمر كحالة، معجم المؤلفين: ١٨٧/٦).

(٨) هو أَبُو عَمْرٍو، جَمِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرِ الْعُذْرِيِّ، وَيَعْرِفُ بِجَمِيلِ بَشِيتَةَ: شَاعِرٌ، مُقَدِّمٌ، فَصِيحٌ، مِنْ عَشَاقِ الْعَرَبِ الْمَشْهُورِينَ. تُوفِيَ بِمِصْرَ سَنَةَ ٨٢ هـ/ ٧٠١ م وَأَكْثَرَ شَعْرَهُ فِي الْغَزْلِ. (ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٣٤٦/١؛ الأصفهاني، الأغاني: ٩٠/٨).

لَا خَيْرَ فِي الْحُبِّ وَقَفَا لَا تَحَرُّكَ  
لَوْ كَانَ لِي صَبْرُهَا أَوْ عِنْدَهَا جَزَعِي  
عَوَارِضُ الْيَأْسِ أَوْ يَرْتَاحُ الطَّمَعُ  
كَادَتْ لَهُ شُعْبَةٌ مِنْ مُهْجَتِي تَقَعُ<sup>(١)</sup>

وهذا البيت كقول علي بن العباس الرُّومي<sup>(٢)</sup>:

لَا تُكْثِرَنَّ مَلَامَةَ الْعُشَّاقِ  
إِنَّ الْبَلَاءَ يُطَاقُ غَيْرَ مُضَاعَفٍ  
فَكَفَاهُمْ بِالْوَجْدِ وَالْأَشْوَابِ  
كَالرَّيْحِ تُغْرِى النَّارَ بِالْإِحْرَاقِ  
فَإِذَا تَضَاعَفَ كَانَ غَيْرَ مُطَاقٍ  
لَا تَطْفِئَنَّ جَوْىَ بِلَومٍ؛ إِنَّهُ

ويشبه بيتَ عليّ الآخر بيتُ أَشَدَّ فِي شَعْرِ رُؤْيَى لِأَبِي نُوَاسٍ<sup>(٣)</sup>، ورواه قوم لِعَنَانِ جَارِيَةِ النَّاطِفِيِّ<sup>(٤)</sup> وهو:

حُلُّو الْعِتَابِ يَهْجُوهُ الْإِدْلَالُ  
لَمْ يَهْوَقَطْ وَلَمْ يُسَمَّ بِعَاشِقٍ  
لَمْ يَحُلْ إِلَّا بِالْعِتَابِ وَصَالُ  
وَجَمِيعُ أَسْبَابِ الْغَرَامِ يَسِيرُهُ  
مَنْ كَانَ يَصْرِفُ وَجْهَهُ التَّعْذَالُ<sup>(٥)</sup>  
وَلَمْ يَكُنْ غَدْرٌ وَلَا اسْتِبدَالُ  
تَصِفُ الْقَضِيبَ عَلَى الْكُثِيبِ قَنَاتُهَا  
وَلَهَا مِنْ الْبَدْرِ الْمُثِيرِ مِثَالُ  
حَسَنَاءَ سَارَ بِحُسْنِهَا الْأَمْثَالُ  
وَلَرُبَّ لَابِسَةٍ قَنَاعَ مَلَا حَةِ  
نُوراً فَمَاءُ شَبَابِهَا يَخْتَالُ<sup>(٦)</sup>  
كَتَبَ الْحَدَاثَةَ ظَرْفُهَا وَجَمَالُهَا

(١) الشعبة: القطعة.

(٢) ابن الرومي، الديوان: ٢٩٨/٤.

(٣) هو أبو نواس، الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن صباح الحكمي بالولاء: شاعر العراق في عصره. ولد في الأهواز، ونشأ بالبصرة، ورحل إلى بغداد، واتصل فيها بالخلفاء من بني العباس ومدح بعضهم. قال الجاحظ: ما رأيت رجلاً أعلم باللغة، ولا أفصح لهجةً من أبي نواس. وقال أبو عبيدة: كان أبو نواس للمحدثين كأمير القيس للمتقدمين. توفي سنة ١٩٨ هـ / ٨١٤ م. (البغدادي، تاريخ بغداد: ٤٣٦/٧؛ ابن العماد، شذرات الذهب: ٣٤٥/١).

(٤) عنان: جارية مولدة، نشأت وتآدبت في اليمامة، فاشتراها الناطفي ورباها. وكانت صفراء جميلة الوجه شكلة، مليحة الأدب والشعر، سريعة البديهة، وكان فحول الشعراء يساجلون بها، ويعارضونها فتنتصف منهم. (الأصفهاني، الأغاني: ٥٢١/٢٢).

(٥) التَّعْذَالُ والعَذْلُ: اللُّومُ.

(٦) يختال: يترقق.

وَكَاثُهَا وَالْكَأْسُ فَوْقَ بَنَانِهَا      شَمْسٌ يَمُدُّ بِهَا إِلَيْكَ هِلَالَ  
حَتَّى إِذَا مَا اسْتَأْنَسَتْ بِحَدِيثِهَا      وَتَكَلَّمَتْ بِلسَانِهَا الْجُرْيَالِ<sup>(١)</sup>  
قُلْنَا لَهَا: إِنْ صَدَّقَتْ أَقْوَالَهَا      أَعْمَالُهَا وَجَرَى بِهِنَّ الْقَالَ<sup>(٢)</sup>  
قُولِي فَلَيْسَ تَرَاكِ عَيْنُ نَمِيمَةٍ      حَضَرَ النَّصِيحُ وَغَابَتِ الْعُدَّالُ  
وَضَمِيرُ مَا اسْتَمَلَتْ عَلَيْهِ ضُلُوعُنَا      سِرٌّ لَدَى أَبْوَابِهِ أَقْقَالَ

### ما قيل في معنى «قيد الأوابد»

وقد أخذ أبو الطيّب المتنبي معنى «قيد الأوابد»، فقال يصف كلباً<sup>(٣)</sup>:

نَيْلُ الْمُنَى وَحُكْمُ نَفْسِ الْمُرْسَلِ      وَعُقْلَةُ الظُّبْيِ وَحَنْفُ الثَّقَلِ<sup>(٤)</sup>  
كَأَنَّهُ مِنْ عِلْمِهِ بِالْمَقْتَلِ      عَلَّمَ بِقِرَاطٍ فِصَادَ الْأَكْحَلِ<sup>(٥)</sup>  
وقال في بني حَمْدَانَ:

مُتَّصِعِلِكِينَ عَلَى كَثَافَةِ مُلْكِهِمْ      مُوَاضِعِينَ عَلَى عَظِيمِ الشَّانِ<sup>(٦)</sup>  
يَتَّبِعُونَ ظِلَالَ كُلِّ مُطَهَّمٍ      أَجَلَ الظِّلِيمِ وَرِبْقَةَ السَّرْحَانِ<sup>(٧)</sup>

وقال أعرابي يصف فرساً: إنه لدرك الطالب، وَمَنْجَى الهارب، وَقَيْدُ الرَّهَانِ، وزين الفناء.

وقال بعض أهل العصر في وصف غلام: وَجْهُهُ قَيْدُ الْأَبْصَارِ، وَأَمَدُ الْأَفْكَارِ، ونهاية

الاعتبار.

(١) الجريال: الخمر.

(٢) الفال: القائل: ضد الطيرة.

(٣) المتنبي، الديوان: ٢٦٨/١.

(٤) الثَّقَلُ: الثعلب.

(٥) بقراط (٤٦٠ - ٣٧٧ ق.م) طبيب يوناني، عمل على تحرير الطب من الخرافات، وحاول إقامته على أساس علمي، مؤكداً على أهمية الملاحظة السريرية. ويقال: إنه وضع اليمين التي لا يزال الأطباء يقسمونها حتى اليوم في حفلة التخرج (مير بعلبكي، موسوعة المورد: ١٠٨/٥).  
والأكحل: عرق في اليد.

(٦) المتصعلك: المتظاهر بالفقر والكثافة: الضخامة.

(٧) الْمُطَهَّمُ: المضمّر الدقيق الجسم. والظليم: ذكر النعام. والريقة: الرباط، والرحان: الذئب. والبيتان في (ديوانه: ٢٠٧/٢).

وقال أبو القاسم إسماعيل بن عباد<sup>(١)</sup>:

وَقَدْ أَغْتَدِي لِلصَّيْدِ غُدْوَةً أَصِيدُ      أَعَاجِلُ فِيهَا الْوَحْشَ وَالْوَحْشَ هُجْدُ<sup>(٢)</sup>  
فَعَنَّتْ طِبَاءُ خَفْنٍ تَحْتِي مُطْلَقَ الْ      يَدِينُ بِهِ أَيْدِي الْوُحُوشِ تَقِيدُ<sup>(٣)</sup>  
فَأَدْرَكْتُهَا وَالسَّيْفُ لَمْعَةٌ بَارِقُ      وَلَمْ يُغْنِهَا إِخْضَارُهَا حِينَ تَجْهَدُ<sup>(٤)</sup>  
وَقَدْ رُعْتُهَا إِذْ كَانَ شِعْرِي رَائِعاً      وَطَرَفُ مُشِيبي عَنْ عِذَارِي أَرْمَدُ<sup>(٥)</sup>  
وَمَا بَلَغْتُ حَدَّ الثَّلَاثِينَ مُدَّتِي      وَهَذَا طِرَازُ الشَّيْبِ فِيهِ يُمَدَّدُ<sup>(٦)</sup>

### ما يستملح مما قيل في حسن الحديث

وأبيات ابن الرومي من أجود ما قيل في حسن الحديث، وقد توسّع الشعراء في هذا الباب، وكثّر إحسانهم، كما كثّر افتنانهم، وسأجري شأواً في مختار ما قيل في ذلك، وأعود إلى ما بدأت به.

قال القُطَامِي - واسمه عُمَيْرُ بْنُ شَيْمٍ التَّغْلَبِي<sup>(٧)</sup>، وسمي القُطَامِي لقوله:

يَحُطُّهُنَّ جَانِباً فَجَانِباً      حَطَّ الْقُطَامِيُّ الْقَطَا الْقَوَارِبَا

وقال أبو عبيدة: ويقال للصقر قُطَامِي وقُطَامِي:

(١) هو أبو القاسم، إسماعيل بن عباد بن العباس بن عباد بن أحمد بن إدريس الطالْقاني، المعروف بالصاحب: كاتب، أديب، مشارك في أنواع العلوم. ولد بأصطخر، وقيل: بالطالقان، وتولى الوزارة للملك مؤيد الدولة بن بويه، ومدحه خمسمائة شاعر من أرباب الدواوين. توفي بالري سنة ٣٨٥ هـ/ ٩٩٥ م. من آثاره: «المحيط» في اللغة، و«ديوان شعر»، و«كتاب الوزراء»، وغيرها. (الثعالبي، يتيمة الدهر: ١٩٢/٣؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء: ١٦٨/٦).

(٢) الأكصيد: من يرفع رأسه، أو يميل به كثيراً.

(٣) عَنَّتْ: عرضت. ومطلق اليدين: سريع.

(٤) الإحضار: نوع من السير سريع. وتجهد: تعب.

(٥) أرمَد: كليل البصر.

(٦) الطراز: ما ينسج من الثياب للسلطان (فارسي مُعَرَّب)، وقيل: هو علم الثوب، وقيل: هو الجيد من كل شيء.

(٧) هو أبو سعيد، عمير بن شَيْمٍ التَّغْلَبِي، من بني بكر بن حبيب، وهم بطن من تغلب، والقُطَامِي لقب غلب عليه. قدم دمشق في خلافة عمر بن عبد العزيز، ويقال: إنه كان أحسن الشعراء ابتداء قصيد. توفي نحو ١٣٠ هـ/ نحو ٧٤٧ م. (ابن سلام، طبقات الشعراء: ٥٣٥).

وَفِي الْخُدُورِ عَمَامَاتٌ بَرْقَنَ لَنَا  
يَقْتُلُنَا بِحَدِيثٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ  
فَهُنَّ يَنْبِذْنَ مِنْ قَوْلٍ يُصْبِنَ بِهِ  
وَقَالَ أَبُو حَيَّةَ الثَّمِيرِيُّ، وَاسْمُهُ الْهَيْثَمُ بْنُ الرَّبِيعِ (٣):

وَجَبَرَكَ الْوَاشُونَ أَنْ لَنْ أَحْبَبَكُم  
وَأَنْ دِمَاءً، لَوْ تَعْلَمِينَ، جَنَّتِهِ  
أَصْدُ وَمَا الصَّدُّ الَّذِي تَعْلَمِينَهُ  
حَيَاءً وَتَقِيًّا أَنْ تَشِيعَ نَمِيمَةٌ  
أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَ غَيْرُكَ أَرْقَلْتُ  
وَلَكَنَّهُ وَاللَّهُ مَا طُلَّ مُسْلِمًا  
إِذَا هُنَّ سَاقَطْنَ الْأَحَادِيثَ لِلْفَتَى  
رَمَيْنَ فَأَنْفَذْنَ الْقُلُوبَ، وَلَا تَرَى

بَلَى وَتُسْتَوِرُ اللَّهُ ذَاتَ الْمُحَارِمِ  
عَلَى الْحَيِّ جَانِي مِثْلِهِ غَيْرُ سَالِمِ  
عِزَاءٍ بِكُمْ إِلَّا ابْتِلَاغُ الْعَلَاقِمِ (٤)  
بِنَا وَبِكُمْ، أَفْ لَأَهْلِ النَّمَائِمِ (٥)  
إِلَيْهِ الْقَنَا بِالرَّاعِفَاتِ لِلْهَازِمِ (٦)  
كَغَرِّ الشَّيَا وَاضْحَاتِ الْمَلَاغِمِ (٧)  
سُقُوطَ حَصَى الْمُرْجَانِ مِنْ كَفِّ نَازِمِ  
دَمًا مَائِرًا إِلَّا جَوَى فِي الْحِيَازِمِ (٨)

- (١) يتقين: يخشين، يخفن. البادي: الظاهر.
- (٢) الصادي: الظمان. مواقع الماء من الظمان: أحشاؤه. يريد: أن حديثهن يشفي العاشق الموله، كما يطفىء الماء لوعة الغليل.
- (٣) هو أبو حَيَّةَ، الهيثم بن الربيع بن زرارة، من بني نمير بن عامر: شاعر فصيح، ومقصد وراجز، من أهل البصرة، ومن مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. أخذ عن الفرزدق وتعبه له، ومدح خلفاء عصره جميعاً. توفي نحو ١٨٣ هـ/ نحو ٨٠٠ م. وفي تاريخ وفاته خلاف. (ابن المعتز، طبقات الشعراء: ١٤٣؛ الآمدي، المؤلف والمختلف: ١٤٥).
- (٤) العلاقم: جمع علقم، وهو الحنظل، وكل شيء مَرٍّ. ويروي البيت:  
أَصْدُ وَمَا الصَّدُّ الَّذِي تَعْلَمِينَهُ شِفَاءً لَنَا إِلَّا اجْتِرَاعُ الْعَلَاقِمِ
- (٥) التقيا: الخوف. وَأَفْ لَأَهْلِ النَّمَائِمِ: تبتاً لهم.
- (٦) أرقلت: أسرعت. والراعفات والرواعف: الرماح تسيل بالرعاف، وهو الدم. واللهاذم: القواطع، الواحد: لهذم.
- (٧) الشايبا: أسنان الفم الأمامية، الواحدة: ثنية. والملاغم: طرف الأنف وما حوله إلى الشفتين، وطل: من قولهم: دم مطلوب: مهنور. والوضوح: البياض.
- (٨) أنفذن القلوب: رمينها فأنفذن فيها سهامهن، وفي رواية: «أقصذن القلوب»، من قولهم: أقصد الرجل إذا طعنه فلم يخطيء مقاتله، والدم المائر: السائل. والحيازم: جمع حيزوم، وهو ما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر.



وقال أيضاً:

حَدِيثٌ - إِذَا لَمْ تَخْشَ عَيْنًا - كَأَنَّهُ  
لَوْ أَنَّكَ تَسْتَشْفِي بِهِ بَعْدَ سَكْرَةٍ  
إِذَا سَاقَطَتْهُ الشَّهْدُ أَوْ هُوَ أَطْيَبُ  
مِنَ الْمَوْتِ كَادَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ تَذْهَبُ  
إِلَى هَذَا يَنْظُرُ قَوْلُ الْآخِرِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ:

أَقُولُ لِأَصْحَابِي وَهُمْ يَعْلَمُونَنِي  
بِذِكْرِ مُتَى نَفْسِي فَبَلَّوْا، إِذَا دَنَا  
وَدَمَعُ جُفُونِي دَائِمُ الْعَبَرَاتِ  
خُرُوجِي مِنَ الدُّنْيَا، جُفُوفَ لَهَاتِي<sup>(١)</sup>  
وقال سُدَيْفُ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ<sup>(٢)</sup> يَصِفُ نِسَاءً:

وَإِذَا نَطَقْنَ تَخَالَهُنَّ نَوَاطِمًا  
وَإِذَا ابْتَسَمْنَ فَإِنَّهُنَّ غَمَامَةٌ  
وَإِذَا طَرَفْنَ طَرَفْنَ عَنْ حَدَقِ الْمَهَا  
وَكَأَنَّ أَجْيَادَ الظَّبَاءِ تُمَدُّهَا  
وَأَصْحُ مَا رَأَتْ الْعُيُونُ مَحَاجِرًا  
وَكَأَنَّهُنَّ إِذَا نَهَضْنَ لِحَاجَةٍ  
دُرًّا يُفَصِّلُ لَوْلَا مَكْنُونَا  
أَوْ أَقْحَوَانُ الرَّمْلِ بَاتَ مَعِينَا<sup>(٣)</sup>  
وَفَضَلْنَهُنَّ مَحَاجِرًا وَجُفُونَا<sup>(٤)</sup>  
وَخُصُورَهُنَّ لَطَافَةً وَلُدُونَا<sup>(٥)</sup>  
وَلَهُنَّ أَمْرُضُ مَا رَأَيْتُ عَيُْونَا<sup>(٦)</sup>  
يَنْهَضْنَ بِالْعَقَدَاتِ مِنْ يَرِينَا<sup>(٧)</sup>

(١) اللِّهَاءُ: اللِّحْمَةُ المُشْرِقَةُ عَلَى الْحَلْقِ.

(٢) هو سُدَيْفُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مَيْمُونٍ، مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ: شَاعِرٌ حِجَازِيٌّ مَقْلَقٌ، وَخَطِيبٌ مَصْفَعٌ، مِنْ مَخْضَرَمِي الدَّوْلَتَيْنِ الْأُمَوِيَّةِ وَالْعَبَّاسِيَّةِ. كَانَ شَدِيدَ التَّعَصُّبِ لِبَنِي هَاشِمٍ، شَدِيدَ التَّحْرِيزِ عَلَى بَنِي أُمَيَّةٍ. تَوَفِيَ سَنَةَ ١٤٦ هـ / ٧٦٣ م. (ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٦٤٧/٢).

(٣) الْأَقْحَوَانُ: زَهْرٌ أَيْضٌ، تُشَبَّهُ ثَغُورُ الْحِصَانِ النَّاصِعَةِ الْبَيَاضِ بِهِ. الْمَعِينُ: الْمَمْطُورُ: الَّذِي سَقَطَ عَلَيْهِ الْمَطَرُ، وَهُوَ أَكْثَرُ نُضْرَةً.

(٤) طَرَفْنَ: حَرَكْنَ عُيُونَهُنَّ. الْمَهَا: بَقَرُ الْوَحْشِ، الْوَاحِدَةُ مِهَاءٌ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ عَلَى التَّشْبِيهِ بِالْبَلُورَةِ وَالْذَّرَةِ، فَإِذَا شَبِهَتِ الْمَرْأَةَ بِالْمِهَاءِ فِي الْبَيَاضِ، فَإِنَّمَا يُعْنَى بِهَا الْبَلُورَةُ أَوْ الذَّرَةُ، وَإِذَا شَبِهَتْ بِهَا فِي الْعَيْنَيْنِ، فَإِنَّمَا يُعْنَى بِهَا الْبَقَرَةُ.

(٥) الْأَجْيَادُ: الْأَعْنَاقُ، الْوَاحِدُ: جَيْدٌ. وَاللُّدُونُ وَاللِّدُونَةُ: الرِّقَّةُ.

(٦) وَمِثْلُهُ قَوْلُ جَرِيرٍ:

يَصْرَعَنَّ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا جِرَاكَ بِهِ  
وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللَّهِ أَرْكَانَا  
«ديوانه: ص ٤٩٢».

(٧) الْعَقَدَاتُ: جَمْعُ عَقْدَةٍ، وَهِيَ السَّفْحُ وَالْكَثِيبُ. وَيَرِينُ: اسْمُ مَكَانٍ فِي بِلَادِ الْبَحْرَيْنِ، وَفِيهِ لَعْنَانُ: يَبْرُونُ (بِالرَّفْعِ)، وَيَبْرِينُ (بِالنَّصْبِ وَالْجَرِّ). (ابن منظور، لسان العرب: يبر).

وقال الطائي<sup>(١)</sup>:

تُعْطِيكَ مَنَظَفَهَا فَعَلِمْتُ أَنَّهُ      لِيَجْنِي عُذُوتِيهِ يَمُرُّ بِثَغْرِهَا  
وَأُظُنُّ حَبْلَ وَصَالِهَا لِمُجِبِّهَا      أَوْهَى وَأَضْعَفَ قُوَّةً مِنْ خَصْرِهَا

أخذه أبو القاسم بن هاني<sup>(٢)</sup>، فقال يمدح جعفر بن علي<sup>(٣)</sup>، إلا أنه قلبه فقال:

قَدْ طَيَّبَ الْأَفْوَءَ طَيْبُ ثَنَائِهِ      مِنْ أَجْلِ ذَا نَجْدِ الثُّغُورِ عَذَابِ  
وَكَسَأْتُ مَا ضَرَبَ السَّمَاءَ سُرَادِقاً      بِالسَّرَابِ، أَوْ رَفَعَ النُّجُومَ قِيَاباً<sup>(٤)</sup>  
أَرْضاً وَطِثْتُ الدَّرَّ رَضْرَاضاً بِهَا      وَالْمِسْكَ ثُرْباً وَالرِّيَاضَ جَنَاباً<sup>(٥)</sup>

وقال الطائي<sup>(٦)</sup>:

بَسَطْتُ إِلَيْكَ بَنَانَهُ أُسْرُوعاً      تَصِفُ الْفِرَاقَ وَمُقْلَةً يَبُوعاً<sup>(٧)</sup>  
كَادَتْ لِعِرْفَانِ الثَّوَى أَلْفَاظُهَا      مِنْ رِقَّةِ الشُّكْرِى نَكُونُ دُمُوعاً

ومن جيد هذا المعنى وقديمه قولُ النابغة الذبْياني<sup>(٨)</sup>:

(١) الطائي: هو أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، وقد وردت ترجمته في مكان سابق من هذا الكتاب. والبيتان في ديوانه: ٤٢٦/٢.

(٢) هو أبو القاسم، وأبو الحسن، محمد بن هانيء الأزدي الأندلسي: أشعر المغاربة على الإطلاق، وهو عندهم كالمتني عند أهل المشرق، وكانا متعاصرين. ولد ونشأ بإشبيلية، واتصل بصاحبها وحظي عنده، وكان متهماً بمذاهب الفلاسفة. قُتِلَ غيلةً سنة ٣٦٢ هـ/ ٨٧٣ م. (ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٤/٤٢١).

(٣) هو أبو علي، جعفر بن علي بن أحمد بن حمدان الأندلسي: صاحب المسيلة، وأمير الزاب من أعمال إفريقية. كان سمحاً كثير العطاء، مؤثراً لأهل العلم. قُتِلَ سنة ٣٦٤ هـ/ ٩٧٥ م. (ابن خلكان، وفيات الأعيان: ١/٣٦٠).

(٤) الزاب: بلدة من أعمال إفريقية.

(٥) الرضراض: صغار الحصى.

(٦) أبو تمام، الديوان: ٢/٢٤١. والبيتان من قصيدة يُعرِّض فيها ياسحاق بن إبراهيم المصعبي لأنه حجيجه.

(٧) الأسرُوع: دود أحمر الرأس، تُنَبَّه به الأنامل المخضبة الطرقة.

(٨) هو أبو أمامة، وأبو ثمامة، زياد بن معاوية بن ضباب بن سعد بن ذبيان، وينتهي نسبه إلى مضر. لقب بالنابغة لقوله: «فقد نبغت لهم منا شؤون». وهو شاعر جاهلي فحل، من الطبقة الأولى، =

لَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَشْمَطَ رَاهِبٍ  
لَرْنَا لِهَاجَتِهَا وَطِيبَ حَدِيثِهَا  
نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا  
وَمِنْ مَشْهُورِ الْكَلَامِ قَوْلُ الْآخَرِ:

وَكُنْتُ إِذَا مَا زُرْتُ سُعْدَى بِأَرْضِهَا  
مِنْ الْخَفَرَاتِ الْبَيْضِ وَدَّ جَلِيسُهَا  
تَحَلَّلُ أَحْقَادِي إِذَا مَا لَقَيْتُهَا  
وَقَالَ بَشَّارٌ<sup>(٥)</sup>:

وَكَأَنَّ رَجْعَ حَدِيثِهَا  
حُورَاءُ إِنْ نَظَرْتُ إِلَيْهَا  
تُنْسِي الْغَوِيَّ مَعَادَهُ  
وَكَأَنَّهَا بَرْدُ الشَّرَا

= وأحسنهم ديباجة شعر، وأكثرهم رونق كلام، وأجزلهم بيتاً. توفي نحو ١٨ ق.هـ/ نحو ٦١٤ م. (ابن سلام، طبقات الشعراء: ٥٦؛ البطلوسي، شرح الأشعار الستة: ٣٢٧ - ٥٣٠).  
والأبيات في ديوانه: ص ٤١.

(١) الأشمط: الذي يخالط سواد شعره بياض. الراهب: العابد المتك. الصرورة: الذي لم يتزوج.

(٢) العود: جمع عائد، وهو الزائر في المرض. ويروى: «نظر السقيم».

(٣) الخفراة: من الخفر، وهو الحياء.

(٤) تحلل: تحلل وتذوب. والحقود والأحقاد: جمع حقد، وهو الضغن (إسناك العداوة في القلب، والترقص لفرصتها).

(٥) بشار بن برد، الديوان: ٦٢/٤ - ٦٣.

(٦) رجع: مصدر يراد به اسم المفعول، أي المرجوع، ورجع الحديث: للجواب، يقال: رجع الحديث: أجاب.

(٧) الحوراء: البيضاء، والحدور في العين: هو شدة بياض بياضها مع شدة سواد سوادها.

(٨) لم يرد هذا البيت في رواية الديوان.

(٩) يشبهها يبرد الشراب الصافي الذي يغيره بالإفطار.

وَكَاَنَّ تَحْتَ لِسَانِهَا هَارُوتُ يُنْقِثُ فِيهِ سِحْرًا<sup>(١)</sup>  
وَتَخَالُ مَا جَمَعَتْ عَلَيْهِ هِثَابُهَا ذَهَبًا وَعِطْرًا<sup>(٢)</sup>

وسمع بشارٌ قولَ كُثَيْرٍ بن عبد الرحمن<sup>(٣)</sup>:

أَلَا إِنَّمَا لَيْلَى عَصَا خَيْرَزَانَةٍ إِذَا غَمَزُوهَا بِالْأَكْفِ تَلِينُ  
فَقَالَ: قَاتِلِ اللَّهَ أَبَا صَخْرَا! يزعم أنها عصاً ويعتذر بأنّها خَيْرَزَانَةٌ، ولو قال: عَصَا مُخْ،  
أو عصا زَبْدٍ؛ لَكَانَ قَدْ هَجَّنَهَا مَعَ ذِكْرِ الْعَصَا، هَلَا قَالَ كَمَا قُلْتُ<sup>(٤)</sup>:

وَدَعَجَاءَ الْمَحَاجِرِ مِنْ مَعَدٍّ كَأَنَّ حَدِيثَهَا ثَمَرُ الْجَنَانِ<sup>(٥)</sup>  
إِذَا قَامَتْ لِحَاجَتِهَا تَثْنَتْ كَأَنَّ عِظَامَهَا مِنْ خَيْرَزَانٍ

وبعد قول كُثَيْرٍ: «أَلَا إِنَّمَا لَيْلَى عَصَا خَيْرَزَانَةٍ»:

تَمَتَّعَ بِهَا مَا سَاعَفْتِكَ، وَلَا يَكُنْ عَلَيْكَ شَجَى فِي الصَّدْرِ حِينَ تَبِينُ  
وَأِنْ هِيَ أَعْطَتْكَ اللَّيَانَ فَإِنَّهَا لآخرَ مِنْ خُلَانِهَا سَتَلِينُ  
وَأِنْ حَلَفْتَ لَا يَنْقُضُ النَّأْيُ عَهْدَهَا فَلَيْسَ لِمَخْضُوبِ الْبَنَانِ يَمِينُ

وقال الْبُحْتَرِيُّ<sup>(٦)</sup>:

(١) يشبه تأثير كلامها في نفس سامعها بتأثير السحر، وهو مأخوذ من قول النبي ﷺ: «إن من الیان لسحراً». وجعل هاروت - وهو المشهور بتمام القدرة على السحر - نافثاً، لأنهم كانوا يعالجون السحر بالنفث في العقد، وفقاً لقوله تعالى: «وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ» (سورة الفلق، آية ٤).

(٢) «ما جمعت عليه هِثَابُهَا»: جسدُها.

(٣) هو أبو صخر، كُثَيْرُ بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي: من فحول الشعراء، من أهل المدينة. كان مغالياً في التشيع، يذهب مذهب الكيسانية، ويقول بالرجعة والتناسخ. تُيِّم بحب عزة بنت جميل، فنسب إليها، وله معها أخبار كثيرة. توفي سنة ١٠٥ هـ / ٧٢٣ م. (البغدادي، خزانة الأدب: ٢٢١/٥؛ فروخ، تاريخ الأدب العربي: ٦١٧/١).

(٤) بشار بن برد، الديوان: ١٩٥/٤، وبعدهما:

يُنَسِّيكُ الْمُتَنَّى نَظْرُ إِلَيْهَا وَيَضْرِفُ وَجْهَهَا وَجْهَ الزَّمَانِ

(٥) الدعج في العين: هو شدة سواد سوادها مع سعتها. والمحاجر: العيون.

(٦) الْبُحْتَرِيُّ، الديوان: ٢٠٥/١. وفيه: «والنقا موعد لنا»، و«فمن لَوْلُو تجلوه عند ابتسامها».

وَلَمَّا التَّقِينَا وَاللَّوَى مَوْعِدٌ لَنَا  
فَمِنْ لَوْلِي تَجْنِيهِ عِنْدَ انْسَامِهَا  
وَقَالَ الْمُتَنَبِّي<sup>(١)</sup>:

أَمْنِعْمَةً بِسَالَعُودَةِ الظَّيْفَةِ الَّتِي  
تَرَشَّفْتُ فَاهَا سُخْرَةً فَكَأَنِّي  
فَتَاةٌ تَسَاوَى عِقْدُهَا وَكَلَامُهَا  
بَغَيْرٍ وَلِيٍّ كَانَ نَافِلُهَا الْوَسْمِي<sup>(٢)</sup>  
تَرَشَّفْتُ حَرَّ الْوَجْدِ مِنْ بَارِدِ الظَّلْمِ<sup>(٣)</sup>  
وَمَبْسِمُهَا الدُّرِّيُّ فِي الثَّرِّ وَالنَّظْمِ<sup>(٤)</sup>

### تفسير حديث وضبط لفظه

عاد الحديث الأول - قال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي<sup>(٥)</sup>: حدثنا يوسف بن يعقوب قال: أخبرني جدِّي قراءة عليه، عن أبي داود، عن محمد بن عبيد الله، عن أبي إسحاق، عن البراء يرفعه إلى رسول الله ﷺ قال: «إن من الشعر لحُكماً، وإن من البيان لسِحراً» قال أبو القاسم: هكذا روينا الخبر، وراجعت فيه الشيخ، فقال: نعم، هو: «إن من الشعر لحُكماً» بضم الحاء وتسكين الكاف، قال: ووجهه عندي إذا روي هكذا: إن من الشعر ما يلزم المقول فيه كلزوم الحكم للمحكوم عليه؛ إصابة للمعنى، وقصدًا للصواب وفي هذا يقول أبو تمام<sup>(٦)</sup>:

وَلَوْلَا سَبِيلُ سَهْهَا الشَّعْرُ مَا دَرَى  
بُعَاةُ الْعُلَى مِنْ أَيْنَ تُؤْتَى الْمَكَارِمُ<sup>(٧)</sup>

(١) المتنبي، الديوان: ٢٠٢/١.

(٢) الوسمي: المطر الذي يسقط في الربيع. والولي: المطر الذي يليه. والنائل: العطاء، ويريد به الوصال.

(٣) الترشف: الامتصاص. والشخرة: بمعنى السحر. والظلم: ماء الأسنان وبريقها. أي أن ذلك هيج نار وجهه، فكأنه ترشف من برودة فمها حرًا.

(٤) في الديوان: «في الحسن والنظم».

(٥) هو أبو القاسم، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي، النهاوندي، الزجاجي: لغوي، نحوي، أصله من نهاوند، وولد بها، ونشأ ببغداد، وتلمذ على إبراهيم السري الزجاج فنسب إليه. توفي بدمشق سنة ٣٣٧ هـ / ٩٤٩ م. من تصانيفه: «الجمال الكبرى» في النحو، و«اللامات في اللغة»، و«الإيضاح في علل النحو» وغيرها. (عمر كحالة، معجم المؤلفين: ١٢٤/٥).

(٦) أبو تمام، الديوان: ٩٠/٢ - ٩٢. وفيه: «ولولا خلال»، و«بغاة الندى».

(٧) بغاة العلى: طلابها.

يُرَى حِكْمَةٌ مَا فِيهِ وَهُوَ فُكَاهَةٌ      وَيُرْضَى بِمَا يَقْضِي بِهِ وَهُوَ ظَالِمٌ  
انتهى كلام أبي القاسم.

### الحُطَيْئَةُ وَبَنُو أَنْفِ النَّاقَةِ

وقد وجدنا في الشعر أحياناً يُجْرَى على رسمها، ويُنْضَى على حكمها؛ فقد كان بنو أنف الناقة إذا ذُكِرَ عند أحد منهم أنف الناقة - فضلاً عن أن ينسبهم إليه - اشتدَّ غضبُهم عليه؛ فما هو إلا أن قال الحُطَيْئَةُ<sup>(١)</sup> يمدحهم:

سِيرِي أُمَامَ فَإِنَّ الْأَكْثَرِينَ حَصَى      وَالْأَطْيِينَ إِذَا مَا يُنْسَبُونَ أَبَا<sup>(٢)</sup>  
قَوْمٌ إِذَا عَقَدُوا عَقْدًا لِحَارِهِمْ      شَدُّوا الْعِنَاجَ وَشَدُّوا فَوْقَهُ الْكَرْبَا<sup>(٣)</sup>  
قَوْمٌ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ      وَمَنْ يُسَوِّي بِأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنْبَا  
فصار أحدهم إذا مثل عن انتسابه لم يَبْدَأْ إلا به.

وأنف الناقة: هو جعفر بن قريع بن عوف بن كعب بن زيد مناة بن تميم.

### بنو العجلان والنجاشي الحارثي

وكان بنو الْعَجْلَانِ يَفْخَرُونَ بهذا الاسم، ويتشرفون بهذا الوَسم؛ إذ كان عَبْدُ اللَّهِ بن كَعْبٍ جَدُّهُمْ إِنَّمَا سَمَّى الْعَجْلَانَ لتعجيله الْقَرَى للضيَّفَانِ؛ وذلك أن حَيًّا من طِيءٍ نزلوا به، فبعث إليهم بِقَرَاهِمَ عَبْدًا لَهُ، وقال له: اعْجَلْ عليهم، ففعل العبدُ، فأعتقه لعجلته، فقال القوم: ما ينبغي أن يسمى إِلَّا الْعَجْلَانُ؛ فَسَمَّى بذلك؛ فكان شرفاً لهم، حتى قال

(١) هو أبو مليكة، جرجول بن أوس بن ملك العبي، المعروف بالحطينة: شاعر، مقدم، فصيح، مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وكان هجاءً عنيفاً، هجا أمه وأباه ونفسه. عدّه ابن سلام في الطبقة الثانية من فحول الجاهلية. توفي نحو ٤٥ هـ/ نحو ٦٦٥ م. (ابن سلام، طبقات الشعراء: ١٠٤؛ البغدادى، خزانة الأدب: ٤٠٩/١).

(٢) أُمَامَ (بضم الهمزة): مرخم أُمَامَة، وهو اسم امرأة. والأكثرون حصى: أي أكثر الناس عديداً، ومنه قول الأعشى:

وَلَسْتُ بِالْأَكْثَرِ مِنْهُمْ حَصَى      وَإِنَّمَا الْعِزَّةُ لِلْكَائِرِ  
(الأعشى، الديوان: ٩٤).

(٣) العنّاج: زمام الناقة، وحبل الدلو. والكرب أيضاً: من حبال الدلو. والمراد بهذا: أنهم يوثقون عهودهم، ويحافظون عليها.

النَّجَاشِي<sup>(١)</sup>، واسمه قَيْسُ بن عمرو بن حَرْن بن الحارث بن كَعْب يهجوهم:

أَوْلَيْتُكَ أَخَوَالُ اللَّعِينِ وَأُسْرَةُ اللَّهِ      حَجِينَ وَرَهْطُ الْوَاهِنِ الْمُتَذَلِّلِ<sup>(٢)</sup>  
وَمَا سُمِّي الْعَجْلَانُ إِلَّا لِقَوْلِهِ      خُذِ الْقَعْبَ وَأَحْلِبْ أَيُّهَا الْعَبْدُ وَأَعْجِلِ<sup>(٣)</sup>

فصار الرجل منهم إذا سئل عن نسبه قال: كعبي، ويكني عن العجلان.

وزعمت الرواة أنَّ بني العجلان استعدوا<sup>(٤)</sup> على النجاشي - لما قال هذا الشعر -  
عُمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقالوا: هَجَانَا، قال: وما قال فيكم؟ فأنشدوه قوله:

إِذَا اللَّهُ عَادَى أَهْلَ لُؤْمٍ وَرِقَّةٍ      فَعَادَى بَنِي الْعَجْلَانِ رَهْطَ ابْنِ مُقْبِلٍ

فقال: إِنَّ الله لَا يُعَادِي مُسْلِمًا، قالوا: فقد قال:

قُبَيْلَةٌ لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ      وَلَا يَظْلِمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ<sup>(٥)</sup>

فقال: وددت أن آل الخطاب كانوا كذلك! قالوا: فقد قال:

تَعَاثُ الْكِلَابُ الضَّارِيَاتُ لُحُومَهُمْ      وَتَأْكُلُ مِنْ عَوْفِ بْنِ كَعْبٍ بَنِ نَهْشَلٍ<sup>(٦)</sup>

فقال: كفى ضياعاً مَنْ تَأْكُلُ الْكِلَابُ لَحْمَهُ! قالوا: فقد قال:

وَلَا يَرِدُونَ الْمَاءَ إِلَّا عَشِيَةً      إِذَا صَدَرَ الْوُرَادُ عَنْ كُلِّ مَنَهْلٍ<sup>(٧)</sup>

فقال: ذلك أصفى للماء، وأقل للزحام! قالوا: فقد قال:

(١) هو قيس بن عمرو بن مالك، من بني الحارث بن كعب، من كهلان، ولقب بالنجاشي نسبة إلى أمه وكانت حبشية: شاعر هجاء، مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام. ولد ونشأ في نجران باليمن، ثم انتقل إلى الحجاز، فالكوفة، واستقر فيها، وهجا أهلها. توفي في «الحج» باليمن سنة ٤٠ هـ / ٦٦٠ م. (ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٢٤٦/١).

(٢) الأسرة والرهط: بمعنى القوم، أو الأهل والعشيرة. والهجين: الذي خُلوط في نسبه أو من كانت أمُّه أمةً مملوكة. والواهين: الضعيف.

(٣) الْقَعْبُ: القدح الضخم الغليظ.

(٤) استعدوا: استعانوا واستنصروا.

(٥) قُبَيْلَةٌ: تصغير قبيلة. والمراد: أنهم لا يقدرّون لضعفهم على ظلم أحد.

(٦) الكلب الضاري: الذي اعتاد الصيد، وضرّي الكلب وأضره صاحبه: عَوْدُهُ وَأَغْرَاهُ بِهِ.

(٧) أي: هم لضعفهم وعجزهم لا يستطيعون ورود الماء إلّا إذا انصرف الناس عنه.

وَمَا سُمِّيَ الْعَجْلَانِ إِلَّا لِقَوْلِهِ خُذِ الْقَعَبَ وَاحْلِبْ أَيُّهَا الْعَبْدُ وَاعْجَلِ  
فَقَالَ: سَيِّدَ الْقَوْمِ خَادِمُهُمْ<sup>(١)</sup>.

وكان عمر رضي الله عنه أعلم بما في هذا الشعر، ولكنه درأ الحدود بالشبهات.

### بنو نمير وجريز

وهؤلاء بنو نمير بن عامر بن صَعَصَعَة من القوم أخذ جَمَرَات العرب وأشرف بيوت  
قيس بن عيلان بن مضر. وجمرات العرب ثلاثة؛ وإنما سُمُّوا بذلك لأنهم مُتَوَافِرُونَ في  
أنفسهم، لم يُدْخِلُوا معهم غيرهم؛ والتجدير في كلام العرب: التجميع.

### وقف على جمرات العرب

وهم: بنو نمير بن عامر، وبنو الحارث بن كعب، وبنو ضبة بن أد. فطفئت جمرتان،  
وهما بنو ضبة لأنها حالفت الرباب، وبنو الحارث لأنها حالفت مَذْحِج، وبقيت نمير لم  
تحالف؛ فهي على كثرتها وَسَعَتْهَا. وكان الرجل منهم إذا قيل له: مِمَّنْ أَنْتَ؟ قال: نميري  
كما ترى! إِدْلَالاً بِنَسَبِهِ، وافتخاراً بمنصبه، حتى قال جرير بن [عطية بن] الْخَطَفِي لِعُبَيْدِ بْنِ  
حُصَيْنِ الرَّاعِي أحد بني نمير بن عامر<sup>(٢)</sup>:

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ      فسلا كَعْباً بَلَّغْتَ وَلَا كِلَاباً

كعب وكلاب: ابنا ربيعة بن عامر بن صعصعة؛ فصار الرجل منهم إذا قيل له: ممن  
أنت؟ يقول: عامري، ويكني عن نمير.

ومرّت امرأة بقوم من بني نمير، فأحدّوا النظر إليها، فقال منهم قائل: والله إنها  
لرَشْحَاء<sup>(٣)</sup>، فقالت: يا بني نمير، والله ما امتثلتم فيّ واحدة من اثنتين، لا قول الله عز  
وجل: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ أَبْصَارَهُمْ﴾<sup>(٤)</sup> ولا قول الشاعر:

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ

(١) في العمدة في محاسن الشعر: ٥٢/١: «فقالوا: يا أمير المؤمنين هجانا، فقال: ما أسمع ذلك،

فقالوا: فاسأل حسان بن ثابت، فسأله فقال: ما هجاهم ولكن سلح عليهم».

(٢) جرير، الديوان: ص ٦٣.

(٣) الرَشْحَاء: الكثيرة العرق، وذلك من عيوب النساء.

(٤) سورة النور، آية (٣٠).



### شريك بن عبد الله النميري وابن هُبَيْرَةَ الْفَزَارِي

وسايرَ شريك بن عبد الله النميري يزيد بن عمر بن هُبَيْرَةَ الْفَزَارِي، فَبَرَزَتْ بغلة شريك<sup>(١)</sup>، فقال له يزيد: غَضٌّ من لجامها، فقال: إنها مكتوبة أصلح الله الأمير! فضحك، وقال: ما ذهبت حيث أردت.

وإنما عَرَضَ بقوله: «غَضٌّ من لجامها» بقول جرير:

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ

فَعَرَضَ له شريك بقول ابن دارة:

لَا تَأْمَنَنَّ فَزَارِيًّا خَلَزَتْ بِهِ عَلَى قُلُوصِكَ وَاكْتُبَهَا بِأَسْيَارٍ<sup>(٢)</sup>

### الْفَرَزْدَقُ يَهْجُو ابْنَ هُبَيْرَةَ

وبنو فزارة يُرْمَوْنَ بِأَتْيَانِ الإِبِلِ، ولذلك قال الفرزدق ليزيد بن عبد الملك لما ولي عمر بن هُبَيْرَةَ<sup>(٣)</sup> العراق:

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَأَنْتَ مَرَّةٌ	أَمِينٌ لَنْتَ بِالطَّبْعِ الْحَرِيسِ
أَوَّلَيْتَ الْعِرَاقَ وَرَأْفَدَيْهِ	فَزَارِيًّا أَحَذَّ يَدَ الْقَمِيصِ <sup>(٤)</sup>
وَلَمْ يَكُ قَبْلَهَا رَاعِي مَخَاضٍ	لِيَأْمَنَهُ عَلَى وَرَكِّي قُلُوصِ <sup>(٥)</sup>
تَقِيَهُقَ بِالْعِرَاقِ أَبُو الْمُثَنَّى	وَعَلَّمَ قَوْمَهُ أَكْلَ الْخَيْصِ <sup>(٦)</sup>

الرافدان: دجلة والفرات.

(١) برزت: سبقت.

(٢) القلوص: الناقة. اكتبها: مأخوذ من الكتبة، وهو سير يُكْتَبُ به حياء الناقة لئلا يُنْزَى عليها. وكتب الناقة: ختم حياءها.

(٣) عمر بن هُبَيْرَةَ الْفَزَارِي: أمير من الدهاة الشجعان. ولاء عمر بن عبد العزيز الجزيرة، ثم ولاء يزيد بن عبد الملك العراق وخراسان.

(٤) أَحَذَّ: مقطوع، وقوله: «أَحَذَّ يَدَ الْقَمِيصِ»: كناية عن السارق.

(٥) الخوف على وركي الناقة: كناية عن الخوف من أن يأتيها الْفَزَارِي.

(٦) تقيهُق: عاش عيشة مترفة منعمة. والخبيص: طعام يُصْنَعُ من التمر والسمن.

## نُمَيْرِي يُجِيبُ جَرِيرًا

وقال بعض النُميريين يجيبُ جريراً عن شعره:

نُمَيْرُ جَمْرَةُ الْعَرَبِ الَّتِي لَمْ      تَزَلْ فِي الْحَرْبِ تَلْتَهِبُ التَّهَابَا  
وَإِنِّي إِذْ أَسْبُ بِهَا كُلِّيًّا      فَتَحْتُ عَلَيْهِمُ لِلْخَسْفِ بَابَا  
وَلَوْ لَا أَنَّ يُقَالُ هَجَا نُمَيْرًا      وَلَمْ يَسْمَعْ لِشَاعِرِهِمْ جَوَابَا  
رَغْبَتَا عَنْ هِجَاءِ بَنِي كُلَيْبٍ      وَكَيْفَ يُثَاتِمُ النَّاسُ الْكِلَابَا

فما نفع نُميراً، ولا ضرَّ جريراً، بل كان كما قال الفرزدق<sup>(١)</sup>:

مَا ضَرَّ تَغْلِبَ وَائِلَ أَهْجَوْنَهَا      أَمْ بُلْتَ حَيْثُ تَنَاطَحَ الْبَحْرَانِ

وقال أبو جعفر محمد بن منذر مولى بني صبير بن يربوع في هجائه لثقيف:

وَسَوْفَ يَزِيدُكُمْ ضَعَةً هِجَائِي      كَمَا وَضَعَ الْهِجَاءُ بَنِي نُمَيْرِ

وسمع الراعي منشداً ينشد:

وَعَاوِ عَاوَى مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ رَمِيْتُهُ      بِقَافِيَةِ أَنْفَاذِهَا تَقْطُرُ الدِّمَا<sup>(٢)</sup>  
خَرُوجَ بَأْفَوَاهِ الرُّوَاةِ كَأَنَّهَا      قَرَى هُنْدُونِي إِذَا هَزَّ صَمَمَا<sup>(٣)</sup>

فارتاع له، وقال: لمن هذا؟ قيل: لجرير، قال: لعن الله من يلومني أن يغلبني مثل هذا!

## فَضْلُ الشَّعْرِ

وقد بنى الشعرُ لقوم بيوتاً شريفة، وهدم لآخرين أُبْنِيَةَ منيفة:

(١) هو أبو فراس، همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم التميمي، الشهير بالفرزدق: شاعر من الطبقة الأولى، من أهل البصرة. نشأ على حب آل البيت، ثم انضم إلى شعراء الأمويين نكساً لا اعتقاداً. كان عظيم الأثر في اللغة حتى قيل: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث اللغة. توفي في بادية البصرة سنة ١١٠ هـ/ ٧٢٨ م. (الأصفهاني، الأغاني: ٢٩٩/٢١؛ البغدادي، خزانة الأدب: ٢١٧/١). والبيت في ديوانه: ٣٤٤/٢.

(٢) أنفاذ: جمع نَفَذَ (بفتحين)، وهو الشق الذي تحدثه الطعنة. ويروى: «بقارعة».

(٣) الهندواني: السيف المصنوع في الهند، ويقال: هندي، وهندواني، ومُهَنْد. والقرى: الشق والصدع. وصَمَمَ: أصاب المفصل وقطعه. والبيتان في ديوان جرير: ص ٤٤٦.

وَمَا هُوَ إِلَّا الْقَوْلُ يَسْرِي فَتَغْتَدِي لَهُ غُرْرٌ فِي أَوْجِهِ وَمَوَاسِمٌ<sup>(١)</sup>

قال أبو عبيدة مُعْتَمِرُ بْنُ الْمُثَنَّى التَّمِيمِي<sup>(٢)</sup>: سمعت أبا عمرو بن العلاء ورجل يقول: إنما الشعر كالمِيسَمِ<sup>(٣)</sup>. فقال: وكيف يكون ذلك كذلك؟ والميسم يذهب بذهاب الجلد ويُدرُس مع طول العهد، والشعر يَبْقَى على الأبناء بعد الآباء، ما بقيت الأرض والسماء! وإلى هذا نحا الطائي في قوله<sup>(٤)</sup>:

وَأَنِّي رَأَيْتُ الْوَسْمَ فِي خُلُقِي الْفَتَى هُوَ الْوَسْمُ لَا مَا كَانَ فِي الشَّعْرِ وَالْجِلْدِ<sup>(٥)</sup>  
وقال عمر رحمة الله عليه: تعلّموا الشعر؛ فإن فيه محاسن تُبَغِّى، ومساوى تُتَّقَى.  
وقال أبو تمام<sup>(٦)</sup>:

إِنَّ الْقَوَافِيَّ وَالْمَسَاعِيَّ لَمْ تَزَلْ مِثْلَ النَّظَامِ إِذَا أَصَابَ فَرِيدَا  
هِيَ جَوْهَرٌ نَثَرُ فَإِنْ أَلْفَتْهُ فِي الشَّعْرِ كَانَ قَلَانِدًا وَعُقُودَا  
مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَتْ الْعَرَبُ الْأَلَى يَدْعُونَ هَذَا سُودْدًا مُحْدُودَا<sup>(٧)</sup>  
وَتَبَدُّ عَنْدهُمْ الْعُلَا إِلَّا إِذَا جُعِلَتْ لَهَا مِرْرُ الْقَصِيدِ قِيُودَا<sup>(٨)</sup>  
وقال علي بن الرومي<sup>(٩)</sup>:

- (١) مواسم: جمع ميسم، وأصله من الوسم، وهو الكي.
- (٢) هو أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي بالولاء، البصري: أديب، لغوي، نحوي، عالم بالشعر، والغريب، والأخبار، والأنساب. ولد بالبصرة. من تصنيفه: «معاني القرآن»، و«نقائض جرير والفرزدق» و«مقاتل الفرسان»، وغيرها. توفي بالبصرة سنة ٢٠٩ هـ / ٨٢٤ م. (عمر كحالة، معجم المؤلفين: ٣٠٩/١٢).
- (٣) الميسم: المكواة.
- (٤) أبو تمام، الديوان: ٢٩٢/١.
- (٥) الوسم: العلامة وأثر الكي في الجلد. يقول: إني أرى الغدر وسماً يلوح على الإنسان، فوق الوسم الذي يكون في جلده.
- (٦) أبو تمام، الديوان: ٢٣٢/١.
- (٧) أراد أن الذي لا تكثر مدائحه، يكون مجده محدوداً مقصوراً على نفسه.
- (٨) تنبذ: تنفر وتشرّد. والمرر: جمع مرة (بكر الميم)، وهي إحكام الفتل.
- (٩) هو أبو الحسن، علي بن العباس بن جريج، المعروف بابن الرومي (ت ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م)، والبيتان في ديوانه: ٤٥٧/١، من قصيدة مدح بها أبا العباس بن الفرات.

أَرَى الشَّعَرَ يُحْيِي النَّاسَ وَالْمَجْدَ بِالَّذِي      تُبْقِيهِ أَرْوَاحٌ لَهُ عَطِرَاتٌ<sup>(١)</sup>  
وَمَا الْمَجْدُ لَوْلَا الشَّعْرُ إِلَّا مَعَاهِدٌ      وَمَا النَّاسُ إِلَّا أَعْظَمُ نَخِرَاتٍ<sup>(٢)</sup>

### [شذور من كلام الرسول]

رجعت إلى ما قطعت، مما هو أحقُّ وأولى وأجلُّ وأعلى، وهو كلامُ رسول الله ﷺ الكريمِ النَّجْرِ<sup>(٣)</sup>، العظيمِ القَدْرِ، الذي هو النهايةُ في البيان، والغايةُ في البرهان، المشتمل على جوامع الكلم، وبدائع الحكم، وقد قال رسول الله ﷺ: أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ بَيِّنَاتٍ أَنِّي مِنْ قَرِيشٍ، واسترضعت في سعد بن بكر! وليس بعضُ كلامه بأولى من بعض بالاختيار، ولا أحقَّ بالتقديم والإيثار؛ ولكني أورد ما تيسر منه في أول هذا الكتاب استفتاحاً، وتيمناً بذلك واستجاحاً.

وهذه شذور<sup>(٤)</sup> من قوله ﷺ الصريح الفصيح، العزيز الوجيز، المتضمن بقليل من المباني كثير المعاني:

قوله للأنصار: إِنَّكُمْ لَتَقْلُونَ عِنْدَ الطَّمَعِ، وَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَرَعِ.

وقوله عليه الصلاة والسلام: المسلمون تَكَافَأُوا دِمَاؤُهُمْ، وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَذْنَاهُمْ، وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ. النَّاسُ كَالْبِلِّ مِائَةٍ لَا تَجْدُ فِيهَا رَاحِلَةً. إِيَّاكُمْ وَخَضِرَاءَ الدَّمَنِ<sup>(٥)</sup>. كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا<sup>(٦)</sup> - قاله لأبي سفيان صخر بن حرب - . النَّاسُ مَعَادِنٌ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَمَّهَوْا. الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبَنِيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً. أَصْحَابِي

(١) في الديوان:

أَرَى الشَّعَرَ يُحْيِي الْمَجْدَ وَالْبَاسَ وَالنَّدَى      تُبْقِيهِ أَرْوَاحٌ لَهَا عَطِرَاتٌ

والندى: الجود والكرم، والأرواح: الرياح.

(٢) المعاهد: الأطلال الدارسة، والمراد: أن المجد يضي ويلى كما الأطلال ما لم يدعمه الشعر.

(٣) النَّجْرُ: الأَصْلُ.

(٤) الشُّذُورُ: جمع الشَّنْدَرِ: قطع من الذهب يُلْقَطُ مِنَ الْمَعْدِنِ مِنْ غَيْرِ إِذَابَةِ الْحِجَارَةِ، وَمِمَّا يَصَاحُ مِنَ الذَّهَبِ فَرَائِدُ يُفَضَّلُ بِهَا اللَّوْلُؤُ وَالْجَوْهَرُ، وَالشَّنْدَرُ أَيْضاً: صِغَارُ اللَّوْلُؤِ، شَبَّهَهَا بِالشَّنْدَرِ لِيَاضِهَا.

(٥) الدمن: جمع الدمنة، وهي مربوط الإبل والخيول، ينبت فيها العشب فيكون شديد الخضرة لكثرة الماء والسماد. وخضراء الدمن: كناية عن المرأة الجميلة من بيت السوء.

(٦) الفراء: حمار الوحش. «كل الصيد في جوف الفراء»: مثل يضرب لمن يُقَصَّلُ عَلَى أَقْرَانِهِ (الميداني، معجم الأمثال: ١٣٦/٢).

كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم. المتشبع بما لم يُعطِ كلابس ثوبي زور. المرأة كالضلع إن رُميت قوامها كسرتها<sup>(١)</sup>، وإن داريتها استمتعت بها. اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى. مَطْلُ الغنيّ ظلم. يدُ الله مع الجماعة. الحياءُ شُعبةٌ من الإيمان. مثلُ أبي بكرٍ كالقَطْرِ<sup>(٢)</sup>، أينما وقع نفع. لا تجعلوني في أعجازِ كتبكم كَقَدَحِ الراكب<sup>(٣)</sup>. أربعةٌ من كنوز الجنة: كتمان الصدقة والمرض والمصيبة والفاقة. جنة الرجل داره. الناس نيام فإذا ماتوا انتَبَهُوا. كفى بالسلامة داء. إنكم لن تَسْعُوا الناسَ بأموالكم، فَسَعَوْهم بأخلاقكم. ما قلَّ وكفى خيرٌ مما كثر وألهى. كلُّ مُيسِّرٍ لما خُلِقَ له. اليمين حِنْثٌ أو مُندمة<sup>(٤)</sup>. دَعِ ما يريبك إلى ما لا يريبك. أَنْصُرْ أَخَاكَ ظالماً كان أو مظلوماً. احترسوا من الناس بِسُوءِ الظَّنِّ. النَّدَمُ تَوْبَةٌ. انتَظِرُوا الفرج عبادة. نعم صَوْمَعَةُ الرجل بَيْتُهُ. المُسْتَشِيرُ مُعَانٌ والمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَن. المرءُ كثيرٌ بأخيه. إِنْ للقلوبِ صَدَأٌ كَصَدَأِ الحديدِ وجِلَاؤُهَا الاستغفار. اليوم الرَّهَانُ وَغَدَا السَّبَاقُ، وَالْجَنَّةُ الْغَايَةُ. كُلُّ مَنْ فِي الدُّنْيَا ضَيْفٌ، وَمَا فِي يَدَيْهِ عَارِيَّةٌ<sup>(٥)</sup>، وَالضَّيْفُ مُرْتَحِلٌ، وَالْعَارِيَّةُ مُؤَدَّةٌ.

ومن جوامع كَلِمِهِ عليه الصلاة والسلام ما رواه أهلُ الصحيح عن عَلْقَمَةَ بنِ وَقَّاصٍ الليثي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هِجْرَتُهُ إلى الله ورسوله فَهِجْرَتُهُ إلى الله ورسوله، ومن كانت هِجْرَتُهُ إلى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أو امرأةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إلى ما هاجر إليه».

قال أبو القاسم حمزة بن محمد الكتاني: سمعتُ أهلَ العلم يقولون: هذا الحديث ثُلُثُ الإسلام، والثُلثُ الثاني ما رواه النعمان بن بشير أن رسولَ الله ﷺ قال: «الحلالُ بَيْنَ، والحرامُ بَيْنَ، وبينهما أمورٌ مشتهيات، فمن تركها كان أَوْفَى لدينه وعِزِّضِهِ، ومن واقعها كان كالراتع حول الحِمَى؛ أَلَا وَإِنْ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلَا وَإِنْ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ»<sup>(٦)</sup>.

(١) الْقَوَامُ: التَّقْوِيم.

(٢) الْقَطْر: المطر.

(٣) الْأَعْجَاز: الْأَوَاخِر.

(٤) الْحِنْثُ: الذَنْبُ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْقَسَمَ يَوْقِعُ صَاحِبُهُ بَيْنَ الذَنْبِ وَالنَّدَمِ.

(٥) الْعَارِيَّةُ وَالْعَارَةُ: مَا يَتَدَاوَلُهُ النَّاسُ بَيْنَهُمْ، وَيُقَالُ: الْعَارِيَّةُ: مَنْسُوبَةٌ إِلَى الْعَارَةِ، وَهُوَ اسْمٌ مِنَ الْإِعَارَةِ، تَقُولُ: أَعْرَيْتُ شَيْئاً إِعَارَةً وَعَارَةً، وَاسْتَعْرَيْتُ مِنْهُ عَارِيَةً فَأَعَارَيْتُهَا.

(٦) الْحِمَى: الشَّيْءُ الْمَحْمِيُّ الْمَمْنُوعُ. وَالْمَحَارِمُ: جَمْعٌ مَحْرَمٍ بِمَعْنَى الْحَرَامِ، يَعْنِي أَنَّ الْمَحْرَمَاتِ الَّتِي نَهَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ عَنْهَا تُشَبِّهُ الْحِمَى، فَكَمَا أَنَّهُ لَا يَجْرُؤُ أَحَدٌ عَلَى الْإِقْتِرَابِ مِنْ حِمَى الْمُلُوكِ، يَنْبَغِي أَلَّا يَقْرَبَ أَحَدٌ مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ.

قال: و [الثلاث] الثالث ما رواه مالك [عن] ابن شهاب عن علي بن حسين أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ».

وقد سمع رسول الله ﷺ الشُّعْرَ وَأَثَابَ عَلَيْهِ. وَنَدَبَ حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ إِلَيْهِ<sup>(١)</sup>، وقال: إنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ مَا نَافَعَ عَنْ نَبِيِّهِ<sup>(٢)</sup>.

ولما انتهى شعرُ أبي سفيانَ بنِ الحارثِ بن عبد المطلب<sup>(٣)</sup> إلى النبي ﷺ شَقَّ عَلَيْهِ<sup>(٤)</sup> فدعا عبدَ الله بن رَوَاحَةَ<sup>(٥)</sup> فاستنشدَهُ فَأَنْشَدَهُ فقال: أَنْتَ شَاعِرٌ كَرِيمٌ، ثُمَّ دَعَا كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ<sup>(٦)</sup> فاستنشدَهُ فَأَنْشَدَهُ، فقال: أَنْتَ تُحَسِّنُ صِفَةَ الْحَرْبِ، ثُمَّ دَعَا بِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ فقال: أَجِبْ عَنِي، فَأَخْرَجَ لِسَانَهُ فَضْرَبَ بِهِ أَرْبَتَهُ<sup>(٧)</sup>؛ ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَحِبُّ أَنَّ لِي

(١) هو أبو الوليد، حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري: شاعر الرسول ﷺ، وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، قال أبو عبيدة: فضل حسان الشعراء بثلاثة: كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر الرسول ﷺ في النبوة، وشاعر اليمانيين في الإسلام، توفي في المدينة سنة ٥٤ هـ/ ٦٧٤ م. (ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ١/ ٢٢٣؛ فروخ، تاريخ الأدب العربي: ١/ ٣٢٥).

(٢) نافع: دافع، ذب. والمنافحة: المكافحة والمدافعة والمضاربة، وأراد بالمنافحة هنا: هجاء المشركين ومجاوبتهم على أشعارهم.

(٣) أبو سفيان بن الحارث: من شعراء مكة الذين ظلوا على الشرك إيان الدعوة الإسلامية، وكان من الذين هجوا الرسول ﷺ والمسلمين، وله شعر كثير في الجاهلية، لكنه سقط، ولم يبق منه إلا نزرًا يسيرًا. وهو هاشمي يتصل نسبه بعبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. (ابن سلام، طبقات الشعراء: ٤١).

(٤) شق عليه: اشتد وصعب وعظم.

(٥) هو أبو محمد، عبد الله بن رواحة بن امرئ القيس، من بني مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج: شاعر أنصاري، وصحابي مشهود له بالثقة والتقوى. استشهد في غزوة مؤتة بين المسلمين والروم. توفي سنة ٨ هـ/ ٦٢٩ م. (الآمدي، المؤلف والمختلف: ٨٤؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق (تراجم حرف العين - عبد الله بن زيد): ٣٠٣ - ٣٥٨).

(٦) هو كعب بن مالك بن عمرو بن القين، الأنصاري الخزرجي، من أهل المدينة: صحابي، من شعراء الرسول ﷺ. شهد بيعة العقبة، وشارك في الوقائع الإسلامية. عمّر طويلًا، وعمي في أواخر عمره، وتوفي سنة ٥٠ هـ/ ٦٧٠ م. (المرزباني، معجم الشعراء: ٢٢٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ٧/ ٢٥٣).

(٧) الأربعة: طرف الأنف.

به مَقُولًا فِي مَعَدٍّ؛ وَلَوْ أَنَّ لِسَانًا فَرَى الشَّعْرَ لَفَرَّاهُ<sup>(١)</sup>. ثُمَّ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَمَسَّ مِنْ أَبِي سَفْيَانَ، فَقَالَ: وَكَيْفَ، وَبَيْنِي وَبَيْنَهُ الرَّحِمُ الَّتِي قَدْ عَلِمْتَ؟ فَقَالَ: أَسَلُّكَ مِنْهُ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةَ مِنَ الْعَجِينِ! فَقَالَ: أَذْهَبُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، وَكَانَ أَعْلَمُ النَّاسِ بِأَنْسَابِ قُرَيْشٍ، وَسَائِرِ الْعَرَبِ، وَعَنْهُ أَخَذَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ عِلْمَ النَّسَبِ، فَمَضَى حَسَانٌ إِلَيْهِ فَذَكَرَ لَهُ مَعَايِهُ، فَقَالَ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ:

وَإِنْ سَنَامَ الْمَجْدِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ      بَنُو بِنْتٍ مَخْزُومٍ وَوَالِدُكَ الْعَبْدُ  
وَمَنْ وَلَدَتْ أَبْنَاءَ زُهْرَةَ مِنْهُمْ      كِرَامٌ، وَلَمْ يَقْرُبْ عَجَائِزَكَ الْمَجْدُ<sup>(٢)</sup>  
وَلَسْتُ كَعَبَّاسٍ وَلَا كَابْنِ أُمِّهِ      وَلَكِنْ لَنِيْمٍ لَا يَقُومُ لَهُ زَنْدُ<sup>(٣)</sup>  
وَإِنْ أَمْرًا كَانَتْ سُبَيْةُ أُمِّهِ      وَسَمَرَاءُ مَغْمُوزٌ إِذَا بَلَغَ الْجَهْدُ<sup>(٤)</sup>  
وَأَنْتَ زَنْبِيْمٌ نِيْطَ فِي آلِ هَاشِمٍ      كَمَا نِيْطَ خَلْفَ الرَّاكِبِ الْقَدْحُ الْفَرْدُ<sup>(٥)</sup>

فلما بلغ هذا الشعر أبا سفيان قال: هذا كلامٌ لم يَغِبْ عنه ابنُ أبي قُحافة<sup>(٦)</sup>.

يعني بيني بنت مخزوم عبد الله وأبا طالب والزبير بن عبد المطلب بن هاشم [بن عبد مناف]، أُمُّهُمْ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَائِدِ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ مَخْزُومٍ، وَأَخَوَاتُهُمْ بَرَّةٌ وَأُمَيْمَةُ وَالْبَيْضَاءُ، وَهِيَ أُمُّ حَكِيمٍ، وَالْبَيْضَاءُ جَدَّةُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ أُمِّ أُمِّهِ.

وقوله: «وَمَنْ وَلَدَتْ أَبْنَاءَ زُهْرَةَ مِنْهُمْ كِرَامٌ» يعني أُمَيْمَةُ وَصَفِيَّةُ أُمُّ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَامِ أُمَّهُمَا هَالَةُ بِنْتُ أَهِيْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ زُهْرَةَ.

(١) يفري الشعر: يمحوه، ومحو الشعر كناية عن غاية الإيذاء.

(٢) العجائز: جمع عجوز.

(٣) الزند: موصل طرف الذراع في الكف.

(٤) المغموز: الخامل. الجهد: التعب الشديد.

(٥) الزنيم: الدَّعِيُّ. وَيْطَ (بكسر النون): علق.

(٦) هو أبو بكر، عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب التيمي القرشي: أول من آمن بالرسول ﷺ من الرجال. ولد بمكة، وشهد الحروب، وتحمل الشدائد، وبذل الأموال، وهاجر مع النبي ﷺ إلى المدينة، ولقب بالصدِّيق لأنه صدَّق النبي ﷺ بكل ما جاء به من خبر السماء والوحي والإسراء والمعراج. بويح بالخلافة يوم وفاة النبي ﷺ، وحارب المرتدين، وتوفي في المدينة سنة ١٣ هـ/ ٦٣٤ م. (ابن كثير، البداية والنهاية: ٣٠٥/٦؛ ابن العماد، شذرات الذهب: ٢٤/١).

وقوله: «ولست كعباس ولا كابن أمه» أمّ العباس: نيلة امرأة من النمر بن قاسط، وأخوه لأمه ضرار بن عبد المطلب.

وقوله: «وإن امرأ كانت سمية أمه» سمية أم أبي سفيان، وسمراء: أم أبيه، وليس هذا موضع إطناب في رفع الأنساب.

وكان عبدُ الأعلى بن عبد الرحمن الأموي عتبَ على بعض ولد الحارث، فقال له مُعرّضاً بما قال حسان:

إِخَالٌ بِالْعَمِّ وَبِالْجَدِّ      مُفْتِخِرًا بِالْقَدَحِ الْفَرْدِ<sup>(١)</sup>  
الْهَجِّ بِحَسَّانٍ وَأَشْعَارِهِ      فَإِنَّهَا أَدْعَى إِلَى الْمَجْدِ  
لَوْلَا سَيْفُ الْأَزْدِ لَمْ تُؤْمِنُوا      وَلَمْ تُقِيمُوا سُورَةَ الْحَنْدِ  
فَتَوَعَّدُوهُ، فَخَافَهُمْ، فَقَالَ:

بَنِي هَاشِمٍ عَفَوْا عَفَا اللَّهُ عَنْكُمْ      وَإِنْ كَانَ تَوْبِي حَشْوُ ثَنِيهِ مُجْرِمٍ<sup>(٢)</sup>  
لَكُمْ حَرَمُ الرَّحْمَنِ وَالْبَيْتِ وَالصَّفَا      وَجَمْعٌ وَمَا ضَمَّ الْحَطِيطُ وَزَمَزَمُ  
فَإِنْ قُلْتُمْ بَادَهْتَنَا بِعَظِيمَةٍ      فَأَحْلَامُكُمْ مِنْهَا أَجْلٌ وَأَعْظَمُ

### ترجمة أبي سفيان بن الحارث

وأسلم أبو سفيان - رحمه الله! - وشهد مع النبي ﷺ يوم حُنين، وكان ممسكاً بخلته حين فرَّ الناس، وهو أحد الذين ثبتوا، وهم - على ما ذكره أبو محمد عبد الملك بن هشام<sup>(٣)</sup> - أبو بكر، وعمر، وعلي، والعباس، و أبو سفيان بن الحارث، وابنه الفضل، وربيعة بن الحارث، وأسامة بن زيد، وأيمن ابن أم أيمن بن عبيد قتل يومئذ، وبعضُ الناس يعدُّ فيهم قُثم بن العباس، ولا يعدُّ أبا سفيان، وكان أبو سفيان من أشعر قريش، وهو القاتل:

(١) إخال: أظن.

(٢) حشو ثنيته: أراد لابس ثوبه، كناية عن نفسه.

(٣) هو أبو محمد، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري: عالم بالنحو والأنساب، والغريب، والرواية. جمع سيرة رسول الله ﷺ من «المغازي والسير» لابن إسحاق، وهذبها ولخصها. توفي بمصر سنة ٢١٣ هـ/ ٢٨٢٩. (ابن خلكان، وفیات الأعيان: ١٧٧/٣؛ القفطي، إنباه الرواة: ٢١١/٢).



لَقَدْ عَلِمْتَ فُرَيْشٌ غَيْرَ فَخْرٍ      بِأَنَا نَحْنُ أَجْوَدُهُمْ حِصَانًا  
وَأَكْثَرُهُمْ دُرُوعًا سَابِغَاتٍ      وَأَمْضَاهُمْ إِذَا طَعَنُوا سِنَانًا<sup>(١)</sup>  
وَأَدْفَعُهُمْ عَنِ الضَّرَاءِ عَنْهُمْ      وَأَيُّنُهُمْ إِذَا نَطَقُوا لِسَانًا

ويروي أن ابن سيرين قال: بينما رسول الله ﷺ في سفره قد شق ناقته بزمامها حتى وضعت رأسها عند مقدمة الرَّحْلِ إذ قال: يا كعب بن مالك: احْدُبْنَا! فقال كعب:

قَضَيْنَا مِنْ يَهَامَةٍ كُلَّ حَقٍّ      وَخَيْرَ ثَمٍّ أَجْمَمْنَا السُّيُوفَا<sup>(٢)</sup>  
نُخَيْرُهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ      قَوَاطِعُهُنَّ: دَوْسًا أَوْ تَقِيْفَا

فقال عليه السلام: والذي نفسي بيده لهي أشدُّ عليهم من رَشَقِ النَّبْلِ! ويقال: إن دَوْسًا أسلمت فرقا<sup>(٣)</sup> من كلمة كعب هذه، وقالوا: اذهبوا فخذوا لأنفسكم الأمان من قبل أن ينزل بكم ما نزل بغيركم!

### النضر بن الحارث

وَقَتَلَ النَّبِيُّ ﷺ النضر بن الحارث، وكان ممن أسر يوم بدر، وكان شديد العداوة لله ولرسوله، وقتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه صبراً<sup>(٤)</sup> فعرضت للنبي ﷺ أخته قَتِيلَةُ بنت الحارث - وفي بعض الروايات أن قَتِيلَةَ أْتَتْهُ فَأَنْشَدَتْهُ:

يَا رَاكِبًا إِنَّ الْأَثِيلَ مَظِنَّةٌ      مِنْ صُبْحِ غَايَةِ وَأَنْتَ مُوَفَّقٌ<sup>(٥)</sup>  
أَبْلَغُ بِهَا مَيْتًا بِأَنَّ تَحِيَّةً      مَا إِنْ تَزَالُ بِهَا النَّجَابُ تُعْنِقُ<sup>(٦)</sup>  
مَنْيَ إِلَيْهِ وَعَبْرَةٌ مَسْفُوحَةٌ      جَادَتْ بِوَاقِفِهَا وَأُخْرَى تَخْنُقُ<sup>(٧)</sup>  
هَلْ يَسْمَعُنِي النَّضْرُ إِنْ نَادَيْتُهُ      إِنْ كَانَ يَسْمَعُ مَيِّتٌ لَا يَنْطِقُ

(١) السابغات: الطويلة الضافية.

(٢) أجمنا السيف: أرحناها.

(٣) الفرق: الخوف.

(٤) صبراً: حبساً.

(٥) الأثيل: اسم الموضع الذي قُتل فيه النضر.

(٦) النجائب: النوق الخفيفة السريعة، الواحدة: نجبية. وتعنق: من العنق، وهو السير الحثيث.

(٧) الواكف: الدائم الجريان.

ظَلَلْتُ سِوْفَ بَنِي أَبِيهِ تَنَوُّشُهُ      اللَّهُ أَرْحَامُ هُنَاكَ تَشَقُّقُ<sup>(١)</sup>  
 قَسْرًا يُقَادُ إِلَى الْمَنِيَةِ مُتَعَبًا      رَسَفَ الْمُقَيَّدُ وَهُوَ عَانٍ مُوْتَقُ<sup>(٢)</sup>  
 أَمَحَمَّدُ هَا أَنْتَ صِنُو كَرِيمَةٍ      فِي قَوْمِنَا وَالْفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ<sup>(٣)</sup>  
 مَا كَانَ ضَرَّكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرَبَّمَا      مَنَّ الْفَتَى وَهُوَ الْمَغِيْظُ الْمُحْنَقُ<sup>(٤)</sup>  
 فَالْنَضْرُ أَقْرَبُ مَنْ قَتَلْتَ قَرَابَةً      وَأَحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ عَثَقُ يُعْنَقُ  
 أَوْ كُنْتَ قَابِلَ فِدْيَةٍ فَلْيُقْدِنِ      بِأَعَزُّ مَا يُغْلَى بِهِ مَنْ يُنْفَقُ

فذكر أن رسول الله ﷺ رَقَّ لها ودمعت عيناه، وقال لأبي بكر: لو كنت سمعتُ شِعْرَهَا ما قتلتها.

والنَّضْرُ هذا هو النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار<sup>(٥)</sup>. قال الزبير بن بَكَار<sup>(٦)</sup>: وسمعت بعض أهل العلم يغمز في أبيات قَتِيلَةَ بنت الحارث<sup>(٧)</sup> ويقول: إِنَّهَا مصنوعة.

### [من كلام أبي بكر رضي الله تعالى عنه]

#### رثاؤه لرسول الله ﷺ

ودخل أبو بكر الصديق رضوان الله عليه، على النبي عليه الصلاة والسلام وهو مُسَجَّى

- (١) تنوشه: تنااله بالطعن.
- (٢) الْقَسْرُ: الْقَهْرُ. وَالرَّسَفُ: مَثِي الْمَقْيَدِ. الْعَانِي: الْأَسِير. وَالْمُوْتَقُ: الْمُقَيَّدُ.
- (٣) الصنو: الإبن. والمُعْرِقُ: الْأَصِيل.
- (٤) مَنَنْتَ صَفَحْتَ. وَالْمُحْنَقُ: الْمَمْلُوءُ غِيْظًا.
- (٥) كان النضر بن الحارث حامل لواء المشركين ببدر، فأسره المسلمون، وقتلوه بعد انتهاء المعركة.
- (٦) هو أبو عبد الله، الزبير بن بكر بن بَكَار بن عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي الزبيري: من أعيان العلماء، ولي قضاء مكة، وصنّف عدداً من الكتب، منها: «أنساب قريش»، وعليه اعتماد التامس في معرفة أنساب القرشيين. توفي بمكة سنة ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م. (ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٣/٣١١).
- (٧) هي قتيلة بنت النضر بن الحارث بن علقمة، من بني عبد الدار، من قريش: شاعرة مجيدة، أدركت الجاهلية والإسلام، وأسلمت بعد مقتل أبيها في وقعة بدر، ونوفيت في خلافة عمر بن الخطاب سنة ٢٠ هـ / ٦٤٠ م. (صلاح الدين الهواري، الشعر والشعراء: ص ٢١٦).

بِثُوبٍ<sup>(١)</sup>، فَكَشَفَ عَنْهُ الثَّوْبَ وَقَالَ: يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي! طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَانْقَطَعَ لِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ النَّبَوَةِ، فَعَظُمْتَ عَنِ الصِّفَةِ، وَجَلَلْتَ عَنِ الْبُكَاءِ، وَخَصَّصْتَ حَتَّى صَرْتَ مَسَلَّةً، وَعَمَمْتَ حَتَّى صِرْنَا فِيكَ سَوَاءً. وَلَوْلَا أَنَّ مَوْتَكَ كَانَ اخْتِيَارًا مِنْكَ لَجَدْنَا لِمَوْتِكَ بِالنَّفُوسِ، وَلَوْلَا أَنَّكَ نَهَيْتَ عَنِ الْبُكَاءِ لَأَنْقَذْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّوْنِ<sup>(٢)</sup>. فَأَمَّا مَا لَا نَسْتَطِيعُ نَفْيَهُ عَنْكَ فَكَمَدٌ وَإِدْنَا<sup>(٣)</sup> يَتَحَالَفَانِ وَلَا يَبْرَحَانِ. اللَّهُمَّ فَأَبْلِغْهُ عَنَّا السَّلَامَ، أَذْكَرُنَا يَا مُحَمَّدُ عِنْدَ رَبِّكَ، وَلَنْكُنْ مِنْ بَالِكَ؛ فَلَوْلَا مَا خَلَقْتَ مِنَ السَّكِينَةِ لَمْ نُقِمْ لِمَا خَلَقْتَ مِنَ الْوَحْشَةِ؛ اللَّهُمَّ أْبْلِغْ نَبِيَّكَ عَنَّا وَاحْفَظْهُ فِينَا، ثُمَّ خَرَجَ.

قوله رضي الله عنه: «لولا أن موتك كان اختياراً منك» إنَّما يريد قول النبي ﷺ: لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ثُمَّ يُخَيَّرَ. قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَسَمِعْتُهُ وَقَدْ شَخَصَ بَصَرُهُ وَهُوَ يَقُولُ: فِي الرِّفْقِ الْأَعْلَى! فَعَلِمْتُ أَنَّهُ خَيْرٌ، فَقُلْتُ: لَا يَخْتَارُنَا إِذَنْ، وَقُلْتُ: هُوَ الَّذِي كَانَ يَحْدُثُنَا. وَهُوَ صَحِيحٌ.

وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ لَمَّا تُوْفِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَرْضِهِ بِالشُّنْحِ<sup>(٤)</sup> فَتَوَاتَرَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ، فَاتَى وَقَدْ ذَهَلَ النَّاسُ، فَكَانُوا كَالْخَرَسِ، وَتَفَرَّقَتْ أَحْوَالُهُمْ، وَاضْطَرَبَتْ أُمُورُهُمْ، فَكَذَّبَ بَعْضُهُمْ بِمَوْتِهِ، وَصَمَّتْ آخَرُونَ، فَمَا تَكَلَّمُوا إِلَّا بَعْدَ [التَّغْيِيرِ]، وَخَلَطَ آخَرُونَ فَلَاثُوا<sup>(٥)</sup> الْكَلَامَ بِغَيْرِ بَيَانٍ، وَحَقَّ لَهُمْ ذَلِكَ لِلرِّزْيَةِ الْعَظْمَى، وَالْمَصِيبَةِ الْكُبْرَى، الَّتِي هِيَ بِيضَةُ الْعُقْرِ<sup>(٦)</sup>، وَتِيْمَةُ الدَّهْرِ، وَمَذَى الْمَصَائِبِ، وَمَتَهَى النَّوَائِبِ، فَكُلُّ مَصِيبَةٍ بَعْدَهَا جَلَلٌ عِنْدَهَا<sup>(٧)</sup>، وَلِذَلِكَ قَالَ ﷺ: لَتُعَزَّ الْمُسْلِمِينَ فِي مَصَائِبِهِمُ الْمَصِيبَةُ بِي.

### حال الصحابة عندما بلغهم موت الرسول

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِمَوْتِهِ، وَقَالَ: مَا مَاتَ، وَلِيرْجِعْتَهُ

(١) مُسَجَّى: مُعْطَى.

(٢) الشُّوْنُ: عُرُوقُ الدَّمْعِ.

(٣) الإِدْنَا: الْمَرَضُ الشَّدِيدُ.

(٤) الشُّنْحُ: مَوْضِعٌ قَرِبَ الْمَدِينَةِ، كَانَ يَنْزِلُ فِيهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) لَاثُوا: خَلَطُوا.

(٦) بِيضَةُ الْعُقْرِ: مِثْلُ لِلْحَادِثِ الَّذِي يَنْدَرُ أَنْ يَتَكَرَّرَ، وَهِيَ فِي الْأَصْلِ: بِيضَةُ الدَّجَاجَةِ الَّتِي لَا تَبْيَضُ بَعْدَهَا.

(٧) الْجَلَلُ: الْأَمْرُ الْعَظِيمُ، وَالْأَمْرُ الْحَقِيرُ، وَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ، وَالْمُرَادُ هُنَا: الْأَمْرُ الْحَقِيرُ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ كُلَّ مَصِيبَةٍ تَهْوَنُ وَتَصْغُرُ بَعْدَ الْمَصِيبَةِ الْكُبْرَى بِوَفَاةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

الله، فليقطعن أيدي المنافقين وأجلهم، يتمنون لرسول الله ﷺ الموت؛ وإنما واعدته ربه كما واعد موسى، وهو يأتيكم.

وأما عثمان رضي الله عنه فكان ممن أخرس؛ فجعل لا يكلم أحداً، فيؤخذ بيده ويُجاء به فينقاد.

وأما علي رضي الله عنه فلبط بالأرض<sup>(١)</sup> فقعد ولم يبرح البيت حتى دخل أبو بكر، وهو في ذلك جلد العقل والمقالة<sup>(٢)</sup>، فأكب عليه، وكشف عن وجهه ومسحه، وقبل جبينه، وبكى بكاء شديداً، وقال الكلام الذي قدمته.

### خطبة أبي بكر يوم موت الرسول

ولما خرج إلى الناس وهم في شديد غمراتهم، وعظيم سكراتهم، قام فخطب خطبة جلها الصلاة على النبي ﷺ، قال فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وأشهد أن الكتاب كما نزل وأن الدين كما شرع، وأن الحديث كما حدث، وأن القول كما قال، وأن الله هو الحق المبين. في كلام طويل، ثم قال: أيها الناس؛ من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، وإن الله قد تقدم إليكم في أمره، فلا تدعوه جزعاً، وإن الله قد اختار لنبيه ما عنده على ما عندكم، وقبضه إلى ثوابه، وخلف فيكم كتابه، وسنة نبيه، فمن أخذ بهما عرف، ومن فرق بينهما أنكر؛ يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط، ولا تشغلنكم الشيطان بموت نبيكم، ويفتننكم عن دينكم؛ فعاجلوه بالذي تعجزونه، ولا تستظروه فيلحق بكم.

فلما فرغ من خطبته قال: يا عمر! بلغني أنك تقول ما مات نبي الله، أما علمت أنه قال في يوم كذا وكذا، وفي يوم كذا وكذا: قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَلِإِثْمِ مَيِّتُونَ﴾<sup>(٣)</sup> فقال عمر: والله لكأنني لم أسمع بها في كتاب الله قبل؛ لما نزل بنا، أشهد أن الكتاب كما نزل، وأن الحديث كما حدث، وأن الله حي لا يموت، وإننا لله وإننا إليه راجعون! ثم جلس إلى جنب أبي بكر رحمه الله.

قالت عائشة رضوان الله عليها: لما قبض رسول الله ﷺ نجم النفاق<sup>(٤)</sup>، وارتدت

(١) لبط بالأرض: سقط من قيام كأنه صريع.

(٢) الجلد: الثابت، الثماسك.

(٣) سورة الزمر، آية (٣٠).

(٤) نجم النفاق: نشأ.

العرب، وكان المسلمون كالغنم الشاردة، في الليلة الماطرة، فحمل أبي ما لو حملته الجبال لهاضها<sup>(١)</sup> فوالله إن اختلّفوا في معظم إلا ذهب بحظه ورشده وعنائيه، وكنت إذا نظرتُ إلى عمر علمتُ أنه إنما خلِقَ للإسلام، فكان والله أَحْوَذِيًّا نَسِيجَ وَحْدِهِ<sup>(٢)</sup>، قد أعدَّ للأمور أقرانها.

### رثاء فاطمة الزهراء لأبيها رسول الله ﷺ

وحدث أبو بكر بن دُرَيْدٍ عن عَبْدِ الْأَوَّلِ بْنِ يَزِيدٍ قَالَ: حدثني رجل في مجلس يزيد بن هرون<sup>(٣)</sup> بالبصرة قال: لما تُوفي رسول الله ﷺ دُفِنَ ورجع المهاجرون والأنصار إلى رحالهم، ورجعت فاطمة إلى بيتها؛ فاجتمع إليها نساؤها، فقالت:

أَغْبَرَ آفَاقُ السَّمَاءِ، وَكُوِّرَتْ  
فَآلَارْضُ مَنْ بَعْدِ النَّبِيِّ كَثِيَّةٌ  
فَلْيَكِهِ شَرْقُ الْبِلَادِ وَعَرْبُهَا  
وَلْيَكِهِ الطُّورُ الْمَعْظَمُ جَوْهُ  
يَا خَاتَمَ الرُّسُلِ الْمُبَارِكِ ضَوْءُهُ  
صَلَّى عَلَيْكَ مُزَلُّ الْفُرْقَانِ<sup>(٤)</sup>

### عود إلى المختار من كلام أبي بكر

وكان أبو بكر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ! - إِذَا أُتِيَ عَلَيْهِ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَتَيْتَ عَلَمَ بِي مِنْ نَفْسِي،

(١) هاضها: دكّها وحطمها.

(٢) الأحوذِي: الحاذق، القاهر للأمور. ونسيج وحده: لا شبيه له ولا نظير.

(٣) هو أبو خالد، يزيد بن هارون الواسطي: إمام، حافظ، كان يقول: أحفظ أربعة وعشرين ألف حديث ولا فخر، وكان يقال: إن في مجلسه سبعين ألفاً من طلبة العلم. توفي سنة ٢٠٦ هـ/ ٨٢٢ م بواسط في العراق. (ابن العماد، شذرات الذهب: ١٦/٢).

(٤) كُوِّرَتْ: سقطت، قال تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (سورة التكويم، آية ١).

(٥) الرجضان: الاضطراب.

(٦) ويروى: «المبارك ضؤُهُ» أي: المبارك نسله. والفرقان: القرآن، سمي بذلك لأنه يفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ (سورة الأنبياء، آية ٤٨). والفرقان هنا: التوراة. وقيل: الفرقان: الحجة، والفرقان: النصر، لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ (سورة الأنفال، آية ٤١)، وهو يوم بدر، لأن الله أظهر من نصره ما كان بين الحق والباطل.

وأنا أعلم بنفسي منهم، فاجعلني خيراً مما يَحْسَبُونَ، واغفر لي برحمتك ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون.

وقال رحمه الله في بعض خطبه: إنكم في مهَل، من ورائه أجل، فبادروا في مهَل أجالكم، قبل أن تنقطع آمالكم، فتردكم إلى سوء أعمالكم.

وذكر أبو بكر الملوك فقال: إن الملك إذا ملك زَهَّدَهُ الله في ماله، ورَغَّبَهُ في مال غيره، وأشرب قلبه الإشفاق؛ فهو يسخط على الكثير، ويَحْسُدُ على القليل، جَدِلُ الظاهر، حَزِينُ الباطن، حتى إذا وَجِبَتْ نَفْسُهُ، وَنَصَبَ عمره، وَضَحَا ظِلُّهُ<sup>(١)</sup> حَاسَبَهُ فأشَدَّ حسابَه وأقلَّ عَفْوَه.

وذكر أنه وصل إلى أبي بكر مالاً من البحرين، فساوى فيه بين الناس. فغضبت الأنصار، وقالوا له: فَضَّلْنَا! فقال أبو بكر: صَدَقْتُمْ، إن أردتُمْ أن أفضلكم صار ما عَمِلْتُمُوهُ للدين، وإن صبرتم كان ذلك لله عز وجل! فقالوا: والله ما عملنا إلا لله تعالى، وانصرفوا؛ فَرَقِيَ أبو بكر المنبر، فَحَمِدَ الله، وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ؛ ثم قال: يا معشر الأنصار؛ إن شئتم أن تقولوا: إِنَّا أَوْثَاكُم فِي ظِلَالِنَا، وشاطرناكم في أموالنا<sup>(٢)</sup>، ونصرناكم بأنفسنا لقلتم، وإن لكم من الفضل ما لا يُحْصِيهِ العدد، وإن طال به الأمد، فنحن وأنتم كما قال طُفَيْلُ الغَنَوِيِّ<sup>(٣)</sup>:

جَزَى اللهُ عَنَا جَعْفَرًا حِينَ أَرْلَقْتُ	بِنَا نَعْلُنَا فِي الْوَاطِئِينَ فَزَلَّتِ <sup>(٤)</sup>
أَبَوْا أَنْ يَمْلُونَا وَلَوْ أَنَّ أُمَّنَا	تُلَاقِي الَّذِي يَلْقَسُونَ مِنَّا لَمَلَّتِ
هُمْ أَسْكَنُونَا فِي ظِلَالِ يُّوتِهِمْ	ظِلَالُ يُّوتٍ أَدْفَأَتْ وَأَظْلَلَّتِ

فَقَرَّ من كلامه رضي الله عنه: صنائعُ المعروف تقي مصارعَ السوء. الموت أهونُ مما

(١) وجبت نفسه: فاضت روحه. ونصب عمره: نفذ. وضحا ظله: مات.

(٢) أوثناكم في ظلالنا: جعلناها لكم مأوى. وشاطرناكم أموالنا: أعطيناكم شطرها، أي: نصفها.

(٣) هو أبو قران، طفيل بن عوف بن ضبيس بن دليف بن كعب بن عوف بن كعب بن عجلان بن غنم بن غني بن أعصر: شاعر جاهلي، فحل، شجاع. عاصر النابغة الجعدي وزهير بن أبي سلمى. كان معاوية بن أبي سفيان يقول: «دعوا لي طفيلًا وسائر الشعراء لكم». وكان طفيل يجيد وصف الخيل، حتى سُمِّيَ «طفيل الخيل» و«المحبر» لحسن وصفه إياها. توفي سنة ١٣ ق. هـ/ ٦١٠ م. (ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ١/ ٣٦٤؛ الآمدي، المؤلف والمختلف: ٢١٧).

(٤) زَلَّتْ: سقطت.

بعده، وأشد مما قبله. ليست مع العزاء مصيبة، ولا مع الجزع فائدة. ثلاث مَنْ كُنَّ فِيهِ كُنَّ عليه: البغي، والنكث، والمكر. إن الله فَرَنَ وَعُدَّه بوعيده؛ ليكون العبد راغباً وراهباً.

### رثاء عائشة أم المؤمنين لأبيها الصديق

ولما توفي رضي الله عنه وقفت عائشة على قبره؛ فقالت: نَصَرَ اللَّهُ وَجْهَكَ يَا أَبَتَ، وشكر لك صالح سَعَبِكَ، فلقد كنت للعالم مُدْلًا بإدبارك عنها، وللآخرة مُعْرًا بإقبالك عليها، ولئن كان أَجَلَ الحوادث بعد رسول الله ﷺ رَزُوكَ. وأعظم المصائب بعده فقدك، إن كتاب الله لِيَعُدُّ بحسن الصبر عنك حسنَ العوض منك، وأنا أَسْتَعِزُّ بموعودِ الله تعالى بالصبر فيك، وأستقضي بالاستغفار لك، أما لئن كانوا قاموا بأمر الدنيا فلقد قمت بأمر الدين لما وهى شَعْبَةُ<sup>(١)</sup> وتفاقم صَدْعُهُ<sup>(٢)</sup>، وَرَجَفَتْ جوانبه<sup>(٣)</sup>؛ فعليك سلام الله توديع غير قالية لحبائك، ولا زارية على القضاء فيك<sup>(٤)</sup>.

وقال أبو بكر لبلال لما قُتِلَ أُمَيَّةُ بن خَلَفٍ وقد كان يَسُومُهُ سوء العذاب بمكة فيخرجه إلى الرَّمْضاء<sup>(٥)</sup>، فيلقي عليه الصخرة العظيمة لِيُفَارِقَ دينَ الإسلام فيعصمه الله من ذلك:

هَنِيئًا زَادَكَ السَّرْحُ حُنَّ خَيْرًا      فَقَدْ أَذْرَكْتَ ثَأْرَكَ يَا بِلَالُ  
فَلَا نِكْسًا وَجِدْتَ وَلَا جَبَانًا      غَدَاةَ تَنْوِشُكَ الْأَسَلُ الطَّوَالُ<sup>(٦)</sup>  
إِذَا هَابَ الرِّجَالُ ثَبَّتَ حَتَّى      تُخَالِطُ أَنْتَ مَا هَابَ الرِّجَالُ  
عَلَى مَضَضِ الْكُلُومِ بِمَشْرِفِي      جَلَا أَطْرَافَ مِثْنِهِ الصَّفَا<sup>(٧)</sup>

(١) وهى شعبه: تفرق شمله.

(٢) تفاقم صدعه: اتسع كسره.

(٣) رجفت جوانبه: اضطربت.

(٤) زارية: عائبة.

(٥) الرَّمْضاءُ والرَّمَضُ: شدة الحر، وقيل: حر الحجارة من شدة حر الشمس، وقيل: شدة وقع الشمس على الرمل وغيره.

(٦) النَّكْسُ: الضعيف العاجز، والجمع أنكاس، قال كعب بن زهير:

زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كُشِفَتْ      عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلَا مِيلٌ مَعَارِيزُ  
«ديوانه: ص ٩١». والأسل: الرماح.

(٧) الكلوم: الجروح، الواحد: كَلَمٌ. والمشرقي: السيف، قال أبو الطيب المتنبي:

نُعِدُّ الْمَشْرِقِيَّةَ وَالْعَوَالِي      وَتَقْتُلُنَا الْمُنُونُ بِلَا قِتَالِ  
(ديوانه: ١٤/٢).

## [من كلام عمر]

## من عمر إلى ابنه عبد الله

وكتب عمرُ بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى ابنه عبد الله:

أما بعد؛ فإنه من اتقى الله وقاه، ومن توكل عليه كفاه، ومن شكر له زاده، ومن أقرضه جزاه؛ فاجعل التقوى عماد قلبك، وجلاء بصرك، فإنه لا عمل لمن لا نية له، ولا أجر لمن لا خشية له، ولا جديد لمن لا خلق له<sup>(١)</sup>.

## بين عمر وعدي بن حاتم الطائي

ودخل عدي بن حاتم على عمر، فسلم وعمر مشغول، فقال: يا أمير المؤمنين! أنا عدي بن حاتم؛ فقال: ما أعرفني بك! آمنت إذ كفروا، ووفيت إذ عدرُوا، وعرفت إذ أنكروا، وأقبلت إذ أدبرُوا!

## عمر يصف السيد

وقال رجل لعمر: من السيد؟ قال: الجواد حين يُسأل، الحليم حين يُستجَل، الكريم المجالسة لمن جالسه، الحسن الخلق لمن جاوره.

وقال رضي الله عنه: ما كانت الدنيا همَّ رجلٍ قطُّ إلا لزم قلبه أربع خصال: فقرٌ لا يُدرك غناه، وهمٌّ لا ينقضي مداه، وشغلٌ لا يتفد أولاه، وأمل لا يبلغ مُنتهاه.

## فصول قصار من كلامه رضي الله عنه

من كتم سرَّه كان الخيارُ في يده. أشقى الولاة من شقيت به رعيته. أعقل الناس أَعذرهم للناس. ما الخمر صِرْفاً<sup>(٢)</sup> بأذهب لعقول الرجال من الطمع. لا يكن حُبُّك كَلْفاً، ولا بغضُك تَلْفاً. مُرِّ ذَوِي القربات أن يتزاورُوا، ولا يتجاورُوا. قلِّما أدبر شيء فأقبل. أشكو إلى الله ضَعْفَ الأمين، وخيانةَ القوي. تكثرُوا من العيال فإنكم لا تدرون بمن تُرزقون. لو أن الشكر والصبر بغيرانِ ما باليت أيُّهما أركب. من لا يعرف الشرَّ كان أجدر أن يقع فيه.

(١) الخلق: البالي.

(٢) الخمر الصُّرْف: الخالصة.



## وَصَفُ صَعَصَعَةَ بْنِ صُوحَانَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ

وقال معاوية بن أبي سفيان لصَعَصَعَةَ بْنِ صُوحَانَ: صِفْ لِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ؛ فقال: كان عالماً برعيته، عادلاً في قضيته، عارياً من الكبر، قبولاً للعذر، سهلاً للحجاب، مضمون الباب، متحريراً للصواب، رفيقاً بالضعيف، غير مُحَابٍ للقريب، ولا جافٍ للغريب.

### عمر يذكر ماضيه وحاضره

وروي أن عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه حجَّ فلما كان بِضُجْنَانَ<sup>(١)</sup> قال: لا إله إلا الله العليُّ العظيم، المعطي مَنْ شاء ما شاء، كنتُ في هذا الوادي في مِدْرَعَةٍ صوف أزعى إبل الخطاب، وكان فظاً يُتَعَبَنِي إذا عملت، ويضربني إذا قصرت، وقد أُمِيت الليلة ليس يني وبين الله أحد، ثم تمثّل:

لا شيء مما ترى تَبْقَى بِشَاشَتُهُ	يَبْقَى إِلَهُهُ وَيُودِي الْمَالُ وَالْوَلَدُ <sup>(٢)</sup>
لَمْ تُغْنِ عَنْهُ هُرْمُزُ يَوْمًا خَزَائِنُهُ	وَالْخُلْدُ قَدْ حَاوَلَتْ عَادٌ فَمَا خَلَدُوا
وَلَا سُلَيْمَانُ إِذْ تَجَرَّى الرِّيحُ لَهُ	وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ فِيمَا بَيْنَهُمَا تَرَدُّ
أَيْنَ الْمُلُوكِ الَّتِي كَانَتْ نَوَافِلُهَا	مِنْ كُلِّ صَوْبٍ إِلَيْهَا وَافِدٌ يَقْدُ <sup>(٣)</sup>
حَوْضُ هُنَالِكَ مَوْزُودٌ بِلا كَدِرٍ	لَا بَدَّ مِنْ وَرْدِهِ يَوْمًا كَمَا وَرَدُوا

### من شعر عمر يوم فتح مكة

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم فتح مكة:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَظْهَرَ دِينَهُ	عَلَى كُلِّ دِينٍ قَبْلَ ذَلِكَ حَائِدٌ <sup>(٤)</sup>
وَأَمَكَّنَهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ بَعْدَمَا	تَدَاعَوْا إِلَى أَمْرِ مِنَ الْغَيِّ فَاسِدٍ
غَدَاةَ أَجَالِ الْخَيْلِ فِي عَرَصَاتِهَا	مُسُومَةً بَيْنَ الزَّيْبِ وَخَالِدٍ <sup>(٥)</sup>

(١) ضُجْنَانَ: جبل قرب مكة.

(٢) يودي: يذهب.

(٣) النوافل: العطايا.

(٤) الحائد: المائل عن الحق.

(٥) الْعَرَصَاتُ: جمع الْعَرَصَةِ، وهي من الدار وسطها. وقيل: العرصة: الأرض لا بناء فيها، سميت بذلك لاعتراض الصبيان فيها. وَالْمُسُومَةُ: الْمُغْلَمَةُ.

فَأَمْسَى رَسُولُ اللَّهِ قَدْ عَزَّ نَصْرُهُ وَأَمْسَى عِدَاهُ مِنْ قَتِيلٍ وَشَارِدٍ  
يريد الزبير بن العوام<sup>(١)</sup> حَوَارِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وخالد بن الوليد سيف الله تعالى في  
الأرض<sup>(٢)</sup>.

### زوج عمر تربيته

ولما قتله أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبه، قالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل  
زوجته تربيته:

عَيْنُ جُودِي بِعَبْرَةٍ وَنَجِيبٍ      لَا تَمْلِي عَلَى الْأَمِينِ النَّجِيبِ  
فَجَعَلْتَنِي الْمُنُونُ بِالْفَارِسِ الْمُعَدِّ      لَمْ يَوْمِ الْهِيَاكِ وَالتَّثْوِبِ<sup>(٣)</sup>  
عِصْمَةُ النَّاسِ وَالْمُعِينُ عَلَى الدَّهْرِ      رِ وَغَيْثُ الْمَحْرُومِ وَالْمَحْرُوبِ<sup>(٤)</sup>  
قُلْ لِأَهْلِ الضَّرَاءِ وَالْبُؤْسِ مُوتُوا      قَدْ سَقَتْهُ الْمُتُونُ كَأَسَ شَعُوبِ<sup>(٥)</sup>  
وقالت أيضاً تربيته:

وَفَجَعَلْتَنِي فَيَرُوزُ لَا دَرَّ دَرَّةً      بِأَبْيَضَ تَالٍ لِلْكِتَابِ مُنِيبٍ  
رُؤُوفٌ عَلَى الْأَدْنَى غَلِيظٌ عَلَى الْعِدَا      أَخُو ثِقَةٍ فِي النَّائِبَاتِ نَجِيبِ<sup>(٦)</sup>  
مَتَى مَا يَقْلُ لَا يَكْذِبُ الْقَوْلُ فِعْلُهُ      سَرِيعٌ إِلَى الْخَيْرَاتِ غَيْرُ قَطُوبِ<sup>(٧)</sup>

(١) الزبير بن العوام: صحابي جليل، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأول من سلَّ سيفاً في  
الإسلام. وروي أنه كان له ألف مملوك يؤدون إليه الخراج، فكان لا يُدخل بيته منه شيئاً،  
يتصدق به كله. قتله ابن جرموز بوادي السباع يوم الجمل سنة ٣٦ هـ / ٦٥٧ م. (الجاحظ،  
الحيوان: ٢٩٢/٥).

(٢) خالد بن الوليد المخزومي: القائد، الفاتح، الذي ناضل أعداء الله، وارتكب عظيم الأخطار طلباً  
للهشادة، وأدركه الموت على فراشه سنة ٢١ هـ / ٦٤٣ م. (ابن العماد، شذرات الذهب:  
٣٢/١).

(٣) الفارس المعلم: الذي علق عليه صوف ملون في الحرب. والتثويب: الدعاء.

(٤) المحروب: المسلوب.

(٥) شعوب: المنية، سميت بذلك لأنها تشعب الشمل وتبدده.

(٦) النجيب من الرجال: الكريم الحبيب.

(٧) القَطُوب: العَبُوس، من قَطَبَ وَجْهَهُ تَقْطِيباً إِذَا عَبَسَ وَغَضِبَ، وَقَطَبَ قَطْباً وَقُطُوباً: زَوَى مَا  
بَيْنَ عَيْنَيْهِ.

## ترجمة عاتكة بنت زيد بن عمرو زوج عمر

وَعَاتِكَةُ هذه: هي أخت سعيد بن زيد أحد العشرة الذين شهد لهم النبي ﷺ بالجنة، وكانت تحت عبد الله بن أبي بكر، فأصابه سهمٌ في غزوة الطائف فمات منه، فتزوجها عمر رضي الله عنه فقتل عنها، فتزوجها الزبير بن العوام فقتل عنها؛ فكان علي رضي الله عنه يقول: من أحب الشهادة الحاضرة فليتزوج بعاتكة!

## ومن كلام عثمان بن عفان رضي الله عنه

ما يَزَعُ اللهُ بالسُّلْطَانِ، أَكْثَرُ مما يَزَعُ بالقرآن<sup>(١)</sup>. سيجعل الله بعد عُسْرٍ يسراً، وبعد عِيٍّ بياناً؛ وأنتم إلى إمام فعّال، أحوج منكم إلى إمام قَوّال، قاله في أول خلافته وقد صعد المنبر وأرنج عليه<sup>(٢)</sup>.

وكتب إلى علي رضي الله عنه وهو مَحْصُور: أما بعد، فقد بلغ السَّيْلُ الزُّبَى، وجاوز الحزام الطُّبَيِّينِ<sup>(٣)</sup>، وطمع في مَنْ كان لا يَدْفَعُ عنه نفسه، ولم يعجزك كَلِيمٌ، ولم يَغْلِيكَ كَمُغْلَبٌ<sup>(٤)</sup>؛ فأقِلْ إليّ، معي كنت أو عليّ، على أيِّ أَمْرِكَ أَحْبَبْتُ.

فَإِنْ كُنْتُ مَاكُولًا فَكُنْ أَنْتَ آكِلِي وَإِلَّا فَادْرِكْنِي وَلَمَّا أَمْرَقِ

وهذا البيت للمُمَزَّقِ العَبْدِيِّ<sup>(٥)</sup>، وبه سمي الممزَّق، واسمه شَأْس، وإنما تمثل به عثمان رضي الله عنه؛ وَحُذِّقَ أهل النظر يدفعون هذا، ويستشهدون على فساده بأحاديث تُنَاقِضُهُ ليس هذا موضعها.

(١) يزع: يزجر ويردع.

(٢) أرنج عليه باب النطق: أغلق.

(٣) الزُّبَى: الرُّبَى التي لا يعلوها الماء، الواحدة: زُبَيْة، وقد بلغ السيل الزُّبَى: مثل يُضْرَبُ لما جاوز الحدَّ. والطَّبِيُّ (بالضم والكسر): حلقات الضرع، وجاوز الحزام الطيبين: مثل يضرب عند بلوغ الشدة منتهاها. (الميداني، مجمع الأمثال: ٩٠/١، ١٦٦).

(٤) الْمُغْلَبُ: الذي غلب كثيراً.

(٥) هو شَأْس بن نهار بن أسود العبدي، من قبيلة نكرة: شاعر جاهلي قديم، من أهل البحرين.

(بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ١١٩/١؛ ياسين الأيوبي، معجم الشعراء في لسان العرب:

(٤٠٧).

قالوا: وكان عثمان رضي الله عنه أَتَقَى الله أن يَسْعَى في أمره عليّ، وعليّ أَتَقَى الله أن يسعى في أمر عثمان، وهذا من قوله عليه السلام: أَشَقَى الناس مَنْ قَتَلَهُ نَبِيٌّ أَوْ قَتَلَ نَبِيًّا.

ومن كلام عثمان رضي الله عنه وأكرم نذله، وقد تنكر له الناس: أَمْرُ هَؤُلاءِ القوم رِعا عير، تَطَاطَأَتْ لَهُمْ تَطَاطَأُ الدَّلاءِ وَتَلَدَّدَتْ لَهُمْ تَلَدَّدُ المضطر، رأيتهم أَلْحَفَ إخواناً، وأوهمني الباطل لهم شيطاناً. أجزرت المرسون رَسَنَهُ، وأبلغت الراعي مسعاته، فتفرقوا عليّ فرقاً ثلاثاً، فصامت صمته أفنذ من صَوْلِ غيره، وشاهد أعطاني شاهده ومنعني غائبه، ومُتْهافِتٌ في فتنة رُيُتَتْ في قلبه، وأنا منهم بين ألسنٍ لِدَادٍ، وقلوب شداد، عذيري الله منهم، ألا ينهى عالم جاهلاً، ولا ينذر حليمٌ سفيهاً؟ والله حسي وحسبهم يوم لا ينطقون، ولا يؤذن لهم فيعتدون.

سئل الحكم بن هشام فقال: كان والله خيار الخيرة، أمير البررة، قاتل الفجرة، منصور النصر، مخذول الخذلة، مقتول القتلة.

ونظير البيت الذي أنشده قولُ صَخِرِ الجَعْد:

فَإِنْ كُنْتُ مَأْكُولاً فَكُنْ أَنتَ أَكْلِي      فَإِنْ مَنَايَا الْقَوْمِ أَكْرَمُ مِنْ بَعْضِ

قال المتوكل: أُتِيتُ بِأَسَارَى، فَسَمِعْتُ امرأة منهم تقول:

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ سَمَا إِلَيْنَا      سُمُو اللَّيْثِ أَخْرَجَهُ الْعَرِيفُ  
فَإِنْ نَسَلِمُ فَعَوْنُ اللَّهِ نَرْجُو      وَإِنْ نُقْتَلُ فَقَاتِلْنَا شَرِيفُ

وقد ذكر بعض أهل العلم أنه لا يُعرف لعثمان شعر، وأنشد له بعضهم<sup>(١)</sup>:

غَنَى النَّفْسُ يُغْنِي النَّفْسَ حَتَّى يَكْفُهَا      وَإِنْ عَضَّهَا حَسَى يَضُرُّ بِهَا الْفَقْرُ  
وَمَا عُسْرَةٌ - فَاصْبِرْ لَهَا إِنْ تَابَعَتْ -      بِبَاقِيَةٍ إِلَّا سَيَتَّبِعُهَا يُسْرُ

وقولُ عُثْمَانَ رضي الله عنه فيما روي: «ولم يغلبك كمغلب» من قول امرئٍ

الْقَيْسِ<sup>(٢)</sup>:

فَإِنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كَفَاحِرٍ      ضَعِيفٍ وَلَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغْلَبٍ

(١) البيتان في العملة في محاسن الشعر لابن رشيق القيرواني: ٣٤/١.

(٢) امرؤ القيس، الديوان: ص ٦٦.

وقال أبو تمام وذكر الخمر<sup>(١)</sup>:

وَضَعِيفَةٌ فَإِذَا أَصَابَتْ فُرْصَةً قَتَلَتْ، كَذَلِكَ قُدْرَةُ الضُّعَفَاءِ

### ومن كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه

لا تَكُنْ ممن يَرْجُو الآخِرَةَ بغير عمل، ويؤَخِّرُ التَّوْبَةَ لطولِ الأَمَلِ. ويقولُ في الدنيا بقول الزاهدين، ويعملُ فيها بعمل الراغبين، إِنْ أُعْطِيَ منها لم يشبع، وَإِنْ مُنِحَ لم يَقْنَعْ، يعجز عن شُكْرِ ما أُوتِيَ، ويتغنى الزيادة بما بَقِيَ، يَنْهَى ولا يَنْتَهِي، ويأمر بما لا يَأْتِي، يحبُّ الصالحين ولا يعملُ أعمالهم، وَيُبْغِضُ المسيئين وهو منهم؛ يكره الموتَ لكثرة ذنوبه، ويقيمُ على ما يكره الموتَ له، إِنْ سَقَمَ ظَلَّ نَادِمًا، وَإِنْ صَحَّ أَمِنَ لَاهِيًا، يُعْجَبُ بنفسه إِذَا عُوْفِي، وَيَقْنَطُ إِذَا ابْتُلِيَ، تَغْلِيْهُ نفسه على ما يظُنُّ، ولا يَغْلِيْهَا على ما يَسْتَقِنُ، ولا يَثِقُ من الرزق بما ضَمِنَ له، ولا يَعْمَلُ من العمل بما فُرِضَ عليه، إِنْ اسْتَغْنَى بَطَرَ وَفَتِنَ، وَإِنْ افْتَقَرَ قَنِطَ وَحَزَنَ، فهو من الذَّنْبِ والنعمة مُوقِرٌ<sup>(٢)</sup>، يتغنى الزيادة ولا يَشْكُرُ، ويتكلف من الناس ما لم يُؤْمَرْ، وَيُضَيِّعُ من نفسه ما هو أكثر، وَيُبَالِغُ إِذَا سَأَلَ، ويقصر إِذَا عَمِلَ، يخشى الموتَ، ولا يبادر الفَوْتَ، يستكثر من معصية غيره ما يستقلُّ أكثره من نفسه؛ ويستكثر من طاعته ما يستقله من غيره، فهو على الناس طَاعِنٌ، ولنفسه مَدَاهِنٌ، اللَّغْوُ مع الأغنياء أَحَبُّ إِلَيْهِ من الذكر مع الفقراء، يحكم على غيره لنفسه، ولا يحكمُ عليها لغيره، وهو يُطَاعُ وَيُعَصَى، ويستوفي ولا يُوفَى.

وسئِلَ رضي الله عنه عن مسألة فدخلَ مبادراً، ثم خرج في حذاء ورداء، وهو يتبسّم، فقيل له: يا أمير المؤمنين، إنك كنت إِذَا سُئِلْتَ عن مسألة كنت فيها كالسَّكَةِ الْمُحْمَاةِ<sup>(٣)</sup>! فقال: إِنِّي كُنْتُ حَاقِنًا وَلَا رَأْيِي لِحَاقِنٍ<sup>(٤)</sup>، ثم أنشأ يقول:

إِذَا الْمُشْكِلَاتُ تَصَدَّيْنَنِي لِي كَشَفْتُ حَقَائِقَهَا بِالنَّظَرِ

(١) أبو تمام، الديوان: ٨٨/١. يقول: إِنْ الْخَمْرَةُ ضَعِيفَةٌ، وَلَكِنِهَا فَتَاكَةٌ إِذَا أُتِيحَتْ لَهَا فُرْصَةُ الْفَتَكِ، كَذَلِكَ قُدْرَةُ الضُّعَفَاءِ.

(٢) مُوقِرٌ: مُثْقَلٌ.

(٣) السَّكَةُ: الحديدية.

(٤) الحاقن: الذي احتبس بوله.

وَأِنْ بَرَقَتْ فِي مَخِيلِ الصَّوَا      بِ عَمِيَاءَ لَا تَجْتَلِيهَا الذِّكْرُ<sup>(١)</sup>  
 مُقْنَعَةٌ بِأُمُورِ الْغَيْسُوبِ      وَضَعْتُ عَلَيْهَا صَحِيحَ الْفَكْسَرِ  
 لِسَانًا كَشِشْقَةِ الْأَرْحَبِ      سِيَّ أَوْ كَالْحَسَامِ الْيَمَانِيِّ الذِّكْرُ<sup>(٢)</sup>  
 وَقَلْبًا إِذَا اسْتَنْطَقْتُهُ الْعِيُونُ      أَمَرْتُ عَلَيْهَا بِوَاهِي الدُّرُرِ  
 وَلَسْتُ بِإِمْعَةٍ فِي الرِّجَالِ      أَسْأَلُ عَنْ ذَا وَذَا مَا الْخَبَرُ<sup>(٣)</sup>  
 وَلَكِنِّي ذَرَبْتُ الْأَصْغَرَيْنِ      أُبَيِّنُ مَعَ مَا مَضَى مَا غَبَرَ<sup>(٤)</sup>

### وصف ضرار الصَّدَائِي لمعاوية علياً

وقال معاوية رضي الله عنه لضرار الصَّدَائِي: يا ضرار، صِفْ لِي عَلِيًّا، فقال: أَعْنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: لَتَصِفَنَّهُ، فَقَالَ: أَمَا إِذْ أَذْنْتُ فَلَا بَدَّ مِنْ صِفَتِهِ: كَانَ وَاللَّهِ بَعِيدَ الْمَدَى، شَدِيدَ الْقُوَى، يَقُولُ فَضْلًا<sup>(٥)</sup>، وَيَحْكُمُ عَدْلًا، يَتَجَبَّرُ الْعِلْمُ مِنْ جَوَانِبِهِ، وَتَنْطِقُ الْحِكْمَةُ مِنْ نَوَاحِيهِ، يَسْتَوْحِشُ مِنَ الدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا، وَيَسْتَأْنَسُ بِاللَّيْلِ وَظِلْمَتِهِ، كَانَ وَاللَّهِ غَزِيرَ الدَّمْعَةِ، طَوِيلَ الْفِكْرَةِ، يَقْلُبُ كَفَّهُ، وَيَخَاطِبُ نَفْسَهُ، يُعْجِبُهُ مِنَ اللَّبَاسِ مَا قَصَرَ، وَمِنَ الطَّعَامِ مَا خَشِنَ، وَكَانَ فِينَا كَأَحَدِنَا، يُجِيبُنَا إِذَا سَأَلْنَاهُ، وَيُسَبِّحُنَا إِذَا أَسْتَبْنَاهُ، وَنَحْنُ - مَعَ تَقْرِيهِ إِيَّانَا، وَقُرْبِهِ مِنَّا - لَا نَكَادُ نُكَلِّمُهُ لَهِيَّتِهِ، وَلَا نَبْدِيهِ لِعَظَمَتِهِ، يُعْظَمُ أَهْلُ الدِّينِ، وَيُحِبُّ الْمَسَاكِينَ، لَا يَطْمَعُ الْقَوِيُّ فِي بَاطِلِهِ، وَلَا يَتَأَسُّ الضَّعِيفُ مِنْ عَدْلِهِ، وَأَشْهَدُ لَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي بَعْضِ مَوَاقِفِهِ، وَقَدْ أَرَاخِيَ اللَّيْلُ سُدُولَهُ، وَغَارَتْ نُجُومُهُ، وَقَدْ مَثَلَ فِي مُحْرَابِهِ، قَابِضًا عَلَى لَحْيَتِهِ يَتَمَلَّمُ تَمَلُّمَ السَّلِيمِ<sup>(٦)</sup>، وَيَبْكِي بِكَاءِ الْحَزِينِ، وَيَقُولُ: يَا دُنْيَا إِلَيْكَ عَنِّي! غُرِّي غُرِّي، أَلِي تَعَرَّضْتَ، أَمْ إِلَيَّ تَشَوَّفْتَ؟ هِيَهَاتَ! قَدْ بَايَسْتُكَ ثَلَاثًا، لَا رَجْعَةَ لِي عَلَيْكَ، فَعُمُرُكَ قَصِيرٌ، وَخَطَرُكَ حَقِيرٌ، وَخَطْبُكَ يَسِيرٌ؛ آه مِنْ قَلَّةِ الزَّادِ، وَبُعْدِ السَّفَرِ، وَوَحْشَةِ الطَّرِيقِ!

(١) مخيل: مظنون، وهو السحاب تخاله ماطرًا لرعده وبرقه.

(٢) الأَرْحَبِي: جَمَلٌ منسوب إلى أَرْحَب، وهو موضع تنسب إليه النجائب الأرحبية، وقيل: نسبة إلى فحل يسمى أَرْحَب. وشَشْقَةُ الْجَمَل: هديره.

(٣) الإِمْعَةُ: الرجل لا رأي له، ولا خطر يخشى منه، فهو تابع لغيره، ولا يكون مستقلًا.

(٤) الأصغران: القلب واللسان، وذرب الأصغرين: حديد القلب واللسان.

(٥) القول الفصل: الحق.

(٦) السليم: الملدوغ، ومشي بذلك نفاؤلاً.

فبكى معاوية حتى أخضلت دموعه لحبته؛ وقال: رَحِمَ اللَّهُ أبا الحسن! فلقد كان كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حُزنٌ من ذُبِحَ واحدها في حجرها!

وقال عليّ رضوان الله عليه: رَحِمَ اللَّهُ عبداً سَمِعَ فَوَعَى، ودُعِيَ إلى الرشاد فذَنَّا، وأخذ بِحُجْزَةِ هَادٍ فَنَجَا<sup>(١)</sup>، وراقبَ رَبَّهُ، وخافَ ذَنْبَهُ، وقَدَّمَ خالِصاً، وعَمِلَ صالحاً، واكتسبَ مَذْخُوراً، واجتنبَ مَحْذُوراً، ورمى غُرَضاً، وكابرَ هَوَاهُ، وكذَّبَ مُتَاهُ، وحذرَ أَجَلَهُ، ودأبَ عملاً، وجعلَ الصبرَ رَغْبَةً حَيَاتِهِ، والثَّقَى عُدَّةَ وفَاتِهِ، يُظْهِرُ دونَ ما يَكْتُمُ، ويكتفي بأقلِّ مما يعلم، لَزِمَ الطريقةَ الغُرَاءَ، والمحجَّةَ البيضاء، واغتنمَ المَهْلَ، وبادرَ الأَجَلَ، وتزوَّدَ من العَمَلِ.

### علي يرثي خباب بن الأرت

ولما رجع رضي الله عنه من صفين، فدخل أوائل الكوفة إذا قبرٌ، فقال: قَبْرُ مَنْ هَذَا؟ فقيل: خَبَّابُ بنِ الأَرْتِ<sup>(٢)</sup>، فوقفَ عليه، وقال: رحمَ الله خَبَّاباً! أَسْلَمَ رَاغِباً، وهاجرَ طائِعاً، وعاشَ مُجَاهِداً، وابْتُلِيَ في جسمه أحوالاً، ولن يضيعَ اللهُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عملاً.

### علي أمام القبور

ومضى فإذا هو بقبور، فوقف عليها، وقال: السلامُ عليكم أهلَ الديارِ الموحِشةِ، والمحالِ المُقْفِرَةِ، أنتم لنا سَلَفٌ، ونحنُ لكم تَبَعٌ، وبكم - عما قليل - لَاحِقُونَ؛ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لنا ولهم، وتجاوز عنا وعنهم بِعَفْوِكَ! طَوَّلِي لِمَن ذَكَرَ المَعَادَ، وعَمِلَ للحساب، وقَنعَ بالكفَاف. ثم التفت رضي الله عنه إلى أصحابه، فقال: أما إنهم لو تكلَّمُوا لقالوا: وَجَدْنَا خَيْرَ الزادِ التَّقْوَى.

### علي يصف الدنيا

وَدَمَّ رَجُلٌ الدُّنْيَا بِحَضْرَةِ عليّ رضي الله عنه، فقال: دَارُ صِدْقٍ لِمَن صدَّقها، ودَارُ نَجَاةٍ لِمَن فهم عنها، ودَارُ غِنَى لِمَن تزوَّدَ منها، مَهْيَطٌ وَحْيِ اللهِ، ومُصَلَّى ملائكته، ومَسْجِدٌ أنبيائه، ومَتَجَرُّ أوليائه، رِبْحُوا فيها الرحمة، واكتسبوا فيها الجنة، فمن ذا يذمُّها، وقد أذنت

(١) الحجة: الحزن، وأخذ بحجزة: استظهر به واستعان به.

(٢) خباب بن الأرت التيمي: صحابي جليل، وأحد السابقين البدرين. استضعفه المشركون، فعذبوه ليرتد عن دينه فصر، حتى أذن الله للمسلمين بالهجرة. توفي بالكوفة سنة ٣٧ هـ/ ٦٥٨ م، وصلى عليه الإمام علي رضي الله عنه. (ابن العماد، شذرات الذهب: ٤٧/١).

بَيْنَهَا، وَنَادَتْ بِفِرَاقِهَا، وَذَكَرَتْ بِسُرُورِهَا السُّرُورَ، وَبِإِلَاقِهَا الْبَلَاءَ، تَرْغِيبًا وَتَرْهِيًا، فَيَا أَيُّهَا  
الذَّامُ لَهَا، الْمَعْلَلُ نَفْسَهُ بِغُرُورِهَا، مَتَى خَدَعْتُكَ الدُّنْيَا؟ أَمْ بِمَاذَا اسْتَدَمَمْتُ إِلَيْكَ<sup>(١)</sup>، أِبْمَضَّرَعُ  
أَبَائِكَ فِي الْبِلَى؟ أَمْ بِمَضْجَعِ أُمَهَاتِكَ فِي الثَّرَى، كَمْ مَرَّضْتَ بِكَفِّكَ، وَكَمْ عَلَلْتَ بِيَدِكَ،  
تَطْلُبُ لَهُ الشِّفَاءَ، وَتَسْتَوْصِفُ الْأَطْبَاءَ، غَدَاةً لَا يَنْفَعُهُ بِكَأُوكَ، وَلَا يَغْنِي دَوَاؤُكَ.

### من قصار كلام علي

فقر من كلامه رضي الله عنه: [البشاشة فسخ المودة. والصبر قبر المغبون. والغالب  
بالظلم مغلوب. والحجر المغصوب بالدار رهنٌ بخرابها. وما ظفر من ظفرت به الأيام.  
فسالم تسلم]. رَأَيْ الشَّيْخَ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِ الْغَلَامِ<sup>(٢)</sup>. النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا. بَقِيَّةُ عُمَرِ  
الْمُؤْمِنِ لَا تُثَمِّنُ لَهَا، يَدْرِكُ بِهَا مَا أَفَاتَ [ويحيي ما أَمَاتَ].

نقل هذا الكلام بعض أهل العصر، وهو أبو الفتح علي بن محمد البُستي<sup>(٣)</sup>:

بَقِيَّةُ الْعُمَرِ عِنْدِي مَا لَهَا ثَمَنٌ      وَإِنْ غَدَاً وَهُوَ مَحْبُوبٌ مِنَ الثَّمَنِ  
يَسْتَدْرِكُ الْمَرْءَ فِيهَا مَا أَفَاتَ وَيُحْدِ      يَبِي مَا أَمَاتَ وَيَمَحُو السُّوءَ بِالْحَسَنِ

الدنيا بالأموال، والآخرة بالأعمال. لَا تَخَافَنَّ إِلَّا ذَنْبَكَ، وَلَا تَرْجُؤَنَّ إِلَّا رِيكَ. وَجَّهُوا  
أَمْالَكُمْ إِلَى مَنْ تَحِبُّهُ قُلُوبُكُمْ. النَّاسُ مِنْ خَوْفِ الذَّلِّ فِي الذَّلِّ. مَنْ أَيْقَنَ بِالْخُلْفِ جَادَ بِالْعَطِيَّةِ.  
بَقِيَّةُ السِّيفِ أَنْمَى عَدَدًا، وَأَنْجَبَ وَلَدًا - وَقَدْ تَبَيَّنَتْ صِحَّةُ مَا قَالَ فِي بَنِيهِ وَبَنِي الْمَهْلَبِ - إِنَّ مِنْ  
السَّكُوتِ مَا هُوَ أَبْلَغُ مِنَ الْجَوَابِ. الصَّبْرُ مَطِيَّةٌ لَا تَكْبُو<sup>(٤)</sup>، وَسَيْفٌ لَا يَنْبُو<sup>(٥)</sup>. خَيْرُ الْمَالِ مَا  
أَغْنَاكَ، وَخَيْرٌ مِنْهُ مَا كَفَاكَ، وَخَيْرُ إِخْوَانِكَ مَنْ وَاسَاكَ، وَخَيْرٌ مِنْهُ مَنْ كَفَاكَ شَرَّهُ.

(١) استدمت إليك: فعلت ما تدمتها عليه.

(٢) مشهد الغلام: ما يشهده، ويراه رأي العين.

(٣) هو أبو الفتح، علي بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز البستي: الشاعر  
المشهور، صاحب الطريقة الأنثقة في التجنيس الأنيس، البديع التأسيس. ولد في «بست» وإليها  
نسبته. مات غريباً في بلدة «أوزجند» ببخارى سنة ٤٠١ هـ / ١٠١١ م. (الصفدي، الوافي  
بالوفيات: ٢٢/١٦٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ١١/٢٩٦).

(٤) كبا يَكْبُو كِبْوَةً: عَثَرَ، والكِبْوَةُ: مثل الوقفة تكون عند الشيء يكرهه الإنسان يُدْعَى إِلَيْهِ أَوْ يُرَادُ مِنْهُ  
كوقفة العاثر. والكِبْوَةُ: السقوط للوجه، ومنه: كبا الزند: لم يخرج ناره.

(٥) نبا السيف: لم يقطع، أو تجافى عن الضريبة، وفي المثل: «لكل صارم نبوة، ولكل جواد كبوة»،  
ولكل عالم هفوة» (الميداني، مجمع الأمثال: ٢/١٨٧).



وقال بعضُ أهل العصر ما يشاكل هذا وهو أبو الحسن محمد بن لُثَكِّ البَصْرِيُّ:  
 عَدِيًّا فِي زَمَانِنَا      عَسَنَ حَسِيدِثِ الْمَكَارِمِ  
 مَنْ كَفَى النَّاسَ شَرَّهُ      فَهُوَ فِي جُودِ حَاتِمِ  
 أبو الطَّيِّب<sup>(١)</sup>:

إِنَّا لَفِي زَمَنِ تَرَكَ الْقَبِيحَ بِهِ      مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِحْسَانٌ وَإِجْمَالٌ  
 إِذَا قَدَرْتَ عَلَى عَدُوِّكَ فَاجْعَلِ الْعَفْوَ عَنْهُ شُكْرًا لِلْقُدْرَةِ عَلَيْهِ . قِيمَةُ كُلِّ أَمْرٍ مَا يُحْسِنُ .

### تعقيب للجاحظ على فقرة من كلام علي

ذكر أبو عثمان عمرو بن بَحْر الجاحظ<sup>(٢)</sup> هذه الكلمة في كتاب البيان فقال: فلو لم نَقِفْ من هذا الكتاب إلَّا على هذه الكلمة لوجدناها شافية، كافية، ومُجْزِية مُغْنِيَّة؛ بل لوجدناها فاضلة عن الكفاية، غير مقصِّرة عن الغاية؛ وأفضَلُ الكلام ما كان قليله يُغْنِيكَ عن كثيره، ومعناه ظاهراً في لَفْظِهِ، وكأنَّ الله قد أَلْبَسَهُ من ثيابِ الجلالة، وغشاه من نورِ الحكمة، على حَسَبِ نِيَّةِ صاحبه، وتَقَوَّى قائله. فإذا كان المعنى شريفاً، واللفظُ بليغاً، وكان صحيحَ الطبع، بعيداً من الاستكراه، مُتَزَهِّاً عن الاختلال، مَصُوناً عن التكلف؛ صَنَعَ في القلوب صَنِيعَ الْغَيْثِ فِي الثَّرْبَةِ الْكَرِيمَةِ، ومُتَى فَصَلَّتِ الكلمةُ على هذه الشريطة، ونَفَذَتْ من قائلها على هذه الصفة، أصحبها الله عز وجل من التوفيق، وَمَنَحَهَا من التأييد، ما لا يمتنع من تعظيمها به صدورُ الجبابرة، ولا يذهل عن فَهْمِهَا معه عقولُ الجهلة.

### دعاء لعلي في الحروب

ومن دُعَائِهِ رضي الله عنه في حروبه: اللَّهُمَّ أَنْتَ أَرْضَى لِلرَّضَا، وَأَسْخَطَ لِلشُّخْطِ، وَأَقْدَرُ عَلَى أَنْ تَغَيِّرَ مَا كَرِهْتَ، وَأَعْلَمُ بِمَا تَقْدِرُ، لَا تُغْلَبْ عَلَى بَاطِلٍ، وَلَا تَعْجُزَ عَنْ حَقٍّ، وَمَا أَنْتَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ.

(١) المتنبي، الديوان: ٣٠٧/٢.

يقول: لكثرة من يعامل بالقبيح، صار ترك القبيح يُعَدُّ إِحْسَانًا، لأن الإحسان لا مطمع فيه.

(٢) هو أبو عثمان، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، البصري، المعتزلي، المعروف بالجاحظ: عالم، أديب، مشارك في أنواع العلوم. ولد بالبصرة، وتنسب إليه الفرقة الجاحظية. من آثاره: «البيان والتبيين»، و«الحيوان»، و«البخلاء»، وغيرها. توفي سنة ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م. (عمر كحالة، معجم المؤلفين: ٧/٨).

## من شعر علي رضي الله عنه

وقال علي رضي الله عنه :

لِمَنْ رَايَةً سَوْدَاءُ يَخْفِقُ ظِلُّهَا      إِذَا قِيلَ قَدَمُهَا حُضَيْنُ تَقَدَّمَا<sup>(١)</sup>  
 فَيُورِدُهَا فِي الصَّفِّ حَتَّى تَرُدَّهَا      حِيَاضُ الْمَنَايَا تَقْطُرُ الْمَوْتَ وَالْدَّمَ  
 جَزَى اللَّهُ قَوْمًا قَاتَلُوا فِي لِقَائِهِمْ      لَدَى الرُّوحِ قَوْمًا مَا أَعَزَّ وَأَكْرَمَا  
 وَأَطْيَبَ أَخْبَارًا وَأَفْضَلَ شِيَمَةً      إِذَا كَانَ أَصْوَاتُ الرِّجَالِ تَغْمُغُمَا<sup>(٢)</sup>

حُضَيْنُ الَّذِي ذَكَرَهُ هُوَ: أَبُو سَاسَانَ الْحُضَيْنُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ وَعْلَةَ الرَّقَاشِي وَكَانَ صَاحِبَ رَايَةٍ يَوْمَ صَفِّينَ .

ويروى عنه أنه قال بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها :

أَرَى عَلَّلَ الدُّنْيَا عَلِيَّ كَثِيرَةً      وَصَاحِبُهَا حَتَّى الْمَمَاتِ عَلِيلُ  
 لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فُرْقَةً      وَإِنَّ الَّذِي دُونَ الْمَمَاتِ قَلِيلُ  
 وَإِنَّ افْتِقَادِي فَاطِمًا بَعْدَ أَحْمَدٍ      دَلِيلٌ عَلَيَّ أَلَا يَدُومَ خَلِيلُ

ولما قَتَلَ عمرو بن عبد ود سقط فانكشفت عَوْرَتُهُ<sup>(٣)</sup>، فَتَنَحَّى عَنْهُ وَقَالَ :

أَلَى ابْنِ عَبْدِ - حِينَ شَدَّ - أَلِيَّةٌ      وَحَلَفْتُ فَاسْتَمَعُوا مِنَ الْكَذَّابِ<sup>(٤)</sup>  
 أَلَّا يَقِرَّ وَلَا يَمْلُلَ فَالْتَقَى      أَسَدَانِ يَضْطَرِبَانِ كُلُّ ضِرَابِ<sup>(٥)</sup>  
 الْيَوْمَ يَمْنَعُنِي الْفِرَارَ حَفِيفَتِي      وَمُصَمَّمٌ فِي الرَّأْسِ لَيْسَ بِنَابِ<sup>(٦)</sup>

(١) حُضَيْنٌ: هُوَ حُضَيْنُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ وَعْلَةَ، كَانَتْ لَهُ رِيَاةٌ بَكَرَ كُلَّهَا يَوْمَ صَفِّينَ، وَكَانَتْ لَهُ رَايَةٌ سَوْدَاءُ، وَقِيلَ: حَمْرَاءُ، يَخْفِقُ ظِلُّهَا إِذَا أَقْبَلَ. (ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٣٣٩/٤).

(٢) التغمغم والغمغمه: الكلام الذي لا يُبَيَّن، وأصوات الأبطال في الوغى عند القتال. والبيان: الأول والثاني من هذه الأبيات في «العمدة» لابن رشيقي القيرواني: ٥٤/١.

(٣) عمرو بن عبد ود: فارس من قريش، ظلَّ على الشرك، وقاتل المسلمين، فقتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه في السنة الخامسة للهجرة.

(٤) ألى: أقسم، والأليَّة: اليمين.

(٥) يملل: يتقلب. والضراب: المطاردة.

(٦) الحفيظة: الغضب والحمية، عند الدفاع عن الحرمه وحفظها، والمُصَمَّم: السيف لا ينبو.

أَعْرَضْتُ حِينَ رَأَيْتُهُ مُتَقَطِّراً      كَالْجَذْعِ بَيْسَنَ دَكَادِكِ وَرَوَابِي<sup>(١)</sup>  
وَعَفَفْتُ عَنْ أَثْوَابِهِ وَلَوَأْنِي      كُنْتُ الْمُقَطَّرَ بَزْنِي أَثْوَابِي<sup>(٢)</sup>  
نَصَرَ الْحِجَارَةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ      وَنَصَرْتُ دِينَ مُحَمَّدٍ بِصَوَابِ<sup>(٣)</sup>  
لَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ خَازِلَ دِينِهِ      وَنَبِيَّهِ يَا مَعْشَرَ الْأَحْزَابِ  
في أبيات غير هذه، وبعض الرواة يُنْفِيها عن علي رضي الله عنه.

### عَمْرُو بْنُ وَدٍّ

وعمره هذا هو: ابن عَبْد وَدٍّ بن نَضْر بن مَالِك بن حَسَل بن عَامِر بن لُؤَيٍّ، وكان قد جَزَعَ المَذَاد، وهو موضع حُفِرَ فيه الخَنْدَقُ يَوْمَ الْأَحْزَابِ، وفي ذلك يقول الشاعر:

عَمْرُو بْنُ وَدٍّ كَانَ أَوَّلَ فَارِسٍ      جَزَعَ الْمَذَادَ وَكَانَ فَارِسَ يَلِيلِ<sup>(٤)</sup>  
ولما صار مع المسلمين في الْخَنْدَقِ دعا [إلى] الْبَرَازِ، وقال:

وَلَقَدْ بَحَحْتُ مِنَ النَّدَا      عِ بَجْمَعِهِمْ هَلْ مِنْ مُبَارِزِ<sup>(٥)</sup>  
وَوَقَفْتُ إِذْ نَكَلَ الشُّجَا      عُ بِمَوْقِفِ الْبَطْلِ الْمُنَاجِزِ<sup>(٦)</sup>  
إِنِّي كَذَلِكَ لَمُ أَزَلْ      مُسْرِعاً نَحْوَ الْهَزَاهِزِ<sup>(٧)</sup>  
إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالشُّجَا      عَةً فِي الْفَنَى خَيْرُ الْغَرَائِزِ<sup>(٨)</sup>

فبرز علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: يا عمرو! إنك عاهدت الله لقريش ألا يدعوك أحدًا إلى خلتين إلا أخذت إحداهما، فقال: أجل! قال: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام. قال: لا حاجة لي بذلك، قال: فإني أدعوك إلى المِبارزة،

- (١) مُتَقَطِّراً: صريع. والدَكَادِك: جمع الدَكَدَك، وهو الرمل المتلبد بالأرض.
- (٢) بَزْنٌ: سَلَبٌ وانتزع، وابتره ثيابه: سلبه إياها، وفي المثل: «من عَزَّ بَزًّا»، أي من غلب سلب.
- (٣) نصر الحجارة: كناية عن عبادة الأوثان.
- (٤) جَزَعَ المَذَاد: اجتازه، والمَذَاد: الموضع الذي يُدَاد فيه عن النفس، أي: موضع الحرب. وَيَلِيلٌ: اسم وإِدٍ في بدر.
- (٥) بَحَحْتُ: ضعفت من كثرة النداء.
- (٦) نَكَلَ: نكص. والمُنَاجِز: المبادر إلى القتال.
- (٧) الْهَزَاهِز: الشدائد والحروب، لأنها تهز الرجال.
- (٨) الْغَرَائِز: الطباع.

فقال: يا ابن أخي ما أحبُّ أن أقتلك! قال علي: لكنني والله أحبُّ أن أقتلك، فحمي عمرو، فاقتحم عن فرسه وعرقه<sup>(١)</sup> ثم أقبل إلى علي:

فَتَجَاوَلَا كَعَمَامَتَيْنِ تَكَفَّتْ      مَتْنِيهِمَا رِيحاً صَباً وَشَمَالِ<sup>(٢)</sup>

فِي مَوْقِفٍ كَادَتْ نَفْسُ كُمَاتِهِ      تَبْتَزُّ قَبْلَ تَوَرُّدِ الْآجَالِ<sup>(٣)</sup>

وعلت بينهما غبرة سترتهما فلم يزع المسلمون إلا التكبير؛ فعلموا أن علياً قتله.

ولما قُتل عمرو جاءت أخته فقالت: مَنْ قتله؟ فقيل: علي بن أبي طالب، فقالت: كفء كريم! ثم انصرفت وهي تقول<sup>(٤)</sup>:

لَوْ كَانَ قَاتِلُ عَمْرٍو غَيْرَ قَاتِلِهِ      لَكُنْتُ أَبْكِي عَلَيْهِ آخِرَ الْأَبْدِ

لَكِنْ قَاتِلُهُ مَنْ لَا يُعَابُ بِهِ      وَكَانَ يُدْعَى قَدِيمًا بِيضَةِ الْبَلَدِ

مِنْ هَاشِمٍ فِي ذُرَاهَا وَهِيَ صَاعِدَةٌ      إِلَى السَّمَاءِ تُمِيتُ النَّاسَ بِالْحَسَدِ

قَوْمُ أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ      مَكَارِمُ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا بِلَا أَمَدِ

بِأُمِّ كَلْثُومٍ بَكِّيهِ وَلَا تَدْعِي      بُكَاءَ مُعْوَلَسٍ حَرَى عَلَى وَلَدِ

أم كلثوم: بنت عمرو بن عبد ود. و«بيضة البلد» تمدح به العرب وتذم؛ فمن مدح به جعله أصلاً، كما أن البيضة أصل الطائر. ومن ذم به أراد أن لا أصل له. قال الراعي يهجو عدي بن الرقاع العاملي<sup>(٥)</sup>:

يَا مَنْ تَوَعَّدَنِي جَهْلًا بِكَثْرَتِهِ      مَتَى تُهَدِّدَنِي بِالْعَمْرِ وَالْعَدَدِ

أَنْتَ امْرُؤٌ نَالَ مِنْ عِرْضِي وَعِزَّتِهِ      كَعِزَّةِ الْعَيْرِ يَرْعَى تَلْعَةَ الْأَسَدِ<sup>(٦)</sup>

(١) عرقه: قطع عرقه.

(٢) تجاولا: تصاولا.

(٣) الكفاءة: الأبطال الشجعان، الواحد: كمي. وتبتر: تسلب. وتورد الآجال: ورود حياض الموت، والمراد أنهم كانوا يموتون قبل انقضاء آجالهم من الخوف.

(٤) البيتان: الأول والثاني في «العمدة في محاسن الشعر» لابن رشيق القيرواني: ٢/ ٢٩٨.

(٥) هو أبو داود، عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع بن عاملة، ونسبه الناس إلى «الرقاع» جد جده لشهرته. وهو شاعر مقدم عند بني أمية، واختص بالوليد بن عبد الملك. وكان ينزل دمشق. توفي نحو ٩٥ هـ/ ٧١٤ م. (ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٢/ ٥١٥؛ الأصفهاني، الأغاني: ٩/ ٣١٠).

(٦) العير: الحمار. وتلعة الأسد: الرابية التي يحميها، وليس للحمار عزة في تلعة الأسد، وإنما هو مثال للهوان.

لَوْ كُنْتُ مِنْ أَحَدٍ يُهْجَى هَجَوْتُكُمْ      يابن الرقاع ولكن لست من أحد  
تأبى قضاة أن ترضى لكم نسباً      وابنا نزار؛ فأنتم بضعة البلد

### عاملة قوم عدي بن الرقاع

وقال أبو عبيدة: عاملة بن عدي بن الحارث بن مرة بن أذ [بن زياد] بن يشجب، يُطعن في نسبه من قحطان، ويقال: هو عاملة بن معاوية بن قاسط بن أهيب؛ فلذلك قال الراعي هذا. ويقال: إن جندل بن الراعي قالها، وقد قال يحيى بن أبي حفصة الأموي<sup>(١)</sup> في عاملة:

ولسنا بُالي نأى عاملة التي      أجد بها من نحو بضري انحذارها  
تدافعها الأحياء حتى كأنها      ثياب بدا للمشتري عوارها  
قدفنا بها لما نأت قدف حاذف      بسود حصى خفت عليه صغارها

ويشبه قول علي رضي الله عنه «وعففت عن أثوابه» قول عترة بن شداد العبسي<sup>(٢)</sup>:

هلاً سألت الخيل يابنة مالك      إن كنت جاهلة بما لم تعلمي  
يُخبرك من شهد الواقعة أنني      أغشى الوغى وأعف عند المغنم  
وقال حبيب بن أوس الطائي<sup>(٣)</sup>:

إن الأسود أسود الغاب همتها      يوم الكربة في المسلوب لا السلب<sup>(٤)</sup>

### عزم المؤلف على ضروب من الاختيار

قد علقت بذيل ما أوردته، وألحقت بطرف ما جردته، من كلام سيد الأولين والآخرين، ورسول رب العالمين، صلى الله عليه وسلم وعلى آله الأخيار الطيبين الطاهرين، قطعة من كلام الخلفاء الراشدين، قدمتها أمام كل كلام، لتقدمهم على الخلق، وأخذهم

(١) هو جد مروان بن أبي حفصة الشاعر المشهور، وله أشعار كثيرة. (الجاحظ، الحيوان: ٢٨١/٤).

(٢) عترة بن شداد، الديوان: ص ٢٥.

(٣) أبو تمام، الديوان: ١٠٢/١.

(٤) همتها: مقصدها. الكربة: الحرب. يقول: إن الفارس الشجاع يقصد في الحرب إلى خطف الأرواح لا إلى سلب المال.

بَقَصَبِ السَّبْقِ<sup>(١)</sup>، وهم كما قال بعض المتكلمين يصف قوماً من الزهاد الواعظين. جَلَوْا بكلامهم الأبصارَ العلية، وشحذوا بمواعظهم الأذهانَ الكلية، ونَبَّهُوا القلوبَ من رَقَدَتِهَا، وتَقَلَّوْهَا عن سوء عَادَتِهَا، فَشَفَّوْا من داءِ القسوة، وَغَبَّأُوا العَفْلَةَ، ودَاوَوْا من العِيِّ الفاضح، ونَهَجُوا لنا الطريقَ الواضح. وآثَرَتْ أَنْ أَلْحَقَ بعد ذلك جملةً من سليم كلام سائر الصحابة والتابعين، رضي الله عنهم أجمعين، وأدرج في دَرَجِ كلامهم وأثناء نَثَرِهِم ونظمهم، ما التفت عليه والتفت إليه، وتعلّق بأغصانه، وتشبّث بأفنانِه، كما تقدّم، وأخرج إلى صفات البلاغات، وآخَذَ بعد ذلك في نظم عقود الآداب، ورَقَمَ برود الألباب.

مِنْ كُلِّ مَعْنَى يَكَادُ الْمَيْتُ يَفْهَمُهُ حُسْنًا وَيَعْبُدُهُ الْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ

### [من كلام الصحابة والتابعين]

#### من كلام معاوية

قال مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَفْضَلُ مَا أُعْطِيَ الرَّجُلُ الْعَقْلُ وَالْحِلْمُ؛ إِذَا ذَكَرَ ذَكَرَ، وَإِذَا أَسَاءَ اسْتَغْفَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَنْجَزَ.

وصف معاوية الوليد بن عُتْبَةَ فقال: إِنَّهُ لِبَعِيدِ الْغَوْرِ، سَاكِنِ الْفُورِ<sup>(٢)</sup>، وَإِنْ الْعُودَ مِنْ لِحَائِهِ<sup>(٣)</sup>، وَالْوَلَدَ مِنْ آبَائِهِ، وَاللَّهُ إِنَّهُ لَنَبَاتٍ أَصْلٌ لَا يَخْلَفُ، وَنَجْلٍ فَحْلٍ لَا يَقْرِفُ<sup>(٤)</sup>.

#### بين معاوية ومصقلة بن هبيرة

ومرض معاوية مرضاً شديداً فَأَرْجَفَ<sup>(٥)</sup> بِهِ مَصْقَلَةَ بْنَ هُبَيْرَةَ وَسَاعَدَهُ قَوْمٌ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ تَمَاثَلُوا وَهُمْ فِي إِرْجَافِهِمْ، فَحَمَلَ زِيَادُ مَصْقَلَةَ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَكُتِبَ إِلَيْهِ: «إِنَّهُ يَجْمَعُ مُرَاقًا مِنْ مُرَاقِ الْعِرَاقِ<sup>(٦)</sup> فَيَرْجِفُونَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ حَمَلْتُهُ إِلَيْهِ لِيَرَى رَأْيَهُ فِيهِ».

- (١) السَّبْقُ: هو السباق، وأخذ قصب السبق: كناية عن الفوز.
- (٢) الغور: القعر من كل شيء، وبعد الغور: كناية عن أصالة الرأي، وعمق التفكير. والفور: الغضب. وسكون الفور: كناية عن الحلم.
- (٣) اللحاء: القشر.
- (٤) لا يقرف: من القراف (بالكسر) وهو داء يقتل البعير، والمراد: أنه قوي البنية، لا يؤثر فيه المرض.
- (٥) الإرجاف: الخوض في أخبار الفتن، قال تعالى: «لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ، وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ» (سورة الأحزاب، آية ٦٠).
- (٦) المُرَاقُ: جمع مارق، وهو الخارج على الجماعة.

فقدم مَصْفَلَةً، وجلس معاوية للناس؛ فلما دخل عليه قال: اذنُ مني! فدنا منه، فأخذه بيده فَجَذَبَهُ فسقط مَصْفَلَةً؛ فقال معاوية:

أَبْقَى الْحَوَادِثُ مَنْ خَلِيَ      لَكَ مِثْلَ جَنْدَلَةِ الْمَرَاجِمِ<sup>(١)</sup>  
صُلْباً إِذَا خَارَ الرَّجَا      لُ أَبْلٌ مُمْتَنِعِ الشَّكَايِمِ<sup>(٢)</sup>  
قَدْ رَأَيْتُ الْأَعْدَاءَ قَبْ      لَكَ فَا مَتَّعْتُ عَنِ الْمَظَالِمِ

قال مصقلة: يا أمير المؤمنين؛ قد أبقي الله منك ما هو أعظم من ذلك [بطشاً] وحلماً [راجحاً] وكلاً ومرعى لأوليائك، وسماً ناقعاً لأعدائك، كانت الجاهلية فكان أبوك سيد المشركين، وأصبح الناس مسلمين؛ وأنت أمير المؤمنين، وقام.

فوصله معاوية، وأذن له في الانصراف إلى الكوفة. فقبل له: كيف تركت معاوية؟ فقال: زعمتم أنه لما به، والله لقد غمزني غمزة كاد يحطمني، وجذبتني جذبة كاد يكسر عَضُؤاً مني!

### بين معاوية والأحنف بن قيس

ودخل الأحنف بن قيس على معاوية وافداً لأهل البصرة، ودخل معه الثمر بن قطبة، وعلى النمر عباءة قَطَوَانِيَّة<sup>(٣)</sup>، وعلى الأحنف مِدرعة صوف وشملة، فلما مثلاً بين يدي معاوية اقتحمتهما عيئه<sup>(٤)</sup>؛ فقال النمر: يا أمير المؤمنين! إنَّ العباءة لا تُكَلِّمُك، وإنما يكلمك مَنْ فيها! فأوماً إليه فجلس، ثم أقبل على الأحنف فقال: ثم مه؟ فقال: يا أمير المؤمنين؛ أهلُ البصرة عدد يسير، وعظمُ كسير، مع تتابع من المُحُول<sup>(٥)</sup>، واتصال من الدُّحُول<sup>(٦)</sup> فالْمُكْثِرُ فيها قد أطرق، والمُقَلُّ قد أُمْلِق<sup>(٧)</sup>، وبلغ منه المُخَنَّق؛ فإنْ رَأَى أمير المؤمنين أنْ يُنْعِشَ الْفَقِيرَ، وَيَجْبِرَ الْكَسِيرَ، وَيَسْهَلَ الْعَسِيرَ، وَيَصْفَحَ عَنِ الدُّحُولِ، وَيُدَاوِيَ

(١) الجندلة: الصخرة.

(٢) الشكايم: جمع شكيمة، وهي الحديدية المعترضة في فم الفرس، ومنه: فلان شديد الشكيمة: أَفْنٌ يَأْبَى الْإِنْقِيَادَ.

(٣) عباءة قطوانية: نسبة إلى قطوان، وهو موضع بالكوفة.

(٤) اقتحم: ازدري، احتقر.

(٥) المُحُول: جمع مَحْل، وهو الشدة، والقَحْطُ، والجَدْبُ، والجوع الشديد.

(٦) الدُّحُول: جمع دَحَل، وهو الثَّار.

(٧) أُمْلِق: من الإملاق، وهو الفقر.

المُحُول، ويأمر بالعطاء؛ ليكشف البلاء، ويُزيل اللأواء<sup>(١)</sup>. وإن السيد من يعم ولا يخص ومن يدعو الجفلى، ولا يدعو النقرى<sup>(٢)</sup> إن أحسن إليه شكر، وإن أسىء إليه غفر، ثم يكون وراء ذلك لرعيته عماداً يدفع عنها الملمات، ويكشف عنهم المفضلات.

فقال له معاوية: ها هنا يا أبا بحر! ثم تلا: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾<sup>(٣)</sup>.

### محاورة بين معاوية وأهل العراق

ومن جميل المحاورات ما رواه المدائني، قال: وفد أهل العراق على معاوية رحمه الله، ومعهم زياد، وفيهم الأحنف، فقال زياد: يا أمير المؤمنين؛ أشخصت إليك أقواماً الرغبة، وأعدت عنك آخرين العذر، فقد جعل الله تعالى في سعة فضلك ما يجبر به المتخلف، ويكافأ به الشاخص. فقال معاوية: مرحباً بكم يا معشر العرب، أما والله لئن فرقت بينكم الدعوة، لقد جمعتكم الرحم؛ إن الله اختاركم من الناس ليختارنا منكم، ثم حفظ عليكم نسبكم بأن تخير لكم بلاداً تجتاز عليها المنازل، حتى صفاكم من الأمم كما تصفى الفضة البيضاء من خبثها؛ فصوصوا أخلاقكم، ولا تدنسوا أنسابكم وأعراضكم، فإن الحسن منكم أحسن لقربكم منه، والقيح منكم أقبح لبعدهم عنه.

فقال الأحنف: والله يا أمير المؤمنين، ما نعدم منكم قائلاً جزيلاً<sup>(٤)</sup> ورأياً أصيلاً، ووعداً جميلاً؛ وإن أخاك زياداً لمُتبع آثارك فينا، فنستمع الله بالأمير والمأمور، فإنكم كما قال زهير، فإنه ألقى على المداحين فصول القول:

وَمَا يَسُكُّ مِنْ خَيْرِ أَتَوْهُ فَابْتَمَا      تَوَارَتْهُ أَبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ  
وَهَلْ يُنْبِتُ الْخَطِيئَ إِلَّا وَشِيجُهُ      وَتَغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ<sup>(٥)</sup>

(١) اللأواء: الشدة.

(٢) يدعو الجفلى: أي يعم بدعوته إلى الطعام، ولا يخص أحداً، وضده: النقرى، وهي أن يخص الآداب بدعوته أفراداً دون غيرهم، قال طرفة بن العبد:

نَحْنُ فِي الْمَشَاةِ نَدْعُو الْجَفْلَى      لَا تَرَى الْآدِبَ فِينَا يَنْتَقِرُ  
(ديوانه: ص ٥٥). والمشاة: الشاة.

(٣) سورة محمد، آية (٣٠).

(٤) القائل الجزيل: الذي يقول جزل الكلام، وهو العاقل الأصيل الرأي.

(٥) الخطي: الرمح المنسوب إلى الخط، وهو مرفقاً للسفن بالبحرين، تجلب إليه الرماح من منبتها. والوشيج: القنا الملتف في منبته، الواحدة: وشيجة. يريد: أنه كما أن القناة لا تنبت إلا القناة، =



وهذان البيتان لزُهَيْر بن أَبِي سُلْمَى المُرْزِي<sup>(١)</sup> في قصيدة يقول فيها<sup>(٢)</sup>:

وَفِيهِمْ مَقَامَاتٌ حَسَنٌ وَجُوهُهَا      وَأَنْدِيَّةٌ يَنْتَابُهَا الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ  
عَلَى مُكْثَرِيهِمْ رَزَقٌ مَنْ يَعْتَرِيهِمْ      وَعِنْدَ الْمُقْلِسِينَ السَّمَاحَةُ وَالْبَذْلُ  
سَعَى بَعْدَهُمْ قَوْمٌ لَكَيْ بُذِرْكَوهُمْ      فَلَمْ يَفْعَلُوا وَلَمْ يُلِيْمُوا وَلَمْ يَأْلُوا<sup>(٣)</sup>

قال بعض أهل العلم بالمعاني: أعجب بقوله: «ولم يألوا»؛ لأنه لما ذكر السعي بعدهم، والتخلف عن بلوغ مساعيهم، جاز أن يتوهم السامع أن ذلك لتقصير الطالبين في طلبهم؛ فأخبر أنهم لم يألوا، وأنهم كانوا غير مقصرين وأنهم - مع الاجتهاد - في المتأخرين؛ ثم لم يرخص بأن يجعل مجدهم طارفاً فيهم، ولا جديداً لديهم، حتى جعله إرثاً عن الآباء، يتوارثه سائر الأبناء، ثم لم يرخص أن يكون في الآباء حتى جعله موروثاً عن آبائهم، وهذا لو تكلفه متكلف في المثور دون الموزون لما كان له هذا الاقتدار مع هذا الاختصار.

### منزلة شعر زهير بن أبي سلمى

وكانت قريش معجبةً بشعر زُهَيْر، وقال النبي ﷺ: إِنَّا قَدْ سَمِعْنَا كَلَامَ الْخَطِيبِ وَالْبُلْغَاءِ، وَكَلَامَ ابْنِ أَبِي سُلْمَى، فَمَا سَمِعْنَا مِثْلَ كَلَامِهِ مِنْ أَحَدٍ؛ فَجَعَلُوا ابْنَ أَبِي سُلْمَى نَهَايَةً فِي التَّجْوِيدِ، كَمَا تَرَى.

وذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إن من أشعر شعرائكم زُهَيْراً، كان لا يُعَاضِلُ بَيْنَ الْكَلَامِ<sup>(٤)</sup>، وَلَا يَتَّبِعُ حُوشِيَّةً<sup>(٥)</sup>، وَلَا يَمْدَحُ الرَّجُلَ إِلَّا بِمَا يَكُونُ فِي الرِّجَالِ<sup>(٦)</sup>.

= ولا يفرس النخل إلا بحيث ينبت ويصلح، فكذا الكرام لا يولدون إلا في وضع كريم.  
(١) هو زهير بن أبي سلمى (ربعية) بن رياح المزني، من مضر: أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء. ولد في بلاد مزينة بنواحي المدينة. اشتهر بحكمته ورويته ونفاذ بصيرته، وعني بشعره، فعرفت قصائده بالحواليات. (ابن سلام، طبقات الشعراء: ٥١، ٦٣؛ ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال: ٢٣٥ - ٢٩٠).

(٢) القصيدة بكاملها في ديوانه: ص ٥٨ - ٦٣، وقد قالها في مدح سنان بن أبي حارثة المري.

(٣) لم يألوا: لم يقصروا.

(٤) يعاضل: يكرر ويردد.

(٥) الحوشي: الوحشي، الغريب.

(٦) وفي «العمدة» لابن رشيق القيرواني (١/١٧٢): «لا يمدح الرجل إلا بما فيه».

وأخذ معنى قول زهير:

سَعَى بَعْدَهُمْ قَوْمٌ لِكَيْ يُدْرِكُوهُمْ

طَرِيحُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الثَّقَفِيُّ<sup>(١)</sup>، فقال لأبي العباس عبد الله بن محمد بن علي السفاح:

قَدْ طَلَبَ النَّاسُ مَا بَلَغْتَ وَلَمْ يَأْلُوا فَمَا قَارَبُوا وَقَدْ جَهِدُوا<sup>(٢)</sup>  
فَهُمْ مُلُوكٌ مَا لَمْ يَرَوْكَ، فَإِنْ لَاحَ لَهُمْ مِنْكَ بَارِقٌ خَمِدُوا  
تَعَرُّوهُمْ رَعْدَةً لَدَيْكَ كَمَا قُرِفَ تَحْتَ الدُّجْنَةِ الصَّرْدُ<sup>(٣)</sup>  
لَا خَوْفَ ظُلْمٍ وَلَا قَلَى خُلُقٍ لَكِنْ جَلَالًا كَسَاكَهُ الصَّمَدُ<sup>(٤)</sup>  
مَا يُبْقِيكَ اللَّهُ لِلْأَنَامِ فَمَا يُفْقِدُ مِنَ الْعَالَمِينَ مُفْتَقِدُ

### معاوية يبين النبل والمروءة

وقال معاوية رحمه الله: المروءة: احتمال الجريرة<sup>(٥)</sup>، وإصلاح أمر العشيرة؛ والنبل:

الحلم عند الغضب، والعفو عند المقدرة.

فَقَرَّ مِنْ كَلَامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا رَأَيْتُ تَبْذِيرًا قَطُّ إِلَّا وَإِلَى جَنْبِهِ حَقٌّ مُضَيِّعٌ. أَنْقَضَ النَّاسَ عَقْلًا مَنْ ظَلَمَ مَنْ هُوَ دُونَهُ. أَوْلَى النَّاسَ بِالْعَفْوِ أَقْدَرُهُمْ عَلَى الْعُقُوبَةِ. التَّسَلُّطُ عَلَى الْمَمَالِكِ مِنْ لَوْمٍ الْمَقْدَرَةِ وَسُوءِ الْمَمْلَكَةِ.

وقال يحيى بن خالد: مَا حَسَنَ أَدَبُ رَجُلٍ إِلَّا سَاءَ أَدَبُ غِلْمَانِهِ<sup>(٦)</sup>.

وقال معاوية: إصلاح ما في يدك أسلم من طلب ما في أيدي الناس. غَضَبِي عَلَى مَنْ

أَمْلِكُ، وَمَا غَضَبِي عَلَى مَنْ لَا أَمْلِكُ؟.

(١) هو أبو الصلت، طريح بن إسماعيل بن عبيد بن أسيد الثقفي: شاعر مخضرم، نشأ في دولة بني أمية، وأدرك دولة بني العباس، وتوفي في أيام المهدي، سنة ١٦٥ هـ/ ٧٨١ م. (الجاحظ، البيان والتبيين: ٣٦٣/٢؛ ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٥٦٨/٢).

(٢) جهدوا: تعبوا.

(٣) قُرِفَ: أُرْعِدَ. الدجنة: الظلمة. الصرد: المقرور، الذي يشكو شدة البرد.

(٤) القلى: البغض.

(٥) الجريرة: الجنابة. واحتمال الجريرة: كناية عن دفع الدية عن الجاني.

(٦) يبدو أن المؤلف قد أدخل هذا القول سهواً، أو استطراداً، إذ كان الغرض ذكر فقر من كلام معاوية دون غيره في هذا الموضع.

## عبد الله بن همام السلولي عند يزيد بن معاوية يهنته ويعزيه

ولما تُوَفِّي معاويةُ رحمه الله واستخلف يزيدُ ابنه اجتمع الناسُ على بابه، ولم يقدروا على الجمع بين تهنة وتعزية، حتى أتى عبدُ الله بن همام السلولي<sup>(١)</sup>، فدخل عليه فقال: يا أمير المؤمنين، آجرك الله على الرزية، وبارك لك في العطية، وأعانك على الرعية، فقد رُزيتَ عظيمًا، وأُعطيَت جسيمًا، فاشكُر اللهَ على ما أُعطيَت، واصبر له على ما رُزيتَ؛ فقد فقدتَ خليفة الله، ومُنحتَ خلافة الله؛ ففارقتَ جليلاً، ووُهبَتَ جزيلاً؛ إذ قُضِيَ مُعاويةُ نَحْبَهُ، فغفر الله ذنبَهُ؛ ووُلِّيتَ الرئاسة، فأعطيتَ السياسة؛ فأوردك الله مواردَ السرور، ووفَّقك لصالح الأمور<sup>(٢)</sup>، وأنشده:

اصْبِرْ يَزِيدُ فَقَدْ فَارَقْتَ ذَا ثِقَةٍ      وَاشْكُرْ حِبَاءَ الَّذِي بِالْمُلْكِ أَصْفَاكَ<sup>(٣)</sup>  
لَارْزَاءَ أَصْبَحَ فِي الْأَقْوَامِ نَعْلَمُهُ      كَمَا رُزِيتَ وَلَا عُقْبَى كَعُقْبَاكَ  
أَصْبَحْتَ وَالْيَ أَمْرِ النَّاسِ كُلِّهِمْ      فَأَنْتَ تَرْعَاهُمْ وَاللَّهُ يَرْعَاكَ  
وَفِي مُعَاوِيَةَ الْبَاقِي لَنَا خَلْفٌ      إِذَا نُعِيتَ وَلَا نَسْمَعُ بِمَنْعَاكَ<sup>(٤)</sup>

يريد أبا ليلي معاوية بن يزيد، ووُلِّيَ بعد أبيه شهوراً، ثم انخلع عن الأمر، فقال القائل:  
وَالْمُلْكُ بَعْدَ أَبِي لَيْلَى لِمَنْ غَلَبَا

## الجمع بين التهنة والتعزية

وأول مَنْ فَتَحَ الباب في الجمع بين تهنة وتعزية عبدُ الله بن همام، فَوَلَّجَهُ النَّاسُ، ومن جَيَّدَ ما قِيلَ فِي ذَلِكَ قَصِيدَةُ أَبِي تَمَامِ الطَّائِي يَمْدَحُ الْوَائِقَ وَيُرثِي الْمَعْتَصِمَ يَقُولُ فِيهَا<sup>(٥)</sup>:

(١) هو عبد الله بن همام بن رياح السلولي، من بني مرة بن صعصعة: شاعر إسلامي، أدرك دولة الأمويين، وبقي إلى أيام سليمان بن عبد الملك، وكان يقال له: «الطار» لحسن شعره. توفي نحو ١٠٠ هـ / ٧١٨ م. (ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٥٤٥/٢).

(٢) أنظر الرواية، وما اشتملت عليه من أبيات شعرية في «العمدة» في محاسن الشعر لابن رشيق القيرواني: ٢٤٢/٢ - ٢٤٣.

(٣) الحباء: العطاء بلا من ولا جزاء.

(٤) «لا نسمع بمنعاك»: دعاء له بطول العمر.

(٥) أبو تمام، الديوان: ١٠٦/٢.

إِنْ أَصْبَحَتْ هَضَبَاتُ قُدْسٍ أَزَالَهَا      قَدَرٌ فَمَا زَالَتْ هِضَابُ شَمَامٍ<sup>(١)</sup>  
 أَوْ يُفَقِّدْ ذُو النُّونِ فِي الْهَيْجَا فَقَدْ      دَفَعَ الْإِلَهُ لَنَا عَنِ الصَّمَامِ<sup>(٢)</sup>  
 أَوْ كُنْتُ مِنَّا غَارِبًا غَدَاً فَقَدْ      رُخْنَا بِأَسْمَى غَارِبٍ وَسَنَامِ<sup>(٣)</sup>  
 تِلْكَ الرَّزِيَّةُ لَا رَزِيَّةَ مِثْلُهَا      وَالْقِسْمُ لَيْسَ كَسَائِرِ الْأَقْسَامِ<sup>(٤)</sup>

وهذا المعنى كثير .

وكان معاوية رحمه الله قد ترك قول الشعر في آخر عمره، فنظر يوماً إلى جارية في داره ذات خلقي رائع، فدعاها فوجدها بكراً فافترعها، وأنشأ يقول<sup>(٥)</sup>:

سَمِمْتُ غَوَايَتِي فَأَرَحْتُ حِلْمِي      وَفِيَّ عَلَى تَحْلُمِي اعْتِرَاضُ  
 عَلَى أَنِّي أُجِيبُ إِذَا دَعَتْنِي      ذَوَاتُ الدَّلِّ وَالْحَقُّ الْمِرَاضُ

### فقر لجماعة الصحابة والتابعين رضي الله عنهم

ابن عباس: الرخصة<sup>(٦)</sup> من الله صدقة، فلا تردوا صدقته. لكل داخل هبة فابدءوه بالتحية، ولكل طاعم حزمة فابدءوه باليمين.

ابن مسعود<sup>(٧)</sup> رحمه الله: الدنيا كلها هموم، فما كان منها في سرور فهو ربح.

(١) قدس: جبل عظيم بنجد، كنى به عن المعتصم، وشمام: جبل لباهلة، كنى به عن الواثق.

(٢) الصمصام والصمصامة: السيف القاطع الصارم، ورجل صمصام: شديد صلب. وذو النون: سيف مشهور عند العرب، كان على مثال سمكة، قيل: كان لعمر بن معدى كرب، وكنى به عن المعتصم.

(٣) الغارب: الكاهل.

(٤) القسّم: النصيب.

(٥) وفي «العمدة» في محاسن الشعر: ٥٥/١:

فَقَدْتُ سَفَاهَتِي وَأَرَحْتُ غَيِّي      وَفِيَّ عَلَى تَحْلُمِي اعْتِرَاضُ  
 عَلَى أَنِّي أُجِيبُ إِذَا دَعَتْنِي      إِلَى حَاجَاتِهَا الْحَقُّ الْمِرَاضُ

(٦) الرخصة: ما شرع للبعد من تخفيف في أداء بعض الفروض الدينية، كقصر الصلاة، وإباحة الفطر للمسافر، وغير ذلك.

(٧) عبد الله بن مسعود: صاحب النبي ﷺ. توفي سنة ٣٢ هـ / ٦٠٢ م بالمدينة، وله «المسند» في الحديث. (بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ٣/١٥٤).

عَمُرُو بن العاص<sup>(١)</sup>: مَنْ كَثُرَ إِخْوَانُهُ كَثُرَ غُرْمَاؤُهُ. وقال: أَكْرَمُوا سَفَهَاءَكُمْ، فَإِنَّهُمْ يَكْفُونَكُمْ العَارَ والنَّارَ.

المُغِيرَةُ بن شُعْبَةَ<sup>(٢)</sup>: العيشُ في بقاءِ الحِشْمَةِ. في كل شيء سَرَفٌ إلا في المعروف. هذا كقول الحسن بن سهل<sup>(٣)</sup> - وقد أَتَّفَقَ في دخول ابنته بُورَانَ على المأمون أموالاً عظيمة - فقيل له: لا خيرَ في السَّرَفِ. قال: لا سَرَفٌ في الخير. فرد اللَّفْظَ واستوفى المعنى.

مَعَاذُ بن جَبَل<sup>(٤)</sup>: الدِّينُ هَدَمَ الدِّينَ.

زياد<sup>(٥)</sup>: إِرْضَ من أخيك إذا وَلَّى ولايةً يَعْشُرُ وُدَّهُ قبلها.

مُصْعَبُ بن الزُّبَيْرِ<sup>(٦)</sup>: التَّوَاضَعُ من مصاديد الشرف.

(١) هو أبو عبد الله، عمرو بن العاص بن وائل بن هشام بن غالب القرشي السهمي: أحد رؤساء قریش في الجاهلية. أسلم قبل الفتح بستة أشهر، فكان أحد أمراء الإسلام، وهو أمير «ذات السلاسل»، ومن دهاة العرب وشجعانهم. توفي سنة ٤٣ هـ/ ٦٦٤ م. (ابن كثير، البداية والنهاية: ٢٦/٨).

(٢) المغيرة بن شعبة الثقفي: من دهاة العرب المعدودين. شهد الحديية، واليمامة، واليرموك، والقادسية، وولاه عمر بن الخطاب الكوفة، ثم عزله عثمان، ثم ولّاه معاوية عليها، فظل أميرها حتى وفاته سنة ٥٠ هـ/ ٦٧٠ م (ابن كثير، البداية والنهاية: ٥٠/٨).

(٣) هو أبو محمد، الحسن بن سهل بن عبد الله الترخسي: وزير المأمون بعد أخيه الفضل (ذي الرياستين)، عُرِفَ بعلوِّ الهمّة، وكثرة العطاء. ثارت عليه المِرَّةُ السوداء في أواخر عمره فتغير عقله، وَحِبِي في داره حتى وفاته سنة ٢٣٥ هـ/ ٨٥٠ م. (ابن خلكان، وفيات الأعيان: ١٢٠/٢).

(٤) معاذ بن جبل: سلطان العلماء، وأعلم الأمة بالحلال والحرام، وقد ورد أن العلماء تأتي تحت رايته يوم القيامة. وهو الذي قال له النبي ﷺ: «إني أحبك يا معاذ». توفي سنة ١٨ هـ/ ٦٤٠ م. (ابن العماد، شذرات الذهب: ٢٩/١).

(٥) هو أبو المغيرة، زياد: أحد ولادة بني أمية الأشداء؛ اختلف في نسبه، لذلك قالوا: ابن أبيه. ولّاه الإمام علي أمر فارس، فضبّطها ضبّطاً حسناً. اعترف به معاوية بن أبي سفيان أخاً، وولّاه أمر البصرة والكوفة. كان خطيباً فصيحاً، وَضُرِبَ بدعائه المثل. توفي سنة ٥٣ هـ/ ٦٧٣ م. (ابن العماد، شذرات الذهب: ٥٩/١).

(٦) مصعب بن الزبير بن العوام القرشي: أحد القادة الشجعان. بايعه على الخلافة أهل البصرة والكوفة سنة ٦٥ هـ. نازل المختار الثقفي، فقصى على ثورته، ونازله عبد الملك بن مروان =

الأخف بن قيس<sup>(١)</sup>: من لم يصبر على كلمة سمع كلمات! وقيل له: من السيد؟ قال: الذي إذا أقبل هابوه، وإذا أدبر عابوه. وله: سرُّك من دَمِكَ. وله: مَنْ تَسْرَعُ إِلَى الناس بما يَكْرَهُونَ قالوا فيه ما لا يَعْلَمُونَ. وله: الكامل مَنْ عُدَّتْ هَفَوَاتِهِ.

وقال يزيد بن محمد المُهَلَّبِي<sup>(٢)</sup>:

وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرَضَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا كَفَى الْمَرْءُ بُسْلاً أَنْ تُعَدَّ مَعَايِيهُ  
الْحَسَنُ الْبَصْرِي<sup>(٣)</sup>: أَلَا تَسْتَحْيُونَ مِنْ طَوْلِ مَا لَا تَسْتَحْيُونَ! ابْنُ آدَمَ رَاحِلٌ إِلَى الْآخِرَةِ  
كل يوم مرحلة. ما أَصْفَكَ مَنْ كَلَّفَكَ إِجْلَالَهُ، ومنَعَكَ مَالَهُ. بدن لا يشتكي مثل مَالٍ لا يُرَكَّى. إن امرءاً ليس بينه وبين آدَمَ أَبٌ حي لَمُعْرِقٍ في الموتى.

قال الطائي<sup>(٤)</sup>:

تَأْمَلْ رُوَيْدًا هَلْ تَعُدَّنْ سَالِمًا إِلَى آدَمَ أَوْ هَلْ تُعَدُّ ابْنَ سَالِمٍ  
وقال أبو نواس<sup>(٥)</sup>:

وَمَا النَّاسُ إِلَّا هَالِكٌ وَابْنُ هَالِكٍ وَذُو نَسَبٍ فِي الْهَالِكِينَ عَرِيْقٌ<sup>(٦)</sup>

- = بأرض «مسكن» فقتله سنة ٧٣ هـ / ٦٩٣ م. (ابن العماد، شذرات الذهب: ٧٩/١).
- (١) هو أبو بحر، الأخف بن قيس بن معاوية بن حصين المري السعدي المنقري التميمي: سيد تميم، وأحد العظماء الدهاء الفصحاء الفاتحين. يُضْرَبُ به المثل في الحلم. ولد في البصرة، وشهد الفتح في خراسان، واعتزل الفتنة يوم الجمل، وشهد صفين مع علي، وولي خراسان. توفي في الكوفة سنة ٧٢ هـ / ٦٩١ م. (الزركلي، الأعلام: ١/٢٧٦).
- (٢) هو أبو خالد، يزيد بن محمد بن المهلب بن المغيرة، من بني المهلب بن أبي صفرة: شاعر، راجز، نديم، راوية، من أهل البصرة. قدم بغداد، ونادم المتوكل العباسي، ومدحه، ورثاه بعد موته. توفي ببغداد سنة ٢٥٩ هـ / ٨٧٣ م. (البغدادي، تاريخ بغداد: ١٤/٣٤٨).
- (٣) هو أبو سعيد، الحسن بن أبي الحسن يسار البصري: من سادات التابعين وكبرائهم. جمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة. نشأ بوادي القرى، وكان من أجمل أهل البصرة، حتى سقط عن دابته، فكسر أنفه. توفي بالبصرة سنة ١١٠ هـ / ٧٢٩ م. (ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٢/٦٩).
- (٤) أبو تمام، الديوان: ١٣٤/٢. والبيت من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق، ويعزیه عن أخيه القاسم بن طوق.
- (٥) أبو نواس، الديوان: ص ٦٢١.
- (٦) رواية الديوان:

أَرَى كُلَّ حَيٍّ هَالِكًا وَابْنَ هَالِكٍ وَذَا نَسَبٍ فِي الْهَالِكِينَ عَرِيْقٍ

إِذَا أُمْتَحَنَ الدُّنْيَا لَيْبٌ تَكْشَفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوِّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ

وكان المأمون يقول: لو قيل للدنيا: صِنِّي نفسك ما عَدَّتْ هذا البيت؛ وهو مأخوذ من قول مُزَاحِمِ الْعُقَيْلِيِّ<sup>(١)</sup>:

قَضَيْنَ الْهَوَى نَمِ ارْتَمَيْنَ قُلُوبَنَا بِأَسْهُمِ أَعْدَاءٍ وَهُنَّ صَدِيقُ

عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَا الْجَزَعُ مِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ؟ وَمَا الطَّمَعُ فِيمَا لَا يُرْجَى؟ لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَلْعَنُ إِبْلِيسَ فِي الْعَلَانِيَةِ وَيُثْوَالِيهِ فِي السِّرِّ.

الشَّعْبِيُّ<sup>(٢)</sup>: إِنِّي لَأَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ إِذَا عَرَفْتُهُ أَلَّا أَرْجِعَ إِلَيْهِ.

### وصف أهل البيت

قطعة من كلام لبني علي بن أبي طالب أَهْلَ الْبَيْتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: [أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ، وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ، وَنَبْعَةُ الْإِيمَانِ، وَصُؤَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ] وَلَهُمْ كَلَامٌ يُعْرَضُ فِي حَلِيِّ الْبَيَانِ، وَيُنَشَّشُ فِي فَصْرِ الزَّمَانِ، وَيُحْفَظُ عَلَى وَجْهِ الدَّهْرِ، وَيَقْضَحُ قَلَاتِدَ الدَّرِّ، وَيُخْجَلُ نَوْرُ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ، وَلَمْ لَا يَطْثُونَ ذُبُولَ الْبَلَاغَةِ، وَيَجْرُثُونَ فَضُولَ الْبَرَاةِ، وَأَبُوهُمْ الرَّسُولُ، وَأُمُّهُمْ الْبَتُولُ<sup>(٣)</sup>، وَكُلُّهُمْ قَدْ غَذِيَ بِدَرِّ الْحَكَمِ<sup>(٤)</sup>، وَرُبِّيَ فِي حِجْرِ الْعِلْمِ:

مَا مِنْهُمْ إِلَّا مُرَبَّى بِالْحِجَى أَوْ مُبَشَّرٌ بِالْأُخُوذِيَّةِ مُؤَدَمٌ<sup>(٥)</sup>

آخر:

(١) هو مزاحم بن عمرو بن مرة بن عُقَيْلٍ، من هوازن: شاعر أموي بدوي فصيح. عاصر الفرزدق وجريراً وذا الرمة، وكان جرير يصفه ويقرظه ويقدمه. ونعت ذو الرمة شعره «بالوحشي الغريب الذي لا يقدر على مثله». توفي سنة ١٢٠ هـ / ٧٣٨ م. (ياسين الأيوبي، معجم الشعراء في لسان العرب: ٣٢٨).

(٢) هو أبو عمرو، عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الشعبي الحميري: راوية، من التابعين، يضرب المثل بحفظه. اتصل بعبد الملك بن مروان، فكان نديمه وسميره، ورسوله إلى الروم. وهو من رجال الحديث الثقات. توفي سنة ١٠٣ هـ / ٧٢١ م. (الزركلي، الأعلام: ٢٥١/٣).

(٣) البتول: لقب مريم عليها السلام، لأنها انقطعت عن الزواج، وظلت عذراء، ثم أطلق على فاطمة بنت النبي ﷺ، تشبيهاً بها في المنزلة عند الله جلَّ وعلا.

(٤) الحكم: الحكمة، ومنه في التنزيل العزيز: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيحًا﴾ (سورة مريم، آية ١٢).

(٥) الأخوذية: الحلق والخفة. مؤدم: حُشي جلده مهارة ونشاطاً وخفة.

نَمَّشُهُ الْعِرَانِينَ مِنْ هَاشِمٍ إِلَى النَّسَبِ الْأَوْضَحِ<sup>(١)</sup>  
إِلَى نَبْعَةٍ فَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ وَمَغْرِسُهَا فِي ذُرَى الْأَبْطَحِ<sup>(٢)</sup>  
وهم كما قال مُسْلِمُ بْنُ بِلَالٍ الْعَدِّي - وقد قيل له: خطب جعفر بن سليمان خطبة لم  
يُرَ أَحْسَنُ مِنْهَا، فَلَا يُدْرَى أَوَّجْهُهُ أَحْسَنُ أَمْ خُطْبَتُهُ؟ فقال: أولئك قوم بنور الخلافة يُشْرِقُونَ،  
وَبِلْسَانِ النُّبُوَّةِ يَنْطَقُونَ، وَفِيهِمْ يَقُولُ الْقَائِلُ:

لَوْ كَانَ يُوجَدُ عَرَفٌ مَجْدٍ قَبْلَهُمْ لَوَجَدْتَهُ مِنْهُمْ عَلَى أَمِيَالِ<sup>(٣)</sup>  
إِنْ جِئْتَهُمْ أَبْصَرْتَ بَيْنَ يُبُوتِهِمْ كَرَمًا يَقِيمُكَ مَوَاقِفَ التَّشَالِ  
نُورُ النُّبُوَّةِ وَالْمَكَارِمِ فِيهِمْ مُتَوَقِّدٌ فِي الشَّيْبِ وَالْأَطْفَالِ<sup>(٤)</sup>

وَسُئِلَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ<sup>(٥)</sup>: مَنْ أْبْلَغُ النَّاسِ؟ فقال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فقال السائل:  
إِنَّمَا أَعْنِي مَنْ دُونَهُ. فقال: معاوية وابنه، وسعيد وابنه، وَإِنَّ ابْنَ الزَّيْبِرِ لَحَسَنُ الْكَلَامِ، وَلَكِنْ  
لَيْسَ عَلَى كَلَامِهِ مَلَحٌ. فقال له رجل: فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ عَلِيٍّ وَابْنِهِ، وَعَبَّاسُ وَابْنِهِ؟ فقال: إِنَّمَا  
عَنَيْتُ مَنْ تَفَارَبَتْ أَشْكَالُهُمْ، وَتَدَانَتْ أَحْوَالُهُمْ، وَكَانُوا كَيْسَهُامِ الْجَعْبَةِ<sup>(٦)</sup>، وَبَنُو هَاشِمٍ أَعْلَامُ  
الْأَنَامِ، وَحُكَّامُ الْإِسْلَامِ.

## فصل لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

### في ذكر قريش، وبنو هاشم

قَدْ عَلِمَ النَّاسُ كَيْفَ كَرَّمُ قَرِيْشٍ وَسَخَاوُهَا، وَكَيْفَ عَقُولُهَا وَدَهَاوُهَا، وَكَيْفَ رَأْيُهَا  
وَذَكَوُهَا، وَكَيْفَ سِيَاسَتُهَا وَتَدْبِيرُهَا، وَكَيْفَ إِجَارُهَا وَتَحْيِيرُهَا<sup>(٧)</sup> وَكَيْفَ رَجَاحَةُ أَحْلَامِهَا إِذَا

- (١) العرانيين: جمع عرين، وهو من كل شيء أَوَّلُهُ.
- (٢) الأبطح: ميل واسع فيه دقاق الحصى، ولعل المراد: أبطح مكة، وهو مبل واديها.
- (٣) العَرَفُ: الريح.
- (٤) الشَّيْبُ: جمع أشيب، وهو الرجل الذي غزا شعر رأسه الشيب.
- (٥) هو أبو محمد، سعيد بن المُسَيَّبِ بن حَزَن بن مخزوم القرشي المدني: أحد الفقهاء البعة بالمدينة، ومن سادات التابعين. جمع بين الحديث والفقه والزهد والعبادة والورع. توفي بالمدينة سنة ٩١ هـ / ٧١٠ م. (ابن خلكان، وفیات الأعيان: ٣٧٥/٢).
- (٦) الجعبة: الكنانة توضع فيها السهام.
- (٧) تحيير الخط والكلام والشعر: تحسينه. وفي رواية «وتحيرها» والمراد ما يقابل الإيجاز، وهو الإطناب.



خَفَّ الحليم، وَحَدَّةُ أَذْهَانِهَا إِذَا كَلَّ الحَديد<sup>(١)</sup>، وَكَيْفَ صَبْرُهَا عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَثَبَاتُهَا فِي اللَّوَاءِ<sup>(٢)</sup>، وَكَيْفَ وَفَاؤُهَا إِذَا اسْتَحْسِنَ الغَدْرُ، وَكَيْفَ جُودُهَا إِذَا حُبَّ المَالِ، وَكَيْفَ ذِكْرُهَا لِأَحَادِيثِ غَدٍ، وَقَلَّةُ صَدُودِهَا عَنِ جِهَةِ القَصْدِ<sup>(٣)</sup>، وَكَيْفَ إِقْرَارُهَا بِالحَقِّ، وَصَبْرُهَا عَلَيْهِ، وَكَيْفَ وَصْفُهَا لَهُ، وَدَعَاؤُهَا إِلَيْهِ، وَكَيْفَ سَمَاحَةِ أَخْلَاقِهَا، وَصَوْنُهَا لِأَعْرَاقِهَا، وَكَيْفَ وَصُلُوعِ قَدِيمَتِهِمْ بِحَدِيثِهِمْ، وَطَرِيفَتِهِمْ بِتَلِيدِهِمْ، وَكَيْفَ أَشْبَهَ عِلَانِيَتِهِمْ سِرَّهُمْ وَقَوْلُهُمْ فِعْلُهُمْ. وَهَلْ سَلَامَةٌ صَدِرَ أَحَدُهُمْ إِلَّا عَلَى قَدَرٍ بُعِدَ غَوْرُهُ<sup>(٤)</sup>؟ وَهَلْ غَفَلَتُهُ إِلَّا فِي وَزْنِ صَدَقِ ظَنِّهِ، وَهَلْ ظَنَّهُ إِلَّا كَيِّفِينَ غَيْرَهُ؟

وقال عمر: إنك لا تتنفع بعقله حتى تتنفع بظنه.

قال أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ<sup>(٥)</sup>:

الْأَلْمَعِيُّ الَّذِي يَظُنُّ لَكَ الـ ظَنَّ كَأَن قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا<sup>(٦)</sup>

وقال آخر:

مَلْبِغٌ نَجِيجٌ أَخُو مَازِنٍ فَصِيحٌ يُحَدِّثُ بِالنَّائِبِ

وقال بَلْعَاءُ بْنُ قَيْسٍ:

وَأَبْغَى صَوَابَ الرَّأْيِ أَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا طَاشَ ظَنُّ الْمَرْءِ طَاشَتْ مَقَادِرُهُ<sup>(٧)</sup>

بل قد علم الناس كيف جمالها وقوامها، وكيف نماؤها وبهاؤها، وكيف سرورها

(١) الحديد: القوي الذهن.

(٢) اللأواء: الشدة.

(٣) القصد: الغرض.

(٤) الغور: القعر من كل شيء. ومنه: فلان بعيد الغور: عميق النظر أو الفكر، وهو بحر لا يُدرك غوره.

(٥) هو أبو شريح، أوس بن حجر بن مالك التميمي: من كبار شعراء تميم في الجاهلية. وفي نسبه خلاف بعد أبيه حجر. وهو زوج أم زهير بن أبي سلمى. عمر طويلاً ولم يدرك الإسلام. وكان غزلاً مغرمًا بالنساء. توفي سنة ٦٢٠ م. (زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية: ١/١٥٥؛ لويس شيخو، شعراء النصرانية: ١/٤٩٢).

(٦) الألمعي واليلمعي: الذكي المتوقد الحديد اللسان والقلب. والبيت في ديوانه: ص ٥٣؛ وفي لسان العرب: ٤٠٧٦/٥ (لمع).

(٧) الطيش: الترق والخفة. ومنه: طاش السهم عن الهدف: عدل عنه ولم يقصد الرمية.

وَنَجَابَتُهَا<sup>(١)</sup>، وكيف بيانها وجَهَارَتُهَا، وكيف تفكيرها وبَدَاهَتُهَا، فالعَرَبُ كَالْبَدَنِ وقريشٌ روحُها، وقريشٌ روحٌ وبني هاشم سرها ولُبُّها، وموضع غاية الدين والدنيا منها، وبني هاشمٌ مِلْحُ الأرض، وزينة الدنيا، وحلى العالم، والسنام الأضخم، والكاهل الأعظم، ولُبَابُ كُلِّ جوهر كريم، وسِرُّ كُلِّ عُنْصُرٍ شريف، والطينة البيضاء، والمغرس المبارك، والنصاب الوثيق<sup>(٢)</sup>، ومَعْدَنُ الفهم، ونبوع العلم، وثَهْلَانُ ذُو الهضاب في الحِلْمِ<sup>(٣)</sup>، والسيفُ الحُسام في العِزِّمِ<sup>(٤)</sup> مع الأناة والحِزْمِ، والصفح عن الجرم، والقصد عند المعرفة، والعفو بعد المقدرة، وهم الأنفُ المَقْدَمُ، والسنام الأكرم، وكالماء الذي لا يَنْجَسُهُ شيء، وكالشمس التي لا تَخْفَى بكل مكان، وكالذهب لا يُعْرِفُ بالنقصان، وكالنجم للخيَرَانِ، والبارد للظمَانِ، ومنهم الثَّقَلَانِ، والشهيدان، والأطيسان، والسَّبْطَانِ، وأسد الله<sup>(٥)</sup>، وذو الْجَنَاحَيْنِ<sup>(٦)</sup>، وذو قَرْنَيْهَا، وسَيِّدُ الوادي، وساقِي الحَجِيجِ، وحَلِيمُ البَطْحَاءِ، والبَحْرُ، والحبر<sup>(٧)</sup>، والأنصار أنصارهم، والمهاجرون مَنْ هاجر إليهم أو معهم، والصَّدِّيقُ مَنْ صدقهم، والفاروق من فَرَّقَ بين الحق والباطل فيهم، والحواريُّ حواريتهم، وذو الشهادتين لأنه شَهِدَ لهم، ولا خَيْرَ إِلَّا لهم أو فيهم أو معهم، أو يُضَافُ إليهم، وكيف لا يَكُونُونَ كذلك ومنهم رسولُ رب العالمين، وإمامُ الأولين والآخرين، ونجيبُ المرسلين، وخاتمُ النبيين، الذي لم يَتمْ لَبي نُبُوَّةٌ إِلَّا بعد التصديق به، والبشارة بمجيئه، الذي عمَّ برسالته ما بين الخافقين، وأظهره الله على الدين كله وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ؟.

### بين الحسن بن علي السبط وحبيب بن مسلمة الفهري

قال الحسن بن علي عليهما السلام لحبيب بن مسلمة الفهري: رَبِّ مَسِيرٍ لَكَ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ! قال: أَمَّا مَسِيرِي إِلَى أَيْكَ فَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ! قال: بلى! أَطَعْتَ فَلَانًا عَلَى دُنْيَا يَسِيرَةٍ، ولعمري لئن كَانَ قَامَ بِكَ فِي دُنْيَاكَ لَقَدْ قَعَدَ بِكَ فِي دِينِكَ، فلو أَنَّكَ إِذْ فَعَلْتَ شَرًّا قُلْتَ خَيْرًا كُنْتَ كَمَنْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ

(١) السرو: الشرف. والنجابة: كرم الحسب.

(٢) النصاب: الأصل.

(٣) تهلان: اسم جبل.

(٤) الحسام: القاطع.

(٥) أسد الله: حمزة بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ.

(٦) ذو الجناحين: جعفر بن أبي طالب، شهيد يوم مؤتة.

(٧) الحبر: هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب مفسر القرآن الكريم.

عَلَيْهِمْ<sup>(١)</sup> ولكنك كما قال: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ<sup>(٢)</sup>﴾.

### صفة الحسن بن علي السبط

وكان الحسن عليه السلام جواداً، كريماً، لا يرذُّ سائلاً، ولا يَقْطَعُ نائلاً، وأعطى شاعراً مالا كثيراً فقبل له: أُنْعِطِي شاعراً يَعْصِي الرَّحْمَنَ، [ويطيع الشيطان]، ويقول البُهْتَانُ؟ فقال: إِنَّ خَيْرَ مَا بَدَلْتُ مِنْ مَالِكَ مَا وَقَيْتَ بِهِ عِرْضَكَ، وَإِنْ مِنْ ابْتِغَاءِ الْخَيْرِ اتِّقَاءَ الشَّرِّ.

وقد روي مثلُ ذلك عن الحسين رضي الله عنه، وقيل: إِنَّ شاعراً مدحه فَأَجَزَلَ ثوابه، فليَمَّ على ذلك، فقال: أُنْزِلْنِي خِفْتُ أَنْ يَقُولَ: لست ابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ ولا ابن علي بن أبي طالب! ولكنني خِفْتُ أَنْ يَقُولَ: لست كرسول الله ﷺ، ولا كعلي رضي الله عنه؛ فَيَصَدَّقْ، وَيُحْمَلَ عَنْهُ، وَيَبْقَى مُخْلَداً فِي الْكُتُبِ، مُحْفَوظاً عَلَى أَلْسِنَةِ الرُّوَاةِ. فقال الشاعر: أَنْتَ وَاللَّهِ يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْرِفُ بِالْمَدْحِ وَالذَّمِّ مَنِي.

### محمد بن الْحَنْفِيَّة يَرِثِي أَخَاهُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ

ولما تُوَفِّيَ الْحَسَنُ أَدْخَلَهُ قَبْرَهُ الْحُسَيْنُ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ثُمَّ وَقَفَ مُحَمَّدٌ عَلَى قَبْرِهِ وَقَدْ اغْرُورِقَتْ عَيْنَاهُ بِالْدموعِ، وَقَالَ: رَحِمَكَ اللَّهُ أَبَا مُحَمَّدٍ! فَلَنْ عَزَّتْ حَيَاتُكَ، لَقَدْ هَدَّتْ وَفَاتُكَ، وَلِنَعْمَ الرُّوحُ رُوحٌ تَضَمَّنَهُ بِدَنُكَ؛ وَلِنَعْمَ الْجَسَدُ جَسَدٌ تَضَمَّنَهُ كَفَنُكَ، وَلِنَعْمَ الْكَفَنُ كَفَنٌ تَضَمَّنَهُ لِحُلُوكُكَ، وَكَيْفَ لَا تَكُونُ كَذَلِكَ وَأَنْتَ سَلِيلُ الْهَدْيِ، وَخَامِسُ أَصْحَابِ الْكِسَاءِ، وَخَلَفُ أَهْلِ النَّقْيِ؟ جَدُّكَ النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى، وَأَبُوكَ عَلِيُّ الْمُرْتَضَى، وَأُمُّكَ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءِ، وَعَمُّكَ جَعْفَرُ الطَّيَّارِ فِي جَنَّةِ الْمَأْوَى، وَغَدَتُكَ أَكْفُ الْحَقِّ، وَرَبَّيْتُكَ فِي حِجْرِ الْإِسْلَامِ، وَرَضَعْتَ ثَدْيَ الْإِيمَانِ، فَطَبَّتْ حَيًّا وَمَيِّتًا؛ فَلَنْ كَانَتْ الْأَنْفُسُ غَيْرَ طَيِّبَةٍ لِفِرَاقِكَ؛ إِنَّهَا غَيْرُ شَاكَّةٍ أَنْ قَدْ خَيْرَ لَكَ، وَإِنَّكَ وَأَخَاكَ لَسَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَعَلَيْكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ مِنَ السَّلَامِ.

### رجل من ولد أبي سفيان بن الحارث يَرِثِي الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ

وقام رجلٌ من ولد أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب على قَبْرِهِ، فقال: إِنَّ أَقْدَامَكُمْ قَدْ نَقَلْتُ، وَإِنْ أَعْنَاكُمْ قَدْ حَمَلْتُ إِلَى هَذَا الْقَبْرِ وَلِيًّا مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ يُبَشِّرُ نَبِيَّ اللَّهِ

(١) سورة التوبة، آية (١٠٢).

(٢) سورة المطففين، آية (١٤).

بمقدمه، وتَفْتَحُ أبوابَ السماء لروحهِ، وتَبْهَجُ الحورُ العِينُ بِلِقائِهِ<sup>(١)</sup>، وَيَأْنَسُ به سادةُ أهل الجنة من أُمَّتِهِ، وَيُوَحِّشُ أَهْلَ الحِجَا والدين فَقْدَهُ، رحمة الله عليه، وعنده تُحْتَسَبُ المصيبةُ به.

### ألفاظ لأهل العصر في ذكر المصيبة بأبناء النبوة

قد نُعِيَ سليلٌ من سُلالة النبوة، وفَرَعٌ من شجرة الرسالة، وعُضْوٌ من أعضاء الرسول، وجزءٌ من أجزاء الوصيِّ والبتول<sup>(٢)</sup>. كتبت وليتني ما كتبت وأنا ناعي الفضل من أقطاره، وداعي المجد إلى شقِّ ثوبِهِ وصدَّارِهِ، ومخبر أن شمس الكرم واجبة<sup>(٣)</sup> والمآثر مودَّعة، وبقايا النبوة مرتفعة، وآمال الإمامة منقطعة، والدين منخِذٌ واجم<sup>(٤)</sup>، وللتقوى دمعان هام وساجم<sup>(٥)</sup>. كتابي وقد شُلَّتْ يمينُ الدهر، وفُقِّتْ عينُ المجد، وقَصُرَ باعُ الفضل، وكُسِفَتْ شمسُ المساعي، وخُسِفَ قمر المعالي، وتَجَدَّدَ في بيت الرسالة رُزُّ جدد المصائب، واستعاد النَّوائبُ؛ كل هذا لفقدٍ من حَطِّ الكرم برِّعِهِ، ثم أدرج في بُرْدِهِ، وامترج المجدُ به، فَذُفِنَ بِدَفْنِهِ. إنها لمصيبةٌ عَمَتْ بَيْتَ الرسالة، وغَضَّتْ طَرْفَ الإمامة، وتحقِّتْ جانب<sup>(٦)</sup> الوحي المُنزَّل، وذُكِرَتْ بموت النبي المُرسَل. كتبت والدهرُ ينعي مُهَجَّتَهُ والمجدُ يندُبُ بِهَجَّتَهُ، ومهابط الوحي والرسالة تني ظهورها أسفاً، ومآقي الإمامة والوصية والرسالة تُذْري دموعها لهفاً؛ وذلك أن حادثَ قضاء الله استأثر بفِرْعِ النبوة، وعنصر الدين والمروعة.

### [رجع إلى كلام أهل البيت]

#### بين الحسن بن علي وأخيه محمد بن الحنفية

ووقع بين الحسن ومحمد بن الحنفية<sup>(٧)</sup> لِحاء، ومَشَى الناسُ بَيْنَهُمَا بالثَّمائم، فكتب

- (١) الحور العين: لقب نساء أهل الجنة. والهور: جمع حوراء، وهي البيضاء، أو هو من الحور، وهو شدة بياض بياض العين مع شدة سواد سوادها. والعين: جمع عينا، وهي الواسعة العينين.
- (٢) الوصي: هو الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، والبتول: لقب فاطمة الزهراء عليها السلام.
- (٣) وجبت الشمس: غابت.
- (٤) واجم: مطرق عبوس.
- (٥) هام: سائل، من همى الدمع أو المطر إذا سال، والساجم مثله.
- (٦) تحققت: انتقصت.
- (٧) هو أبو القاسم، محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي، المعروف بابن الحنفية: كان نهاية في العلم، وغاية في العبادة. أمه خولة بنت جعفر الحنفية، وقد نُسِبَ إليها تمييزاً له عن أخويه الحسن والحسين عليهما السلام. توفي سنة ٨١ هـ / ٧٠٠ م. (ابن العماد، شذرات الذهب: ٨٨/١).

إليه محمد بن الحنفية: أمّا بعد فإنّ أبي وأباك عليّ بن أبي طالب؛ لا تفضلني فيه ولا أفضلك، وأمي امرأة من بني حنيفة، وأمك فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، فلو ملكت الأرض بمثل أُمّي لكانت أمك خيراً منها؛ فإذا قرأت كتابي هذا فأقدم حتى ترضاني، فإنك أحق بالفضل مني.

### خطبة للحسين بن علي

وخطب الحسين بن علي رضوان الله عليهما غداة اليوم الذي استشهد فيه، فحمد الله تعالى وأثنى عليه؛ ثم قال: يا عباد الله، اتقوا الله، وكونوا من الدنيا على حذر؛ فإنّ الدنيا لو بقيت على أحد [أو بقي عليها أحد] لكانت الأنبياء أحقّ بالبقاء، وأولى بالرضا، [وأرضى] بالقضاء؛ غير أنّ الله تعالى خلق الدنيا للفناء، فجديدها بال، ونعيمها مضمحل، وسرورها مكفهر<sup>(١)</sup>، منزل تُلعة، ودار قُلعة<sup>(٢)</sup>؛ فترودوا فإنّ خير الزاد التقوى، واتقوا الله لعلكم تفلحون.

### بين معاوية والحسين بن علي

وكان لمعاوية بن أبي سفيان عينٌ بالمدينة يكتبُ إليه بما يكون من أمور الناس وقريش، فكتب إليه: إنّ الحسين بن عليّ أعنق جارية له وتزوجها؛ فكتب معاوية إلى الحسين: من أمير المؤمنين معاوية إلى الحسين بن عليّ. أمّا بعد، فإنه بلغني أنك تزوجت جاريك، وتركت أكفأك من قریش، ممّن تستنجبه للولد، وتمجد به في الصهر، فلا لنفسك نظرت، ولا لولدك انتفتت.

فكتب إليه الحسين بن علي: أمّا بعد، فقد بلغني كتابك، وتغيّرك إياي بأنّي تزوجت مولاتي، وتركت أكفائي من قریش، فليس فوق رسول الله مُتّهى في شرف، ولا غاية في نسب؛ وإنما كانت ملك يميني، خرجت عن يدي بأمر التمسّت فيه ثواب الله تعالى؛ ثم ارتفعت على سنة نبيه ﷺ، وقد رفع الله بالإسلام الخيسة، ووضع عنّا به النقيصة؛ فلا لوم على امرئ مسلم إلّا في أمرٍ ماثم، وإنما اللوم لوم الجاهلية.

فلما قرأ معاوية كتابه بذه إلى يزيد فقرأه، وقال: لشدّ ما فخر عليك الحسين! قال: لا، ولكنها السنة بني هاشم الحداد التي تفلق الصخر، وتغرف من البحر!

(١) مكفهر: مُغير.

(٢) التلعة: ما ارتفع من الأرض، وما انهبط منها، وهي من الأضداد. ودار قلعة: أي انقلاع وذهاب.

### من شعر الحسين بن علي

والْحُسَيْنُ - رضي الله عنه! - هو القائل<sup>(١)</sup>:

لَعَمْرُكَ إِنَّنِي لِأَحَبُّ دَارًا      تَحُلُّ بِهَا سُكَيْنَةُ وَالرِّبَابُ  
أُجِبُّهَا وَأَبْذُلُ كُلَّ مَالِي      وَلَيْسَ لِإِلَائِمٍ عِنْدِي عِتَابُ  
سُكَيْنَةُ: ابنته، والرباب: أمُّها، وهي بنت امرئ القيس [بن الجرو] الكلبية.

### لابن أبي ربيعة في سُكَيْنَةَ بنت الحسين

وفي سُكَيْنَةَ يقول عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي<sup>(٢)</sup> كذباً عليها<sup>(٣)</sup>:

قَالَتْ سُكَيْنَةُ وَالْدَمُوعُ ذَوَارِفُ      تَجْرِي عَلَى الْخَدَّيْنِ وَالْجَلْبَابِ<sup>(٤)</sup>  
لَيْتَ الْمُغِيرِيِّ الَّذِي لَمْ أَجْزِهِ      فِيمَا أَطَالَ تَصِيدِي وَطِلَابِي<sup>(٥)</sup>  
كَانَتْ تَرُدُّ لَنَا الْمُتَى أَبَّامَنَا      إِذْ لَا نُسْلَامُ عَلَى هَوَى وَتَصَابِ  
خُبِّرْتُ مَا قَالَتْ فَبِتُّ كَأَنَّمَا      يُرْمَى الْحَشَى بِنَوَافِدِ الثُّنَابِ<sup>(٦)</sup>  
أَسْكِينُ مَا مَاءُ الْفُرَاتِ وَطَيْبُهُ      مِنِّي عَلَى ظَمَأٍ وَفَقْدِ شَرَابِ<sup>(٧)</sup>  
بِالَّذِ مِنْكَ، وَإِنْ نَأَيْتِ، وَقَلَمَا      تَرَعَى النِّسَاءُ أَمَانَةَ الْغِيَابِ  
إِنْ تَبَذَّلِي لِي نَائِلًا أَشْفِي بِهِ      دَاءَ الْفُؤَادِ فَقَدْ أَطْلَتِ عَذَابِي<sup>(٨)</sup>

(١) البیتان فی «العمدة» فی محاسن الشعر لابن رشيق القيرواني: ٥٥/١.

(٢) هو أبو الخطاب، وأبو حفص، عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي: من أكابر شعراء الغزل وأشهرهم، كان يشبب بكل جميلة، حتى كثرت النساء في شعره. ولم يكن في قريش أشعر منه. وقيل: إنه مات غرقاً سنة ٩٣ هـ/ ٧١٢ م. (الأصفهاني، الأغاني: ٧١/١؛ جبرائيل جبور، عمر بن أبي ربيعة (ثلاثة أجزاء)).

(٣) عمر بن أبي ربيعة، الديوان: ١١١/١.

(٤) ذوارف: مُرافقة، وقد ذرف الدمع: أراقه. الجلباب: ثوب طويل يستر ما دونه.

(٥) المغيري: لقب عمر، نسبة إلى جده المغيرة. وفي الديوان: «الذي لَمْ تَجْزِهِ». والتصيد: المطاردة. الطلاب: شدة الطلب.

(٦) الحشا: مطاوي البطن. الثناب: السهام. والنوافذ: الصائبة المخترقة.

(٧) في الديوان: «مَنَّا عَلَى ظَمَأٍ وَحَبِّ شَرَابٍ».

(٨) في الديوان:

أَنْ تَبَذَّلِي لِي نَائِلًا يُشْفِي بِهِ      سَقَمُ الْفُؤَادِ فَقَدْ أَطْلَتِ عَذَابِي  
والنائل: العطاء. وسقم الفؤاد: الوجد.

وَعَصَيْتُ فِيكَ أَقَارِبِي وَتَقَطَّعْتُ      بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ عُرَى الْأَسْبَابِ<sup>(١)</sup>  
فَكَرَّحْتَنِي لَا بِالْوِصَالِ مُتَّعَاً      مِنْهُمْ، وَلَا أَسْعَفْتَنِي بِثَوَابِ<sup>(٢)</sup>  
فَقَعَدْتُ كَالْمُهْرِيْقِ فَضْلُهُ مَائِهِ      فِي حَرِّ هَاجِرَةٍ لِلْمَعِ سَرَابِ<sup>(٣)</sup>

### سُكَيْنَةُ تَرثِي مُصْعَبَ بْنِ الزُّبَيْرِ

وكانت سُكَيْنَةُ من أجمل نساء زمانها وأعقلهنَّ، وكان مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ قد جَمَعَ بينها وبينَ عائشةَ بنتِ طَلْحَةَ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ؛ فلما قُتِلَ مُصْعَبُ قالت سُكَيْنَةُ:

فَإِنْ تَقَتَّلُوهُ تَقَتَّلُوا الْمَاجِدَ الَّذِي      يَرَى الْمَوْتَ إِلَّا بِالسَّيْفِ حَرَامَا  
وَقَبْلَكَ مَا خَاضَ الْحُسَيْنُ مَيَّةً      إِلَى الْقَوْمِ حَتَّى أَوْرَدُوهُ حِمَامَا

### لِعلي بن الحسين

وقال علي بن الحسين<sup>(٤)</sup> رحمه الله: لو كان أناسٌ يعرفونَ جُمْلَةَ الحالِ في فضل الاستبانة، وجُمْلَةَ الحالِ في فضل التبيين: لأعربوا عن كل ما يتلَجَّلُجُ في صدورهم، وَلَوْ جَدُّوا من بَرْدِ اليقين ما يغنيهم عن المنازعة إلى كل حال سوى حالهم، على أن إدراك ذلك كان لا يعلهم في الأيام القليلة العُدَّة، والفكرة القصيرة المَدَّة، ولكنهم من بين مغمورٍ بالجهل، ومفتونٍ بالعُجْب، ومعدولٍ بالهوى عن بابِ الثَّبَتِ، ومصرفٍ بسوء العادة عن فَضْلِ التعلُّم.

وقال رضي الله عنه: المرءُ يُفْسِدُ الصداقةَ القديمة، ويَحُلِّ العُقْدَةَ الوثيقة، وأَقْل ما فيه أن تكونَ به المغالبة، والمغالبةُ من أَمْتَن أسباب القطيعة.

ومن دعائه: اللهم ارزُقني خوفَ الوعيد، وسرورَ رجاء الموعود، حتى لا أَرْجُو إلا ما رَجَّيْتُ، ولا أخاف [إلا] ما خَوَّفْتُ.

- (١) العرى: جمع عروة، وهي ما يصل لفقتي الثوب. والأسباب: الحبال.
- (٢) الثواب هنا: ما ينتظره العاشق من محبوبه من القرب، فهو كالمكافأة على صبره.
- (٣) المَهْرِيْقُ: المُرِيْقُ، يقال: أراق وهراق بمعنى: هَدَرَ وأسال ما عنده. وفضلة الماء: ما بقي عنده. والهاجرة: شدة الحرِّ نهاراً. والمَرَّاب: ما يترأى للمسافر وقت الظهيرة أنه ماء وليس بماء.
- (٤) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي: كان مضرب المثل في الجود والتقوى والحلم، وكان يقوت نحو مائة بيتٍ سِرّاً، وحين توفي عرف الناس مصدر قوتهم. توفي سنة ٩٤ هـ / ٧١٣ م.

## الفرزدق يمدح علياً زين العابدين بن الحسين

وحجَّ هشام بن عبد الملك<sup>(١)</sup>، أو الوليد أخوه، فطاف بالبيت وأراد استلام الحجر فلم يقدر، فَنَصِبَ له مَنَبْرٌ فجلس عليه؛ فبينا هو كذلك إذ أَقْبَلَ علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب<sup>(٢)</sup> رضي الله عنه في إزار ورداء، وكان أحسن الناس وجهاً، وأعطاهم رائحة؛ وأكثرهم خشوعاً، وبين عينيه سَجَّادة<sup>(٣)</sup>، كأنها رُكبة عترة، وطاف بالبيت، وأتى لِيَسْتَلِمَ الحجر، فتَحَّى له الناسُ هيبَةً وإجلالاً، فغاض ذلك هشاماً؛ فقال رجلٌ من أهل الشام: مَنْ الَّذِي أكرمَه الناسُ هذا الإكرام، وأعظموه هذا الإعظام؟ فقال هشام: لا أعرفه، لكنا يَعْظُمُ في صدور أهل الشام؛ فقال الفرزدق<sup>(٤)</sup> وكان حاضراً<sup>(٥)</sup>:

هذا ابنٌ خَيْرِ عِبَادِ الله كُلِّهِمْ	هذا النَّسِيُّ النَّسِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ
هذا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطَائِنَهُ	وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ <sup>(٦)</sup>
إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا	إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الْكِرَمُ
يَكَادُ يُسِيكُهُ عِرْفَانُ رَاحَتِهِ	رُكْنُ الْحَاطِمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ <sup>(٧)</sup>

(١) هو أبو الوليد، هشام بن عبد الملك، الخليفة الأموي: عُرف بجودة الرأي، والحزم والحلم. دامت خلافته عشرين سنة إلّا شهراً. توفي سنة ١٢٥ هـ / ٧٤٣ م. (ابن العماد، شذرات الذهب: ١/١٦٣).

(٢) زين العابدين: توفي سنة ٩٤ هـ / ٧١٣ م بالمدينة، ودفن في البقيع في قبر عمه الحسن بن علي السبط. (ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٣/٢٦٧).

(٣) المراد بالسجادة: أثر السجود.

(٤) هو أبو فراس، همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم التميمي، الشهير بالفرزدق: شاعر من الطبقة الأولى، من أهل البصرة. نشأ على حب آل البيت، ثم انضم إلى شعراء الأمويين تكسباً لا اعتقاداً. تهاجى مع جرير والأخطل زماناً طويلاً. توفي ببادية البصرة سنة ١١٠ هـ / ٧٢٨ م. (ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ١/٣٨١؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ١/٢٠٩).

(٥) الفرزدق، الديوان: ١٧٨/٢.

(٦) البطحاء: أرض منبسطة، ومسيل واسع في وسطه مكة. الوطأة: موضع القدم. البيت: الكعبة.

(٧) الحل: ما جاوز الحرم من الأرض. والحرم: ما لا يحل انتهاكه، ويراد به مكة وما جاورها من أرض. الراحة: الكف. الركن: الجانب الأقوى. والحطيم: ما بين ركن الكعبة والباب، وقيل: جدار الكعبة، أو الحجر الأسود فيها. يستلم: يلمس للتبرك. أي أن حجر الكعبة يعرف كفت زين العابدين، فيكاد يمسكه شغفاً به.



- فِي كَفِّهِ خَيْرُ زُرَّانٍ رِيحُهُ عَيْنٌ  
فِي كَفِّ أَرْوَعٍ فِي عِرْنِيهِ شَمٌّ<sup>(١)</sup>  
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ  
فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ<sup>(٢)</sup>  
مُسْتَقَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ نَبْعَتُهُ  
طَابَتْ عَنَاصِرُهُ وَالْخَيْمُ وَالشِّبْمُ<sup>(٣)</sup>  
يُنْمِي إِلَى ذُرْوَةِ الْعِزِّ الَّتِي قَصُرَتْ  
عَنْ نَيْلِهَا عَرَبُ الْإِسْلَامِ وَالْعَجَمُ<sup>(٤)</sup>  
يَتَجَابُّ نُورَ الْهَدْيِ عَنْ نُورِ غُرَّتِهِ  
كَالشَّمْسِ يَتَجَابُّ عَنْ إِشْرَاقِهَا الْقَتْمُ<sup>(٥)</sup>  
حَمَّالٌ أَثْقَالِ أَقْوَامٍ إِذَا اقْتَرَحُوا  
حُلُوَ الشَّمَائِلِ تَحْلُو عِنْدَهُ نَعَمُ<sup>(٦)</sup>  
هَذَا ابْنُ فَاطِمَةَ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَهُ  
بِحَدِّهِ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ قَدْ خُتِمُوا<sup>(٧)</sup>  
اللَّهُ فَضْلُهُ قَدْ مَاءً وَشَرَفُهُ  
جَرَى بِذَلِكَ لَهُ فِي لَوْحِهِ الْقَلَمُ<sup>(٨)</sup>  
مَنْ جَدُّهُ دَانَ فَضْلُ الْأَنْبِيَاءِ لَهُ  
وَفَضْلُ أُمَّتِهِ دَانَتْ لَهُ الْأُمَمُ  
عَمَّ الْبَرِيَّةَ بِالْإِحْسَانِ فَاِنْقَشَعَتْ<sup>(٩)</sup>  
عَنْهَا الْغَيْبَةُ وَالْإِمْلَاقُ وَالظُّلْمُ

- (١) الأروغ: الذكي الرزق، وهو الفؤاد. العرين: الأنف كله، وقيل: هو ما صلب من عظمه، وعرين كل شيء: أوله. الشمم: الارتفاع.  
(٢) يغضي: يغض من بصره.  
(٣) نبعته: شجرته، أي: أصله الكريم. والخيم: الشيمة والطبيعة والخلق والسجية، والخيم: الأكسل، قال الشاعر: (ابن منظور، لسان العرب: خيم).  
وَمَنْ يَبْتَدِعُ مَا لَيْسَ مِنْ خَيْمِ نَفْسِهِ  
يَدْعُهُ وَيَغْلِيهِ عَلَى النَّفْسِ خَيْمُهَا  
والشِّبْمُ: جمع الشيمة، وهي الخلق والطبيعة.  
(٤) ينمي: ينسب، ويروى:  
يُنْمِي إِلَى ذُرْوَةِ الدِّينِ الَّتِي قَصُرَتْ  
عَنْهَا الْأَكْفُ وَعَنْ إِدْرَاكِهَا الْقَتْمُ  
(٥) القَتْمُ والقَتَام: الغبار. ويروى:  
يَنْشَقُّ ثَوْبُ الدُّجَى عَنْ نُورِ غُرَّتِهِ  
كَالشَّمْسِ يَتَجَابُّ عَنْ إِشْرَاقِهَا الظُّلْمُ  
(٦) يروى: «إذا افتدحوها». افتدح وفدح: أثقل. الشمائيل: الطباع، الخصال.  
(٧) فاطمة: هي فاطمة الزهراء، بنت النبي ﷺ، وزوج الإمام علي كرم الله وجهه، جد زين العابدين. أي: هو ابن بنت النبي محمد ﷺ.  
(٨) اللوح: الكتاب الذي يطر فيه القضاء والقدر لكل إنسان، أي أنه كتب له التشريف والتعظيم منذ القدم.  
(٩) انقشعت: انجلت. الغيبة (من الأرض): المُنْهَطُ منها، وغيبة كل شيء: قعره، تقول: وقعت في غيبة وغيبة، أي في هبطة، ومنه: غيبة الحب والوادي ونحوهما، قال تعالى: ﴿قَالَ قَاتِلْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهَ فِي غِيَابَةِ الْحُبِّ﴾ (سورة يوسف، آية ١٠). ويروى: «عنها» =

كَلَّمَا يَدِيهِ غِيَاثٌ عَمَّ نَفْعُهُمَا  
 سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ  
 لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ مَيِّمُونَ بِغُرَّتِهِ  
 مَا قَالَ «لَا» قَطُّ إِلَّا فِي تَشْهِيدِهِ  
 مِنْ مَعْشَرِ حُبِّهِمْ دِينٌ، وَبُغْضِهِمْ  
 يُسْتَدْفَعُ السُّوءُ وَالْبَلَاءُ بِحُبِّهِمْ  
 مُقَدِّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذِكْرَهُمْ  
 إِنْ عُدَّ أَهْلُ الثَّقَى كَانُوا أَئِمَّتَهُمْ  
 لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادُ بُعْدَ غَايَتِهِمْ  
 هُمْ الْغِيَاثُ إِذَا مَا أَزَمَتْ أَزَمَتْ  
 يَأْبَى لَهُمْ أَنْ يَحُلَّ الذُّمُّ سَاحَتَهُمْ  
 لَا يَنْقُصُ الْعُسْرُ بَسْطاً مِنْ أَكْفَهُمْ  
 أَيُّ الْخَلَائِقِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ  
 مَنْ يَعْرِفِ اللَّهَ يَعْرِفِ أَوْلِيَّتَهُ  
 وَلَيْسَ قَوْلُكَ مَنْ هَذَا بِضَائِرِهِ  
 تَسْتَوْكِفَانِ وَلَا يَعْرِوهُمَا الْعُدْمُ<sup>(١)</sup>  
 تَزِينُهُ الْإِثْنَانِ الْحِلْمُ وَالْكَرَمُ<sup>(٢)</sup>  
 رَحْبُ الْفَنَاءِ أَرِيبٌ حِينَ يَتَنَزَّمُ<sup>(٣)</sup>  
 لَوْلَا التَّشْهِيدُ كَانَتْ لَأَعَهُ نَعَمُ  
 كُفْرٌ، وَقُرْبُهُمْ مَنَجَى وَمُعْتَصَمُ  
 وَيُسْتَرْبُ بِهِ الْإِحْسَانُ وَالنَّعَمُ<sup>(٤)</sup>  
 فِي كُلِّ بَدْءٍ وَمَخْتَوْمٌ بِهِ الْكَلِمُ  
 أَوْ قَبْلَ مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ قَبْلَ هُمْ  
 وَلَا يُدَانِيهِمْ قَوْمٌ وَإِنْ كَرُمُوا  
 وَالْأَسَدُ أَسَدُ الشَّرَى وَالْبَأْسُ مُحْتَدِمُ<sup>(٥)</sup>  
 خِيَمٌ كَرِيمٌ وَأَيْدٍ بِالنَّدَى هُضْمُ<sup>(٦)</sup>  
 سَيِّانَ ذَلِكَ إِنْ أَثَرُوا وَإِنْ عَدِمُوا  
 لِأَوْلِيَّةِ هَذَا أَوْ لَهُ نِعَمُ<sup>(٧)</sup>  
 فَالْدَيْنِ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالُهُ الْأُمَمُ<sup>(٨)</sup>  
 الْعُرْبُ تَعْرِفُ مِنْ أَنْكَرَتْ وَالْعَجَمُ<sup>(٩)</sup>

= الْغِيَاثُ وَالْإِمْلَاقُ وَالْعُدْمُ. الْغِيَاثُ: الظلمات. وَالْإِمْلَاقُ: الفقر.

- (١) غِيَاثٌ: غَوْثٌ وَعَوْنٌ. اسْتَوْكَفَ: اسْتَقَطَرَ الْمَطَرُ وَاسْتَدْعَى جَرِيَانَهُ. وَالْعُدْمُ: الْفَقْرُ.
- (٢) وَيُرْوَى: «بَرِيْنُهُ اثْنَانِ حُسْنُ الْخَلْقِ وَالشَّيْمُ». وَالْخَلِيقَةُ: الطَّبْعُ. وَالْبَادِرَةُ: مَا يَبْدُو مِنَ الْإِنْسَانِ عِنْدَ الْغَضَبِ.
- (٣) الْمَيِّمُونَ: الَّذِي يَحَالِفُهُ الْخَيْرُ وَالْيَمْنُ فِي كُلِّ حَالٍ. الْأَرِيبُ: الْوَافِرُ الْعَقْلُ.
- (٤) يُسْتَرْبُ: يَسْتَزَادُ.
- (٥) الْأَزْمَةُ: الشَّدَّةُ. الشَّرَى: الْجَبَلُ بِتَهَامَةٍ كَثِيرِ السَّبَاعِ، وَيَضْرِبُ الْمَثَلُ بِهَا لَضَرَاوَتِهَا وَشَدَّةَ فَتْكِهَا.
- (٦) هُضْمٌ: جَمْعُ هَضِيمٍ، وَهُوَ الْكَثِيرُ الْإِنْفَاقِ.
- (٧) الْأَوْلِيَّةُ: الْأَبَاءُ وَالْأَجْدَادُ، وَالْمَرَادُ هُنَا: جَدُّهُ الْأَكْبَرُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَلُّ بَيْتِهِ الْكَرَامُ.
- (٨) وَيُرْوَى: «مَنْ يَشْكُرُ اللَّهَ يَشْكُرْهُ أَوْلِيَّةٌ ذَا».
- (٩) ضَائِرُهُ: مُضِرُّهُ، أَيْ مُحِطٌّ مِنْ شَأْنِهِ.

وقد روي أن الحزین الکِنَانِي<sup>(١)</sup> وَفَدَّ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وهو أميرٌ على مصر فأنشده قصيدة منها:

لَمَّا وَقَفْتُ عَلَيْهِ فِي الْجُمُوعِ ضَحَى      وَقَدْ تَعَرَّضْتُ الْحُجَابُ وَالْخَدَمُ  
حَيَّيْتُهُ بِسَلَامٍ وَهُوَ مُرْتَفِقٌ      وَضَجَّةُ الْقَوْمِ عِنْدَ الْبَابِ تَزْدَحِمُ<sup>(٢)</sup>  
فِي كَفِّهِ خَيْرَانِ . . . . . وَالْبَيْتُ الَّذِي يَلِيهِ<sup>(٣)</sup>.

### لِلأَخْطَلِ فِي قَتْمِ بْنِ الْعَبَّاسِ

ويقال: إنها لِداود بن سلم<sup>(٤)</sup> فِي قَتْمِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ<sup>(٥)</sup>، وهو الذي يقول فيه الْأَخْطَلُ<sup>(٦)</sup>:  
وَلَقَدْ غَدَوْتُ عَلَى التَّجَارِ بِسَمَحٍ      هَرَّتْ عَوَاذِلُهُ هَرِيرَ الْأَكْلِبِ<sup>(٧)</sup>

(١) هو أبو الحكم، عمرو بن عبيد بن وهيب بن مالك، ويعرف أيضاً بـأبي الشعثاء، والحزین لقب غلب عليه: شاعر حجازي، أموي، مطبوع، هجاء، خبث اللسان، يرضيه السير، وليس ممن خدم الخلفاء أو مدحهم. توفي نحو ١٠٠ هـ / ٧١٨ م. (الأمدي، المؤلف والمختلف: ١٢٢؛ زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية: ٢٩٥/١؛ الأيوبي، معجم الشعراء في لسان العرب: ١٢٠).  
(٢) مرتفق: متكئ على مرقفه.

(٣) فِي كَفِّهِ خَيْرَانِ . . . . . وَالْبَيْتُ الَّذِي يَلِيهِ: رواهما ابن رشيقي القيرواني في (العمدة: ١٣٨/٢) ونسبهما إلى الحزین الکِنَانِي أولاً، ثم أشار إلى أن البعض ينسبهما إلى اللعين المنقري، وإلى داود بن سلم في مدح قَتْمِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.  
(٤) داود بن سلم، المعروف بالأدلم، مولى بني تميم من مرة بن كعب، وقيل: مولى آل أبي بكر: شاعر حجازي مجيد، رفيق الشعر، من أهل المدينة، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وقد عرف بالأدلم لسواده وطوله، ويعرف أيضاً بالآدم والأرمل. توفي سنة ١٣٢ هـ / ٧٦٠ م. (الأصفهاني، الأغاني: ١١/٦؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء: ٩٥/١١).

(٥) هو قَتْمِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: كان أكثر بني هاشم شبيهاً بالنبي ﷺ، وهو آخر من طلع من لحده الشريف. استشهد بسمرقند سنة ٥٦ هـ / ٦٧٨ م. (ابن العماد، شذرات الذهب: ٦١/١).

(٦) هو أبو مالك، غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو، من بني تغلب، والأخطل لقب غلب عليه: شاعر أموي فحل، ولد بالحيرة، وأخذ يتنقل بإقامته بين دمشق والجزيرة. اتصل بالأميرين ومدحهم، واختص بعبد الملك بن مروان. اشتغل بمهاجاة جرير إلى أن مات. توفي ٩٥ هـ / ٧١٣ م. (ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٣٩٣/١؛ البغداد، خزائن الأدب: ٤٥٩/١).

(٧) هَرَّتْ: صاحت.

لَذَّ يُقْبَلُهُ النِّعَمُ، كَأَنَّمَا      مُسِحَتْ تَرَائِيْهُ بِمَاءٍ مُّذْهَبٍ<sup>(١)</sup>  
لِبَّاسِ أَرْدِيَةِ الْمُلُوكِ نَرُوْفُهُ      مِنْ كُلِّ مُرْتَقِبٍ عُيُونُ الرَّبْرِ<sup>(٢)</sup>  
يَنْظُرْنَ مِنْ خَلَلِ الثُّورِ إِذَا بَدَا      نَظَرَ الْهَجَانِ إِلَى الْفَنِيقِ الْمُصْعَبِ<sup>(٣)</sup>

ويقال: بل قالها في علي بن الحسين اللعين المنقري<sup>(٤)</sup>، وسمي اللعين لأن عمر سمعه يُشد شعراً والناس يُصلُّون، فقال: مَنْ هذا اللعين؟ فعلق به هذا الاسم وَلَيَقْلَهُ مَنْ شاء، فقد أحسن ما شاد وأجاد وزاد<sup>(٥)</sup>.

### لذي الرمة يمدح بلال بن أبي بردة

وقال ذو الرمة<sup>(٦)</sup> في بلال بن أبي بردة بن موسى الأشعري:  
مِنْ آلِ أَبِي مُوسَى تَرَى النَّاسَ حَوْلَهُ      كَأَنَّهُمُ الْكَرْوَانُ عَايَنَ بَازِيَا<sup>(٧)</sup>  
فَمَا يَعْرِفُونَ الضُّحْكَ إِلَّا تَبَسُّمًا      وَلَا يَنْسُونُ الْقَوْلَ إِلَّا تَنَاجِيَا<sup>(٨)</sup>  
وَمَا الْفُحْشُ مِنْهُ بِزَهَبُونَ وَلَا الْخَنَا      عَلَيْهِ، وَلَكِنْ هَيِّئْ هِيَ مَاهِيَا  
فَتَى السَّنَّ، كَهَلِّ الْحِلْمِ، يُسْمَعُ قَوْلُهُ      يُوَارِزُ أَدْنَاهُ الْجَبَالَ الرَّوَاسِيَا

- (١) الترائب: موضع القلادة من الصدر. المذهب: الممزوج بالذهب.
- (٢) أردية: جمع رداء؛ ثوب. الربرب: القطيع من بقر الوحش، والظباء، لا واحد له. والمراد به: النساء.
- (٣) الهجان من الإبل: البيض الكرام، والهجان من كل شيء: الخالص. والفنيق: المكرم. المصعب: الجمل الذي لم يُركب.
- (٤) هو أبو أكيكر، مُنَازِلُ بن ربيعة، وقيل: بن زَمْعَةَ، من بني منقر بن كعب بن سعد: شاعر أموي هجاء سليط، تعرّض للفرزدق وجريز، فلم يلتفتا إليه، وكان أكثر هجائه في الأضياف. لقّبه (اللعين)، عمر بن الخطاب عندما سمعه يشد شعراً والناس يُصلُّون. توفي سنة ٧٥ هـ / ٦٩٥ م. (ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٤٠٧/١؛ الأيوبي، معجم الشعراء في لسان العرب: ٣٠٥).
- (٥) يريد أن الشعر جيد بغض النظر عن قائله.
- (٦) هو أبو الحارث، غيلان بن عقبة بن بهشي بن مسعود بن ربيعة، من بني عدي، وسمي ذا الرمة لقوله في الوند: «وَأَشْعَثُ بَاقِي رَمَةِ التَّقْلِيدِ». وهو من عشاق العرب المشهورين. ولد ونشأ بالبادية، وكان يذهب في شعره مذهب الجاهليين. قال حماد الراوية: إنه أحسن الإسلاميين تشبيهاً. توفي سنة ١١٧ هـ / ٧٣٥ م. (ابن سلام، طبقات الشعراء: ٥٤٩؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ٢٢٠/١).
- (٧) الْكَرْوَانُ (بكر الكاف): جمع الْكَرْوَانِ (بفتح الكاف): طائر مُعَرَّد. البازي: الصقر.
- (٨) يَنْسُونُ: ينطقون.

## للبحترى يمدح الفتح بن خاقان

ومن أجود ما للمحدثين في ذلك قول أبي عبادة البُحْثَرِيّ في الفتح بن خاقان:

وَلَمَّا حَضَرْنَا سُدَّةَ الإِذْنِ أُحْثِرْتُ      رَجَالٌ عَنِ الْبَابِ الَّذِي أَنَا دَاخِلُهُ  
فَأَفْضَيْتُ مِنْ قُرْبٍ إِلَى ذِي مَهَابَةٍ      أَقَابِلُ بَدْرَ النِّمِّ حِينَ أَقَابِلُهُ  
بَدَا لِي مَحْمُودُ السَّجِيَّةِ شُمُورَتْ      سَرَائِلُهُ عَنْهُ وَطَالَتْ حَمَائِلُهُ<sup>(١)</sup>  
كَمَا انْتَصَبَ الرُّمْحُ الرُّدَيْنِيُّ ثَقُفْتُ      أَنَابِيئَهُ وَاهْتَزَّ لِلطَّعْنِ عَامِلُهُ<sup>(٢)</sup>  
وَكَالْبَدْرِ وَافْتَنَّهُ لِنِمْ سَعُودُهُ      وَتَمَّ سَنَاهُ وَاسْتَهَلَّتْ مَنَازِلُهُ  
فَسَلَّمْتُ فَاغْتَاقَتْ جَنَانِي هَيْبَةً      تُنَازِعُنِي الْقَوْلَ الَّذِي أَنَا قَائِلُهُ<sup>(٣)</sup>  
إِلَى مُسْرِفٍ فِي الْجُودِ لَوْ أَنَّ حَاتِمًا      لَدَيْهِ لِأَضْحَى حَاتِمٌ وَهُوَ عَادِلُهُ  
فَلَمَّا تَأَمَّلْتُ الطَّلَاقَةَ وَانْشَى      إِلَيَّ يَبْشُرٍ انْشَنَى مَخَابِلُهُ<sup>(٤)</sup>  
دَنُوتٌ فَقَبَّلْتُ التَّدَى مِنْ يَدِ امْرِئٍ      جَمِيلٍ مُجِبَّاهُ سِبَاطٍ أَنَامِلُهُ<sup>(٥)</sup>  
صَفْتُ مِثْلَ مَا تَصَفُّو المُدَامُ خِلَالَهُ      وَرَقْتُ كَمَا رَقَّ النَّسِيمُ شَمَائِلُهُ<sup>(٦)</sup>

ووقعت حرب بالجزيرة بين بني تغلب، فتولى الإصلاح بينهم الفتح بن خاقان<sup>(٧)</sup> فقال  
البُحْثَرِيّ فيما تعلق بعضه بذكر الهيبة<sup>(٨)</sup>:

- (١) السرايل: جمع السريال: القميص، الثوب. والحمايل: جمع حمالة (بكسر الحاء): علاقة السيف.
- (٢) الرمح الرديني: نسبة إلى امرأة اسمها ردينة كانت تعمل بثقيف الرماح وبيعها. وعامل الرمح: صدره.
- (٣) اغتاق وعاق: منع. والجنان: القلب.
- (٤) المخايل: جمع مخيلة، وهي الدلالة.
- (٥) سباط: طوال، كناية عن الكرم.
- (٦) هذه الأبيات في ديوان البحترى: ٦٣/١.
- (٧) هو أبو محمد، الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطوج: أديب، شاعر، فصيح، كان في نهاية الفطنة والذكاء. فارسي الأصل، من أبناء الملوك. اتخذته المتوكل العباسي أخاً له، واستوزره، وجعل له إمارة الشام على أن يُبَيِّع عنه، وكان يقدمه على سائر أهله وولده. قُتِلَ مع المتوكل سنة ٢٤٧ هـ/ ٨٦١ م. (الزركلي، الأعلام: ١٣٣/٥).

(٨) هذه المقطوعة من قصيدة طويلة مطلعها:

ضَمَانٌ عَلَى عَيْنِكَ أَنِّي لَا أَسْلُو      وَأَنَّ فُؤَادِي مِنْ جَوَى بِكَ لَا يَخْلُو  
(البحترى، الديوان: ٧١/١).

بَنِي تَغْلِبٍ أَعَزُّ عَلَيَّ بِأَنْ أَرَى  
خَلَّتْ دِمْنَةٌ مِنْ سَاكِنِهَا وَأَوْحَشَتْ  
إِذَا مَا التَّمَوُا يَوْمَ الْهَبَاجِ تَحَاجَزُوا  
كَفَيَّ مِنَ الْأَحْيَاءِ لَأَقَى كَفِيَّةً  
إِذَا مَا أَخْجَرَ الرِّمَاحَ انْتَهَى لَهُ  
تَحَوُّطُهُمُ الْبَيْضُ الرِّفَاقُ، وَضُمُّرٌ  
يَطْعَنُ يَكْبُ الدَّارِعِينَ دِرَاكُهُ  
تَجَافَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الَّتِي  
وَكَانَتْ يَدُ الْفَتْحِ بَنَ خَافَانَ عِنْدَكُمْ  
وَلَوْلَاهُ طُلَّتْ بِالْعُقُوقِ دِمَاؤُكُمْ  
تَلَايَيْتَ يَا فَتْحُ الْأَرْقَمِ بَعْدَ مَا  
وَهَبْتَ لَهُمُ بِالسَّلَامِ بَاقِي نَفْسِهِمْ  
أَتَاكَ وَفُودُ الشُّكْرِ يُثْنُونَ بِالَّذِي

دِيَارَكُمْ أَمْسَتْ وَلَيْسَ لَهَا أَهْلٌ  
مَرَابِعُ مِنْ سِنَجَارَ يَهْمِي بِهَا الْوَبْلُ<sup>(١)</sup>  
وَلِلْمَوْتِ فِيمَا بَيْنَهُمْ قِسْمَةٌ عَدْلٌ  
وَمِثْلُ مَنْ الْأَقْوَامِ زَاخَفَهُ مِثْلُ<sup>(٢)</sup>  
أَخٌ لَا بَلِيدٌ فِي الطَّعَانِ وَلَا وَغْلُ<sup>(٣)</sup>  
عِتَاقُ، وَأَنْسَابٌ بِهَا يُدْرِكُ التَّبْلُ<sup>(٤)</sup>  
وَضَرْبٌ كَمَا تَرْعُو الْمُخَزَّمَةُ الْبُزْلُ<sup>(٥)</sup>  
عَلِمْتُمْ، وَلِلْجَانَيْنِ فِي مِثْلِهَا التَّكْلُ<sup>(٦)</sup>  
يَدُ الْغَيْثِ عِنْدَ الْأَرْضِ أَجْدَبَهَا الْمَحْلُ<sup>(٧)</sup>  
فَلَا قَوْدٌ يُعْطَى الْأَذْلُ وَلَا عَقْلُ<sup>(٨)</sup>  
سَقَاهُمْ بِأَوْحَى سُمِّهِ الْأَرْقَمُ الصَّلُ<sup>(٩)</sup>  
وَقَدْ أَشْرَفُوا أَنْ يَسْتَمَّهُمُ الْقَتْلُ<sup>(١٠)</sup>  
تَقَدَّمَ مِنْ نِعْمَاكَ عِنْدَهُمْ قَبْلُ

- (١) سنجار: مدينة في نواحي الجزيرة، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام. يهمي: ينسكب. الوبل: المطر الشديد.
- (٢) الكَفِيَّةُ: النظير، الشبيه. زاحفه: نازله.
- (٣) الْوَعْلُ: الضعيف النذل.
- (٤) البيض الرقاق: السيوف المرهفة المُرْفَقَةُ. والضمير العتاق: الخيول الضامرة الكريمة. والتَّبلُ: الثَّار.
- (٥) الدارعون: اللأبسو الدُّرُوع. دراكه: تتابعه. ترغو: تصيح. والمخزمة: التي وُضِعَ فِي شَدَقِهَا الْخَزَامُ. والبز: جمع بازل، وهو البعير البالغ من العمر تسع سنين.
- (٦) التَّكْلُ: الفقد.
- (٧) المحل: الجذب.
- (٨) طُلَّتْ: هُدِرَتْ. والقَوْدُ: القصاص. والعَقْلُ: الدية.
- (٩) أَوْحَى سُمُّهُ: أسرع. والأرقم الصل: الحية التي تقتل إذا نهشت من ساعتها، وقيل: التي لا تنفع فيها الرُّقِيَّة.
- (١٠) أشرفوا وأشرفوا: قاربوا.

فَلَمْ أَرِ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرُ سُودَدًا      مِّنَ الْيَوْمِ ضَمَّتْهُمْ إِلَى بَابِكَ الشُّبُلُ<sup>(١)</sup>  
 تَرَاءَوْكَ مِنْ أَقْصَى السَّمَاطِ فَقَصَّروا      خُطَاهُمْ، وَقَدْ جَازَوْا الشُّوْرَ وَهُمْ عَجُلُ<sup>(٢)</sup>  
 وَلَمَّا قَضَوْا صَدَرَ السَّلَامِ تَهَافَّتُوا      عَلَى يَدِ بَسَامِ سَجِيئَتُهُ الْبَذْلُ  
 إِذَا شَرَعُوا فِي خُطْبَةٍ قَطَعَتْهُمْ      جَلَالَةُ طَلْقِ الْوَجْهِ جَانِبُهُ سَهْلُ<sup>(٣)</sup>  
 إِذَا نَكَّسُوا أَبْصَارَهُمْ مِنْ مَهَابَةٍ      وَمَالُوا بِلَحْظِ خِلَتِ أَنَّهُمْ قُبْلُ<sup>(٤)</sup>  
 نَصَبَتْ لَهُمْ طَرْفًا حَدِيدًا، وَمَنْطَقًا      سَدِيدًا، وَرَأْيًا مِثْلَ مَا انْتَضَى النَّصْلُ<sup>(٥)</sup>  
 وَسَلَّتْ سَخِيمَاتِ الصَّدُورِ فَعَالِكَ الـ      كَرِيمُ، وَأَبْرَأَ غِلْهَا قَوْلُكَ الْفَضْلُ<sup>(٦)</sup>  
 بِكَ التَّامُ الشَّعْبُ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ      عَلَى حِينِ بُعْدٍ مِنْهُ، وَاجْتَمَعَ الشَّمْلُ<sup>(٧)</sup>  
 فَمَا بَرَحُوا حَتَّى تَعَاطَتْ أَكْفُهُمْ      قِرَاكَ، فَلَا ضِغْنَ لَدَيْهِمْ وَلَا دَحْلُ<sup>(٨)</sup>  
 وَجَرُّوا ذِيُولَ الْعَصَبِ تَصْفُو ذِيُولَهَا      عَطَاءُ كَرِيمٍ مَا تَكَاءَدَهُ بُخْلُ<sup>(٩)</sup>  
 وَمَا عَمَّهُمْ عَمْرُو بْنُ غَنَمٍ بِنِسْبَةٍ      كَمَا عَمَّهُمْ بِالْأَمْسِ نَائِلُكَ الْجَزْلُ  
 فَمَهْمَا رَأَوْا مِنْ غِبْطَةٍ فِي اضْطِلَاحِهِمْ      فَمِنْكَ بِهَا التَّعْمَى جَرَتْ وَلَكَ الْفَضْلُ

عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل بن قاسط.

وللطائيين [أبي تمام والبُخترى] في ذلك أشعار كثيرة مختارة، منها قول البحترى يُحذِّرُ  
 عاقبة الحرب<sup>(١٠)</sup>:

(١) الشُّبُلُ: جمع سبيل، وهو الطريق، والمراد بالسبيل هنا: الحاجات.

(٢) عَجُلُ: جمع أعجل، وهو المُسرِع.

(٣) طلق الوجه: مُشرق، وافر البُشر.

(٤) قُبْلُ: جمع أقبل، وهو الذي ينظر بانحراف، كأنما ينظر إلى أنفه.

(٥) النَّصْلُ: السيف.

(٦) السخيمات: جمع سخيمة: الحقد.

(٧) التَّامُ الشعب: اجتمع.

(٨) القرى: ما يُقدَّم للضيف من طعام وشراب ونحوهما. والذهل: الغل.

(٩) تكاءده: منعه وَشَقَّ عليه.

(١٠) هذه القطعة من قصيدة طويلة يمدح بها هيثم بن هارون بن المعمر، ومطلعها:

أَمِنْكَ تَأْوُبُ الطَّيْفِ الطَّرُوبِ      حَبِيبُ جَاءَ يُهْدِي مِنْ حَبِيبِ  
 (البحترى، الديوان: ١/٤٤٠).

أَمَّا لِرَبِيعَةِ الْفَرَسِ انْتِهَاءٌ  
وَكَانُوا رَفَعُوا أَيَّامَ سَلَمٍ  
إِذَا مَا الْجُرْحُ رَمَّ عَلَى فَسَادٍ  
رَزِيَّةُ هَالِكٍ جَلَبَتْ رَزَايَا  
يُثْقُ الْجَيْبُ ثُمَّ يَجِيءُ أَمْرٌ  
وَقَبْرِ عَنْ أَيَّامِنِ بَرْقَعِيدٍ  
يَسُحُّ تُرَابُهُ أَبَدًا عَلَيْهَا  
فَهَلْ لِابْنِي عَدِيٍّ مِنْ رَشِيدٍ  
أَخَافُ عَلَيْهِمَا إِمْرَارَ مَرْعَى  
وَأَعْلَمُ أَنَّ حَرْبَهُمَا خَبَالٌ  
لَعَلَّ أَبَا الْمُعَمَّرِ يَتْلِيهَا  
فَكَمْ مِنْ سُودِدٍ قَدْ بَاتَ يُعْطِي  
أَهْيَمَ يَابْنَ عَبْدِ اللَّهِ، دَعَايَ  
تَنَاسَ ذُنُوبَ قَوْمِكَ إِنَّ حِفْظَ الذِّ  
فَلَلَسَهُمُ السَّيِّدُ أَحَبُّ غَبَا  
مَتَى أَحْرَزْتَ نَصْرَ بَنِي عَيْدٍ  
فَقَدْ أَصْبَحْتَ أَغْلَبَ تَغْلِييَ

عَنْ الزَّلْزَالِ فِيهَا وَالْحُرُوبِ<sup>(١)</sup>  
عَلَى تِلْكَ الضَّغَائِنِ وَالنَّدُوبِ<sup>(٢)</sup>  
تَيَّيَّنَ فِيهِ تَفَرِّسُ الطَّيِّبِ  
وَحَطَبُ بَاتٍ يَكْشِفُ عَنْ خَطُوبِ  
يُصَغَّرُ فِيهِ تَشْقِيقُ الْجُيُوبِ  
إِذَا هِيَ نَاحَرَتْ أَفْقَ الْجَنُوبِ<sup>(٣)</sup>  
عَبَادًا مِنْ مُرَاقٍ دَمٍ صَيِّبِ<sup>(٤)</sup>  
يَرُدُّ شَرِيدَ حِلْمِهِمَا الْعَزِيبِ<sup>(٥)</sup>  
مِنْ الْكِلَالِ الَّذِي عُقْبَاهُ تُوبِي<sup>(٦)</sup>  
عَلَى الدَّاعِي إِلَيْهَا وَالْمُجِيبِ  
يُبْعِدُ لَهُمُ وَالصَّدْرِ الرَّحِيبِ<sup>(٧)</sup>  
عَطِيَّةً مُكْتَثِرٍ فِيهَا مُطِيبِ  
مُشِيرٍ بِالنَّصِيحَةِ أَوْ مُهَيِّبِ<sup>(٨)</sup>  
نُوبٍ إِذَا قَدُمْنَ مِنَ الذَّنُوبِ  
إِلَى الرَّامِي مِنَ السَّهْمِ الْمُصِيبِ<sup>(٩)</sup>  
إِلَى إِخْلَاصٍ وَدُّ بَنِي حَيْبِ  
عَلَى أَيْدِي الْعَشِيرَةِ وَالْقُلُوبِ

(١) ربيعة الفرس: أبو قبيلة، وهو نزار بن معد بن عدنان. والزلازل: الشدة والهول.

(٢) الندوب: جمع ندبة، وهي أثر الجرح. وفي الديوان: «على تلك القوارح والندوب».

(٣) برقعيد: بلدة بالموصل. ناحرت: قابلت.

(٤) العهاد: المطر الخفيف في الربيع.

(٥) العزيز: من العزوب، وهو الذهاب والغيبة.

(٦) توبي: تهلك. وفي الديوان: «الذي عُلِّفَهُ مُوبِي». والمُوبِي: ذو الوباء.

(٧) يتليها: يتبعها. والهَمُّ هنا: بمعنى الهمة. وفي الديوان: «والصدر الرحيب».

(٨) مُهَيِّب: دافع. وفي الديوان: «مُشِيدٌ بِالنَّصِيحَةِ».

(٩) غَبَا: عاقبة.



يناسب قوله:

إذا ما الجرح رَمَّ على فسادٍ

قول أبي الطيب المتنبي لعلّي بن إبراهيم التّونخي أحد بني القصيص<sup>(١)</sup>:

فَلَا تَغْرُرْكَ أَلْسِنَةُ مَوَالٍ      تَقْلِبُهُنَّ أَفْتَدَةً أَعَاذِي<sup>(٢)</sup>  
وَكُنْ كَالْمَوْتِ لَا يَرْتِي لِبَاكِ      بَكَى مِنْهُ، وَيَرَوِي وَهُوَ صَادٍ<sup>(٣)</sup>  
فَإِنَّ الْجُرْحَ يَنْغَرُّ بَعْدَ حِينٍ      إِذَا كَانَ الْبِنَاءُ عَلَى فَسَادٍ<sup>(٤)</sup>

وفي هذه القصيدة:

كَأَنَّ الْهَامَ فِي الْهَيْجَا عِيُونٌ      وَقَدْ طُبِعَتْ سِيُوفُكَ مِنْ رُقَادٍ<sup>(٥)</sup>  
وَقَدْ صُنِغَتِ الْأَسِنَّةُ مِنْ هُمُومٍ      فَمَا يَخْطُرُنَّ إِلَّا فِي فُؤَادٍ<sup>(٦)</sup>

كَأَنَّ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ مِنْ هَذَيْنِ يَنْظُرُ إِلَى قَوْلِ مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ<sup>(٧)</sup> مِنْ طَرَفٍ خَفِيِّ:

وَلَوْ أَنَّ قَوْمًا يَخْلُقُونَ مَيِّةً      مِنْ بَأْسِهِمْ كَانُوا بَنِي جَبْرِيلَا  
قَوْمٌ إِذَا أَحْمَرَ الْهَجِيرُ مِنَ الْوَعَى      جَعَلُوا الْجَمَاحَ لِلْسُيُوفِ مَقِيلَا<sup>(٨)</sup>

(١) هذه الأبيات من قصيدة طويلة مطلعها:

أَحَادُ أَمْ سُدَّاسٌ فِي أَحَادٍ      لَيْلَتَنَا الْمُنُوطَةُ بِالشَّادِي

(المتنبي، الديوان: ٢٠٨/١ - ٢١٢).

(٢) الموالى: جمع المولى، وهو الصديق. والأفتدة: جمع فؤاد. يقول: إِنَّ أَلْسِنَتَهُمْ تُظْهِرُ لَكَ الصداقة، وقلوبهم تبطن العداوة، فلا تغتر بظاهريهم.

(٣) الصادي: العطشان: أي يشرب ما يرويه، ولا يزال مشتاقاً إلى الشرب.

(٤) نَغَرَ الجرح: هاج وورم. يريد: أنهم يطوون العداوة في أنفسهم إلى أن تمكنهم الفرصة.

(٥) الهام: الرؤوس. الهيجاج: من أسماء الحرب، تُمَدُّ وَتَقْصَرُ. وطبع السيف: طرقة وعمله.

(٦) الأسنة: نصال الرماح.

(٧) هو أبو الوليد، مسلم بن الوليد الأنصاري، المعروف بصريح الغواني: شاعر غزل، من شعراء الدولة العباسية، من أهل الكوفة. مدح الرشيد والبرامكة، وعدداً من الرؤساء والوزراء، ويقال: إن الرشيد كتب شعره بماء الذهب. وهو أول من وسّع فن البديع في الشعر. توفي سنة ٢٠٨ هـ / ٨٢٣ م. (ابن المعتز، طبقات الشعراء: ٢٣٤؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٩٦/١٣).

(٨) احمرار الهجير: هو وقت الظهر، كناية عن سيل الدماء فيه.

وإنما أخذه [أبو الطيب] من قول منصور النميري<sup>(١)</sup>، وذكر سيفاً:

ذَكَرْتُ، بِرَوْقِهِ الدِّمَاءُ، كَأَنَّمَا      يَغْلُو الرِّجَالَ بِأَرْجَوَانٍ فَاقِعٍ<sup>(٢)</sup>  
وَتَرَى مَسَافِطَ شَفَرَتَيْهِ كَأَنَّهَا      مِلْحٌ بَدَدَ مَنْ وَرَاءَ السِّدَّارِ  
وَتَرَاهُ مُعْتَمّاً إِذَا جَرَّدَتْهُ      يَدَمِ الرِّجَالِ عَلَى الْأَدِيمِ النَّاقِعِ<sup>(٣)</sup>  
وَكَأَنَّ وَقَعَتَهُ بِجُمُجُمَةِ الْفَتَى      خَذَرُ الْمُدَامَةِ أَوْ نَعَاسُ الْهَاجِعِ

أردت هذا البيت، وقول النميري:

وَتَرَاهُ مُعْتَمّاً إِذَا جَرَّدَتْهُ

يشير إليه قول أبي الطيب، وذكر سيفاً<sup>(٤)</sup>:

يَيْسَ النَّجِيعُ عَلَيْهِ فَهُوَ مُجَرَّدٌ      مِنْ غَمْدِهِ وَكَأَنَّمَا هُوَ مُغْمَدٌ<sup>(٥)</sup>  
رَيَّانٌ لَوْ قَذَفَ الَّذِي أَسْفَيْتَهُ      لَجَرَى مِنَ الْمُهْجَاتِ بَحْرٌ مُزِيدٌ<sup>(٦)</sup>

وبنو عبيد، وبنو حبيب - اللذان ذكرهما البُحْتَرِيُّ - هم: بنو عبيد بن الحارث بن بكر بن حبيب بن عمرو بن عُثْمَ بن تَغْلِبَ، وحبيب بن الهَجْرَس بن نيم بن سَعْد بن جُشْم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن عُثْمَ بن تَغْلِبَ، وفيهم حبيب بن حَرْقَةَ بن تَغْلِبَ بن بكر بن حبيب بن عمرو بن عُثْمَ بن تَغْلِبَ، فلا أدري أيهما أراد!

### للبحتري أيضاً

وقال البحتري<sup>(٧)</sup>:

- (١) هو أبو القاسم، منصور بن الزبرقان بن سلمة بن شريك النميري: شاعر من أهل الجزيرة الفراتية. اتصل بهارون الرشيد ومدحه. كان تلميذاً لكلثوم بن عمرو العتابي، ومن بحره استقى. توفي نحو ١٩٠ هـ / ٨٠٥ م. (ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٧٣٦/٢).
- (٢) سيف ذكر: من الذُكْرَة (بضم الذال)، وهي الحدة. والأرجوان: صيغ أحمر. وفائع: صفة يراد بها المبالغة، فكل ناصع اللون فائع، وأكثر ما يوصف به الأحمر والأصفر.
- (٣) معتم: جمد الدم عليه حتى صار له كالعمامة. والناقع: الذي تَرَوَّى بالدم.
- (٤) المتنبي، الديوان: ١٦٦/١.
- (٥) النجيع: الدم. يقول: إن الدم الجامد عليه قد صار كالغمد له حتى يرى كأنه مغمد وهو مجرد.
- (٦) الريّان: المروّي. والمهجّات: دماء القلوب. وبحر مزبد: يرمي بالزبد. يقول: إنك سقيته من دماء القلوب ما لو مَجَّه لجرى من تلك الدماء بحر مزبد.
- (٧) البحتري، الديوان: ١٠/١ - ١١.

- أَسَيْتُ لِأَخَوَالِي رِيْعَةً أَنْ عَفَتْ  
بِكُرْهِیْ أَنْ بَاتَتْ خَلَاءَ دِیَارِهَا  
إِذَا افْتَرَقُوا مِنْ وَفَعَةٍ جَمَعَتْهُمْ  
تَذِمُّ الْفَتَاةُ الرُّودُ شِمَةَ بَعْلِهَا  
حَمِيَّةُ شَعْبٍ جَسَاهِلِيٍّ وَعِزَّةُ  
وَفُرْسَانٍ هَيَّجَاءٍ تَجِيشُ صُدُورَهُمْ  
تُقَسِّلُ مِنْ وَتَرٍ أَعَزَّ نَفْسِهَا  
إِذَا احْتَرَبَتْ يَوْمًا فَفَاضَتْ دِمَاؤُهَا  
شَوَاجِرُ أَرْمَاحٍ تَقْطَعُ بَيْنَهَا  
فَكُنْتُ أَمِينَ اللَّهِ مَوْلَى حَيَاتِهَا  
مَصَايِفُهَا مِنْهَا، وَأَقْوَتْ رُبُوعُهَا<sup>(١)</sup>  
وَوَحْشًا مَغَانِيَهَا، وَشَتَّى جَمِيعُهَا<sup>(٢)</sup>  
دِمَاءٌ لِأُخْرَى مَا يُطْلُ نَجِيعُهَا<sup>(٣)</sup>  
إِذَا بَاتَ دُونَ الشَّارِ وَهُوَ ضَجِيعُهَا<sup>(٤)</sup>  
كِلَابِيَّةٌ أَعْيَا الرِّجَالُ خُضُوعُهَا  
بِأَحْقَادِهَا حَتَّى تَضِيقَ دُرُوعُهَا  
عَلَيْهَا بِأَيْدٍ مَا تَكَادُ تُطِيعُهَا<sup>(٥)</sup>  
تَذَكَّرْتُ الْقُرْبَى فَفَاضَتْ دُمُوعُهَا  
شَوَاجِرُ أَرْحَامٍ مَلُومٍ قَطُوعُهَا<sup>(٦)</sup>  
وَمَوْلَاكَ فَتَحَّ يَوْمَ ذَلِكَ شَفِيعُهَا<sup>(٧)</sup>

### لأبي تمام

وقال أبو تمام الطائي<sup>(٨)</sup>:

- مَهْلًا بَنِي مَالِكٍ لَا تَجْلِسَنَّ إِلَيَّ  
لَمْ يَأْلُكُمْ مَالِكٌ صَفْحًا وَمَغْفِرَةً  
حَيَّ الْأَرَاقِمِ ذُؤُلُولَ ابْنَةِ الرَّقْمِ<sup>(٩)</sup>  
لَوْ كَانَ يَنْفُخُ قَيْنُ الْحَيِّ فِي فَحْمٍ<sup>(١٠)</sup>

- (١) أسيت: حزنت. والمصاييف: جمع مصيف. وأقوت: خلت.
- (٢) المغاني: جمع مغنى، وهو المنزل الذي غني به أهله: أي أقاموا.
- (٣) يُطْلُ: يُهْلِكُ. النجيع: الدم.
- (٤) الرود: الرود: الشابة الجميلة الوافرة الحياء.
- (٥) الوتر: الشار.
- (٦) الشواجر: القواطع والروابط، وهي من الأضداد. وشواجر أرماع: أي مختلفة الطعن، وشواجر أرحام: أي أرحام مشتبكة.
- (٧) فتح: لعله أراد الفتح بن خاقان وزير المتوكل.
- (٨) أبو تمام، الديوان: ٩٥/٢.
- (٩) الأراقم: حي من تغلب، وابنة الرق: الحية. والذؤلول: السم. يقول: لا تقدموا السم بأنفسكم إلى حي الأراقم ليقتلوكم به. وفي الديوان: «ذؤلول ابنة الرق»، والذؤلول: الداهية.
- (١٠) لم يألکم: أي لم يقصر عنکم. والقين: الحداد. وقوله: «لو كان ينفخ قين الحي في فحم»: مثل من قولهم: هو ينفخ في فحم، إذا كان يعمل أمراً مُتَجَزَّأً، لأن الفحم إذا نفخ فيه أوقد. والمعنى: لقد صفح عنكم مالك، وتجاوز مراراً عن سيئاتكم لو أنكم ترجعون عن غيكم.

أَخْرَجْتُمُوهُ بِكُرِّهِ مِنْ سَجِيَّتِهِ  
أَوْطَأْتُمُوهُ عَلَى جَمْرِ الْعُقُوقِ، وَلَوْ  
لَوْلَا مُنَاشِدَةُ الْقُرْبَى لَغَادَرَكُمُ  
لَا تَجْعَلُوا الْبَغْيَ ظَهْرًا إِنَّهُ جَمَلٌ  
وَقَالَ أَيْضًا<sup>(٥)</sup>:

مَهْلًا بَنِي عَمْرٍو بِنِ غُنْمٍ؛ إِنَّكُمْ  
مَا مِنْكُمْ إِلَّا مُرْدَى بِالْحِجَى  
عَمْرُو بْنُ كَلْثُومِ بْنِ مَالِكِ بْنِ  
خُلَيْقَتِ رَبِيعَةَ مِنْ لَدُنْ خُلَيْقَتِ يَدَا  
تَغْرُو فَتَغْلِبُ تَغْلِبُ مِثْلُ امْنَمِهَا  
وَسَتَذْكُرُونَ غَدًا صَنَائِعَ مَالِكٍ  
هَدَفُ الْأَسِيَّةِ وَالْقَنَا تَتَحَطَّمُ<sup>(٦)</sup>  
أَوْ مُبَشِّرٌ بِالْأَحْزَابِ مُؤَدِّمٌ<sup>(٧)</sup>  
عَتَابُ بْنُ سَعْدٍ سَهْمُكُمْ لَا يُنْهَمُ<sup>(٨)</sup>  
جُشَمُ بْنُ بَكْرِ كَفْهًا وَالْمِعْصَمُ<sup>(٩)</sup>  
وَتَسِيحُ غُنْمٌ فِي الْبِلَادِ فَتَغْنَمُ<sup>(١٠)</sup>  
إِنْ جَلَّ خَطْبٌ أَوْ تُدَوِّعُ مَغْرَمٌ<sup>(١١)</sup>

- (١) تُنْتَضَى: تُسْتَخْرَجُ. والناضر: الأخضر. والسلم: اسم شجر.
- (٢) العقوق: العصيان. يخرج: يضيق عليه. والأجم: الغابة. يقول: إن الممدوح قد فُطِرَ على الحلم والمغفرة، لكنكم أمتعتم في العدوان، حتى خرج الرجل عن طوره، ولولا أنكم جرحتموه بإساءة أنكم لما خرج بجيشه لمحاربتكم.
- (٣) المرهف: الرقيق الحد. أي لولا قربانكم، لحصدكم بالسيف، وكتب عليكم الذل والعار.
- (٤) «لا تجعلوا البغي ظهراً»: أي لا تحملوا أموركم عليه، كما تحمل على ظهر الجمل.
- (٥) أبو تمام، الديوان: ١٠١/٢. والأبيات من قصيدة طويلة يمدح بها مالك بن طوق التغلبي.
- (٦) «بني عمرو بن غنم»: ويروى: «بني غنم بن تغلب». الهدف: الغرض، المرمى، استعاره لأسنة الرماح، وهو للسهم. وفي الديوان: «يتحطم».
- (٧) مُرْدَى: مَكْسُوفٌ. الحِجَى: العقل. والأحزوبة: الخفة والنشاط والحدافة. والمُبَشِّرُ: المكسور بالبشرة، وهي ظاهر الجلد. والمؤدِّم: المكسور بالأدمة، وهي باطن الجلد. وقوله: «مبشر بالأحزوبة مؤدِّم»: أي إنه كامل، جمع بين لين البشرة وصلابة الأدمة.
- (٨) لَا يُنْهَمُ: لَا يُغْلَبُ، وأراد بالسهم: الحظ.
- (٩) في الديوان: «مذلدن» أي: من زمن. أي: إن ربيعة مذ خلقت كانت يدًا، وكانت جشم بن بكر كفَّ هذه اليد ومعصمها، وما نفع اليد من دون كفٍّ ومعصمٍ؟
- (١٠) غُنْمٌ: اسم قبيلة.
- (١١) الصنائع: جمع صنيع، وهو المعروف. والمغرم: الخسارة.

مَا لِي رَأَيْتُ ثَرَاكُمُ بِبَسَالَةٍ      مَا لِي أَرَى أَطْوَادَكُمْ تَهْدَمُ؟<sup>(١)</sup>  
 مَا هَذِهِ الْقُرْبَى النِّي لَا تُصْطَفَى      مَا هَذِهِ الرَّحِمُ النِّي لَا تُرْحَمُ؟<sup>(٢)</sup>  
 حَسَدُ الْقَرَابَةِ لِلْقَرَابَةِ قَرَحَةٌ      أَعَيْتُ عَوَائِدَهَا وَجُرْحٌ أَقْدَمُ<sup>(٣)</sup>  
 تِلْكَمُ قُرَيْشٌ لَمْ تَكُنْ أَبَاؤُهَا      تَهْفُو وَلَا أَحْلَامُهَا تَنْقَسَمُ<sup>(٤)</sup>  
 حَتَّى إِذَا بُعِثَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ      فِيهِمْ عَدَتْ شَحَنَاؤُهُمْ تَضَرَّمُ<sup>(٥)</sup>  
 عَزَبَتْ عَقُولُهُمْ، وَمَا مِنْ مَعْشَرٍ      إِلَّا وَهُمْ مِنْهُ أَلْبٌ وَأَحْزَمُ<sup>(٦)</sup>  
 لَمَّا أَقَامَ الْوَحْيُ بَيْنَ ظُهُورِهِمْ      وَرَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمَدَ مِنْهُمْ<sup>(٧)</sup>  
 وَمِنْ الْحَزَامَةِ لَوْ تَكُونُ حَزَامَةٌ      أَلَّا تُؤَخَّرَ مَنْ بِهِ تَقَدَّمَ<sup>(٨)</sup>

وَمَالِكُ هُوَ: ابْنُ طَوْقٍ<sup>(٨)</sup> بَنُ مَالِكِ بْنِ عَتَابِ بْنِ زُفَرٍ بِنِ مَرَّةَ بِنِ شُرَيْحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ كُثُومِ بْنِ مَالِكِ [بَنِ عَتَابِ] بِنِ سَعْدِ بْنِ [زَهْرِ بْنِ] جُشَمِ بْنِ بَكْرِ [بَنِ وَائِلِ] بِنِ حَبِيبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ غُنَمِ بْنِ تَغْلِبِ، وَفِيهِ يَقُولُ دِغِيلُ يَهْجُوهُ:

النَّاسُ كُلُّهُمْ يَغْدُو لِحَاجَتِهِ      مِنْ بَيْنِ ذِي فَرَحٍ مِنْهَا وَمَهُمُومٍ  
 وَمَالِكٌ ظَلَّ مَشْغُولًا بِنَسْبَتِهِ      يَرُمُ مِنْهَا بِنَاءً غَيْرَ مَرْمُومٍ<sup>(٩)</sup>

- (١) ببسالة: أي في بسالة، كذا، وفي الديوان: «مالي رأيت تراكبكم بيساً له»، يريد: جافاً لا يبله ندى، فليس يثبت شيئاً.
- (٢) تُصْطَفَى: تختار. ويروى: «لا تُتَقَى».
- (٣) القرحة: الجراحة القديمة التي تَجْمَعُ فِيهَا الْقَيْحُ. والعوائد: جمع عائد، وأراد بالعوائد: النكسات التي تعود بها القروح. «عواندها»: جمع عائد، من عَدَّ العرق، إذا سال ولم يرقأ. ويروى: حَسَدُ الْعَشِيرَةِ لِلْعَشِيرَةِ قَرَحَةٌ      تَلَدَتْ وَسَائِلُهَا وَجُرْحٌ أَقْدَمُ
- (٤) تهفو: تضطرب. الأحلام: العقول. لا تنقسم أحلامها: لا تتفرق آراؤها.
- (٥) الشحنة: البغضاء.
- (٦) عزبت عقولهم: غابت. أَلْبٌ: أَعْقَلُ. أَحْزَمُ: أَصْطَبُ.
- (٧) الحزامة: الحزم، حُسْنُ الرَّأْيِ. وفي الديوان: «أَلَّا يُؤَخَّرَ مَنْ بِهِ يُقَدَّمُ».
- (٨) مالك بن طوق: أحد الفرسان الشجعان، بنى «رحبة مالك» على شاطئ الفرات، وله مع الرشيد موقف مشهور. توفي سنة ٢٥٩ هـ / ٨٧٣ م.
- (٩) يَرُمُ: يُضْلِعُ.

يَبْنِي بُيُوتاً خَرَاباً لَا أُنِيسَ بِهَا مَا يَبْنِي طَوَقٍ إِلَى عَمْرٍو ابْنِ كُلْثُومٍ<sup>(١)</sup>  
 والتكثير من المعنى الْمُعْتَرِضُ، يزيح عن ثغرة الغَرَضِ<sup>(٢)</sup>، لكنني أجري منه إلى حلبة  
 الإجادة، وأقصدُ قصدَ الإفادة، ثم أعود حيثُ أريد.

### لابن الخياط يمدح الإمام مالك بن أنس

وقال ابن الخياط المكي - واسمه عبد الله بن سالم - في باب الهبة، في مالك بن  
 أنس<sup>(٣)</sup> الفقيه، رحمة الله عليه؛ وقيل: إن هذا من قول ابن المبارك:

يَأْبَى الْجَوَابَ فَمَا يُرَاجِعُ هَيْئَةً وَالسَّائِلُونَ نَوَاقِسُ الْأَذْقَانِ<sup>(٤)</sup>  
 أَدَبُ الْوَقَارِ، وَعِزُّ سُلْطَانِ الثَّقَى، فَهُوَ الْمَهِيْبُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانِ

\* \* \*

### لأشجع السلمي

وقول الفرزدق:

يَكَادُ بِمُسْكِهِ عِرْفَانٌ رَاحَتِهِ

قَدْ تَجَادَبَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ؛ قَالَ أَشْجَعُ بْنُ عَمْرٍو السُّلَمِيُّ<sup>(٥)</sup> لجعفر البرمكي:

- (١) هو عمرو بن كلثوم التغلبي، الشاعر الجاهلي المشهور صاحب المعلقة التي مطلعها:  
 أَلَا هُبَيْي بِصَحْنِكَ فَاصْبِحِينَا وَلَا تُبْقِي خُمُورَ الْأَنْدَرِينَا  
 وقد ساد قومه وهو بعد فتى، وقتل الملك عمرو بن هند في بلاطه، وكانت وفاته سنة  
 ٤٠ ق. هـ / ٥٨٤ م. (ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال: ٣٦٩ - ٤٢٨، الأصفهاني،  
 الأغاني: ٤٦/١١).
- (٢) الثغرة: الطريق.
- (٣) هو الإمام مالك بن أنس، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. توفي سنة ١٧٩ هـ / ٧٩٦ م. ومن  
 آثاره: كتاب «الموطأ» في الفقه.
- (٤) نواكس الأذقان: مطرقون إلى الأرض خشوعاً. والناكس: المطاطيء رأسه من ذلٍّ، قال تعالى:  
 ﴿نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (سورة السجدة، آية ١٢).  
 وقال الفرزدق:
- وَإِذَا الرِّجَالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأْيَهُمْ خُضَعَ الرِّقَابُ نَوَاقِسَ الْأَبْصَارِ  
 (الديوان: ٣٠٤/١).
- (٥) هو أشجع بن عمرو السلمي: شاعر، فحل، مجيد، مطبوع. ولد باليمامة، ونشأ في البصرة =

حَبَّذَا أَنْتَ قَادِمًا تَرِدُ الشَّا      مَ فَتَحْتَ بَيْنَ أَرْحَلِي عَيْرِكَ  
إِنْ أَرْضًا تَشْرِي إِلَيْهَا لَوْ اسْطَا      عَتْ لَسَارَتْ إِلَيْكَ مِنْ قَبْلِ سَيْرِكَ

### لأبي تمام

وله أشار أبو تمام الطائي في قوله<sup>(١)</sup>:

دِيمَةً سَمَحَةً الْقِيَادِ سَكُوبُ      مُسْتَفِئْتُ بِهَا الشَّرَى الْمَكْرُوبُ  
لَوْ سَعَتْ بُقْعَةٌ لِإِعْظَامِ نُعْمَى      لَسَعَى نَحْوَهَا الْمَكَانُ الْجَدِيدُ

وفي هذه القصيدة وصف الدِّيمَةَ، ومدح محمد بن عبد الملك الزيَّات<sup>(٢)</sup>:

لَذَّ شُؤْبُوبُهَا وَطَابَ فَلَوْ تَسَدَّ      طِيعُ قَامَتْ فَعَانَقَتْهَا الْقُلُوبُ<sup>(٣)</sup>  
فَهُوَ مَاءٌ يَجْرِي وَمَاءٌ يَلِيهِ      وَعَزَالَ تَشَنَّا وَأُخْرَى تَصُوبُ<sup>(٤)</sup>  
أَيْهَا الْغَيْثُ حَيٍّ أَهْلًا بِمَغْدَا      كَ وَعِنْدَ الشَّرَى وَحِينَ تَوْوُبُ<sup>(٥)</sup>  
لَأَبِي جَعْفَرٍ خَلَّاسٌ تَحْدُ      كِيَهِنَّ قَدْ يُشْبِهُ النَّجِيبَ النَّجِيبُ<sup>(٦)</sup>

### بين أبي تمام وابن الزيَّات

وأنشدها أبا جَعْفَرَ بن الزيَّات، فقال: يا أبا تمام؛ والله إنك لتحلِّي شعرك من جواهر لفظك وبدائع معانيك، ما يزيد حسناً على بهيِّ الجواهر في أجياد الكواكب؛ وما يُدْخِرُ لك شيء من جزيل المكافأة إلاَّ يَقْصُرُ عن شِعْرِكَ في الموازنة. وكان بحضرته رجل من

= يتيمًا. مدح الرشيد والبرامكة، واختص بجعفر بن يحيى البرمكي. توفي نحو ١٩٥ هـ / ٨١١ م. (فروخ، تاريخ الأدب العربي: ٢/ ١٤٤).

(١) أبو تمام، الديوان: ١/ ١٧٩.

(٢) هو أبو جعفر، محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة، المعروف بابن الزيَّات: أديب فاضل، وعالم باللغة والنحو. استوزره المعتصم والواثق، ونكبه المتوكل، وعذبه في التور حتى مات، وكان ذلك سنة ٢٣٣ هـ / ٨٤٨ م. (ابن خلكان، وفیات الأعيان: ٥/ ٩٤).

(٣) الشُّؤْبُوبُ: الدَّفْعَةُ مِنَ الْمَطَرِ.

(٤) عزال: جمع عزلاء، وهي مصبُّ الماء، والمراد بها السحابة. وتصوبُ: تنسكب.

(٥) تَوُوبُ: ترجع.

(٦) النجيب من الرجال: الكريم، الحبيب، الفاضل.

الفلاسفة، فقال: هذا الفتى يموت شاباً! فقيل له: من أين حكمتَ عليه بهذا؟ فقال: رأيْتُ فيه من الحذّة والذكاء والفتنة مع لطافة الحس ما علمتُ به أن النفسَ الروحانية تأكل عمره كما يأكلُ السيفُ المُهَنَّدُ غِمدَه! قال الصولي<sup>(١)</sup>: مات وقد نَيْفَ على الثلاثين.

### لأبي تمام في أبي دلف

وقال في أبي دُلف العجلي<sup>(٢)</sup> القاسم بن مُحمد بن عيسى<sup>(٣)</sup>:

تَكَادُ عَطَايَاهُ يُجِنُّ جُنُونَهَا      إِذَا لَمْ يُعَوِّذَهَا بِنِعْمَةِ طَالِبٍ  
تَكَادُ مَغَانِيهِ تَهْشُ عِرَاصُهَا      فَتَرْكِبُ مِنْ شَوْقٍ إِلَى كُلِّ رَاكِبٍ<sup>(٤)</sup>  
وقال البُحْثَرِي<sup>(٥)</sup>:

لَوْ أَنَّ مُشْتَقًّا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا      فِي وَسْعِهِ لَمَشَى إِلَيْكَ الْمُنْبَرُ  
وقال أبو الطيب المتنبي لبدر بن عمار<sup>(٦)</sup>:

طَرِبْتُ مَرَاجِبُنَا فَخَلْنَا أَنَهَا      لَوْلَا حَيَاءٌ عَاقَهَا رَقَصَتْ بِنَا

(١) هو أبو إسحاق، إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول: كاتب العراق في عصره. خراساني الأصل. نشأ وتأدب في بغداد، وقرّبه الخلفاء، فكان كاتباً للمعتصم والواثق والمتوكل. قال عنه المسعودي: لا يعلم فيمن تقدم وتأخر من الكتاب أشعر منه. توفي بـ «سُرٍّ من رأى» سنة ٢٤٣ هـ / ٨٥٧ م. من آثاره: «كتاب الدولة»، و«كتاب العطر»، و«ديوان شعر»، وغيرها. (الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ١١٧/٦؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ٤٢/٢).

(٢) هو أبو دلف، القاسم بن محمد بن عيسى بن إدريس بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، العجلي: أحد قواد المأمون، ثم المعتصم من بعده. كان كريماً سرياً جواداً مُمدِّحاً مُقدِّماً، ذا وقائع مشهورة، وصنائع ماثورة. أخذ عنه الأدباء والفضلاء، وله صنعة في الغناء. من تصانيفه: «البراة والصيد»، و«السلح»، و«سياسة الملوك»، وغيرها. توفي سنة ٢٢٦ هـ / ٨٤١ م. (ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٧٣/٤؛ ابن النديم، الفهرست: ١١٦؛ البكري، سمط اللآلي: ٣٣١؛ المسعودي، مروج الذهب: ٥/٤، ٦٢).

(٣) أبو تمام، الديوان: ١٤٨/١.

(٤) العراض: جمع عرصة، وهي ساحة الدار.

(٥) البُحْثَرِي، الديوان: ٢٤/١. وفي البيت إشارة إلى قوله تعالى: «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا» (سورة البقرة، آية ٢٨٦).

(٦) المتنبي، الديوان: ٢٩٦/١.



لَوْ تَعْقِلُ الشَّجَرُ الَّتِي قَابَلَتْهَا مَدَّتْ مُحِيَّةً إِلَيْكَ الْأَعْصَنَا

### رجع ما انقطع

لمحمد بن علي بن الحسين (أبي جعفر الباقر)

قال أعرابي لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين<sup>(١)</sup> رضي الله عنه: هل رأيت الله حين عَبَدْتَهُ؟ فقال: لَمْ أَكُنْ لِأَعْبُدْ مَنْ لَمْ أَرَهُ، قال: فكيف رأيتَهُ؟ قال: لَمْ تَرَهُ الْأَبْصَارُ بِمُشَاهِدَةِ الْعِيَانِ، وَرَأَتْهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ، لَا يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ، وَلَا يُشَبِّهُ بِالنَّاسِ، مَعْرُوفٌ بِالْآيَاتِ، مَنَعُوتٌ بِالْعَلَامَاتِ، لَا يَجُورُ فِي الْقَضِيَّاتِ، ذَلِكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. فقال الأعرابي: الله أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالته.

قال الجاحظ<sup>(٢)</sup>: قال محمد بن علي: صلاحُ شأنِ الدنيا بحذافيرها في كلمتين؛ لأنَّ صلاحَ شأنِ جميعِ الناسِ [في التعايش و] التعاشر وهو مِلءُ مِكْيَالٍ: ثلثاه فطنة، وثلثاه تَعَافُلٌ. قال الجاحظ: لم يجعل لغير الفِطْنة نصيباً من الخير، ولا خطأً من الصلاح؛ لأنَّ الإنسان لا يتغافلُ عن شيء إلا وقد عرفه وفطن له، قال الطائي:

لَيْسَ الْغَيْبِيُّ بِسَيِّدٍ فِي قَوْمِهِ لَكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ الْمُتَعَابِي

وقال ابن الرومي لأبي محمد بن وهب بن عُبيد الله بن سُلَيْمَانَ<sup>(٣)</sup>:

تَظَلَّ إِذَا نَامَتْ عُيُونُ ذَوِي الْعَمَى وَإِنْ حُدِّدُوا زُرْقاً إِلَيْكَ جَوَاحِظاً<sup>(٤)</sup>

تَغَاضَى لَهُمْ وَسَنَانٌ، بَلْ مُتَوَاسِنَاءُ، وَتَوَقَّفُهُمْ يَقْظَانٌ بَلْ مُتَيَاقِظاً<sup>(٥)</sup>

(١) هو أبو جعفر، محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وَلَقَّبَ بِالْبَاقِرِ، لِأَنَّهُ بَقِيَ الْعِلْمُ، أَي شَقَّهُ، وَعَرَفَ أَصْلَهُ وَخَفِيَّهِ، وَتَوَسَّعَ فِيهِ. ولد بالمدينة، وتوفي فيها سنة ١١٤ هـ / ٧٣٦ م. (ابن العماد، شذرات الذهب: ١/١٤٩).

(٢) هو أبو عثمان، عمرو بن بحر بن محبوب الكناي، البصري، المعتزلي، المعروف بالجاحظ: عالم، أديب، مشارك في أنواع من العلوم. ولد بالبصرة، وتُنسَبُ إليه الفرقة الجاحظية. توفي سنة ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م. من آثاره: «الحيوان»، و«البيان والتبيين»، و«البخلاء»، وغيرها. (ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٧/٧١؛ الحموي، معجم الأدباء: ١٦/٧٤؛ المهودي، مروج الذهب: ٨/٣٣؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ: ٢/١١١).

(٣) ابن الرومي، الديوان: ٩٦/٤.

(٤) جواحظ: جمع جاحظة، وهي النائمة الحذقة. وفي الديوان: «إذا نامت عقول ذوي العمى».

(٥) المتواسن: المتناوم وليس بنائم. ومتياقظ: متظاهر اليقظة. وفي الديوان: «لا متياقظاً».

### زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ

[وأبو جعفر هذا هو الباقر]، وكان أخوه زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ رضي الله عنه دَيَّانًا، شجاعاً، ناسكاً، من أَحْسَنِ بني هاشم عبارةً، وأجملهم شارةً.

وكانت ملوك بني أمية تكتب إلى صاحب العراق أن امنع أهل الكوفة من حضور زيد بن علي؛ فَإِنَّ لَهُ لِسَانًا أَقْطَعُ مِنْ ظُبَّةِ السِّيفِ وَأَحَدٌ مِنْ شَبَا الْأَسِنَّةِ<sup>(١)</sup>، وأبلغ من السحر والكهانة<sup>(٢)</sup>، ومن كل نَفْثٍ فِي عُقْدَةٍ.

وقيل لَزَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ: الصَّمْتُ خَيْرٌ أَمْ الْكَلَامُ؟ فقال: قَبَّحَ اللَّهُ المساكَةَ، ما أفسدها للبيان، وأجلبها للعي والْحَصْرُ<sup>(٣)</sup>! والله لِلْمُمَارَاةِ أَسْرَعُ فِي هَذْمِ الْعِيِّ مِنَ النَّارِ فِي يَبَسِ الْعَرْفَجِ، ومن السيل إلى الْحُدُورِ<sup>(٤)</sup>.

وقال له هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ: بلغني أَنَّكَ ترومُ الخلافةَ وَأَنْتَ لَا تَصْلُحُ لَهَا لِأَنَّكَ ابْنُ أُمَةٍ؟ قال زيد: فقد كان إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ابْنَ أُمَةٍ، وإسحاق ابن حُرَّةٍ؛ فأخرج الله من صُلْبِ إسماعيل خَيْرَ وَلَدِ آدَمَ! فقال له: قم! فقال: إِذَا وَاللَّهِ لَا تَرَانِي إِلَّا حَيْثُ تَكْرَهُ! فلما خرج من الدار قال: ما أَحَبُّ أَحَدًا الْحَيَاةَ قَطُّ إِلَّا ذَلًّا، فقال له سالم مولى هشام: لَا يَسْمَعَنَّ هَذَا الْكَلَامَ مِنْكَ أَحَدٌ، وكان زيد كثيراً ما ينشد:

شَرَّهُ الْخَوْفُ وَأَزْرَى بِهِ      كَذَلِكَ مَنْ يَكْرَهُ حَرَّ الْجِلَادِ<sup>(٥)</sup>

مُنْخَرِقَ الْخُفَّيْنِ يَشْكُو الْوَجَى      تَنْكِبُهُ أَطْرَافُ مَرَوْ حِدَادِ<sup>(٦)</sup>

قَدْ كَانَ فِي الْمَوْتِ لَهُ رَاحَةٌ      وَالْمَوْتُ حَتْمٌ فِي رِقَابِ الْعِبَادِ

وقد رُوِيَ هذه الأبيات لمحمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين، وقد رُوِيَ لِأَخِيهِ

موسى.

(١) ظبَّة السيف: طرفه، وكذلك شبا السنان.

(٢) الكهانة: نوع من فتنة الناس باسم البحث عن الغيب.

(٣) الْحَصْرُ: عُسْرُ الْكَلَامِ.

(٤) الحُدُور: المنحدرات يجري إليها الماء. والعرفج: ضرب من النبات، سهلي، سريع الانققاد، واحدته عرفجة، وهو طيب الريح.

(٥) الْجِلَادُ: الحرب.

(٦) المرو: الحجارة البيض الرقاق. والحداد: جمع حديد. والوجى: أن يشكو البعير باطن خُفِّهِ، والفرس باطن حافره، فهو وَجٍ وَجِيٌّ، والأثنى: وَجِيَاء.

### محمد بن علي يصف أخاه زيد بن علي

قال عبد الرحمن بن يحيى بن سعيد: حدثني رجل من بني هاشم قال: كنا عند محمد بن علي بن الحسين، وأخوه زيد جالس، فدخل رجل من أهل الكوفة، فقال له محمد بن علي: إنك لتروي طرائف من نوادر الشعر، فكيف قال الأنصاري لأخيه؟ فأنشده:

لَعَمْرُكَ مَا إِنَّ أَبَوَ مَالِكٍ      بِوَانٍ وَلَا بِضَعِيفٍ قُؤَاهُ<sup>(١)</sup>  
وَلَا بِأَلَدٍّ لَهُ نَارُ      يُعَادِي أَخَاهُ إِذَا مَا نَهَاهُ  
وَلَكِنَّهُ غَيْرُ مُخْلَافَةٍ      كَرِيمِ الطَّبَائِعِ حُلُو نَشَاهُ<sup>(٢)</sup>  
وَلِنْ سُدَّتْهُ سُدَّتْ مَطْوَاعَةٌ      وَمَهْمَا وَكَلَّتْ إِلَيْهِ كَفَاهُ

فوضع محمد يده على كِفِّ زيد، فقال: هذه صِفَتُكَ يَا أَخِي؛ وَأَعِيذُكَ بِاللَّهِ أَنْ تَكُونَ قَتِيلَ أَهْلِ الْعِرَاقِ!

### بلاغة جعفر بن الحسن بن الحسين وزيد بن علي بن الحسين

وكانت بين جعفر بن الحسن بن الحسين بن علي وبين زيد رضوان الله عليهم منازعة في وصية، فكانا إِذَا تَنَازَعَا انشَالَ النَّاسُ عليهما ليسمعوا محاورتهما؛ فكان الرجل يحفظ على صاحبه اللفظة من كلام جعفر، ويحفظ الآخر اللفظة من كلام زيد. فإذا انفصلا وتفرق الناس عنهما قال هذا لصاحبه: قال في موضع كذا وكذا، وقال الآخر: قال في موضع كذا وكذا؛ فيكتبون ما قالوا، ثم يتعلمونه كما يتعلم الواجب من الغرض، والنادر من الشعر، والسائر من المثل! وكانا أعجوبة دهرهما وأحدوثة عصرهما.

ولما قتل زيداً يوسف بن عمر<sup>(٣)</sup> وصلب جُثَّتُهُ بِالْكُنَاسَةِ<sup>(٤)</sup> وبعث برأسه مع شبة بن عقال، وكلف آل أبي طالب البراءة من زيد، وقام خطباؤهم بذلك فكان أول من قام

(١) الواني: اسم فاعل من الونى، وهو الضعف والفتور والكلال والإعياء.

(٢) النشأ: ما يقال عن المراء في غيابه، والمراد: أنه لا يقال عنه غير الخير.

(٣) هو أبو عبد الله، يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي: أمير، وال، ولأه هشام بن عبد الملك اليمن والعراق. وقُتل سنة ١٢٧ هـ / ٧٤٥ م، وَفُصِّلَ رَأْسُهُ عَنْ جَسَدِهِ، وَجُرَّ جَسَدُهُ فِي شَوَارِعِ دِمَشْقَ، فَتَمَرُّ بِهِ الْمَرْأَةُ، فَتَرَى جَسَدًا صَغِيرًا تَقُولُ: فِي أَيِّ شَيْءٍ قُتِلَ هَذَا الصَّبِيُّ الْمُسْكِينُ؟ لَمَا تَرَى مِنْ صِغَرِ جَسَدِهِ. (ابن خلكان، وفیات الأعيان: ١٠١/٧).

(٤) الكُنَاسَةُ: محلة بالكوفة.

عبدُ الله بن الحسن بن الحسين بن علي رحمة الله عليه فأَوْجَزَ في كلامه ثم جَلَسَ، وقام عبدُ الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فأُطْنِبَ - وكان شاعراً خطيباً لِسِنًا ناسباً - فانصرف الناس وهم يقولون: ابن الطيار مِنْ أَخْطَبِ الناس، فقليل لعبد الله بن الحسن في ذلك؛ فقال: لو شئت أن أقولَ لقلت، ولكن لم يكن مقامُ سرور، وإنما كان مقامُ مُصِيبَةٍ!

### من كلام عبد الله بن الحسن بن الحسين

وعبدُ الله هذا هو: أبو محمد وإبراهيم الخارَجِينِ علي أبي جعفر المنصور، وهو القائل لابنه محمد أو إبراهيم: أَيُّ بَنِي! إِنِّي مُؤَدِّ حَقِّ اللَّهِ فِي تَأْدِيكَ. فَأَذِ إِلَيَّ حَقَّ اللَّهِ فِي الاستماعِ مِنِّي؛ أَيُّ بَنِي! كُفَّ الْأَذَى، وَاِرْفُضِ الْبَدَى<sup>(١)</sup> وَاسْتَعِنْ عَلَى الْكَلَامِ بِطُولِ الْفِكْرِ فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَدْعُوكَ فِيهَا نَفْسُكَ إِلَى الْكَلَامِ، فَإِنَّ لِلْقَوْلِ سَاعَاتٍ يَضُرُّ فِيهَا الْخَطَأُ، وَلَا يَنْفَعُ فِيهَا الصَّوَابُ. واحذِرْ مشورةَ الجاهلِ وإن كان ناصحاً، كما تحذِرْ مشورةَ العاقلِ إذا كان غاشياً؛ لأنَّه يُرَدِّدُكَ بِمَشُورَتِهِ؛ واعلم يا بني أن رأيك إذا احتججتَ إليه وَجَدْتَهُ نائماً، ووجدتَ هواك يَقْظَانِ، فإياك أن تستبدَّ بِرَأْيِكَ؛ فإنه حينئذٍ هَوَاك؛ وَلَا تَفْعَلْ فِعْلاً إِلَّا وَأَنْتَ عَلَى يَقِينٍ أَنْ عَاقِبَتُهُ لَا تُرَدِّدُكَ، وَأَنْ نَتِيجَتُهُ لَا تَعْجِنِي عَلَيْكَ.

وهو القائل: إِيَّاكَ وَمُعَادَاةَ الرِّجَالِ فَإِنَّكَ لَنْ تَعْدَمَ مَكْرَ حَلِيمٍ، أَوْ مُعَادَاةَ لَيْمٍ. وكتب إلى صديق له: أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ لِمَنْ اتَّقَاهُ الْمَخْرَجَ مِنْ حَيْثُ يَكْرَهُ، وَالرِّزْقَ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ.

وعبدُ الله هو القائل:

أَنْسُ حَرَائِرُ مَا هَمَمْتُ بِرَيْبَةٍ      كَظَبَاءٍ مَكَّةَ صَيْدُهُنَّ حَرَامٌ<sup>(٢)</sup>  
يُحَسِّبَنَّ مِنْ لَيْلِنِ الْحَدِيثِ دَوَانِيَا      وَبَصْدُهُنَّ عَنِ الْخَنَاءِ الْإِسْلَامُ<sup>(٣)</sup>

### بين عبد الملك بن مروان وعمر بن أبي ربيعة

قال: وهذا كما روي أَنَّ عبد الملك بن مروان استقبل عُمرَ بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي<sup>(٤)</sup>، فقال له: قَدْ عَلِمْتَ قَرِيشُ أَنَّكَ أَوَّلُهَا صَبَوَةٌ، وَأَبْعَدُهَا تَوْبَةٌ، وَنَحَكَ!

(١) البَذَى: مقصور البذاء، وهو فحش القول.

(٢) أَنْسُ: آتَسَات.

(٣) الْخَنَاءُ: الفحش.

(٤) هو أبو الخطاب، وأبو حفص، عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي: أرق شعراء =

أَمَا لَكَ فِي نِسَاء قَرِيشَ مَا يَكْفِيكَ مِنْ نِسَاء بَنِي عَبْدِ مَنَاة؟<sup>(١)</sup> أَلَسْتَ الْقَائِلُ:

نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِالمَحْصَبِ مِنْ مَنَى      وَلِي نَظَرٌ لَوْلَا التَّحَرُّجُ عَارِمٌ<sup>(٢)</sup>  
فَقُلْتُ: أَصْبَحُ أَمْ مَصَايِخُ رَاهِبٍ      بَدَتْ لَكَ خَلْفَ السَّجْفِ أَمْ أَنْتَ حَالِمٌ<sup>(٣)</sup>  
بَعِيدُهُ مَهْوَى الْقُرْطِ إِمَّا لِنَوْفَلٍ      أَبُوهَا وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمٌ<sup>(٤)</sup>  
فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنْ بَعُدَ هَذَا:

طَلَبْنِ الْهَوَى حَتَّى إِذَا مَا وَجَدْنَاهُ      صَدَرْنَ وَهُنَّ الْمُسْلِمَاتُ الْكَرَائِمُ<sup>(٥)</sup>  
فَاسْتَحْبَا مِنْهُ عَبْدُ الْمَلِكِ، وَقَضَى حَوَائِجَهُ وَوَصَلَهُ.

وَقَالَ آخِرُ فِي هَذَا الْمَعْنَى:

تَعَطَّلْنَ إِلَّا مِنْ مَحَاسِنِ أَوْجِهِ      فَهُنَّ حَوَالٍ فِي الصِّفَاتِ عَوَاطِلُ<sup>(٦)</sup>  
كَوَاسٍ عَوَارٍ صَامِتَاتٍ نَوَاطِقُ      بِعَفِ الْكَلَامِ بِاخِلَاتٍ بَوَاطِلُ<sup>(٧)</sup>  
بَرَزْنَ عَفَافاً وَاحْتَجَبْنَ تَشْتُرَاً      وَشَيْبَ بِحَقِّ الْقَوْلِ مِنْهُنَّ بَاطِلُ<sup>(٨)</sup>  
فَذُو الْجِلْمِ مُرْتَادٌ وَذُو الْجَهْلِ طَامِعٌ      وَهُنَّ عَنِ الْفَحْشَاءِ حَيْدٌ نَوَاطِلُ<sup>(٩)</sup>

= عصره غزلاً، وأكثرهم شهرة. كان يفد على عبد الملك بن مروان فيكرمه ويقربه. وكان يُسَبِّبُ بِكُلِّ جَمِيلَةٍ، حَتَّى كَثُرَتْ النِّسَاءُ فِي شَعْرِهِ، وَصَارَتْ لَهُ فِي التَّشْيِيبِ طَرِيقَةٌ حَاكَاهَا الشُّعْرَاءُ مِنْ بَعْدِهِ. تُوُفِيَ سَنَةَ ٩٣ هـ/ ٧١٢ م. (الأصفهاني، الأغاني: ١/ ٧١؛ شكري فيصل، تطور الغزل: ٣٣٧ - ٥٨٤؛ جبرائيل جبور، عمر بن أبي ربيعة: دراسة كاملة - ثلاثة أجزاء -).

- (١) لعل الصواب: مَا يَكْفِيكَ عَنْ نِسَاء بَنِي عَبْدِ مَنَاة.
- (٢) عارم: طامع شرس، أو جريء فوق الحد. والتحرّج: الشعور بالإثم.
- (٣) السَّجْفُ: الشَّوْشُ. وفي الديوان: «فقلت: أَشْمُسُ» و«تحت السَّجْفِ».
- (٤) بعيدة مهوى القرط: كناية عن طول العنق.
- (٥) صَدَرْنَ: رجعن. والأبيات في ديوان عمر: ٢/ ٢٢٧، وفيه «تَرَعْنَ وَهُنَّ... الظَّوَالِمُ».
- (٦) حَوَالٍ: جمع حالية «التي تزيت بالحلي». والعواطل: جمع عاطل، وهي التي تعطلت من الحلي.
- (٧) كواس: جمع كاسية. والعف: العفيف.
- (٨) شَيْبٌ: مُرَجٌّ.
- (٩) حَيْدٌ: جمع حيداء، وهي التي تعجد عن مواطن الشبهات والرَّيْبِ والنَّهْمِ. والنواكل: جمع ناكلة، وهي النافرة من الفحش.

### للعديل بن الفرخ

وقال العُدَيْلُ بْنُ الْفَرَخِ<sup>(١)</sup> فيما يتطرف طرفاً من هذا المعنى:

لَعَبَ النِّعَمُ بِهِنَّ فِي أَطْلَالِهِ      حَتَّى لَيْسَنَ زَمَانٌ عَيْشٍ غَافِلٍ<sup>(٢)</sup>  
يَأْخُذْنَ زَيْتَهُنَّ أَحْسَنَ مَا تَرَى      فَإِذَا عَطَلْنَ فَهِنَّ غَيْرُ عَوَاطِلِ  
وَإِذَا خَبَأْنَ خُدُودَهُنَّ أَرْتَنِي      حَذَقَ الْمَهَا وَأَخَذْنَ نَسْلَ الْقَاتِلِ<sup>(٣)</sup>  
يَرْمِيَنَّا لَا يَسْتَسِرُّنَّ بِجُئَةٍ      إِلَّا الصَّبَا وَعَلِمْنَ أَيْنَ مَقَاتِلِي<sup>(٤)</sup>  
يَلْبَسْنَ أَرْدِيَةَ الشَّبَابِ لِأَهْلِيهَا      وَيَجِرَّ بَاطِلُهُنَّ ذَيْلَ الْبَاطِلِ

### بين عَبْدُ اللَّهِ بن الحسن ورجل تعرض له بما يكره

وتعرض لعبد الله بن الحسن رجلٌ بما يكره، فقال فيما أنشده ثعلب:

أَطْنَتْ سَفَاهَا مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهَا      أَنْ أَهْجُوهَا لِمَا هَجَّتْنِي مُحَارِبُ<sup>(٥)</sup>  
فَلَا وَآيِهَا إِنِّي بِعَشِيرَتِي      وَنَفْسِي عَنْ ذَاكَ الْمَقَامِ لَرَاعِبُ<sup>(٦)</sup>  
وأنشد هذين البيتين أبو العباس المبرد لرجلٍ لم يسمَّه في رجلٍ يُعرَفُ بابن البعير، وقبلهما:

يَقُولُونَ أَبْنَاءَ الْبَعِيرِ وَمَا لَهُمْ      سَنَامٌ وَلَا فِي ذِرْوَةِ الْمَجْدِ غَارِبُ<sup>(٧)</sup>

### بين السفاح وعبد الله بن الحسن

وسايرَ عَبْدُ اللَّهِ بن الحسنَ أَبَا الْعَبَّاسِ السَّفَاحَ بِظَهْرِ مَدِينَةِ الْأَنْبَارِ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى بِنَاءٍ قَدْ بَنَاهُ أَبُو الْعَبَّاسِ وَيَدُورُ بِهِ، فَأَنْشَدَ عَبْدُ اللَّهِ:

- (١) هو العُدَيْلُ بْنُ الْفَرَخِ بن معن بن الأسود بن ربيعة بن عجل البكري، ويلقب بالعباب: شاعر أموي مُقِلٌّ. أقام بالبصرة، وهجا الحجاج بن يوسف، ونامد الفرزدق. توفي نحو ١٠٠ هـ/ ٧١٨ م.
- (٢) ابن قتيلة، الشعر والشعراء: ٣٢٥/١؛ لويس شيخو، شعراء النصرانية: ٢١٣/١.
- (٣) الأطلال: جمع الظلل، وهو الدار، أو ما تبقى من آثار الدار.
- (٤) الجئة: ما يتقي به المرء السهام (الدرع).
- (٥) محارب: اسم قبيلة.
- (٦) رغبت عن الشيء: زهدت فيه.
- (٧) الغارب: الكاهل. وذروة الشيء: أعلاه.

أَلَمْ تَرَ جَوْشَنًا لَمَّا تَبَيَّ  
بِنَاءٍ نَفَعُهُ لِنَبِيٍّ بَقِيْلُهُ  
يُؤْمَلُ أَنْ يَعْمَرَ عُمَرَ نُوحٍ  
وَأَمَرَ اللَّهُ يَحْدُثُ كُلَّ لَيْلَةٍ

وكان أبو العباس له مكرماً، وَلِحَقَّه مُعْظَمًا؛ فَتَبَسَّمَ مُغْضَبًا، وَقَالَ: لَوْ عَلِمْنَا لَاشْتَرَطْنَا حَقَّ الْمُسَايَرَةِ! فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: بَوَادِرُ الْخَوَاطِرِ، وَأَغْفَالُ الْمَسَانِحِ؛ وَاللَّهُ مَا قُلْتُمَا عَنْ رَوِيَّةٍ، وَلَا عَارِضَنِي فِيهَا فِكْرٌ؛ وَأَنْتَ أَجَلُّ مَنْ أَقَالَ، وَأَوَّلَى مَنْ صَفَحَ، قَالَ: صَدَقْتَ؛ خُذْ فِي غَيْرِ هَذَا.

### المنصور وعبد الله بن الحسن

ولما قتل المنصورُ ابنَه محمدًا - وكان عبدُ الله في السجن - بعث برأسه إليه مع الربيع حاجه؛ فَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: رَحِمَكَ اللَّهُ أبا القاسم فقد كنتَ من ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ لَا يَقْضُونَ الْبَيْعَ﴾ (٢) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿١﴾! ثم تمثل:

فَتَى كَانَ يَحْمِيهِ مِنَ الذِّلِّ سَيْفُهُ  
وَيَكْفِيهِ سَوَاءَ الْأُمُورِ اجْتِنَابُهَا

ثم التفتَ إلى الربيع فقال له: قل لصاحبك قد مضى من بُؤْسنا مدة، ومن نعيمك مثله؛ والموعدُ الله تعالى! قال الربيع: فما رأيت المنصور قط أكثر انكساراً منه حين أبلغته الرسالة.

أخذ العباس بن الأحنف (٢) هذا المعنى؛ وقيل: عِمارة بن عَقِيل بن بِلَال بن جَرِير (٣) فقال:

فَإِنْ تَلَحَّظِي حَالِي وَحَالِكَ مَرَّةً  
بِنَظَرَةٍ عَيْنٍ عَنْ هَوَى النَّفْسِ تُحْجَبُ  
تَجِدُ كُلَّ يَوْمٍ مَرٍّ مِنْ بُؤْسِ عِشْتِي  
يَمُرُّ يَوْمٌ مِنْ نَعِيمِكَ يُحَسَّبُ

(١) سورة الرعد، الآيتان (٢٠ و ٢١).

(٢) وردت ترجمته في مكان سابق.

(٣) هو أبو عقيل، عماره بن بلال بن جرير بن عطية الكلبي اليربوعي التميمي: شاعر هجاء، مقدم، فصيح، وافر العلم، غزير الأدب. كان يسكن بادية البصرة، وكان النحويون يأخذون اللغة عنه. توفي سنة ٢٣٩ هـ / ٧٩٨ م. (ابن المعتز، طبقات الشعراء: ٣١٦؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٣٦٨/٥؛ المرزباني، معجم الشعراء: ٧٨).

### بين المنصور وامرأة محمد بن عبد الله بن الحسن

ولما قتل المنصور محمد بن عبد الله اعترضته امرأة معها صبيان، فقالت: يا أمير المؤمنين، أنا امرأة محمد بن عبد الله، وهذان ابناه، أَيْتَمَهُمَا سَيْفُكَ، وَأَضَرَّعَهُمَا خَوْفُكَ<sup>(١)</sup>. فنادتُكَ اللهُ يا أمير المؤمنين أن تُصَعِّرَ لهما خَدَّكَ، أو يَأْثُرَ عَنْهُمَا رَفْدُكَ<sup>(٢)</sup>؛ وَلِتَعْطِفَكَ عَلَيْهِمَا شَوَابِكُ النِّسْبِ، وَأَوَاصِرُ الرَّحِمِ<sup>(٣)</sup> فالتفت إلى الربيع، فقال: اردد عليهما ضياع أبيهما، ثم قال: كذا والله أحب أن تكون نساء بني هاشم.

### بين المنصور وجعفر الصادق

وكان أهل المدينة لما ظهر محمد أجمعوا على حرب المنصور، ونصر محمد؛ فلما ظهر المنصور أحضر جعفر بن محمد بن علي بن الحسين الصادق، فقال له: قد رأيت إطباق أهل المدينة على حربي، وقد رأيت أن أبعث إليهم من يُغَوِّرَ عيونهم<sup>(٤)</sup>، وَيَجَمِّرَ نَخْلَهُمْ<sup>(٥)</sup>. فقال له جعفر: يا أمير المؤمنين؛ إن سليمان أعطيت فشكر، وإن أيوب ابتلي فصبر، وإن يوسف قدر فغفر؛ فأقْتَدِ بِأَيِّهِمْ شِئْتَ، وقد جعلك الله من نسل الذين يَعْفُونَ وَيَصْفَحُونَ، فقال أبو جعفر: إن أحدا لا يُعْلَمُنَا الْحِلْمَ، ولا يُعْرِفُنَا الْعِلْمَ، وإنما قلتُ هَمَمْتُ، ولم ترني فعلت؛ وإنك لتعلم أن قدرتي عليهم تمنعني من الإساءة إليهم.

### تعزية لجعفر الصادق

وعزى جعفر بن محمد رجلاً، فقال: أَعْظِمَ بِنِعْمَةٍ فِي مَصِيَّةٍ جَلَبَتْ أَجْرًا، وَأَفْظَعُ بِمَصِيَّةٍ فِي نِعْمَةٍ أَكْسَبَتْ كُفْرًا.

هذا كقول الطائي<sup>(٦)</sup>:

قَدْ يُنْعِمُ اللهُ بِالْبَلَوَى وَإِنْ عَظُمَتْ      وَبَيَّكَلِي اللهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنَّعَمِ

وكان جعفر بن محمد يقول: إني لأملق أحيانا فأتاجر الله بالصدقة فيربحني.

(١) أضرعه: أذله.

(٢) الرفد: العطاء.

(٣) الشوابك والأواصر: الروابط.

(٤) يُغَوِّرُ عيونهم: يطمسها، ويذهب ماءها.

(٥) جَمَّرَ النخلة تجميرا: قطع جمارها.

(٦) أبو تمام، الديوان: ١٤٨/٢.



### من كلام جعفر الصادق

وقال جعفر رضي الله عنه: من تَخَلَّقَ بالخلق الجميل وله خُلُقٌ سوء أَصِيلَ فَتَخَلَّفَهُ لا محالة زائل، وهو إلى خُلُقِهِ الْأَوَّلِ آيِل، كَطَلَبِي الذهب على النحاس يَنْسَحِقُ وتظهر صُفْرَتُهُ للناس. وهذا كقول العَرَجِيِّ<sup>(١)</sup>:

يَا أَيُّهَا الْمُتَحَلِّي غَيْرَ شِيمَتِهِ وَمِنْ خِلَافَتِهِ الْإِفْصَارُ وَالْمَلَقُ<sup>(٢)</sup>  
إِرْجِعْ إِلَى خُلُقِكَ الْمَعْرُوفِ وَارْضَ بِهِ إِنَّ التَّخَلُّقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخُلُقُ<sup>(٣)</sup>

وكان يقول: ما تَوَسَّلَ إِلَيَّ أَحَدٌ بوسيلة هي أقرب إِلَيَّ من يَدِ سَبَقَتْ مِنِّي إِلَيْهِ أَتْبَعَهَا اخْتَهَا لتحسن رَبِّهَا وَحِفْظَهَا<sup>(٤)</sup>؛ لِأَنَّ مَنْعَ الْآوَاخِرِ يَقْطَعُ لِسَانَ الْآوَائِلِ.

وقيل لجعفر رحمه الله: إِنَّ أَبَا جَعْفَرٍ الْمَنْصُورَ لَا يَلْبِسُ مَذْ صَارَتْ إِلَيْهِ الْخِلَافَةُ إِلَّا الْخَشْنَ، وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا الْجَشِبَ<sup>(٥)</sup>. فقال: يَا وَيْحَهُ! مع ما مُكِّنَ لَهُ مِنَ السُّلْطَانِ، وَجُمِّيَ إِلَيْهِ مِنَ الْخُرَاجِ! قالوا: إِنَّمَا يَقْعَلُ ذَلِكَ بُخْلًا وَجَمْعًا لِلْمَالِ. فقال: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَرَمَهُ مِنْ دُنْيَاهُ مَا تَرَكَ لَهُ مِنْ دِينِهِ. انتهى.

قال: وَمِنْ دَعَاءِ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ بِمَا أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ مِنَ الْعَفْوِ أَوْلَى بِمَا أَنَا أَهْلٌ لَهُ مِنَ الْعُقُوبَةِ.

### من عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر إلى بعض إخوانه

وكان عَبْدُ اللَّهِ [بن مُعَاوِيَةَ بن عبد الله] بن جَعْفَرٍ<sup>(٦)</sup> عالماً، ناسِياً، وكان خَطِيباً مُفَوَّهاً، وشاعراً مُجِيداً، وكتب إلى بعض إخوانه:

- (١) هو أبو عمر، عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي القرشي، ويلقب بالعرجي، لأنه كان يسكن عرج الطائف: شاعر غزل مطبوع، ينحو في شعره ومغامراته منحى عمر بن أبي ربيعة. تغزل بـ«العجيداء» والدة محمد بن هشام الأموي والي مكة، فغضب محمد بن هشام وألقى بالعرجي في السجن إلى أن مات نحو ١٢٠ هـ/ ٧٣٨ م. (فروخ، تاريخ الأدب العربي: ٦٨٠/٢).
- (٢) الإقصار: القصور والضعف. والملق: إظهار الودِّ ذِلَّةً وخضوعاً.
- (٣) التخلق: تكلف المرء ما ليس فيه من حسن الخلق.
- (٤) رَبِّ الشَّيْءِ: أصلحه.
- (٥) الجشب: هو الطعام القفار الذي لا إدام فيه.
- (٦) هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب: شاعر مجيد، ولد في خلافة =

أما بعد، فقد عاقني الشك في أمرك عن عزيمة الرأي فيك، وذلك أنك ابتدأتني بلطفٍ عن غير خبرة؛ ثم أعقبني جفاءً عن غير جريرة؛ فأطمعني أولك في إخالك، وأياسني آخرك عن وفائك؛ فلا أنا في غير الرجاء مجمع لك أطراحاً، ولا أنا في غدٍ وانتظاره منك على ثقة؛ فسبحان من لو شاء كشف بإيضاح الشك في أمرك عن عزيمة الرأي فيك؛ فاجتمعنا على ائتلاف، أو افترقنا على اختلاف، والسلام.

وهو القائل:

رَأَيْتُ فَضِيلاً كَانَ شَيْئاً مُلْفَعاً      فَأَنْتَ أَخِي مَا لَمْ تَكُنْ لِي حَاجَةً  
كَلَانَا غَنِيٌّ عَنْ أَخِيهِ حَيَاتِهِ      فَلَا زَادَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ مَا  
فَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ      وَالْقَائِلُ أَيْضاً:

لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَابُ كَرُمَتْ      يَوْمًا عَلَى الْأَحْسَابِ نَتَكَلَّمُ  
نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا      تَبْنِي وَنَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا

### لعامر بن الطفيل

وهذا كقول عامر بن الطفيل<sup>(٢)</sup>، قال أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش<sup>(٣)</sup>: أنشدني محمد الحسن بن الحرّون لعامر بن الطفيل:

= معاوية بن أبي سفيان، وهو الذي سماه. وقد خرج عبد الله في أيام الوليد بن يزيد، وقصد إلى خراسان، وكان قد ظهر بها أبو مسلم، فأخذه أبو مسلم وحبسه عنده ثم قتله. (الجاحظ، الحيوان: ٤٨٨/٣).

(١) مُلْفَعٌ: مُعْطَى. وَالتَّمْجِصُ: التَّخْلِيسُ وَالتَّنْقِيةُ، وَقِيلَ: الْإِخْتِبَارُ وَالِابْتِلَاءُ. وَيُرْوَى: «كَانَ شَيْئاً مُلْفَعًا»، (ابن منظور، اللسان: محص).

(٢) هو أبو علي، عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري: شاعر، فارس، فحل، مجيد. ولد ونشأ بنجد. أدرك الإسلام شيخاً، فاشترط على النبي ﷺ أن يجعل له نصف ثمار المدينة إن هو أسلم، وأن يجعله ولي الأمر من بعده، فردّه النبي ﷺ، فعاد حانقاً. مات سنة ١١ هـ / ٦٣٢ م. (الأصفهاني، الأغاني: ٢١٥/١٦؛ الآمدي، المؤلف والمختلف: ٢٣٠).

(٣) هو أبو الحسن، علي بن سليمان بن الفضل، المعروف بالأخفش الأصغر النحوي، كان عالماً، =

تَقُولُ ابْنَةُ الْعَمْرِئِ: مَا لَكَ بَعْدَ مَا  
فَقُلْتُ لَهَا: هَمِّي الَّذِي تَعْرِفِينَهُ  
إِنْ أَعَزُّ زَيْدًا أَعَزُّ قَوْمًا أَعِزَّةً  
وَأَنْ أَعَزُّ حَيِّي خَنَعِمَ قَدِمَاؤُهُمْ  
فَمَا أَذْرَكَ الْأَوْتَارَ مِثْلَ مُحَقِّقٍ  
وَأَسْمَرَ خَطِيئِي وَأَبْيَضَ بَاتِرٍ  
وَأِنِّي وَإِنْ كُنْتُ ابْنُ سَيِّدٍ عَامِرٍ  
فَمَا سَوَّدَتْنِي عَامِرٌ عَنْ وَرَاثَةٍ  
وَلَكِنِّي أَحْمِي حِمَاَهَا، وَأَتَقِي  
أَرَاكَ صَاحِبًا كَالسَّلِيمِ الْمُعَذِّبِ<sup>(١)</sup>  
مِنْ الشَّارِ فِي حَيِّي زَيْدٍ وَأَرْحَبِ  
مُرْكَبُهُمْ فِي الْحَيِّ خَيْرُ مُرْكَبِ  
شِفَاءٍ وَخَيْرُ الشَّارِ لِلْمَتَأَوِبِ<sup>(٢)</sup>  
بِأَجْرَدَ طَاوٍ كَالْعَيْبِ الْمُشَذَّبِ<sup>(٣)</sup>  
وَزَعْفٍ دَلَاصٍ كَالْغَدِيرِ الْمُثَوَّبِ<sup>(٤)</sup>  
وَفِي السَّرِّ مِنْهَا وَالصَّرِيحِ الْمُهَذَّبِ  
أَبَى اللَّهُ أَنْ أَسْمُو بَأْمٌ وَلَا أَبِ  
أَذَاهَا، وَأَرْمِي مَنْ رَمَاهَا بِمَنْكَبِ

### عبد الله بن معاوية يهنئ بإملاك

وقال أيضاً يهنئ بعض الهاشميين بإملاك<sup>(٥)</sup>: زاد الله في نعمته، وبارك في فَوَاضِلِهِ،  
وجمّل نوافِلِهِ؛ ونسأل الله - الذي قسم لكم ما تحبّون من السرور - أن يجنّبكم ما تكرهون  
من المحذور، ويجعل ما أحدثه لكم زينةً، ومتاعاً حسناً، ورشداً ثابتاً، ويجعل سبيلَ ما  
أصبحت عليه، تاماً لصالح ما سمّوت إليه؛ من اجتماع الشّمل، وحُسن موافقة الأهل؛  
ألّف الله ذلك بالصلاح، وتسمه بالنجاح، ومدّ لك في ثروة العدد، وطيب الولد، مع الزيادة  
في المال، وحُسن السلامة في الحال، وقُرة العين، وصلاح ذات البين.

= ثقة، وهو غير الأخفش الأكبر والأخفش الأوسط. وكانت بينه وبين ابن الرومي شاعر منافسة.

توفي سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٨ م. (ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٣ / ٣٠١).

(١) السليم: الملدوغ، ويقال له ذلك تيمناً.

(٢) المتأوب: الذي يطرق ليلاً.

(٣) الأجرد: الحصان سقط شعره من الضمور. والطاوي: الضامر. والعيب: جريدة من النخل  
مستقيمة دقيقة يكشط حوصها. والمُشَذَّب: المُقْلَم.

(٤) الأسمر الخطي: الرمح المنسوب إلى الخط، وهي منطقة في البحرين كانت الرماح تُسَوَّرُ  
عبرها، أو تُصَعَّ فيها. والأبيض الباتر: السيف القاطع. والزغف: الدروع. والدلاص: اللينة  
الملساء. والغدير المثوب: النهر الممتلئ.

(٥) الإملاك: الزواج.

### بين أبي عاصم الأسلمي الشاعر والحسن بن زيد

وهجا أبو عاصم محمد بن حمزة الأسلمي المدني<sup>(١)</sup> الحسن بن زيد بن الحسين بن أبي طالب رحمة الله عليه، فقال<sup>(٢)</sup>:

لَه حَقٌّ وَلَيْسَ عَلَيْهِ حَقٌّ      وَمَهْمَا قَالَ فَالْحَسَنُ الْجَمِيلُ  
وَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ يَرَى حُقُوقًا      عَلَيْهِ لِغَيْرِهِ وَهُوَ الرَّسُولُ

فلما ولي الحسن المدينة أتاه متكرراً في زي الأعراب، فقال:

سَتَأْتِي مِدْحَتِي الْحَسَنَ بْنَ زَيْدٍ      وَتَشْهَدُ لِي بِصِفِّينَ الْقُبُورِ<sup>(٣)</sup>  
قُبُورٌ لَمْ تَزَلْ مُذْ غَابَ عَنْهَا      أَبُو حَسَنِ تُعَادِيهَا الدُّهُورُ  
قُبُورٌ لَسَوْ بِأَحْمَدٍ أَوْ عَلِيٍّ      يَلُودُ مُجِيرُهَا حُمَيِّ الْمُجِيرُ  
هُمَا أَبَوَاكَ مَنْ وَضَعَا فَضْعَهُ      وَأَنْتَ بِرَفْعٍ مَنْ رَفَعَا جَدِيرُ

فقال: من أنت؟ قال: أنا الأسلمي. قال: اذُنْ حَيَّاكَ اللهُ! وبسط له رداءه، وأجلسه عليه، وأمر له بعشرة آلاف درهم.

### بين الحسن بن زيد وداود بن سلم التيمي

وكان الحسن بن زيد قد عَوَّدَ داود بن سلم<sup>(٤)</sup> مولى بني تيم أن يصله، فلما مدح داود جعفر بن سليمان بن علي - وكان بينه وبين الحسن بن زيد تباعدٌ - أغضبه ذلك، وقدم الحسن من حجٍّ أو عُمرة، فدخل عليه داود بن سلم مهنتاً، فقال: أَنْتَ الْقَاتِلُ فِي جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ:

(١) هو أبو عاصم، محمد بن حمزة الأسلمي، وقيل: اسمه عبد الله: شاعر مدني، منصوري، كان وثيق الصلة بالحسن بن زيد. (الصفدي، الوافي بالوفيات: ٢٦/٣).

(٢) البيان في «العمدة» لابن رشيح القيرواني: ١٧٢/٢.

(٣) صِفِّين: موضع بالقرب من الرقة، على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس. جرت فيها موقعة شديدة بين علي ومعاوية سنة ٣٧ للهجرة.

(٤) هو داود بن سلم، المعروف بالأدلم، مولى بني تيم بن مرة بن كعب، وقيل: مولى آل أبي بكر: شاعر حجازي مجيد، رفيق الشعر، من أهل المدينة، وقد عُرف بالأدلم لسواد لونه. ويعرف أيضاً بالآدم والأرمك. توفي نحو ١٣٢ هـ/ نحو ٧٦٠ م. (ياقوت الحموي، معجم الأدباء: ٩٥/١١).

وَكُنَّا حَدِيثًا قَبْلَ تَأْمِيرِ جَعْفَرٍ      وَكَانَ الْمُنَى فِي جَعْفَرٍ أَنْ يُؤْمَرَ<sup>(١)</sup>  
 حَوَى الْمُنْبَرَيْنِ الطَّاهِرَيْنِ كِلَيْهِمَا      إِذَا مَا خَطَا عَنْ مُنْبَرٍ أَمَّ مُنْبَرًا<sup>(٢)</sup>  
 كَانَ بَنِي حَوْءَ صَفُّوا أَمَامَهُ      فَخَيَّرَ فِي أَنْسَابِهِمْ فَتَخَيَّرَا

فقال داود: نعم، جعلني الله فداك، فكنتم خيرة اختياره! وأنا القائل:

لَعَمْرِي لَنْ عَاقَبْتَ أَوْ جُدْتَ مُنْعِمًا      يَعْصُو عَنِ الْجَانِي وَإِنْ كَانَ مُعْذِرًا<sup>(٣)</sup>  
 لَأَنْتَ بِمَا قَدَّمْتَ أَوْلَى بِمُدْحَةٍ      وَأَكْرَمَ فَخْرًا إِنْ فَخَرْتَ وَعُنْصُرَا  
 هُوَ الْغُرَّةُ الزَّهْرَاءُ مِنْ فَرْعِ هَاشِمٍ      وَيَدْعُو عَلِيًّا ذَا الْمَعَالِي وَجَعْفَرًا<sup>(٤)</sup>  
 وَزَيْدَ النَّدَى وَالسَّبْطُ سَبْطُ مُحَمَّدٍ      وَعَمَّكَ بِالطَّفِّ الزَّكِيُّ الْمُطَهَّرَا  
 وَمَا نَالَ مِنْهَا جَعْفَرٌ غَيْرَ مَجْلِسٍ      إِذَا مَا نَفَاهُ الْعَزْلُ عَنْهُ تَأَخَّرَا<sup>(٥)</sup>  
 بِحَقِّكُمْ نَالُوا ذُرَاهَا وَأَصْبَحُوا      يَرُونُ بِهِ عِزًّا عَلَيْكُمْ وَمَظْهَرَا

فعادله الحسن بن زيد إلى ما كان عليه، ولم يزل يصله ويحسن إليه إلى أن مات.

وقوله: «وإن كان مُعْذِرًا»، لأن جعفرًا أعطاه على أيباته الثلاثة ألف دينار.

### بين الحسن بن زيد وابن هرمة

ولما ولي الحسن بن زيد المدينة دخل عليه إبراهيم بن علي بن هرمة<sup>(٦)</sup>، فقال له الحسن: يا إبراهيم؛ لَسْتُ كَمَنْ بَاعَ لَكَ دِينَهُ رَجَاءَ مَدْحِكَ، أَوْ خَوْفَ ذَمِّكَ، فَقَدْ رَزَقَنِي اللَّهُ

(١) يُؤْمَرُ: يُؤَلَّى الإمارة.

(٢) أَمَّ: قصد.

(٣) الْمُعْذِرُ: ذُو الْعُذْرِ.

(٤) الْغُرَّةُ: غُرَّةُ الْقَوْمِ: سَيِّدُهُمْ. وَالْغُرَّةُ عِنْدَ الْعَرَبِ: أَنْفُسُ شَيْءٍ يُمْلِكُ وَأَفْضَلُهُ، وَغُرَّةُ الرَّجُلِ: وَجْهَهُ، وَقِيلَ: طَلْعَتُهُ.

(٥) الْعَزْلُ: لَعَلَّهُ أَرَادَ الْعَزْلَ عَنِ الْوَلَايَةِ.

(٦) هُوَ أَبُو إِسْحَاقَ، إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ سُلَيْمَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ هَرْمَةَ الْكَتَنَانِي الْقُرَشِيُّ: شَاعِرٌ مَفْلُوقٌ مُجِيدٌ، مِنْ سُكَّانِ الْمَدِينَةِ. أَدْرَكَ الدَّوْلَتَيْنِ الْأُمَوِيَّةَ وَالْعَبَّاسِيَّةَ، فَمَدَحَ الْوَلِيدَ بْنَ يَزِيدَ الْأُمَوِيَّ، وَالْمَنْصُورَ الْعَبَّاسِيَّ، وَانْقَطَعَ إِلَى الطَّالِبِيِّينَ وَلَهُ شِعْرٌ فِيهِمْ. وَيُقَالُ: هُوَ آخِرُ الشُّعْرَاءِ الَّذِينَ يَحْتَجُّ بِشِعْرِهِمْ. تَوَفَّى سَنَةَ ١٥٠ هـ/ ٧٦٧ م. (ابن المعتز، طبقات الشعراء: ٢٠؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ١٢٧/٦).

تعالى بولادة نبيه ﷺ الممدوح، وَجَبَّنِي المقابح، وَإِنَّ مِنْ حَقِّهِ عَلَيَّ أَلَا أُغْضِيَّ عَلَى تَقْصِيرٍ فِي حَقِّ وَجِبْ؛ وَأَنَا أَقْسَمُ لَنْ أَتَيْتُ بِكَ سَكَرَانَ لِأَضْرِبَكَ حَدًّا لِلْخَمْرِ، وَحَدًّا لِلْسُكْرِ؛ وَلَأَزِيدَنَّ لِمَوْضِعِ حُرْمَتِكَ بِي، فَلَيْكِنْ تَرَكْتُ لَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ تُعْنُ عَلَيْهِ، وَلَا تَدْعُهَا لِلنَّاسِ فَتَوَكَّلْ إِلَيْهِمْ. فَهَهِضَ ابْنُ هَرَمَةَ، وَهُوَ يَقُولُ:

نَهَانِي ابْنُ الرَّسُولِ عَنِ الْمُدَامِ وَأَدَّبَنِي بِآدَابِ الْكِرَامِ  
وَقَالَ لِي أَصْطَبِرُ عَنْهَا وَدَعُوهَا لِخَوْفِ اللَّهِ لَا خَوْفِ الْأَنْسَامِ  
وَكَيْفَ تَصْبُرِي عَنْهَا وَحُبِّي لَهَا حُبٌّ تَمَكَّنَ فِي عِظَامِي  
أَرَى طَيْفَ الْخِيَالِ عَلَيَّ خُبْنًا وَطَيْبَ الْعَيْشِ فِي خُبْنِ الْحَرَامِ

وكان إبراهيم منهوماً في الخمر، وجلده خَيْثَمُ بْنُ عِرَاكٍ صاحبُ شُرْطَةِ الْمَدِينَةِ لِرَبَاحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَارِثِيِّ فِي وِلَايَةِ أَبِي الْعَبَّاسِ.

### بين أبي جعفر المنصور وابن هرمة

ولما وفد على أبي جعفر المنصور ومدحه استحسَنَ شعره ووصله، وقال له: سَلِّ حاجتك، قال: تكتب لي إلى عامل المدينة أَلَّا يَحْدُنِي إِذَا أَتَيْتُ بِي سَكَرَانَ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: هَذَا حَدٌّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَجُوزُ أَنْ أَعْطَلَهُ، قَالَ: فَاحْتِلْ لِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! فَكُتِبَ إِلَى عَامِلِ الْمَدِينَةِ: «مَنْ أَتَاكَ بَابَنِ هَرَمَةَ سَكَرَانَ فَاجْلِدْهُ مِائَةً، وَاجْلِدْ ابْنَ هَرَمَةَ ثَمَانِينَ».

فَكَانَ الشُّرْطُ يَمْرُؤُونَ بِهِ مَطْرُوحاً فِي سِكَكِ الْمَدِينَةِ، فَيَقُولُونَ: مَنْ يَشْتَرِي مِائَةً بِثَمَانِينَ؟!

### من شعر موسى بن عبد الله الطالبي

وقال موسى بن عبد الله بن علي بن أبي طالب:

إِذَا أَنَا لَمْ أَقْبَلْ مِنَ الدَّهْرِ كُلِّ مَا تَكَرَّهْتُ مِنْهُ طَالَ عَتَبِي عَلَى الدَّهْرِ  
إِلَى اللَّهِ كُلِّ الْأَمْرِ فِي الْخَلْقِ كُلِّهِمْ وَلَيْسَ إِلَى الْمَخْلُوقِ شَيْءٌ مِنَ الْأَمْرِ  
تَعَوَّدْتُ مَسَّ الضَّرِّ حَتَّى أَلْفُتُهُ وَأَسْلَمَنِي طَوْلُ الْبَلَاءِ إِلَى الصَّبْرِ  
وَوَسَّعَ صَدْرِي لِلْأَذَى الْأَنْسُ بِالْأَذَى وَإِنْ كُنْتُ أَحْيَاناً يَضِيقُ بِهِ صَدْرِي  
وَصَيَّرَنِي يَأْسِي مِنَ النَّاسِ رَاجِياً لِسُرْعَةِ لُطْفِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ لَا أُدْرِي

وموسى بن عبد الله هو القائل :

تَوَلَّيْتُ بِهَجَّةِ الدُّنْيَا      فَكُلُّ جَدِيدِهَا خَلْقٌ<sup>(١)</sup>  
وَحَيَّانَ النَّاسِ كُلُّهُمْ      فَمَا أَدْرِي بِمَنْ أَثِقُ  
رَأَيْتُ مَعَالِمَ الْخَيْرِ      تَسُدَّتْ دُونَهَا الطُّرُقُ  
فَلَا حَصَبٌ وَلَا نَسَبٌ      وَلَا دِيْنٌ وَلَا خُلُقُ  
فَلَسْتُ مُصَدِّقَ الْأَقْوَا      مِ فِي شَيْءٍ وَإِنْ صَدَّقُوا

### بعض أخبار موسى

وكان المنصور حبسه لخروجه عليه مع أخويه، ثم ضربه ألف سوط، فما نطق بحرف واحد؛ فقال الربيع: عذرت هؤلاء الفساق في صبرهم؛ فما بال هذا الفتى الذي نشأ في النعمة والدعة؟ فقال:

إِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ يَزِيدُهُمْ      جَلَدًا وَصَبْرًا قَسْوَةَ السُّلْطَانِ  
وولدت هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن زمة موسى، ولها ستون سنة، ولا يعلم امرأة ولدت بنت ستين سنة إلا قرشية.

### بين علي بن محمد العلوي والحسين بن إسماعيل

اجتاز علي بن محمد العلوي بالجسر يحدثان<sup>(٢)</sup> قتل عمر بن يحيى بن عبد الله بن الحسين، وقاتله الحسين بن إسماعيل هناك قد جرد رجلاً للقتل، فلما رأت أم الرجل عليا سأله أن يشفع فيه، فمال علي إلى الحسين فأشده:

قَتَلْتَ أَبْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايِسَا      وَجِئْتُكَ أَسْتَلِيْكَ بِالْكَلَامِ  
وَعَزَّ عَلَيَّ أَنْ أَلْقَاكَ إِلَّا      وَفِيمَا يَتَنَسَا حَذُّ الْحُسَامِ  
وَلَكِنَّ الْجَنَاحَ إِذَا أُصِيبَتْ      قَوَادِمُهُ يَرْفُ عَلَى الْإِكَامِ<sup>(٣)</sup>

فقال له: وما حاجتك؟ قال: العفو عن ابن هذه المرأة! فتركه.

(١) الخلق: البالي.

(٢) حدثان الأمر: أوله.

(٣) القوادم: مقدم الریش. والإكام: جمع الأكمة: التلة.

## العباس بن الحسين الهاشمي

وسُئِلَ العباسُ بن الحسين عن رجلٍ، فقال لجليسه: أطرب من الإبل على الحُدَاءِ، ومن الشمل على الغِنَاءِ.

وذكر العباس رجلاً فقال: ما الحِمَامُ<sup>(١)</sup> على الأحرار، وطول السَّقَمِ في الأسفار، وعِظَمُ الدِّينِ على الإقْتَارِ<sup>(٢)</sup>، بأشدَّ من لقائه.

وقال العباسُ بن الحسين للمأمون: يا أمير المؤمنين؛ إن لساني يُنْطَلِقُ بِمَدْحِكَ غَائِباً، وقد أَحْبَبْتُ أَنْ يَتَزَيَّدَ عندك حاضراً، أَفْتَأْذُنُ لي يا أمير المؤمنين في الكلام؟ فقال له: قل؛ فوالله إنك لتقولُ فَتَحْسِنَ، وَتَحْضُرُ فَتَرْبَنَ، وتغيب فتؤْتَمَنَ، فقال: ما بعدَ هذا كلامٌ يا أمير المؤمنين! أَفْتَأْذُنُ بالسكوت؟ قال: إذا شئت.

وذكر رجلاً بليغاً فقال: ما شَبَّهْتُ كلامه إلا بشعبان ينهالُ بين رِمَالٍ، وماءٍ يتغلغل بين جِبَالٍ.

وَسَمِعَ الْمُتَتَجِعُ بن نَبْهَانٍ كلامَ العباس بن الحسين، فقال: هذا كلامٌ يدلُّ سائرَه على غايِرِه<sup>(٣)</sup> وأوله على آخره.

وسأل المأمونُ العباس بن الحسين عن رجلٍ؟ فقال: رَأَيْتُ له حِلْماً وأناة، ولم أسمع لَحْناً وَلَا إِحَالَةً<sup>(٤)</sup>؛ يُحَدِّثُكَ الحديثَ على مَطَاوِيهِ<sup>(٥)</sup>، وَيُشِدُّكَ الشعرَ على مَدَارِجِه<sup>(٦)</sup>.

وكان المأمون يقول: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْمَعَ لَهْواً بلا حَرَجٍ فليسمع كلامَ العباس. والعباسُ بنُ الحسينِ من أشعِرِ الهاشميين؛ وهو يُعَدُّ في طبقة إبراهيم بن المهدي، وهو القائل:

(١) الحِمَامُ: الموت.

(٢) الإقْتَارُ: التضييق على الإنسان في الرزق، والقَتْرُ والإقْتَارُ: ضيق العيش.

(٣) سائرَه: باقيه، وغايِرِه: ماضيه.

(٤) الإحالة: التكلم بالمحال.

(٥) على مطاويه: على خفائاه.

(٦) المدارج: الثنايا الغلاظ بين الجبال، واحدها: مَدْرَجَة، وهي المواضع التي يُدرَج فيها، أي يمشى. ومنه: درج الشيخ والصبي، يدرج دَرَجاً وَدَرَجَاناً ودرجاً: مَشْيًا مَشْيًا ضَعِيفًا، وَدَبًّا.



أَنَاحَ لَكَ الْهَوَى بِيضٌ حَسَانٌ      سَيِّئَكَ بِالْعَبِيُونِ وَبِالشُّعُورِ<sup>(١)</sup>  
نَظَرْتُ إِلَى النُّحُورِ فَكَدَّتْ تَقْضِي      وَأَوَّلَى لَوْ نَظَرْتُ إِلَى الْخُصُورِ<sup>(٢)</sup>  
وهو القائل أيضاً:

صَادَتْكَ مِنْ بَعْضِ الْفُصُورِ      بِيضٌ نَوَاعِمُ فِي الْخُدُورِ  
حُورٌ تَحُورُ إِلَى صَبَا      كِ بِأَعْيُنٍ مِنْهُنَّ حُورِ<sup>(٣)</sup>  
وَكَأَنَّمَا بِثُغُورِهِنَّ      جَنَى الرُّضَابِ مِنَ الْخُمُورِ<sup>(٤)</sup>  
يَضْبَعُنَّ تَفَاحَ الْخُدُودِ      دِ بِمَاءِ رُمَّانِ الصُّدُورِ

وهو: العباس بن الحسين بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه،  
وأم عبيد الله جدة بنت عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب عم محمد بن علي أبي الخلفاء.

وكان الرشيد والمأمون يُقَرِّبانِ العباسَ غايةَ التقريب؛ لِنِسَبِهِ وأدبه؛ قال أبو دلف:  
دخلتُ على الرشيد وهو في طارمة على طنفسة<sup>(٥)</sup> ومعه عليها شيخٌ جميلُ المنظر؛ فقال لي  
الرشيد: يا قاسم؛ ما خبرُ أرضك؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، خرابٌ يَبَاب، أَخْرَبَهَا الْأَكْرَادُ  
وَالْأَعْرَابُ. فقال قائل: هذا أَفَةُ الجبل، وهو أَفسده، فقلت: أَنَا أَصْلَحُه، قال الرشيد:  
وكيف ذلك؟ قلت: أَفْسَدْتُهُ وَأَنْتَ عَلَيَّ وَأَصْلَحْتُهُ وَأَنْتَ مَعِي! قال الشيخ: إن همته لَتَرْمِي به  
من وراء سنِّه مَرْمًى بعيداً؛ فسألت عن الشيخ فقلت: العباس بن الحسين، وكان أبو دلف  
ذلك الوقت صغير السن.

### بين موسى بن جعفر والفضل بن الربيع

ولقي موسى بن جعفر<sup>(٦)</sup> رضي الله عنه محمد بن الرشيد الأمين بالمدينة وموسى على

(١) أَنَاحَ: هَبَّ. وَسَيِّئَكَ: أَسْرَتَكَ.

(٢) تَقْضِي: تَهْلِكُ.

(٣) حُورٌ: بِيضٌ، والواحدة حوراء. وَالْحَوْرُ فِي الْعَيْنِ: شِدَّةُ بَيَاضِ بَيَاضِهَا مَعَ شِدَّةِ سَوَادِ سَوَادِهَا.  
وتحور: تميل.

(٤) الرُّضَابُ: الرِّيقُ.

(٥) الطارمة: بيت من خشب كالقبة. وَالطَّنْفَسَةُ وَالطَّنْفُسَةُ: الثَّمَرَةُ فَوْقَ الرَّحْلِ، وَجَمْعُهَا طَنَافِسُ،  
وقيل: هي البساط الذي له حَمْلٌ رقيق.

(٦) هو أبو الحسن، موسى الكاظم، بن جعفر الصادق، ووالد علي بن موسى الرضى. ولد في =

بَعْلَةً، فقال للفضل بن الربيع: عَاتِبْ هذا، فقال له الفضل: كيف لقيتَ أمير المؤمنين على هذه الدابة التي إن طُلِبْتَ عليها لم تَسْبِقْ، وإن طُلِبْتَ عليها تلحق، فقال: لست أحتاجُ أن أُطْلَبَ، ولا إلى أن أُطْلَبَ؛ ولكنها دَابَّةٌ تنحط عن خِيَلَاءِ الْخِيَلِ، وترتفع عن ذِلَّةِ الْعَيْرِ<sup>(١)</sup>، وخيرُ الأمور أوسطُها.

### علي بن موسى الرضا

أُصِيبَ علي بن موسى بمصيبة، فصار إليه الحسن بن سهل، فقال: إنا لم نَأْتِكَ مُعْزِينَ؛ بل جُنَّاكَ مُقْتَدِينَ؛ فالحمدُ لله الذي جعل حياتكم للناس رَحْمَةً، ومصائبكم لهم قُدُوةً.

وكان علي بن موسى الرضا رحمه الله قد ولَّاهُ المأمون عَهْدَهُ، وعقد له الخلافة بعده، ونزع السَّوادَ عن بني العباس، وأمرهم بلباس الخضرة، ومات علي بن موسى في حياة المأمون بطُوس<sup>(٢)</sup>، فشقَّ [المأمون] قبر الرشيد ودُفِنَ فيه تبركاً به، وكان الرشيد قد مات بطوس فدفن هناك؛ ولذلك قال دعبل بن علي الخزاعي<sup>(٣)</sup>:

أَرْبَعُ بِطُوسَ عَلَى قَبْرِ الزَّكِيِّ بِهَا      إِنْ كُنْتَ تَرَبُّعُ مِنْ دِينِ عَلِيٍّ وَطَرِ<sup>(٤)</sup>  
مَا يَنْفَعُ الرَّجْسُ مِنْ قُرْبِ الزَّكِيِّ، وَلَا      عَلَى الزَّكِيِّ يَقْرُبُ الرَّجْسِ مِنْ ضَرَرِ  
هَيْهَاتَ كُلِّ امْرَأَةٍ رَهْنٌ بِمَا كَسَبَتْ      لَهُ يَدَاهُ فَخُذْ مِنْ ذَاكَ أَوْ فَذَرِ  
قَبْرَانِ فِي طُوسَ: خَيْرُ النَّاسِ كُلِّهِمْ      وَقَبْرُ شَرِّهِمْ، هَذَا مِنَ الْعَبَرِ

= الأبواء - قرب المدينة - سنة ١٢٨ هـ. كان صالحاً، عابداً، جواداً، حليماً، كبير القدر. حبه المهدي في بغداد، ثم أطلقه، ثم حبه الرشيد، فمات في حَبْيه سنة ١٨٣ هـ / ٨٠٠ م. (ابن العماد، شذرات الذهب: ٣٠٣/١).

(١) الْعَيْرُ: الحمار.

(٢) كانت وفاة علي بن موسى الرضا سنة ٢٠٣ هـ / ٨١٩ م.

(٣) هو أبو علي، دعبل بن علي بن رزين بن سليمان الخزاعي: شاعر مقدم مطبوع، من شعراء الدولة العباسية. ولد في الكوفة، ونشأ فيها يعاشر الْمُجَانَّ والخُلَعَاءَ، وطاف في البلاد مُتَكَسِّباً. وتعتبر مدائحه في آل البيت أحسن شعره. وكان مولعاً بالهجاء، هجا الخلفاء ومن دونهم، ولولا حلمهم لقتلوه. توفي سنة ٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م.

(ابن المعتز، طبقات الشعراء: ٢٦٤؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء: ٩٩/١١).

(٤) رَبَّعٌ: أقام. والوטר: الحاجة.

## رثاء دعبل لآل البيت

وكان دِعْبِل مداحاً لأهل البيت، كثير التعصّب لهم، والغلوّ فيهم. وله المراثية المشهورة، وهي من جيد شعره، وأولها:

مَدَارِسَ آيَاتٍ عَفَتْ مِنْ تِلَاوَةٍ      وَمَنْزِلَ وَحْيٍ مُقْفَرٍ الْعَرَصَاتِ<sup>(١)</sup>  
لَا لِرَسُولِ اللَّهِ بِالسَّخِيفِ مِنْ مَنَى      وَبِالْبَيْتِ وَالتَّعْرِيفِ وَالْجَمَرَاتِ<sup>(٢)</sup>  
دِيَارُ عَلِيٍّ وَالْحُسَيْنِ وَجَعْفَرٍ      وَحُمَزَةَ وَالسَّجَّادِ ذِي الثَّنَاتِ<sup>(٣)</sup>  
قَفَا نَسَالَ الدَّارِ الَّتِي خَفَ أَهْلُهَا      مَتَى عَمِدُهَا بِالصُّومِ وَالصَّلَوَاتِ  
وَأَيْنَ الْأُولَى شَطَطَتْ بِهِمْ غُرْبَةُ النَّوَى      أَفَانِينَ فِي الْأَفَاقِ مُفْتَرِقَاتِ<sup>(٤)</sup>  
أَحِبُّ قَصِي الدَّارِ مِنْ أَجْلِ حُبِّهِمْ      وَأَهْجُرُ فِيهِمْ أَسْرَتِي وَثِقَاتِي  
وهي طويلة.

## بين دعبل والمأمون

ولما دخل المأمون بغداد أخضر دِعْبِلًا بعد أن أعطاه الأمان، وكان قد هجاه وهجا أباه، فقال: يا دعبل، من الحضيض الأوهْد! فقال: يا أمير المؤمنين، قد عفوت عمن هو أشدُّ جُرْماً مني! أراد المأمون قول دعبل يهجو:

إِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ سُوفُهُمْ      قَتَلْتُ أَخَاكَ وَشَرَفْتُكَ بِمَقْعِدِ  
شَادُوا بِذِكْرِكَ بَعْدَ طُولِ حُمُولِهِ      وَاسْتَنْذَوْكَ مِنَ الْحَضِيضِ الْأَوْهَدِ<sup>(٥)</sup>

يفتخرُ عليه بقتلِ طاهر بن الحسين بن مُصْعَبِ ذِي الْيَمِينِ أخاه محمداً، وطاهر مولى

(١) العرصات: جمع عَرَصَة، وهي الساحة.

(٢) الجمرات: جمع الجمرة: اجتماع القبيلة الواحدة على كل من نأواها من سائر القبائل، ومن هذا قيل لمواضع الجمار التي ترمى بمنى: جمرات، لأن كلَّ مجمع حصيّ منها جمرة، وهي ثلاث جمرات، وهي المقصودة بقول الشاعر.

(٣) الثنات: جمع الثفنة، وهي من الناقة والبعير: الركبة وما مسَّ الأرض من أعضاء الجسد، وقيل: هو كل ما ولي الأرض من ذي أربع إذا برك أو ربض. والمراد هنا: ما كان على جبهته وركبته ممّا يشبه الثنات من أثر السجود.

(٤) غربة النوى: بُعْدُهُ، والنوى: البُعدُ أو الفراق.

(٥) الأوهْد: الأكثر انخفاضاً من الأرض، والوَهْلُ: اسم للحفرة، والجمع: أَوْهْدٌ وَوَهْدٌ وَوَهَادٌ.

لِحُرَاةٍ، فاستنشد هذه القصيدة التائبة، فاستعفاها، فقال: لا بأس عليك، وقد رويتها، وإنما أحببت أن أسمعها منك، فأنشدتها دُعْبِل؛ فلما انتهى إلى قوله:

أَلَمْ تَرَ أَنِّي مُذْ ثَلَاثِينَ حِجَّةً      أَرَى فِيهِمْ فِي غَيْرِهِمْ مُتَقَسِّمًا  
وَأَيْدِيَهُمْ مِنْ فِيهِمْ صَفَرَاتٍ <sup>(١)</sup>      إِذَا وَتَرُوا مَدَّوْا إِلَى أَهْلِ وَتَرِهِمْ  
أَكْفَأَ عَنِ الْأَوْتَارِ مُتَقَبِّضَاتٍ <sup>(٢)</sup>      وَالْ رَسُولِ اللَّهِ نُحِفُ جُسُومُهُمْ  
وَال زِيَادِ غُلَظُ الْقَصَصَرَاتِ <sup>(٣)</sup>      بَنَاتُ زِيَادٍ فِي الْقُصُورِ مَضُونَةٌ  
وَبِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ فِي الْفَلَاوَاتِ

بكى المأمون، وجدد له الأمان، وأحسن له الصلة.

### لسليمان بن قتيبة يرثي آل البيت

مَرَرْتُ عَلَى أَبِياتِ آلِ مُحَمَّدٍ      فَلَمْ أَرَ مَا عَهْدِي بِهَا يَزُومَ حُلَّتِ <sup>(٤)</sup>  
فَلَا يَبْعِدُ اللَّهُ السَّيَّارَ وَأَهْلَهَا      وَإِنْ أَصْبَحَتْ مِنْ أَهْلِهَا قَدْ تَخَلَّتْ  
وَكَانُوا رَجَاءً ثُمَّ عَادُوا رَزِيَّةً      أَلَا عَظُمَتْ نِلْكَ الرِّزَايَا وَجَلَّتِ <sup>(٥)</sup>  
وَإِنْ قَتِلَ الطُّفُّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ      أَذَلَّ رِقَابَ الْمُسْلِمِينَ فَذَلَّتِ <sup>(٦)</sup>

ويشبهه قوله: «وكانوا رجاء ثم عادوا رزية» قول امرأة من العرب مرّت بالجسر بجثة جعفر بن يحيى البرمكي مصلوباً <sup>(٧)</sup>؛ فقالت: لئن أصبحت نهاية في البلاء، لقد كنت غاية في الرجاء.

- (١) صفرات: خاليات.
- (٢) الوترُ والثَّرةُ والثَّيرةُ: الظلم في الدَّخْل، وقيل: هو الدَّخْلُ عامة، وكلُّ من أدركته بمكره فقد وترته. والموتور: الذي قُتِل له قاتل فلم يُدْرِك بدمه.
- (٣) القصصات: جمع قصرة، وهي أصل العنق.
- (٤) حُلَّت: سُكِت.
- (٥) الرزية: المصيبة.
- (٦) الطُّفُّ: موضع قرب الكوفة.

(٧) هو أبو الفضل، جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك: وزير الرشيد. كان عالي القدر، بعيد الهمة، عظيم المنزلة، جواداً، فصيحاً. ولد في بغداد سنة ١٥٠ هـ / ٧٧٦ م وقُتل بموضع اسمه «العُمر» من أعمال الأنبار سنة ١٨٧ هـ / ٨٠٣ م. (ابن خلكان، وفیات الأعيان: ١/ ٣٣٨).

## ألفاظ لأهل العصر في أوصاف الأشراف

### لها في هذا الموضع مَوْقع

فلان من شَرَفِ العنصر الكريم، ومعدن الشرف الصميم. أَصْلُ راسخ، وفرعٌ شامخ، ومَجْدٌ باذخ، وحَسَبٌ شادخ<sup>(١)</sup>.

فلان كريم الطرفين، شريف الجانبين، قد رَكَّبَ الله دَوْحَتَهُ في قرارة المَجْدِ، وغَرَسَ نَبْعَتَهُ في محلّ الفضل. أَصْلُ شريف، وعرق كريم، ومَغْرَسٌ عظيم، ومَغْرَزٌ صميم. المجد لسان أوصافه، والشرف نَسَبُ أسلافه. نَسَبٌ فَخْم، وشرفٌ ضخم. يستوفي شرف الأرومة<sup>(٢)</sup> بكرم الأبوّة والأُمومة، وشرف الخُوْولة والعمومة. ما أَتَتْهُ المحاسِنُ عن كَلالة<sup>(٣)</sup>، ولا ظَفِرٌ بالهدى عن ضلالة، بل تناول المجد كابرًا عن كابر، وأخذ الفَخْرَ عن أُسْرَةٍ ومنابر: شَرَفٌ تَقَلُّ كابرًا عَنْ كَابِرٍ كَالرُّمَحِ أَنْبُوسًا عَلَى أَنْبُوبٍ<sup>(٤)</sup>

استقى عِرْقَهُ من مَنبَعِ النبوة، ورضعت شَجَرَتُهُ من ثَدْيِ الرسالة، وتهدلت أغصانُهُ عن نَبْعَةِ الإمامة، وتبججت أطرافُهُ في عَرَصَةِ الشرف والسيادة<sup>(٥)</sup>، ونفقات ييضته عن سَلالةِ الطهارة<sup>(٦)</sup>، قد جذب القرآنُ بَضِيعَهُ<sup>(٧)</sup> وشقَّ الوَحْيُ عن بصره وسَمِعِهِ، مختار من أكرم المناسِب، مُتَخَبٍّ من أشرفِ العناصر، مُرْتَضًى من أعلى المحاتد<sup>(٨)</sup>، مُؤَثَّرٌ من أعظم

(١) شامخ وباذخ وشادخ: مترادفات بمعنى عالٍ وسامق.

(٢) الأرومة: الأصل.

(٣) الكلاله: الرجل الذي لا ولد له ولا والد. وقيل: هو من تكلل نسه بنسبك كابن العم ومن أشبهه، والعرب تقول: لم يرته كلاله، أي لم يرته عن عُرْضٍ، بل عن قُرْبٍ واستحقاق، قال الفرزدق:

وَرِثْتُم قَنَاءَ الْمُلْكِ لَا عَنْ كِلَالَةٍ      عَنِ ابْنِي مَنَافٍ: عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمٍ  
(الفرزدق، الديوان: ٣٠٩/٢).

(٤) الأنبوب: القصبه.

(٥) تبججت: تمكّنت. عرصة الدار: ساحتها.

(٦) نفقات: تفتّحت.

(٧) جذب بضعه: نوّه به.

(٨) المناسِب: جمع منسب. والعناصر: جمع عنصر. والمحاتد: جمع محتد، وكلها بمعنى واحد، هو الأصل.

العشائر، قد وَرِثَ الشرفَ جامعاً عن جَامِعٍ، وشهد له نداءُ الصوامع، هو من مُضَرٍّ في سُوَيْدَاءَ قَلْبِهَا، ومن هاشم في سَوَادٍ طَرْفِهَا، ومن الرسالة في مَهْبِطٍ وَحْيِهَا، ومن الإمامة في موقف عِزِّهَا، ينزع إلى المحامدِ بنفسٍ وعِرْقٍ، ويَحِنُّ إلى المكارمِ بوراثَةٍ وخلقٍ؛ يتناسب أصلُه وفَرْعُه، ويتناسب نَجْرُه وطَبْعُه، وهو الطَّيِّبُ أصلُه وفَرْعُه، الرَّأَكِي بذره وزَرْعُه، يجمع إلى عزِّ النَّصَابِ، مَرِيَّةَ الآدابِ، لا غَرَوُ أن يجريَ الجواذُ على عِرْقِه، وتلوح مخايلُ الليث في شِبْلِه، ويكون النجيبُ فَرْعاً مشيداً لأصله. له مع نباهة شرفه، نزاهة سلفه، ومع كرم أرومته وحَزْمِه، مزيةُ أدبه وعلمه، لن تخلف ثمرة غَرْسٍ ارْتَيْدَ لها من المنابت أَرْكَاها، ومن المغارس أطيبها وأغذاها وأنماها؛ قد جمع شرفَ الأخلاقِ، إلى [شرفِ الأعراقِ، وكرمِ الآدابِ، إلى] كرمِ الأنسابِ؛ له في المجدِ أولٌ وآخر، وفي الكرمِ تليدٌ وطَارِفٌ<sup>(١)</sup>، وفي الفضلِ حديثٌ وقديمٌ؛ لا غَرَوُ أن يغمر فضلُه، وهو نَجْلُ الصَّيْدِ الأكارمِ، أو يغزر علمه وهو قَيْضُ البحورِ الخضارمِ<sup>(٢)</sup>. دَوْحَةٌ رَسَبَ عِرْقُهَا، وَسَمَقٌ فَرَعُهَا<sup>(٣)</sup>، وطاب عودُها، واعتدل عمودُها، وتَفَيَّأتْ ظلالُها، وتَهْدَلَّتْ ثمارُها، وتَفَرَّعَتْ أغصانُها، ويرد مَقِيلُها. مَجْدٌ يلحظ الجوزاء من عالٍ، ويطولُ النجمُ كلَّ مَطَالٍ. شَرَفٌ تَضَعُ له الأفلاكُ خُدودَها وَجَبَاهُها، وتَلْتَمُ النجومُ أرضَه بأفواهِها وشِفَاهِها. نسبُ المجدِ به عَرِيقٌ، وَرَوْضُ الشرفِ به أُنَيْقٌ. ولسانُ الثناء بفضله نَطُوقٌ. فَلَكُ المجدِ عليه يَدُورُ، وَيَدُ العُلاِ إليه تُشِيرُ. محلّه شاهقٌ<sup>(٤)</sup>، ومَجْدُه بَاسِقٌ<sup>(٥)</sup>.

(١) الطريف: الحديث، الذي يكسبه المرء بنفسه، والتالد والتلاد: القديم الموروث عن الآباء والأجداد.

(٢) الخضارم: جمع خَضْرَمٍ، وهو الواسع.

(٣) سمق فرعها: علا وارتفع.

(٤) الشاهق: الطويل العالي، والشاهق: الجبل المرتفع.

(٥) الباسق: المرتفع في علوه، قال تعالى: ﴿وَالنَّحْلُ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ (سورة ق، آية: ١٠).

## بدء الكتاب الكلام في حمد الله

قد تَمَّ ما استفتحت به التأليف، وجعلته مقدمة التصنيف، مع ما اقترن به، وانضاف إليه، والتفت به، وانعطف عليه، ورأيت أن أبتدىء مقدمات البلاغات بغير التحاميد وأوصافها، وما يتعلق بأثائها وأطرافها.

وقد قال سهل بن هارون في أول كتاب عمله: يجب على كل مبتدىء مقالة أن يبتدىء بحمد الله قبل استفتاحها، كما بديء بالنعمة قبل استحقاقها.

ولأهل العصر: أولى ما فغر<sup>(١)</sup> به الناطق فمه وافتتح به كلمه، حمد الله جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه. حمد الله خير ما ابتدىء به القول وختم، وافتتح به الخطاب ونُتم.

وقال أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله<sup>(٢)</sup>: إن الله جل ثناؤه لا يُمثل بنظير، ولا يُغلب بظهير<sup>(٣)</sup>، جل عن موقع تحصيل أدوات البشر، ولطف عن ألحاظ خطرات الفكر، لا يُحمد إلا بتوفيق منه يقتضي حمداً، فمتى تُحصى نعمائه، وتُكافأ آلاؤه؟ عجز أقصى الشكر عن أداء نعمته، وتضاءل ما خلق في سعة قدرته؛ قدر فقدر، وحكم فأحكم؛ وجعل الدين جامعاً لشمْل عبادته، والشرائع متاراً على سبيل طاعته؛ يتبعها أهل اليقين به، ويحيد عنها أهل الشك فيه.

أخذ أبو العباس قوله: «ولا يُحمد إلا بتوفيق منه يقتضي حمداً» من قول محمود بن الحسن الوراق<sup>(٤)</sup>:

(١) فغر فمه: فتحه.

(٢) هو أبو العباس، عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتمد بن هارون الرشيد، ويلقب بـ «المرتضي بالله» و «المنتصف بالله»: أديب، شاعر، مطبوع، سهل اللفظ، حسن الإبداع. ولد ببغداد، وبايعه جماعة من رؤساء الأجناد ووجوه الكتاب بالخلافة، فأقام يوماً وليلة، ثم وثب عليه أصحاب المقتدر وخلعوه، فاستخفى، إلى أن ظفريه المقتدر، وسلمه إلى مؤنس الخادم، فقتله، وسلمه إلى أهله ملفوفاً في كساء، سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٩ م. (الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٩٥/١٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ١١/١١٥؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب: ٢/٢٢١).

(٣) الظهير: المُعين.

(٤) هو محمود بن الحسن الوراق: شاعر مكثّر، وأكثر شعره في الأدب والمواعظ والحكم والأمثال. =

إِذَا كَانَ شُكْرِي نِعْمَةً لِلَّهِ نِعْمَةً  
فَكَيْفَ بُلُوعُ الشُّكْرِ إِلَّا بِفَضْلِهِ  
وَإِنْ طَالَتِ الْأَيَّامُ وَاتَّصَلَ الْعُمْرُ  
وَإِنْ مَسَّ بِالضَّرَاءِ عَمَّ سُورُورُهَا  
تَضَيَّقُ بِهَا الْأَوْهَامُ وَالْبَرُّ وَالْبَحْرُ  
فَمَا مِنْهُمَا إِلَّا لَهُ فِيهِ نِعْمَةٌ

وإنما أخذه محمود من قول أبي العتاهية<sup>(١)</sup>:

أَحْمَدُ اللَّهِ فَهُوَ أَهْمَنِي الْحَمْدُ  
كَمَ زَمَانٍ بَكَيْتُ فَلَمَّا  
لَدَى عَلَى الْحَمْدِ وَالْمَزِيدُ لَدَيْهِ  
صِرْتُ فِي غَيْرِهِ بَكَيْتُ عَلَيْهِ

وقد اضطربت الرواية في هذين البيتين وقائلهما، وهذا البيت الثاني كثير، قال إبراهيم بن العباس<sup>(٢)</sup>:

كَذَاكَ أَيُّامُنَا لَا شَيْءَ نَنْدُبُهَا  
إِذَا تَقَضَّتْ وَنَحْنُ الْيَوْمَ نَشْكُوهَا  
آخر:

وَمَا مَرَّ يَوْمٌ أَرْتَجِي فِيهِ رَاحَةً  
فَأَقْبِدُهُ إِلَّا بِكَيْتٍ عَلَى أُمْسٍ

### من شعر محمود الوراق

ومحمود هو القائل أيضاً:

تَعْصِي الْإِلَهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ  
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقاً لَأَطَعْتَهُ  
هَذَا مُحَالٌ فِي الْقِيَاسِ بَدِيعُ  
إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ أَحَبَّ مُطِيعُ

وكان كثيراً ما ينقل أخبار الماضين، وحكم المتقدمين، فيحلي بها نظامه، ويؤيّن بها كلامه، وهو القائل:

إِنِّي وَهَبْتُ لِبَطَالِمِي ظُلْمِي  
وَشَكَرْتُ ذَاكَ لَهُ عَلَى عِلْمِي

= ولد ونشأ بالبصرة، وتوفي سنة ٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م. (فروخ، تاريخ الأدب العربي: ٢/ ٢٣٦).

(١) وردت ترجمة أبي العتاهية في مكان سابق.

(٢) هو أبو إسحاق، إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول: كاتب العراق في عصره. خراساني

الأصل. نشأ وتآدب ببغداد، وقربه الخلفاء، فكان كاتباً للمعتصم والواثق والمتوكل. توفي سنة

٢٤٣ هـ / ٧٥٧ م. (الأصفهاني، الأغاني: ١٤٢/٥).



وَرَأَيْتُهُ أَسَدَى إِلَيَّ يَدَا  
رَجَعْتُ إِسَاءَتُهُ عَلَيْهِ، وَلِي  
فَكَأَنَّمَا الْإِحْسَانُ كَانَ لَهُ  
مِمَّا زَالَ يَظْلِمُنِي وَأَرْحَمُهُ

لَمَسَا أَبْسَانَ بِجَهْلِهِ حِلْمِي  
فَضُلُّ فَعَادَ مُضَاعَفَ الْجُرْمِ  
وَأَنَا الْمُسِيءُ إِلَيْهِ فِي الزَّعْمِ  
حَتَّى رَثَيْتُ لَهُ مِنَ الظُّلْمِ

وهو القائل:

أَرَانِي إِذَا مَا ازْدَدْتُ مَالًا وَثَرَوَةً  
فَكَيْفَ بِشُكْرِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُ إِنَّمَا  
بِأَيِّ اعْتِذَارٍ أَوْ بِأَيَّةِ حُجَّةٍ  
إِذَا كَانَ وَجْهُ الْعُذْرِ لَيْسَ بِبَيِّنٍ

وَأَخِيرًا إِلَى خَيْرٍ تَزِيدْتُ فِي الشَّرِّ  
أَقُومُ مَقَامَ الشُّكْرِ لِلَّهِ بِالْكَفْرِ  
يَقُولُ الَّذِي يَذَرِي مِنَ الْأَمْرِ مَا أَذَرِي  
فَإِنْ أَطْرَحَ الْعُذْرَ خَيْرٌ مِنَ الْعُذْرِ

### [البيان والبلاغة]

#### لابن المعتز في فضل البيان

ولابن المعتز: البيان تَرْجُمَانُ القلوب، وَصَيْقُلُ العقول، وَمُجَلِّي الشبهة، وموجب الحجة، والحاكم عند اختصام الظنون، والمفرق بين الشك واليقين، وهو من سلطان الرُّسل الذي انقاد به الْمُضْعَبُ<sup>(١)</sup>، واستقام الأَصِيدُ<sup>(٢)</sup>، وَبُهِتَ الكافر، وَسَلَّم الممتنع، حتى أَشِبَ<sup>(٣)</sup> الحقُّ بأنصاره، وَخَلَا رُبْعُ الباطلِ من عَمَارِهِ؛ وخيرُ البيان ما كان مُصْرَحًا عن المعنى، لِيُسْرَعَ إلى الفهم تلقّيه، وموجزاً ليخفَّ على اللفظ تعاطيه.

#### فضل القرآن على سائر الكلام

وفَضْلُ القرآن على سائر الكلام معروفٌ غيرُ مجهول، وظاهرٌ غيرُ خفي؛ يشهد بذلك عَجْزُ المتعاطين، وَوَهْنُ المتكلفين<sup>(٤)</sup>، وتحيرُ الكذابين، وهو المبلِّغ الذي لا يُمَلِّ، والجديد الذي لا يَخْلُقُ<sup>(٥)</sup>، والحق الصادع والنور الساطع، والماحي لِظُلُم الضلال، ولسانُ الصدق

(١) الْمُضْعَبُ: الفعل الصعب القياد.

(٢) الْأَصِيدُ: المائل العنق كِبْرًا.

(٣) أَشِبَ: تَجَمَّع وقوي.

(٤) الوهن: الضعف والعجز.

(٥) لا يَخْلُقُ: لا يبلو.

النافي للكذب، ونذيرٌ قَدَمَتُهُ الرحمةُ قبلَ الهلاكِ، وناعيُ الدنيا المنقولة، وبشيرُ الآخرةِ المُخلدة، ومفتاحُ الخير، ودليلُ الجنة. إن أَوْجَزَ كان كافياً، وإن أَكْثَرَ كان مُذَكِّراً، وإن أَوْماً<sup>(١)</sup> كان مُقْتَبِعاً، وإن أَطَالَ كان مُفْهِماً، وإن أَمَرَ فَنَاصِحاً، وإن حَكَمَ فَعَادِلًا، وإن أَخْبَرَ فَصَادِقًا، وإن بَيَّنَّ فَشَافِيًا، سَهْلٌ عَلَى الْفَهْمِ، صَعْبٌ عَلَى الْمُتَعَاطِي<sup>(٢)</sup>، قَرِيبٌ الْمَأْخَذِ، بَعِيدُ الْمَرَامِ، سِرَاجٌ تَسْتَضِيءُ بِهِ الْقُلُوبُ، حُلُوٌّ إِذَا تَذَوَّقْتَهُ الْعُقُولُ، بَحْرُ الْعُلُومِ، وَدِيْوَانُ الْحِكَمِ، وَجَوْهَرُ الْكَلِمِ، وَنُزْهَةٌ الْمُتَوَسِّمِينَ، وَرَوْحُ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ، فَخَصَّصَ الْبَاطِلَ، وَصَدَعَ بِالْحَقِّ، وَتَأَلَّفَ مِنَ الثُّفْرَةِ، وَأَنْقَذَ مِنَ الْهَلَكَةِ، فَوَصَلَ اللَّهُ لَهُ النُّصْرَ، وَأَضْرَعَ بِهِ خَدَّ الْكُفْرِ<sup>(٣)</sup>.

### تفسير الرماني للبلاغة

قال عَلِيٌّ بْنُ عِيسَى الرُّمَّانِيُّ<sup>(٤)</sup>: «البلاغةُ ما حُطَّ التَّكَلُّفُ عَنْهُ، وَيُبْنَى عَلَى التَّبَيُّنِ، وَكَانَتْ الْفَائِدَةُ أَغْلَبَ عَلَيْهِ مِنَ الْقَافِيَةِ، بِأَنْ جَمَعَ مَعَ ذَلِكَ سَهُولَةَ الْمَخْرَجِ، مَعَ قُرْبِ الْمَتَاوَلِ؛ وَعَذُوبَةَ اللَّفْظِ، مَعَ رَشَاقَةِ الْمَعْنَى؛ وَأَنْ يَكُونَ حُسْنُ الْإِبْتِدَاءِ كَحُسْنِ الْإِنْتِهَاءِ، وَحُسْنِ الْوَصْلِ، كَحُسْنِ الْقَطْعِ، فِي الْمَعْنَى وَالسَّمْعِ، وَكَانَتْ كُلُّ كَلِمَةٍ قَدْ وَقَعَتْ فِي حَقِّهَا، وَإِلَى جَنْبِ أُخْتِهَا، حَتَّى لَا يَقَالَ: لَوْ كَانَ كَذَا فِي مَوْضِعٍ كَذَا لَكَانَ أَوْلَى! وَحَتَّى لَا يَكُونَ فِيهِ لَفْظٌ مُخْتَلَفٌ، وَلَا مَعْنَى مُسْتَكْرَهٌ؛ ثُمَّ أُلْبَسَ بِهَاءِ الْحِكْمَةِ، وَنُورَ الْمَعْرِفَةِ، وَشُرِفَ الْمَعْنَى، وَجَزَّالَةُ اللَّفْظِ، وَكَانَتْ حَلَاوَتُهُ فِي الصَّدْرِ وَجَلَالَتُهُ فِي النَّفْسِ تُقَوِّقُ الْفَهْمَ، وَتَشْرِدُ دَقَائِقُ الْحَكَمِ، وَكَانَ ظَاهِرُ النِّفَعِ، شَرِيفَ الْقَصْدِ، مُعْتَدِلَ الْوِزْنِ، جَمِيلَ الْمَذْهَبِ، كَرِيمَ الْمَطْلَبِ، فَصِيحاً فِي مَعْنَاهُ، بَيِّنًا فِي فَحْوَاهُ؛ وَكُلُّ هَذِهِ الشُّرُوطِ قَدْ حَوَاهَا الْقُرْآنُ، وَلِلَّذَلِكَ عَجَزَ عَنْ مُعَارَضَتِهِ جَمِيعُ الْأَنَامِ».

### ألفاظ لأهل العصر في ذكر القرآن

القرآن حَبْلُ اللَّهِ الْمَمْدُودِ، وَعَهْدُهُ الْمَعْهُودُ، وَظِلُّهُ الْعَمِيمُ، وَصِرَاطُهُ الْمُسْتَقِيمُ،

(١) أَوْماً: أشار.

(٢) يَرِيدُ بِالْمُتَعَاطِي: الْمُتَكَلِّفُ مَجَارَاتِهِ.

(٣) أَضْرَعَ: أَذَلَّ.

(٤) هو أبو الحسن، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرُّمَّانِي النُّحْوِيُّ الْمُتَكَلِّمُ: أَحَدُ الْأَثَمَةِ الْمَشَاهِيرِ، جَمَعَ بَيْنَ عِلْمِ الْكَلَامِ وَالْعَرَبِيَّةِ، وَلَهُ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. وَلَدَ بَغْدَادَ سَنَةَ ٢٩٦ هـ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٣٨٢ هـ / ٩٩٣ م. وَأَصْلُهُ مِنْ (سُرٍّ مِنْ رَأْيٍ) (ابن خُلِّكَانَ، وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ: ٣/ ٢٩٩).

وَحُبُّهُ الْكَبِيرِ، وَمَحَبَّتُهُ الْوُسْطَى، وَهُوَ الْوَاضِحُ سَيِّلُهُ، الرَّاشِدُ دَلِيلُهُ، الَّذِي مَنِ اسْتَضَاءَ بِمَصَابِيحِهِ أَبْصَرَ وَنَجَا، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ ضَلَّ وَهَوَى؛ فَضَائِلُ الْقُرْآنِ لَا تُسْتَفْصَى فِي أَلْفِ قُرْنٍ، حُجَّةُ اللَّهِ وَعَهْدُهُ، وَوَعْدُهُ وَوَعْدُهُ، بِهِ يَعْلَمُ الْجَاهِلُ، وَيَعْمَلُ الْعَامِلُ، وَيَتَنَبَّهُ السَّاهِي، وَيَتَذَكَّرُ اللَّاهِي، بِسَيْرِ الثَّوَابِ، وَتَذِيرِ الْعِقَابِ، وَشِفَاءِ الصَّدُورِ، وَجَلَاءِ الْأُمُورِ؛ مِنْ فَضَائِلِهِ أَنَّهُ يُقْرَأُ دَائِمًا، وَيُكْتَبُ، وَيُمْلَى، وَلَا يُمَلَّ. مَا أَهْوَنَ الدُّنْيَا عَلَى مَنْ جَعَلَ الْقُرْآنَ [إِمَامَةً، وَتَصَوُّرَ الْمَوْتِ أَمَامَهُ، طُوبَى لِمَنْ جَعَلَ الْقُرْآنَ] مِصْبَاحَ قَلْبِهِ، وَمِفْتَاحَ لُبِّهِ. مِنْ حَقِّ الْقُرْآنِ حِفْظُ تَرْتِيبِهِ، وَحُسْنُ تَرْتِيلِهِ.

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: الْحِكْمَةُ مُوقِظَةٌ لِلْقُلُوبِ مِنْ سِنَةِ<sup>(١)</sup> الْغَفْلَةِ، وَمُنْقِذَةٌ لِلْبَصَائِرِ مِنْ سَكْرَةِ الْحَيْرَةِ، وَمُخَيِّبَةٌ لَهَا مِنْ مَوْتِ الْجَهَالَةِ، وَمُسْتَخْرِجَةٌ لَهَا مِنْ ضَيْقِ الضَّلَالَةِ؛ وَالْعِلْمُ دَوَاءٌ لِلْقُلُوبِ الْعَلِيلَةِ، وَمِشْحَدٌ لِلْأَذْهَانِ الْكَلِيلَةِ<sup>(٢)</sup>، وَنُورٌ فِي الظُّلْمَةِ، وَأَنْسٌ فِي الْوَحْشَةِ، وَصَاحِبٌ فِي الْوَحْدَةِ، وَسَمِيرٌ فِي الْخُلُوةِ، وَوَصْلَةٌ فِي الْمَجْلِسِ، وَمَادَّةٌ لِلْعَقْلِ، وَتَلْقِيحٌ لِلْفَهْمِ، وَنَافٍ لِلْعِيٍّ الْمُرِّيِّ بِأَهْلِ الْأَحْسَابِ، الْمَقْصِرِ بِذَوِي الْأَلْبَابِ؛ أَنْطَقَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَهْلَهُ بِالْبَيَانِ الَّذِي جَعَلَهُ صِفَةً لِكَلَامِهِ فِي تَرْتِيلِهِ، وَأَيَّدَ بِهِ رُسُلَهُ إِضَاحًا لِلْمَشْكَلاتِ، وَفَضْلًا بَيْنَ الشُّبُهَاتِ؛ شَرَّفَ بِهِ الْوَضِيعَ، وَأَعَزَّ بِهِ الدَّلِيلَ، وَسَوَّدَ بِهِ الْمَسُودَ. مَنْ تَحَلَّى بِغَيْرِهِ فَهُوَ مُعْطَلٌّ، وَمَنْ تَعَطَّلَ مِنْهُ فَهُوَ مُغْفَلٌ، لَا تَبْلِيهِ الْأَيَّامُ، وَلَا تَخْتَرِمُهُ الدَّهُورُ<sup>(٣)</sup>، يَتَجَدَّدُ عَلَى الْإِبْتَدَالِ، وَيَزْكُو عَلَى الْإِنْفَاقِ؛ لِلَّهِ عَلَى مَا مِنْهُ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ.

### [أَقْوَالُ فِي الْبَلَاغَةِ]

#### رَأْيُ عَمْرُو بْنِ عُبَيْدٍ فِي الْبَلَاغَةِ

قِيلَ لِعَمْرُو بْنِ عُبَيْدٍ<sup>(٤)</sup>: مَا الْبَلَاغَةُ؟ قَالَ: مَا بَلَغَكَ الْجَنَّةَ، وَعَدَلَ بِكَ عَنِ النَّارِ،

(١) السَّنَةُ: أَوَّلُ النَّوْمِ.

(٢) الْكَلِيلَةُ: وَصْفٌ مِنَ الْكِلَالِ، وَهُوَ الْإِعْيَاءُ (الْمُتَعَبَةُ).

(٣) اخْتَرَمَهُ الدَّهْرُ: اقْتَطَعَهُ وَاسْتَأْصَلَهُ.

(٤) هُوَ أَبُو عَثْمَانَ، عَمْرُو بْنُ عُبَيْدِ بْنِ بَابٍ، الْمُتَكَلِّمُ الزَّاهِدُ الْمَشْهُورُ، مَوْلَى بَنِي عَقِيلٍ، ثُمَّ آلِ عَرَادَةَ بْنِ يَرْبُوعَ بْنِ مَالِكٍ. كَانَ جَدُّهُ بَابٌ مِنْ سَبْيِ كَابِلٍ مِنْ جِبَالِ السَّنَدِ، وَكَانَ أَبُوهُ يَخْلَفُ أَصْحَابَ الشَّرْطِ بِالْبَصْرَةِ، فَكَانَ النَّاسُ إِذَا رَأَوْا عَمْرًا مَعَ أَبِيهِ قَالُوا: هَذَا خَيْرُ النَّاسِ ابْنِ شَرِّ النَّاسِ، فَيَقُولُ أَبُوهُ: صَدَقْتُمْ. تَوَفِيَ بِ«قُرْآن» سَنَةِ ١٤٤ هـ / ٧٦٢ م. (ابن خُلَّكَانَ، وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ: ٣ / ٤٦٠).

وَبَصَّرَكَ مَوَاقِعَ رُشْدِكَ، وَعَوَاقِبَ غَيْكِ. قال السائل: ليس هذا أريد، قال: من لم يُحَسِّنْ أَنْ يَسْكُتَ لَمْ يُحَسِّنْ أَنْ يَسْتَمَعَ، ومن لم يُحَسِّنِ الاستماعَ لَمْ يُحَسِّنِ القولَ، قال: ليس هذا أريد، قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّا مَعَشَرَ الْأَنْبِيَاءِ فِينَا بَلَاءٌ» أَي قِلَّةٌ كَلَامٌ؛ وَكَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَزِيدَ مَنْطِقُ الرَّجُلِ عَلَى عَقْلِهِ، قال السائل: ليس هذا أريد، قال: كانوا يخافون من فَتْنَةِ القولِ وَمِنْ سَقَطَاتِ الْكَلَامِ مَا لَا يَخَافُونَ مِنْ فَتْنَةِ السَّكُوتِ، وَسَقَطَاتِ الصَّمْتِ، قال: ليس هذا أريد، قال عمرو: يَا هَذَا؛ فَكَأَنَّكَ تَرِيدُ تَحْيِيرَ اللَّفْظِ<sup>(١)</sup> فِي حَسَنِ الْإِفْهَامِ، قال: نعم، قال: إِنَّكَ إِنْ أَرَدْتَ تَقْرِيرَ حُجَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي عُقُولِ الْمُكَلِّفِينَ، وَتَخْفِيفِ الْمُؤَوَّنَةِ عَنِ الْمُسْتَمْعِينَ، وَتَرْيِينَ تِلْكَ الْمَعَانِي فِي قُلُوبِ الْمُتَرِيدِينَ، بِالْأَلْفَاظِ الْمُسْتَحْسِنَةِ فِي الْأَذَانِ، الْمَقْبُولَةِ فِي الْأَذْهَانِ، رَغْبَةً فِي سُرْعَةِ إِبْجَابَتِهِمْ، وَنَقْيِ الشَّوَاغِلِ عَنْ قُلُوبِهِمْ، بِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ - كُنْتُ قَدْ أُوتِيتُ الْحِكْمَةَ وَفُضِّلَ الْخُطَابُ، وَاسْتَوْجَبْتُ مِنَ اللَّهِ جَزِيلَ الثَّوَابِ، فَقِيلَ لِعَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ رُوحِ الْغِفَارِيِّ: مَنْ هَذَا الَّذِي صَبَرَ لَهُ عَمْرٌو هَذَا الصَّبْرُ؟ قال: سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ أَبَا حَفْصِ الشَّامِرِيِّ، فَقَالَ: وَمَنْ يَجْتَرِءُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْجَرَأَةُ إِلَّا حَفْصُ بْنُ سَالِمٍ؟

### من أخبار عمرو بن عبيد

وَعَمْرُو بْنُ عُبَيْدِ بْنِ بَابٍ هُوَ رَئِيسُ الْمَعْتَزَلَةِ فِي وَقْتِهِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ عَلَى الْمَخْلُوقِ، وَاعْتَزَلَ مَجْلِسَ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، وَهُوَ أَوَّلُ الْمَعْتَزَلَةِ.

وَدَخَلَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ عَلَى أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ، فَقَالَ: عِظْنِي، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ إِنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ الدُّنْيَا بِأَسْرَها، فَاشْتَرِ نَفْسَكَ مِنْهُ بِعِضْها؛ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ إِنْ هَذَا الْأَمْرُ لَوْ كَانَ بَاقِيًا لِأَحَدٍ قَبْلَكَ مَا وَصَلَ إِلَيْكَ، أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ! قال: فَبَكَى الْمَنْصُورُ حَتَّى بَلَ ثَوْبِهِ. ثُمَّ قَالَ: حَاجَتُكَ يَا أَبَا عِثْمَانَ! وَكَانَ الْمَنْصُورُ لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ طَرَحَ عَلَيْهِ طِيلَسَانًا، فَقَالَ: يُرْفَعُ هَذَا الطِيلَسَانُ عَنِّي! فَرَفَعَ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: لَا تَدْعُ إِتْيَانَنَا! قال: نعم، لَا يَضُمُّنِي وَإِيَّاكَ بَلَدٌ إِلَّا دَخَلْتُ إِلَيْكَ، وَلَا بَدْتُ لِي حَاجَةٌ إِلَّا سَأَلْتُكَ، وَلَكِنْ لَا تُعْطِنِي حَتَّى أَسْأَلَكَ، وَلَا تَدْعُنِي حَتَّى آتِيكَ، قال: إِذَا لَا تَأْتِينَا أَبَدًا

وَقَدْ رُويَ مِثْلُ هَذَا لابْنِ السَّمَّاكِ مَعَ الرَّشِيدِ.

وَقَوْلُهُ «لَوْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ بَاقِيًا لِأَحَدٍ قَبْلَكَ مَا وَصَلَ إِلَيْكَ» كَقَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ<sup>(٢)</sup>:

(١) تَحْيِيرُ اللَّفْظِ: تَحْسِينُهُ وَتَرْيِينُهُ.

(٢) ابْنُ الرُّومِيِّ، الدِّيَوَانُ: ١١٧/١.

لَعَمْرُكَ مَا الدُّنْيَا بِدَارٍ إِقَامَةٍ إِذَا زَالَ عَنْ عَيْنِ الْبَصِيرِ غَطَاؤُهَا  
وَكَيْفَ بَقَاءُ النَّاسِ فِيهَا وَإِنَّمَا يُنَالُ بِأَسْبَابِ الْفَنَاءِ بَقَاؤُهَا؟

ووعظ شبيب<sup>(١)</sup> بن شبة المنصور، فقال: يا أمير المؤمنين؛ إن الله لم يجعل فوقك أحداً، فلا تجعل فوق شكره شكراً.

ودخل عمرو بن عبيد<sup>(٢)</sup> على المنصور وعنده المهدي فقال له: هذا ابن أخيك المهدي، ولي عهد المسلمين، فقال: سَمَّيْتَهُ اسماً لم يستحقَّ حمله، ويفضى إليك الأمر وأنت عنه مشغول.

وكان عمرو بن عبيد يقول: اللهم أغْنِنِي بِالْاِفْتِقَارِ إِلَيْكَ، وَلَا تُفْقِرْنِي بِالِاسْتِغْنَاءِ عَنْكَ.  
وقال له المنصور: يا أبا عثمان؛ أَعْنِي بِأَصْحَابِكَ: قال: يا أمير المؤمنين؛ أَطْهَرُ الْحَقِّ يَتَّبِعُكَ أَهْلُهُ.

وقال عمر الشمرى: كان عمرو بن عبيد لا يكادُ يَتَكَلَّمُ، وَإِنْ تَكَلَّمَ لَمْ يَكْذُ يُطِيلُ؛  
وكان يقول: لا خَيْرَ فِي الْمَتَكَلَّمِ إِذَا كَانَ كَلَامُهُ لِمَنْ يَشْهَدُهُ دُونَ قَائِلِهِ، وَإِذَا طَالَ الْكَلَامُ  
عَرَضَتْ لِلْمَتَكَلِّمِ أَسْبَابُ التَّكْلِفِ، وَلَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ يَأْتِيكَ بِهِ التَّكْلِفُ.

### البلاغة عند أهل الهند

قال مَعْمَرُ بْنُ الْأَشْعَثِ: قُلْتُ لِبَهْلَةَ الْهِنْدِيَّ أَيَّامَ اجْتَلَبَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ أَطْبَاءَ الْهِنْدِ: مَا  
الْبَلَاغَةُ عِنْدَ أَهْلِ الْهِنْدِ؟ قَالَ بَهْلَةُ: عِنْدَنَا فِي ذَلِكَ صَحِيفَةٌ مَكْتُوبَةٌ، وَلَكِنِّي لَا أَحْسِنُ  
تَرْجُمَتَهَا، وَلَمْ أَعْلَجْ هَذِهِ الصَّنَاعَةَ، فَأَتَّقُ مِنْ نَفْسِي بِالْقِيَامِ بِخَصَائِصِهَا، وَلَطِيفِ مَعَانِيهَا. قَالَ  
ابْنُ الْأَشْعَثِ: فَلَقِيتُ بِنْتُكَ الصَّحِيفَةَ التَّرَاجِمَةَ فَإِذَا فِيهَا: أَوَّلُ الْبَلَاغَةِ اجْتِمَاعُ آلَةِ الْبَلَاغَةِ،  
وَذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الْخَطِيبُ رَابِطَ الْجَاشِ<sup>(٣)</sup>، سَاكِنَ الْجَوَارِحِ، قَلِيلَ اللَّحْظِ، مَتَخَيِّرَ اللَّفْظِ، لَا

(١) هو أبو معمر، شبيب بن شبة الخطيب المنقري البصري: قدم بغداد في أيام المنصور، فاتصل به، وبالمهدي من بعده، وكان كريماً عليهما، أثراً عندهما. قال الأصمعي: كان شبيب بن شبة رجلاً شريفاً، يفرغ إليه أهل البصرة في حوائجهم. (ابن خلكان، وفیات الأعيان: ٤٥٨/٢؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٢٧٤/٩).

(٢) توفي سنة ١٤٤ هـ/ ٧٦٣ م.

(٣) الجأش: النفس، وقيل: القلب. وجأش النفس: رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع، يقال: إنه لواهي الجأش، فإذا ثبت قيل: إِنَّهُ لِرَابِطِ الْجَاشِ، ورجل رابط الجأش: يربط نفسه عن الفرار، يكفها لجرأته وشجاعته.

يَكَلِّمُ سَيِّدَ الْأُمَّةِ بِكَلَامِ الْأُمَّةِ، وَلَا الْمَلُوكَ بِكَلَامِ الشُّوْقَةِ، وَيَكُونُ فِي قُوَّاهُ فَضْلُ التَّصَرُّفِ فِي كُلِّ طَبَقَةٍ، وَلَا يَدَقُّ الْمَعْنَى كُلَّ التَّدْقِيقِ، وَلَا يُنْقِضُ الْأَلْفَاظَ كُلَّ التَّنْقِيعِ، وَلَا يُصَفِّيهَا كُلَّ التَّصْفِيَةِ، وَلَا يَهْدِيهَا غَايَةَ التَّهْذِيبِ، وَلَا يَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى يُضَادِفَ حَكِيمًا، أَوْ فِيلَسُوفًا عَلِيمًا، وَمَنْ قَدْ تَعَوَّدَ حَذْفَ فُضُولِ الْكَلَامِ، وَإِسْقَاطَ مُشْتَرَكَاتِ الْأَلْفَاظِ؛ وَقَدْ نَظَرَ فِي صِنَاعَةِ الْمُنْطَقِ عَلَى جِهَةِ الصَّنَاعَةِ وَالْمِبَالِغَةِ، لَا عَلَى جِهَةِ التَّصْفِيحِ وَالْإِعْتِرَاضِ<sup>(١)</sup>، وَوَجَّهَ التَّظَرُّفَ وَالِاسْتِظْرَافَ.

### البلاغة عند ابن المقفع

قال إسحاق بن حسان بن قوهي: لم يُفسَّر أحد البلاغة تفسيرا عبد الله بن المقفع<sup>(٢)</sup> إذ قال: البلاغة اسمٌ لمعانٍ في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الحديث، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون شعرا، ومنها ما يكون ابتداء، ومنها ما يكون جوابا، ومنها ما يكون سجعاً، ومنها ما يكون خطباً، ومنها ما يكون رسائل؛ فغاية هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى؛ والإيجاز هو البلاغة، فأما الخطب فيمَا بين السَّمَاطِينِ<sup>(٣)</sup> وفي إصلاح ذات البين، فالإكثار في غير خَطَلٍ<sup>(٤)</sup>، والإطالة في غير إِمْلَالٍ، ولكن ليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك، كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته كأنه يقول فرّق بين صدر خطبة النكاح وخطبة العبد وخطبة الصلح وخطبة التّواهب، حتى يكون لكل فنٍّ من ذلك صدرٌ يدل على عجزه، فإنه لا خير في كلام لا يدل على معنك، ولا يشير إلى مغزأك، وإلى العمود الذي إليه قصدت، والغرض الذي إليه نرعت.

فقل: فإن ملّ المستمع الإطالة التي ذكرت أنها أحقّ بذلك الموضوع؟ قال: إذا أعطيت كلَّ مقام حقه، وقيمت بالذي يجب من سياسة الكلام، وأرضيت مَنْ يعرف حقوق ذلك، فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو؛ فإنهما لا يَرْضِيَانِ بشيء؛ فأما الجاهل فلست منه وليس منك، ورضا جميع الناس شيءٌ لا يُتَال.

(١) التصفيح: تقليب الصفحات.

(٢) عبد الله بن المقفع: كاتب، شاعر. فارسي الأصل. نشأ بالبصرة، وولي كتابة الديوان للمنصور العباسي، وترجم له بعض الكتب. اتهم بالزندقة، فقتله أمير البصرة سفيان بن معاوية المهلب سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م. (عمر كحالة، معجم المؤلفين: ١٥٦/٦).

(٣) السَّمَاطَان: الصَّفَان.

(٤) الخطل: السخف.

## [الإطالة والإيجاز]

وقد مدحوا الإطالة في مكانها، كما مدحوا الإيجاز في مكانه. قال أبو داود [ابن جرير] في خطباء إِيَاد:

يَرْمُونُ بِالْخُطْبِ الطَّوَالِ، وَتَارَةً وَحْيِ الْمَلَا حِظٍ خِيفَةَ الرُّقْبَاءِ<sup>(١)</sup>  
قال أبو وَجْزَةَ السَّعْدِيُّ<sup>(٢)</sup> يصف كلام رجل:

يَكْفِي قَلِيلُ كَلَامِهِ، وَكَثِيرُهُ ثَبَتٌ، إِذَا طَالَ النَّضَالُ، مُصِيبٌ<sup>(٣)</sup>  
وَأَنشَدَ أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُبَرِّدُ<sup>(٤)</sup> وَلَمْ يَسْمَ قَائِلَهُ، وَهُوَ مُؤَلَّدٌ وَلَمْ يَنْقُصْهُ  
تَوَلِيْدُهُ مِنْ حِظِّ الْقَدِيمِ شَيْئاً:

طَيِّبٌ بِسَدَاءِ فُنُونِ الْكَلَامِ لَمْ يَعْصِي يَوْماً وَلَمْ يَهْزُدِ<sup>(٥)</sup>  
فَإِنْ هُوَ أَطْنَبَ فِي خُطْبَةٍ قَضَى لِلْمُطِيلِ عَلَى الْمُتَزَرِّ<sup>(٦)</sup>  
وَإِنْ هُوَ أَوْجَزَ فِي خُطْبَةٍ قَضَى لِلْمُقِلِّ عَلَى الْمُكْثَرِ  
وقال آخر يصف خطيباً:

فَإِذَا تَكَلَّمَ خِلَتْهُ مُتَكَلِّمًا بِجَمِيعِ عِلَّةِ أَلْسِنِ الْخُطَبَاءِ  
فَكَأَنَّ آدَمَ كَانَ عَلَّمَهُ الَّذِي قَدْ كَانَ عَلَّمَهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ

وكان أبو داود يقول: تلخيص المعاني رِفْقٌ، والاستعانة بالغريب عَجْزٌ، والتشديق في

(١) وحي الملاحظ: إشارة العيون.

(٢) هو أبو وجزة، يزيد بن عبيد، من بني سعد بن هوازن، أظَّارَ النبي ﷺ: شاعر مجيد، وهو أول من شَبَّ بعجوز. توفي بالمدينة نحو ١٣٠ هـ / ٧٤٨ م. (ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٥٩١/٢).

(٣) ثبت: مثبت.

(٤) هو أبو العباس، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسان الأزدي، المعروف بالمبرد: أديب، نحوي، لغوي، إخباري، نسابه. ولد بالبصرة، وتصدَّر للاشتغال ببغداد، وتوفي فيها سنة ٢٨٥ هـ / ٨٩٨ م. (الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٣/ ٣٨٠؛ عمر كحالة، معجم المؤلفين: ١١٤/١٢).

(٥) الهَزْدُ: سقط الكلام، الذي لا يُتْبَأُ به، وقد هَنَرَ كلامه هَنَرًا: كثر في الخطأ والباطل.

(٦) الْمُتَزَرُّ: الْمُقِلُّ.

الإعراب نَقْصٌ، والنظرُ في عيون الناس عِيٌّ، ومسُّ اللحية هُلْكٌ، والخروجُ عما بُني عليه الكلام إسهاب.

وقال بعضهم يهجو رجلاً بالعي:

مَلِيءٌ بِبُهْرٍ وَالتَّفَاتِ وَسَعْلَةٍ وَمَسْحَةٍ عُثُونٍ وَقَتْلِ الْأَصَابِعِ<sup>(١)</sup>

### العتابي يصف الرجل البليغ

ووصف العتّابي<sup>(٢)</sup> رجلاً بليغاً فقال: كان يُظْهِرُ ما غَمَضَ من الحِجَّةِ، ويصوِّرُ الباطلَ في صورةِ الحقِّ، ويُفْهِمُكَ الحاجةَ من غيرِ إعادةٍ ولا استعانة. قيل له: وما الاستعانة؟ قال: يقول عند مقاطع كلامه يا هناة، واسْمَعْ، وفَهِمْتُ! وما أشبه ذلك. وهذا من أَمَارَاتِ الْعَجْزِ، ودلائلِ الحَصَرِ! وإنما ينقطعُ عليه كلامه فيحاولُ وَصْلَهُ بهذا، فيكون أشدَّ لِنَقْطَاعِهِ.

### عدة الخطابة عند أبي داود

وكان أبو داود يقول: رَأْسُ الْخَطَابَةِ الطَّنْعُ، وَعَمُودُهَا الدُّرْبَةُ، وَجَنَاحَاهَا رِوَايَةُ الْكَلَامِ، وَحَلْيُهَا الْإِعْرَابُ، وَبَهَاؤُهَا تَخْيِيرُ اللَّفْظِ؛ وَالْمَحَبَّةُ مَقْرُونَةٌ بِقَلَّةِ الْاسْتِكْرَاهِ.

### منزلة اللفظ من المعنى عند الجاحظ

وقال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: قال بعض جَهَابِذَةِ الْأَلْفَاظِ، وَنُقَادِ الْمَعَانِي: المعاني القائمةُ في صدور الناس، المختلجة في نفوسهم، والمتصورة في أذهانهم المتصلة بخواطيرهم، والحادثة عن فكرهم، مستورةٌ خَفِيَّةٌ، وبعيدةٌ وَحْشِيَّةٌ، ومحجوبةٌ مَكْنُونَةٌ، وموجودةٌ في معنى معدومة، لا يعرفُ الإنسانُ ضميرَ صاحبه، ولا حاجةَ أخيه وخليطه، ولا معنى شريكه والمعاون له على أمره، وعلى ما لا يلغيه من حاجات نفسه إلا بغيره، وإنما يحبي تلك المعاني ذكْرهم لها، وإخبارهم عنها، واستعمالهم إياها.

وهذه الخصالُ هي التي تُقَرِّبُهَا من الفهم، وتَجَلِّيْهَا للعقل، وتجعل الخفيَّ منها ظاهراً،

(١) البهر: تتابع النفس وانقطاعه مع الإعياء. والعُثُونُ: اللحية.

(٢) هو أبو عمرو، كلثوم بن عمرو بن أيوب العتّابي: شاعر، مترسل، بليغ، مقدم في الرواية والخطابة، من أهل قسرين. قدم بغداد، ومدح الرشيد، وانقطع إلى البرامكة. من آثاره: «الآداب»، و«الألفاظ»، و«فنون الحكم»، وغيرها. توفي سنة ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م. (ابن المعتز، طبقات الشعراء: ٢٦٠؛ الأصفهاني، الأغاني: ١٠٦/١٣).



والغائب شاهداً، والبعيد قريباً. وهي التي تلخص الملتبس، وتحل المنعقد، وتجعل المهمل مُقَيِّداً، والمقيد مطلقاً، والمجهول معروفاً، والوَخْشِي مألوفاً، [والغفل موسوماً<sup>(١)</sup>]، والموسوم معلوماً؛ وعلى قَدَرِ وضوح الدلالة، وصواب الإشارة، وحُسْنِ الاختصار، ودقة المدخل، يكون ظهور المعنى. وكلما كانت الدلالة أَوْضَحَ وأفصحَ، وكانت الإشارة أَبَيَّنَ وأنورَ، كانت أنفع وأنجع في البيان. والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله يَمْدَحُه، وَيَدْعُو إِلَيْه، وَيَحْتُ عَلَيْهِ؛ بذلك نطق القرآن، وبذلك تفاخرت العرب، وتفاضلت أصناف العجم.

### البيان عند الجاحظ

والبيان: اسمٌ لكل شيء كَشَفَ لك عن قناع المعنى، وَهَتَكَ لك الْحُجُبَ دون الضمير، حتى يُفْضِيَ السامعُ إلى حقيقته، ويهجم على محصله، كائناً ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان ذلك الدليل؛ لأنَّ مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائلُ والسامع إنما هو الفهم والإفهام؛ فبأي شيء بَلَغْتَ الإفهامَ وأوضحتَ عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع.

### الدلالات على المعاني

ثم اَعْلَمْ - حَفِظَكَ اللَّهُ! - أَنَّ حُكْمَ المعاني خِلَافُ حُكْمِ الألفاظ؛ لأنَّ المعاني مبسوطة إلى غير غاية، وأسماء المعاني محصورة معدودة، وَمُحْصَلَةٌ محدودة.

وجميعُ أَصْنَافِ الدلالات على المعاني من لَفْظٍ أو غيره خمسةُ أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللَّفْظ، ثم الإشارة، ثم العُقْد، ثم الخطُّ، ثم الحال التي تسمى نُصْبَةً. والنُّصْبَةُ هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تَقْصُرُ عن تلك الدلالات.

ولكل واحدةٍ من هذه الدلائل الخمسة صورةٌ بائنةٌ<sup>(٢)</sup> من صورةٍ صاحبيتها، وحِلْيَةٌ مخالفةٌ أحتها؛ وهي التي تكشف لك عن أَعْيَانِ المعاني في الجملة، وعن حقائقها في التفسير، وعن أجناسها وأقدارها، وعن خاصَّتها وعامَّتها، وعن طبقاتها في السارِّ والضارِّ، وعما يكون منها لَعْواً بَهْرَجاً<sup>(٣)</sup>، وساقطاً مُطَرَحاً.

(١) الغفل: الذي لا علامة له، والموسوم: ذو العلامة، من الوسم.

(٢) صورة بائنة: متميزة، يظهر فرق ما بينها وبين صاحبيتها.

(٣) بهرج: رديء.

وفي نحو قول أبي عثمان «إِنَّ المعاني غير مقصورة ولا محصورة» بقول أبو تمام الطائي لأبي دُلَف القاسم بن عيسى العجلي<sup>(١)</sup>:

وَلَوْ كَانَ يَفْنَى الشَّعْرُ أَفْنَتْهُ مَا قَرَّتْ حَيَاضُكَ مِنْهُ فِي الْعُصُورِ الذَّوَاهِبِ<sup>(٢)</sup>  
وَلَكِنَّهُ فَيَضُ الْعُقُولِ إِذَا انْجَلَتْ سَحَابٌ مِنْهُ أُعْقِبَتْ سَحَابٌ

كما أشار إلى قول أوس بن حجر الأسدي<sup>(٣)</sup>:

أَقُولُ بِمَا صَبَّتَ عَلَيَّ عَمَامَتِي وَجُهِدِي فِي حَبْلِ الْعَشِيرَةِ أَحْطَبُ<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

### فضل اللسان

وقال بعضُ البلغاء: في اللسان عشرُ خصالٍ محمودة، أداةٌ يظهر بها البيان، وشاهدٌ يخبر عن الضمير، وحاكمٌ يفصل الخطاب، وواعظٌ ينهي عن القبيح، وناطقٌ يرُدُّ الجواب، وشافعٌ تُدرك به الحاجة، وواصفٌ تُعرف به الأشياء، ومُعربٌ يُشكر به الإحسان، ومُعزٌّ تذهب به الأحزان، وحامدٌ يذهب الضغينة ومُؤنقٌ يلهي الأسماع<sup>(٥)</sup>.

### صلة اللفظ بالمعنى عند ابن المعتز

وقال أبو العباس بن المعتز: لحظة القلب أسرعُ خطرةً من لحظة العين، وأبعدُ مَجَلاً، وهي الغائصة في أعماق أودية الفكر، والمتأملُ لوجوه العواقب، والجامعة بين ما غاب وحَضَرَ، والميزانُ الشاهد على ما نفعَ وضرَّ، والقلبُ كالمُملي للكلام على اللسان إذا نطق، والبدن إذا كتبت، والعاقِلُ يكسو المعاني وشيَ الكلام في قلبه، ثم يثديها بالفاظ كَوَاسٍ في أحسن زينة، والجاهلُ يستعجلُ بإظهار المعاني قبل العناية بتزيين معارضها، واستكمال محاسنها.

(١) أبو تمام، الديوان: ١٥١/١.

(٢) قَوَتْ: جمعت، من قرى الماء في الحوض إذا جمعه.

(٣) لعله أراد أوس بن حجر بن مالك التميمي، وهو من كبار شعراء الجاهلية، وفي نسبه خلاف بعد أبيه حجر. وهو زوج أم زهير بن أبي سلمى. كان كثير الأسفار، وأكثر إقامته عند عمرو بن هند في الحيرة. عَمَر طويلاً، ولم يدرك الإسلام، وكان غزلاً مغرماً بالنساء. توفي ٢ ق. هـ/ ٦٢٠ م. (ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ١٣١/١).

(٤) يحطب في جبل العشيرة: أي يستعين بها كما يستعين الحاطب بالحبل. والبيت في ديوانه: ص ٧.

(٥) هذه إحدى عشرة خصلة، وليست عشراً.

### البيان عند جعفر بن يحيى البرمكي

وقيل لجعفر بن يحيى البرمكي: ما البيان؟ قال: أن يكون الاسم يحيط بمعناك. ويكشف عن مغزأك، ويخرجه من الشركة، ولا يستعان عليه بالفكر، ويكون سليماً من التكلف، بعيداً من الصنعة، بريئاً من التعقيد، غنياً عن التأويل.

### سهل بن هارون يصف بلاغة جعفر بن يحيى البرمكي

وذكر سهل بن هارون<sup>(١)</sup> - وقيل ثُمَامَة بن أشرس - جعفر بن يحيى قال: قد جَمَعَ في كلامه وبلاغته الهدُّ والتمهل<sup>(٢)</sup> والجزالة والحلاوة، وكان يُثَمِّمُ إفهاماً يُغْنِيهِ عن الإعادة للكلام. ولو كان يَسْتَغْنِي مستغن عن الإشارة بمنطقه لاستغنى عنها جعفر. كما استغنى عن الإعادة فإنه لا يَتَحَبَّسُ ولا يَتَوَقَّفُ في منطقهِ ولا يَتَلَجَّلَجُ<sup>(٣)</sup>، ولا يَسْعَلُ، ولا يَتَرَقَّبُ لفظاً قد استدعاه من بُعد، ولا يَتَلَمَسُ معنى قد عصاه بعد طلبه له.

\* \* \*

### بشار بن برد يذكر أسباب تفوقه على أهل عصره

وقيل لبشار بن برد<sup>(٤)</sup>: يَمُ فُقَّتْ أهلُ عمرك، وسبقتَ أهلَ عصرِكَ، في حسن معاني الشعر، وتهذيب ألفاظه؟ فقال: لأنني لم أقبل كلَّ ما تُورِدُهُ عليَّ قريحتي، ويُنَاجِيَنِي به طَبْعِي، وبيعته فكري، ونظرت إلى مغارس الفطن، ومعادن الحقائق، ولطائف التشبيهات، فَسِرْتُ إليها بفهم جيد، وغريزة قوية، فأحكمت سَبْرَهَا، وانتقيت حُرَّهَا، وكشفتُ عن حقائقها، واحترزتُ من متكلِّفها ولا والله ما ملك قيادي قَطُّ الإعجابُ بشيء مما آتَى به.

(١) هو أبو عمرو، سهل بن هارون، الفارسي، الدستمياني: أديب، كاتب، شاعر، حكيم. اتصل بخدمة المأمون العباسي، وتولى خزانة الحكمة. توفي سنة ٢١٥ هـ / ٨٣٠ م. من آثاره: «ديوان الرسائل»، و«كتاب النمر والثعلب»، و«تدبير الملك والسياسة»، وغيرها. (عمر كحالة، معجم المؤلفين: ٢٨٦/٤).

(٢) الهدُّ: السرعة.

(٣) اللجلجة: ثقل اللسان، ونقص الكلام، وآلاً يخرج بعضه في أثر بعض.

(٤) هو أبو معاذ، بشار بن برد العقيلي بالولاء: شاعر مشهور، قيل: إنه أشهر المولدين على الإطلاق. أصله من طخارستان، ونشأ بالبصرة، وقدم بغداد، وحضر مجالس الخلفاء، وكان ضريراً، حسن الصوت، جيد الخطابة. اتهم بالزندقة، فقتل سنة ١٦٧ هـ / ٧٨٤ م، ودفن بالبصرة. (ابن المعتز، طبقات الشعراء: ٢١؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ١١٢/٧).

وكان بشار بن برد خطيباً، شاعراً، راجزاً، سجعاً، صاحب مشور ومزدوج، ويلقب بالمرعئ لقوله<sup>(١)</sup>:

مَنْ لَطَبَنِي مُرْعًى سَاحِرِ الطَّرْفِ وَالنَّظَرِ<sup>(٢)</sup>  
قَالَ لِي لَنْ تَسْأَلَنِي قُلْتُ أَوْ يَغْلِبَ الْقَدَرُ<sup>(٣)</sup>

وليس هذا موضع استقصاء ذكره، واختيار شعره، وسأستقبل ذلك إن شاء الله.

### [وصية أبي تمام للبحري]

وقال الوليد بن عبيد البُحْري: كُنْتُ فِي حَدَاثَتِي أُرُومَ الشَّعْرِ، وَكُنْتُ أَرْجِعُ فِيهِ إِلَى طَبْعٍ، وَلَمْ أَكُنْ أَقِفْ عَلَى تَسْهِيلِ مَاخِذِهِ، وَوَجْهٍ اقْتِضَابِهِ، حَتَّى قَصَدْتُ أَبَا تَمَامٍ، وَانْقَطَعَتْ فِيهِ إِلَيْهِ، وَانْتَكَلْتُ فِي تَعْرِيفِهِ عَلَيْهِ؛ فَكَانَ أَوَّلُ مَا قَالَ لِي: يَا أَبَا عُبَادَةَ؛ تَخَيَّرِ الْأَوْقَاتَ وَأَنْتَ قَلِيلُ الْهَمُومِ، صِفَرٌ مِنَ الْغُمُومِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَادَةَ جَرَتْ فِي الْأَوْقَاتِ أَنْ يَقْصِدَ الْإِنْسَانُ لِتَأْلِيفِ شَيْءٍ أَوْ حِفْظِهِ فِي وَقْتِ السَّحَرِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ قَدْ أَخَذَتْ حَظَّهَا مِنَ الرَّاحَةِ، وَقَسَطَهَا مِنَ النَّوْمِ، وَإِنْ أَرَدْتَ التَّشْبِيهَ فَاجْعَلِ الْفَلْظَ رَشِيقاً، وَالْمَعْنَى رَقِيقاً، وَأَكْثِرْ فِيهِ مِنْ بَيَانِ الصَّبَابَةِ، وَتَوَجَّعِ الْكَابَةِ، وَقَلِّقِ الْأَشْوَاقَ، وَلَوَعَةِ الْفِرَاقِ، فَإِذَا أَخَذْتَ فِي مَدِيحِ سَيِّدٍ ذِي أَيَادٍ فَاشْهَرِ مَنَاقِبَهُ، وَأَظْهَرِ مَنَاسِبَهُ، وَأَبْنِ مَعَالِمَهُ، وَشَرَفِ مَقَامَهُ، وَنَضِّدِ الْمَعَانِي<sup>(٤)</sup>، وَاحْذَرِ الْمَجْهُولَ مِنْهَا، وَإِيَّاكَ أَنْ تَشِينِ شِعْرَكَ بِالْأَلْفَاظِ الرَّدِيئَةِ، وَلَتَكُنْ كَأَنَّكَ خِيَّاطٌ يَقْطَعُ الثِّيَابَ عَلَى مَقَادِيرِ الْأَجْسَادِ. وَإِذَا عَارَضَكَ الضَّجَرُ فَأَرْخِ نَفْسَكَ، وَلَا تَعْمَلْ شِعْرَكَ إِلَّا وَأَنْتَ فَارِغٌ الْقَلْبِ، وَاجْعَلْ شَهْوَتَكَ لِقَوْلِ الشَّعْرِ الذَّرِيعَةِ<sup>(٥)</sup> إِلَى حَسَنِ نَظْمِهِ؛ فَإِنَّ الشَّهْوَةَ نَعْمُ الْمَعِينِ. وَجَمَلَةُ الْحَالِ أَنْ تَعْتَبِرَ شِعْرَكَ بِمَا سَلَفَ مِنْ شِعْرِ الْمَاضِينَ، فَمَا اسْتَحْسَنَ الْعُلَمَاءُ فَاقْصِدْهُ، وَمَا تَرَكَهُ فَاجْتَنِبْهُ، تَرَشَّدْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

قال: فأعملت نفسي فيما قال فوفقت على السياسة.

- (١) بشار بن برد، الديوان: ٥٩/٤.
- (٢) المرعئ: لابس الرُعَّة، وهو القرط. والطرف: العين. وفي الديوان: «قَالَ لِي رِيْمٌ مُرْعًى».
- (٣) الريم: الطيبي.
- (٤) في الديوان: «لست وألله ناظمي».
- (٥) نضد: من التضديد، وهو ضمُّ الشيء إلى الشيء.
- (٥) الذريعة: الوسيلة.

## وصف البليغ

وقالوا: البليغ مَنْ يَحْكُمُ الكلامَ على حسب الأماني، ويخيط الألفاظ على قُدُود المعاني.

### بعض مزايا الليل للحاتمي

ولذكر الطائي الليل، ذكر بعض أهل العصر - وهو أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي<sup>(١)</sup> - الليل فقال: فيه تَجَمُّ الأذهان<sup>(٢)</sup>، وتنقطع الأشغال، ويصح النظر، وتؤلف الحكمة، وتدرّ الخواطر، ويتسع مجال القلب، والليل أضوأ في مذاهب الفكر، وأخفى لعمل البر، وأعون على صدقة السر، وأصح لتلاوة الذكر، ومُدَبِّرُ الأمور يختارون الليل على النهار، فيما لم تصف فيه الأناة لرياضة التدبير وسياسة التقدير، في دَفَعِ الملَم، وإمضاء المهم، وإنشاء الكتب، وتصحيح المعاني، وتقويم المباني، وإظهار الحُجَج، وإيضاح المُنَهَج، وإصابة نَظْمِ الكلام، وتقريبه من الأفهام.

وقال بعض رؤساء الكتاب: ليس الكتابُ في كل وقتٍ على غير نسخة لم تُحرَّر بصواب؛ لأنه ليس أحدٌ أولى بالأناة وبالروية من كاتبٍ يَعرِضُ عقله، وينشرُ بلاغته؛ فينبغي له أن يعمل النسخ ويرويه، ويقبل عَفْوَ القريحة ولا يستكرهها، ويعمل على أن جميع الناس أعداء له، عارفون بكتابه، متقدون عليه، متفرغون إليه.

### فضل الروية والأناة

وقال آخر: إن لابتداء الكلام فتنة تروق، وجدة تعجب، فإذا سكنت القريحة، وعدل التأمل، وصفت النفس، فليعد النظر، وليكن فرحه بإحسانه، مساوياً لغمه بإساءته؛ فقد قالت الخوارج لعبد الله بن وهب الراسبي: نبايعك الساعة فقد رأينا ذلك، فقال: دَعُوا الرأي حتى يبلغ أُناته، فإنه لا خيرَ في الرأي الفطير، والكلام القضيب<sup>(٣)</sup>.

(١) هو أبو علي، محمد بن الحسن المظفر الكاتب اللغوي البغدادي، المعروف بالحاتمي. اتصل بسيف الدولة، ونال عنده حظوة. والتقى المتنبّي ببغداد، وناظره في معاني شعره، وكان يجمع بين البلاغة في النثر، والبراعة في الشعر. توفي سنة ٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م. من آثاره: «حلية المحاضرة»، و«كتاب الشراب»، و«مختصر العربية»، و«الرسالة الحاتمية»، وغيرها. (فروخ، تاريخ الأدب العربي: ٥٦٩/٢).

(٢) تَجَمُّ: تستريح.

(٣) الرأي الفطير: الذي لم ينضج. والكلام القضيب: المرتجل.

وقال معاوية بن أبي سفيان رحمه الله لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ: ما عندك في كذا وكذا؟ فقال: أريد أن أَصْغَلَ عَقْلِي بِنُومَةِ الْقَائِلَةِ<sup>(١)</sup>، ثم أروح فأقول بعد ما عندي.

قال الشاعر:

إِنَّ الْحَدِيثَ تَغَرُّ الْقَوْمِ جَلَوْتُهُ      حَتَّى يُغَيِّرَهُ بِالْوَزْنِ مِضْمَارُ<sup>(٢)</sup>  
فَعِنْدَ ذَلِكَ تَسْتَكْفِي بِبَلَاغَتِهِ      أَوْ يَسْتَمِرُّ بِهِ عِيٌّ وَإِكْثَارُ

وقالوا: كل مُجَرِّ بِالْخَلَاءِ يُسَرُّ<sup>(٣)</sup>، وقال أبو الطيب المتنبي<sup>(٤)</sup>:

وَإِذَا مَا خَلَا الْجَبَانَ بِأَرْضٍ      طَلَبَ الطَّعْنَ وَخَدَهُ وَالنَّزَالَ

\* \* \*

### تخير ابن المقفع ما يرد عليه من الكلام

وكان قلم ابن المقفّع يَفُكُّ كثيراً، فقليل له في ذلك، فقال: إن الكلام يَزِدُّجُم في صدري، فيقف قلبي ليتخَيَّرَ.

### يغتفر في المخاطبة ما لا يغتفر في المكاتبه

وقالوا: الْكِتَابُ يُتَصَفَّحُ أَكْثَرَ مما يتَصَفَّحُ الْخُطَابُ؛ لأنَّ الْكَاتِبَ مُتَخَيَّرٌ، وَالْمُخَاطَبَ مُضْطَرٌّ، وَمَنْ يَرُدُّ عَلَيْهِ كِتَابَكَ فَلَيْسَ يَعْلَمُ أَلَسَّرَعْتَ فِيهِ أَمْ أَبْطَأْتَ؛ وَإِنَّمَا يَنْظُرُ أَلْخَطَأْتَ أَمْ أَصَبْتَ؛ فإِبْطَاؤُكَ غَيْرُ قَادِحٍ فِي إِصَابَتِكَ، كَمَا إِنْ إِسْرَاعُكَ غَيْرُ مُغْطٍ عَلَى غَلْطِكَ.

### ما يجب في النسخ

ووصف بعضُ الْكِتَابِ النَّسْخَ فقال: ينبغي أَنْ يَصَحِّبَهَا الْفِكْرُ إِلَى اسْتِقْرَارِهَا، ثُمَّ تُسْتَبْرَأَ<sup>(٥)</sup> بِإِعَادَةِ النَّظَرِ فِيهَا بَعْدَ اخْتِيَارِهَا، وَيُوسَّعَ بَيْنَ سَطُورِهَا، ثُمَّ تُحَرَّرَ عَلَى ثِقَةٍ بِصَحَّتِهَا، وَتُتَمَلَّلُ بَعْدَ التَّحْرِيرِ حَرْفًا حَرْفًا إِلَى آخِرِهَا.

(١) نومة القائلة: نومة الظهيرة.

(٢) الجلوته: الزينة.

(٣) يريد: أن الذي يجري فرسه بالخلاء يُسَرُّ بظفره، حيث لا مُناضل له ولا مُبارٍ، وهو مثل في التهكم.

(٤) المتنبي، الديوان: ٢٠٠/٢.

(٥) تُسْتَبْرَأُ: أي تُراجع، ويُعاد النظر فيها حتى تخلو من الأخطاء والشوائب، ويُضاف إليها ما قد أغفل ذكره.

فقد كتب المأمون مُصَحَّفًا اجْتُمِعَ عليه؛ فكان أوله: بسم الله الرحيم، فأغفلوا الرحمن؛ لأنَّ العينَ لا تُعْتَبَرُ ذلك؛ ثقة أنه لا يُعْلَطُ فيه، حتى فَطِنَ المأمون له.

وقال محمد بن عبد الملك الزيات للحسن بن وهب: حرَّر هذه النسخة ويكرِّ بها، فَتَصَبَّحَ الحسن<sup>(١)</sup> فقال له: لم تصبَّحت؟ قال: حتى تصفَّحت!

وقال أحمد بن إسماعيل بطاحَة: كان بعض العلماء الأغبياء ينظر في نسِخه بعد نفوذ كُتِبِه، فقال بعض الكتاب:

مُسْتَلَبُ اللَّبِّ غَوِيُّ الشَّبَابِ      عَذْبُهُ الْهَجْرُ أَشَدُّ الْعَذَابِ  
يَوْمُ اللَّصْبَرِ وَأَنْتَى لَهُ      بِهِ وَقَدْ مُكِّنَ مِنْهُ التَّصَابِ  
كَناظِرٍ فِي نَسْخَةٍ يَبْتَغِي      إِصْلَاحَهَا بَعْدَ نُفُوذِ الْكِتَابِ

### أوصاف بليغة في البلاغات

#### على أسنة أقوام من أهل الصناعات

قال بعضُ من وَلَدَ عقائل هذا المثنور، وألَّفَ فواصل هذه الشُّدُور<sup>(٢)</sup>: تَجَمَّع قوم من أهل الصناعات، فوصفوا بلاغاتهم، من طريق صناعاتهم:

فقال الجوهرى: أَحْسَنُ الكلامِ نِظاماً ما ثَقَبَتْهُ يَدُ الفِكرَةِ، ونَظَمَتْهُ الْفِطْنَةُ، وَوَصَلَ جَوْهَرُ معانيه في شُمُوط<sup>(٣)</sup> أَلْفَاظِهِ، فاحتملتْهُ نَحْوُ الرِّوَاةِ.

وقال العطَّار: أَطْيَبُ الكلامِ ما عُجِنَ عَنَبَرُ أَلْفَاظِهِ بِمَسْكِ مَعَانِيهِ، ففَاحَ نَسِيمُ نَشَقِهِ، وَسطعت رائحة عِبْقِهِ، فتعلَّقَ بِهِ الرُّوَاةُ، وتَعَطَّرَتْ بِهِ السَّرَاةُ.

وقال الصائغ: خَيْرُ الكلامِ ما أَحْمَيْتَهُ بِكَبِيرِ الْفِكرِ<sup>(٤)</sup>، وَسَبَكْتَهُ بِمِشَاعِلِ النَّظَرِ، وَخَلَصْتَهُ مِنْ حَبِّ الإِطْنَابِ، فَبَرَزَ بِرُوزِ الإِبْرِيزِ<sup>(٥)</sup>، فِي مَعْنَى وَجِيزِ.

(١) تَصَبَّحَ: تأخر عن الحضور صباحاً.

(٢) الشُّدُور: جمع شُدر، وهو فتات الذهب.

(٣) الشُمُوط: جمع سمط، وهو خيط النظم.

(٤) الْكَبِيرُ: منقحة الحداد.

(٥) الإِبْرِيز: الذهب الخالص.

وقال الصِّيرفي<sup>(١)</sup>: خَيْرُ الكلام ما نَقَدْتُهُ يَدُ البَصِيرَةِ، وَجَلَّتْهُ عَيْنُ الرُّوِيَّةِ، وَوَزَنَتْهُ بِمِغْيَارِ الفَصَاحَةِ، فَلَا نَظَرَ يُزَيِّقُهُ<sup>(٢)</sup>، وَلَا سَمَاعَ يُبْهَرِجُهُ<sup>(٣)</sup>.

وقال الحدَّاد: أَحْسَنُ الكلام ما نَصَبْتَ عَلَيْهِ مِثْقَلَ القَرِيحَةِ، وَأَشْعَلْتَ عَلَيْهِ نَارَ البَصِيرَةِ، ثُمَّ أَخْرَجْتَهُ مِنْ فَمِ<sup>(٤)</sup> الإِفْحَامِ، وَرَفَّقْتَهُ بِفَطْيُسِ الإِفْهَامِ<sup>(٥)</sup>.

وقال النُّجَّار: خَيْرُ الكلام ما أَحْكَمْتَ نَجَرَ معناه بِقُدُومِ التَّقْدِيرِ، وَنَشَرْتَهُ بِمِنْشَارِ التَّدْبِيرِ، فَصَارَ بَاباً لَيْتَ البَيَانِ، وَعَارِضَةً لِسَقْفِ اللِّسَانِ.

وقال النُّجَّاد: أَحْسَنُ الكلام ما لَطَفْتَ رَفَارِفَ أَلْفَاظِهِ<sup>(٦)</sup>، وَحَسَّنْتَ مَطَارِحَ معانيه، فَتَنَزَّهَتْ فِي زُرَايِي محاسنه عَيْنُ النَّاظِرِينَ<sup>(٧)</sup>، وَأَصَاخَتْ لِنِمَارِقِ<sup>(٨)</sup> بَهْجَتِهِ آذَانُ السَّامِعِينَ.

وقال المَاتِح: أَبْيَنُ الكلام ما عُلِقَتْ وَدَمٌ<sup>(٩)</sup> أَلْفَاظِهِ بِكِرَةِ معانيه، ثُمَّ أُرْسِلَتْهُ فِي قَلْبِ<sup>(١٠)</sup> الْفِطَنِ فَمَتَحَتْ بِهِ سَقَاءَ يَكْشِفُ الشُّبُهَاتِ، وَاسْتَنْبَطَتْ بِهِ مَعْنَى يَرُوى مِنْ ظَمَأِ الْمَشْكَلَاتِ.

وقال الْخِيَّاط: الْبَلَاغَةُ قَمِيصٌ؛ فَجَرَّيْنَاهُ الْبَيَانَ<sup>(١١)</sup>، وَجَبَّيْنَاهُ الْمَعْرِفَةَ، وَكَمَّاهُ الْوَجَازَةَ، وَدَخَّرِيصَهُ الْإِفْهَامَ<sup>(١٢)</sup>، وَدُرُّوزَهُ الْحَلَاوَةَ<sup>(١٣)</sup>، وَلَا بَسَّ جَسَدَهُ الْلفْظَ، وَرُوحَهُ الْمَعْنَى.

- (١) الصِّيرْفِي وَالصَّرَاف وَالصَّيْرَفُ: النَّقَّادُ الَّذِي يَدُلُّ نَقْدًا بِنَقْدٍ، وَالْجَمْعُ: صَيَارِفَةٌ وَصَيَارِيفٌ.
- (١٢) زَافُ الدَّرَاهِمِ وَزَيْفُهَا: حُكْمُ بَرْدَائِهَا.
- (٣) يَبْهَرِجُهُ: يَحْكُمُ بِأَنَّهُ بَهْرَجٌ، وَالْبَهْرَجُ: الْبَاطِلُ الرَّدِيُّ.
- (٤) فَحَمَ فَلَانٌ فَحْمًا وَفَحُومًا: سَكَتَ وَعَجَزَ عَنِ الْجَوَابِ، وَأَفْحَمَ الْخَصْمَ إِفْحَامًا: أَسْكَنَهُ بِالْحُجَّةِ.
- (٥) الْفِطْيُسُ: الْمَطْرَقَةُ الْعَظِيمَةُ، أَوْ أَدَاةُ كَالْمَطْرَقَةِ لِتَكْسِيرِ الْحِجَارَةِ.
- (٦) الرِّفَارِفُ: جَمْعُ الرِّفْرِفِ، وَهُوَ الْبَسَاطَةُ، وَالسَّرُّ، وَالْوَسَائِدُ يَتَكَأُ عَلَيْهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفُوفٍ خُضْرٍ وَعَبَقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ (سُورَةُ الرَّحْمَنِ، آيَةُ ٧٦)، أَيُّ: عَلَى وَسَائِدٍ وَنِمَارِقٍ.
- (٧) الزَّرَايِي: جَمْعُ زُرِّيَّةٍ: الْوَسَادَةُ تُسَبِّطُ لِلْجُلُوسِ عَلَيْهَا.
- (٨) النِّمَارِقُ: جَمْعُ النَّمْرِقِ: الْوَسَادَةُ الصَّغِيرَةُ يَتَكَأُ عَلَيْهَا. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿وَتَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ (سُورَةُ الْغَاشِيَةِ، آيَةُ ١٦).
- (٩) الْوَدَمُ: السَّيْرُ بَيْنَ آذَانِ الدَّلْوِ وَعَرَاقِيهَا تُشَدُّ بِهَا، وَقَدْ أَوْدَمَ السَّقَاءُ: شَدَّهُ بِالْوَدْمَةِ.
- (١٠) الْقَلِيبُ: الْبَثْرُ.
- (١١) الْجَرَبَانُ: الطُّوقُ.
- (١٢) الدِّخَارِيصُ: فَتَحَاتِ الْأَزْزَارِ.
- (١٣) الدَّرُوزُ: الْأَطْرَافُ الرَّاقِقَةُ.



وقال الصَّبَّاحُ: أحسن الكلام ما لم تنصَّ بهجة إيجازه<sup>(١)</sup>، ولم تكشف صيغة إعجازه، قد صقلته يد الروية من كمود الإشكال<sup>(٢)</sup>، فرأع كواعب الآداب، وألف عذارى الألباب.

وقال الحائك: أحسن الكلام ما اتصلت لحمة ألفاظه بسدى معانيه<sup>(٣)</sup> فخرج موقوفاً مُسَيِّراً<sup>(٤)</sup>، وموشى مُحَبَّراً<sup>(٥)</sup>.

وقال البرَّازُ<sup>(٦)</sup>: أحسن الكلام ما صدق رَقْمُ ألفاظه، وحسن نشر معانيه فلم يستعجم عنك نشر، ولم يستبهم عليك طي<sup>(٧)</sup>.

وقال الرائيض: خير الكلام ما لم يخرج عن حدِّ التخليع<sup>(٨)</sup>، إلى منزلة التقريب<sup>(٩)</sup> إلا بعد الرياضة، وكان كالمُهرِّ الذي أطمع أوَّل رياضته في تمام ثقافته.

وقال الجمال: البليغ من أخذ بخطام كلامه، فأناخه في مَبْرَك المعنى، ثم جعل الاختصار له عقلاً، والإيجاز له مَجَالاً، فلم يند عن الآذان، ولم يشذ عن الأذهان.

وقال المُخَنَّث: خير الكلام ما تكسرت أطرافه، وتشتت أعطافه، وكان لفظه حُلَّةً، ومعناه حلية.

وقال الخمار: أبلغ الكلام ما طبخته مَرَاجلُ العلم، وصفاه رَأُوقُ الفهم، وضمته دِنَانُ الحكمة، فتمشت في المفاصل عذوبته، وفي الأفكار رِقته، وفي العقول حدته.

- (١) لم تنص: لم تُنمَّح.
- (٢) كمد القصار الثوب كمداً وكُموداً: دقَّه، فهو كَمَادٌ، وَكَمَدَ الثوبُ: أخلق وتغيَّر لونه.
- (٣) اللحمة والسدى: ما يسدى به الثوب ويلحم.
- (٤) ثوب موقوف: رقيق موشى مُحَطَّط. وثوب مُسَيَّر: نُسِجَ على نيرين، والنير: هدب الثوب، ورقمه، ورسمه، ولحمته، والخيط مع القصب وهي ملفوفة عليه.
- (٥) وشى فلان الثوب وشياً وشيةً: نَمَّمَهُ ونَقَّشَهُ وحَسَّنَهُ. وثوب مُحَبَّر: مُزَيَّن، وقد جبر البُرْدَ حَبْرًا: وَشَاهُ وَزَيَّنَهُ.
- (٦) البرَّازُ: بائع البرِّ: الثياب.
- (٧) الطي «اللف» والنشر: هما أن تُلَفَّ بين شيئين في الذكر، ثم تتبعهما كلاماً مشتملاً على متعلق بواحد وبآخر من غير تعيين، ثقة بأن السامع يردُّ كلاً منهما إلى ما هو له. (السكاكي، مفتاح العلوم؛ ٤٢٥؛ ابن حجة الحموي، خزانة الأدب: ٦٦).
- (٨) التخليع: هزُّ المنكبين في المشي.
- (٩) التقريب: ضرب من العدو، وهو أن يرفع الجواد يديه معاً ويضعهما معاً.

وقال الفُقَاعِي<sup>(١)</sup>: خَيْرُ الْكَلَامِ مَا رَوَّحَتْ أَلْفَاظُهُ عِبَاوَةَ الشَّكِّ، وَرَفَعَ رِقَّتَهُ فِظَاظَةَ الْجَهْلِ، فَطَابَ حِسَاءُ فِطْنَتِهِ، وَعَدَّبَ مَصَّ جُرْعِهِ.

وقال الطَّبِيبُ: خَيْرُ الْكَلَامِ مَا إِذَا بَاشَرَ [دَوَاءً] بَيَانَهُ سَقَمَ الشُّبْهَةِ اسْتَطَلَقَتْ طَبِيعَةُ الْغِبَاوَةِ؛ فَشَفِيَ مِنْ سُوءِ التَّفْهَمِ، وَأُورِثَ صِحَّةَ التَّوَهُّمِ.

وقال الْكَحَّالُ<sup>(٢)</sup>: كَمَا أَنَّ الرَّمْدَ قَذَى الْأَبْصَارِ، فَكَذَا الشُّبْهَةَ قَذَى الْبَصَائِرِ، فَاكْحَلْ عَيْنَ اللَّكْنَةِ بِمِيلِ الْبَلَاغَةِ، وَاجْلُ رَمَصَ الْغَفْلَةِ<sup>(٣)</sup> بِمِرْوَدِ الْيَقْظَةِ<sup>(٤)</sup>.

ثم قال: أَجْمَعُوا كُلَّهُمْ عَلَى أَنَّ أْبْلَغَ الْكَلَامِ مَا إِذَا أَشْرَقَتْ شَمْسُهُ، انْكَشَفَ لَبْسُهُ، وَإِذَا صَدَقَتْ أُنْوَاؤُهُ<sup>(٥)</sup> اخْضُرَّتْ أَحْمَاؤُهُ<sup>(٦)</sup>.

### فقر في وصف البلاغة لغير واحد

قال أَعْرَابِي: الْبَلَاغَةُ التَّقَرُّبُ مِنَ الْبَعِيدِ، وَالتَّبَاعُدُ مِنَ الْكُلْفَةِ، وَالدَّلَالَةُ بِقَلِيلٍ عَلَى كَثِيرٍ.

قال عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنِ يَحْيَى: الْبَلَاغَةُ تَقْرِيرُ الْمَعْنَى فِي الْأَفْهَامِ، مِنْ أَقْرَبِ وَجْهِ الْكَلَامِ.

ابن المعتز: الْبَلَاغَةُ الْبُلُوغُ إِلَى الْمَعْنَى وَلَمْ يَظَلْ سَفَرُ الْكَلَامِ.

سَهْلُ بْنُ هَارُونَ: الْبَيَانُ تَرْجَمَانُ الْعُقُولِ، وَرَوْضُ الْقُلُوبِ، وَقَالَ: الْعَقْلُ رَائِدُ الرُّوحِ، وَالْعِلْمُ رَائِدُ الْعَقْلِ، وَالْبَيَانُ تَرْجَمَانُ الْعِلْمِ.

(١) الْفُقَاعِي: الَّذِي يَبِيعُ الْفُقَاعَ، وَهُوَ شَرَابٌ يَتَخَذُ مِنَ الشَّعِيرِ، يُخَمَّرُ حَتَّى تَعْلُوهُ فُقَاعَاتُهُ، قَالَ ابْنُ مَلِيكٍ الْحَمَوِيُّ (ت ٩١٧ هـ / ١٥١١ م)، وَكَانَ فُقَاعِيًّا:

لَمْ أَجْعَلِ الْفُقَاعَ لِي حِرْفَةً إِلَّا لِمَعْنَى حُنِكَ الشَّاهِدِ  
أُقَابِلُ السَّوْاشِي بِالْحَدِّ وَالْـ عَاذِلَ أَتَقْبِيهِ مِنَ الْبَارِدِ

(بدر الدين الغزي، الكواكب السائرة: ٢٦١/١).

(٢) الْكَحَّالُ: الَّذِي يَحْتَرِفُ الْكِحَالَةَ، وَهِيَ صِنَاعَةٌ تُعْنَى بِصَيَانَةِ الْعَيْنِ مِنَ الْأَمْرَاضِ، وَمَدَاوِنَاتِهَا بِالْكِحَالِ وَالْجِرَاحَةِ.

(٣) الرَّمَصُ: وَسَخٌ أَبْيَضٌ يَجْتَمِعُ فِي مَوْقِ الْعَيْنِ.

(٤) الْمِرْوَدُ: الْمِيلُ مِنَ الزَّجَاجِ أَوْ الْمَعْدُنِ، يُكْتَحَلُ بِهِ، الْجَمْعُ: مِرَاوِدٌ وَمِرَاوِيدٌ.

(٥) الْأَنْوَاءُ: جَمْعُ نَوَاءٍ، وَهُوَ النَّجْمُ الْمَائِلُ إِلَى الْغُرُوبِ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا: الْمَطَرُ.

(٦) الْأَحْمَاءُ: جَمْعُ حَمَىٍّ، وَهُوَ الْمَكَانُ يَحْمِيهِ الرَّجُلُ وَيَمْنَعُهُ.

إبراهيم بن الإمام: يكفي من البلاغة ألا يُؤتَى السامع من سوء إفهام الناطق، ولا يُؤتَى الناطق من سوء فهم السامع.

العتّابي: البلاغة مدُّ الكلام بمعانيه إذا قَصُر، وحُسْن التّأليف إذا طال.

أعرابي: البلاغة إيجاز في غير عَجْز، وإطناب في غير خَطَل.

[وكتب إبراهيم بن المهدي إلى كاتب له ورآه يتبع وَخْشِيَّ الكلام: إياك وتتبع الوحشي طمعاً في نِيلِ البلاغة؛ فإن ذلك العيُّ الأكبر، وعليك بما سهل مع تجنبك ألفاظ السفلى.

وقال الصّولي: وصف يحيى بن خالد رجلاً فقال: أخذ بزمام الكلام، فقاده أسهل مَقَاد، وساقه أجمل مَسَاق؛ فاسترجع به القلوبَ النافرة، واستصرف به الأبصار الطامحة.

وسمع أعرابي كلامَ الحسن البصري رحمه الله، فقال: والله إنه لفصيح إذا نطق، ونصيح إذا وعظ.

قال الجاحظ: ينبغي للكاتب أن يكون رقيقَ حَوَاشِي الكلام، عَذْبَ ينابيع اللسان؛ إذا حاور سَدَّد سهمَ الصواب إلى غرض المعنى، لا يكلم الخاصة بكلام العامة، ولا العامة بكلام الخاصة.

وقال أبو العباس المُبرّد: قال الحسن بن سهل لسالم الحراري: ما المنزلة التي إذا نزل بها الكاتب كان كاتباً في قوله وفعله واستحقاقه؟ قال: أن يكون مطبوعاً على المعرفة، مُحْتَنَكاً بالتجربة، عارفاً بحلال الكتاب وحرامه، وبالدهور في تصرفها وأحكامها، وبالمملوك في سِيرِها وأيامها، وأجاس الخط، وبادية الأقلام، مع تشاكل اللفظ وقرب المأخذ. قال الحسن: فليس في الدنيا إذاً كاتب].

وقيل لليوناني: ما البلاغة؟ قال: تصحيح الأقسام، واختيار الكلام.

وقيل للرومي: ما البلاغة؟ قال: حسنُ الاقتضاب عند البداهة، والغزارة يومَ الإطالة.

وقيل للهندي: ما البلاغة؟ قال: وضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة، وحُسْن الإشارة.

وقيل للفارسي: ما البلاغة؟ قال: مَعْرِفَةُ الفَصْلِ من الوصل.

وقال علي بن عيسى الرُّمّاني: البلاغةُ إيصال المعنى إلى القَلْبِ في أحسن صورةٍ من اللفظ.

### ومن كلام أهل العصر، في صفة البلاغة والبلغاء

[قال علي بن عيسى الرماني]: أبلغ الكلام ما حَسَنَ إيجازه، وقل مَجَازَه، وكثر إعجازه، وتناهِتَ صُدُورُه وأعجازه.

أبلغُ الكلام ما يُؤنِس مُسَمِّعَه، وَيُؤنِسُ مَضِيْعَه.

البلغ من يجتني من الألفاظ أنوارها<sup>(١)</sup>، ومن المعاني ثمارها.

ليست البلاغة أن يُطال عِنانُ القلم أو سِتانه، أو يُسَـطَ رِهانُ القول ومِـدَّانُه، بل هي أن يبلغ أمد المراد بالفاظ أَعْيان، ومعان أفراد، من حيث لا تَزِيدُ على الحاجة، ولا إخلال يُقْضي إلى الفاقة.

البلاغة ميدان لا يَقْطَعُ إلا بسوابق الأذهان، ولا يُسَلِّكُ إلا ببصائر البيان.

فلان يعث بالكلام، ويقوده بألّين زمام، حتى كأنَّ الألفاظَ تَتَحَاسَدُ في التسابق إلى خواطره، والمعاني تتغايّر في الانشِـيَال على أنامله.

هذا كقول أبي تمام الطائي<sup>(٢)</sup>:

تَغَايَرَ الشَّعْرُ فِيهِ إِذْ سَهَرْتُ لَهُ حَتَّى ظَنَنْتُ قَوَافِيهِ سَقَتِلَ<sup>(٣)</sup>

فلان مَشْرِفِي المشرق، وَصَيَّرَ فِي المنطق. البيانُ أَصْغَرُ صفاته، والبلاغةُ عَفْوُ خطراته.

كأنما أوحى بالتوفيق إلى صَدْرِهِ، وحسن الصواب بين طَبَعِهِ وفكره.

فلان يحز مَفَاصِلَ الكلام، ويسبق فيها إلى دَرَكَ المرام، كأنما جمع الكلام حوله حتى

انتقى منه وانتخب، وتناول منه ما طَلَبَ، وترك بعد ذلك أذناناً لا رؤوساً، وأجساداً لا نفوساً.

فلان يَرْضَى بِعَفْوِ الطَّبَعِ، ويقنع بما خَفَّ على السمع، ويُوْجِزُ فلا يُخِلُّ، وَيُطْنِبُ فلا

يُمِلُّ، لله فلان أخذ بأزمة القول يقودها كيف أراد، وَيَجْلِبُهَا أَنَّى شاء، فلا تعصيه بين الصَّعب والدَّلُول، ولا تسلمه عند الحُزونة والسَّهول، كلامه يشتد مرة حتى تقول الصَّخْرُ الأملس،

(١) الأنوار: جمع نُور، وهو الزهر، أو الأبيض منه.

(٢) أبو تمام، الديوان: ٧/٢. والبيت من قصيدة طويلة يمنح بها المعتصم بالله العباسي.

(٣) يقول: إن القوافي لكثرة تواردها عليّ، وحرصها على أن تُجَبَّر في شعر مدحه، تغايرت، أي أغارت كل واحدة منها على الأخرى، حتى ظننت أنها سقتل.

ويلين تارةً حتى تقولَ الماءَ أو أسلس، يقول فيصُول، ويُجيب فيصيب، ويكتبُ فيطْبُقُ  
المفصل، أو يُسَقِّ الدُرَّ المُفَصَّل، ويردُّ مشارِعَ الكلام وهي صافية لم تُطْرَق، وجماعة لم  
ترتق<sup>(١)</sup>، خاطرة البرق أو أسرع لمعاً، والسيف أو أحد قطعاً، والماء أو أسلس جرياً،  
والفلك أو أقوم هذياً؛ هو ممن يسهل الكلام على لفظه، وتزاحم المعاني على طبعه،  
فيتناول المرمى البعيد بقریب سعيه، ويستنبط المشرع العميق بيسير جريه، لسانه يفلق  
الصخور، ويغيض البحور، ويسمع الصم، ويستزل العُصم<sup>(٢)</sup>، خطيب لا تناله حُبسة، ولا  
ترتهنه لُكنة، ولا تتمشى في خطابه رنة، ولا تتحيّف بيانه عجمة، ولا تعترض لسانه عقدة.

فلان رقيق الأسئلة، عذب العذبة<sup>(٣)</sup> لو وُضع لسانه على الشعر حلّقه، أو على الصخر  
فلّقه، أو على [الجمر أحرقة، أو على] الصفا خرقه<sup>(٤)</sup>؛ قد أحسن السفارة، واستوفى  
العبارة، وأدّى الألفاظ، واستغرق الأغراض، وأصاب شواكل المراءد<sup>(٥)</sup>، وطبّق مفاصل  
السداد، وبسط لسان الخطاب، ومدّ أطناب الإطناب<sup>(٦)</sup>، وقلب الأمد في الإسهاب، قال  
حتى قال الكلام: لو أعفيت! وكتب حتى قالت الأقاليم: قد أحفيت، قد اتسع له مشرع  
الإطناب، وانفرج له مسلك الإسهاب، أرسل لسانه في ميدانه، وأرخى له من عنانه، قال  
وأطال، وجال في بسط الكلام كلّ مجال، إذا اسحنفر في الكلام طَفَحَ آذِيه<sup>(٧)</sup>، وسال

- (١) المشارع: جمع مشرعة، وهي مورد الماء الذي يُسقى منه بلا رشاء. و«جماعة لم ترتق»: ساكنة لم تُعكّر.
- (٢) العُصم: جمع أعصم، وهو الوعل (نيس الجبل) يعتصم بالجبال.
- (٣) الأسئلة: طرف كل شيء مُستدق، والمراد هنا: طرف اللسان. والعذبة: طرف الشيء، يقال: عذبة السوط، وعذبة العمامة، والمراد هنا: طرف اللسان.
- (٤) الصفاً: جمع الصفاة، وهي الحجر العريض الأملس، ويقال: فلان لا تُقرع له صفاة: لا يناله أحد بسوء.
- (٥) الشواكل: جمع شاكلة، وهي ما بين الأذن والصدغ.
- (٦) الأطناب: جمع طنب، وهو الحبل يُشدُّ به الخباء والسرّاق ونحوهما، ومنه أطناب الشمس: أشعتها التي تمتد كأنها القُضب. والإطناب (في علم المعاني): أن يزيد اللفظ على المعنى لفائدة، وهو يقابل الإيجاز، وتتوسطهما المساواة.
- (٧) اسحنفر: مضى مسرعاً، قال الأخطل (ت ٩٢ هـ / ٧١٨ م):  
مُحْنَفِرٌ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ يَنْشُرُهُ  
مِنْهَا أَكَايِفُ فِيهَا دُونَهُ زَوْرُ  
مُحْنَفِرٌ: آتٍ بسرعة. والآذي: الموج.

أُتِيَهُ<sup>(١)</sup>، واثثال عليه الكلام كاثتيال الغمام، واستجاب له الخطاب كصوب الرّباب<sup>(٢)</sup>. ألفاظ كغمزات الألفاظ، ومعانٍ كأنها فكٌ عانٍ<sup>(٣)</sup>! ألفاظ كما نورت الأشجار، ومعانٍ كما تنفست الأسحار، ألفاظ قد استعارت حلاوة العتاب بين الأحباب، واستلانت كشكفي المشاق يوم الفراق. كلام قريب شاسع<sup>(٤)</sup> ومُطمع مانع، كالشمس تقرب ضياءً، وتبعد علاءً؛ أو كالماء يَرُخّص موجوداً، ويغلو مفقوداً. كلام لا تمجّه الآذان، ولا تبليه الأزمان، كالبُشرى مسموعة، أو أزهير الرياض مجموعة، ومعانٍ كأنفاس الرياح، تعبُّ بالريّحان والراح.

كلام سهل متسلسل، كالمدام بماء الغمام، يقرب إذنه على الأفهام.

كلام كبرّد الشراب على الأكباد الحرّار، وبرّد الشباب في خلع العذار.

كلام كثير العيون، سلس المتون، رقيق الحواشي، سهل النواحي.

كلام هو السحر الحلّال، والماء الزلال، والبرود والجبر، والأمثال والعبر، والنعيم الحاضر، والشباب الناضر.

نظرت منه إلى صورة الظرف بحثاً، وصورة البلاغة سبكاً ونحتاً، ألفاظ هي خدع الدهر، وعقد السحر.

كلام يسرّ المحزون، ويسهل الحزون<sup>(٥)</sup>، ويعطل الدرّ المخزون. كلام بعيد من الكلف، نقي من الكلف<sup>(٦)</sup>.

كلام كما تنفس السحر عن نسيمه، وتبسم الدرّ عن نظيمه. ألفاظ تأنق الخاطر في تذهيبها، ومعانٍ غني الفهم بتهذيبها. ألفاظ حسبته من رقتها منسوخة في صحيفة الصبا، وظلتها من سلاتها مكتوبة في نحر الهوى.

كلام كالبُشرى بالولد الكريم، قرع به سمع الشيخ العقيم.

(١) الأتّى: السيل.

(٢) الرّباب: السحاب.

(٣) العاني: الأسير.

(٤) الشاسع: البعيد.

(٥) الحزون: جمع حزن، وهو ما غلظ من الأرض.

(٦) الكلف: نمش في الوجه.

كلام قَرَبَ حتى أَطْمَعَ، وَبَعُدَ حتى اِمْتَنَعَ، وَقَرَّبَ حتى صار قَابَ قَوْسَيْنِ أو أَدْنَى، ثم [سما] علا حتى صار بالمتزل الأعلى. رقيق المزاج، حُلُو السماع، نقي السَّبْكِ، مقبول اللفظ. قرأت لفظاً جليلاً، حوى معنى خفياً، وكلاماً قريباً، رَمَى غرضاً بعيداً. لو أن كلاماً أُذِيبَ به صَخْرٌ، أو أُطْفِئَ به جَمْرٌ، أو عُوْفِي به مريضٌ، أو جُبِرَ به مَهِيضٌ<sup>(١)</sup> لكان كلامه الذي يقودُ سامعيه إلى السجود، ويجري في القلوب كجَري الماء في العُود. ألفاظه أنوار، ومعانيه ثمار. كلامه أنسُ المقيم الحاضر، وزادُ الراحل المسافر. كلامه يُصْغِي إليه المقبور، وَيَنْتَفِضُ له العُصفور. كلامٌ يقضي حقَّ البيان، ويملك رِقَّ الحُسن والإحسان، كلامٌ منه يجتنى الذرُّ، وبه يُعْقَدُ السَّحَرُ، وعنده يُعْتَبِ الدهرُ<sup>(٢)</sup>، وله يُنْشِرُ الصدر.

### ومن ألفاظهم في وصف النظم والنثر والشعر والشعراء

نَثَرَ كثر الورد، نَظَّمَ كنظم العقْد. نثر كالسَّحَر أو أدقُّ، ونظمٌ كالماء أو أرقُّ. رسالة كالرَّوْضَةِ الأنيقة، وقصيدة كالمُخْدَرَةِ<sup>(٣)</sup> الرشيقة. رسالة تَقَطَّرُ ظَرْفًا، وقصيدة تمزجُ بماء الرِّاح لطفًا. نثره سِحْرُ البيان، ونظمه قِطْعُ الجُمان. نَثَرَ كما تَفْتَحُ الزَّهر، ونظم كما تَنْفَسُ السَّحَر. نَثَرَ تَرَقَّى نواحيه وَحَوَاشِيه، ونَظَّمَ تَرَوَّقَ ألفاظه ومعانيه. نَثَرَ كالحديقة تَفْتَحَتْ أَحْدَاقَ وَرْدِهَا، ونظم كالخريذة<sup>(٤)</sup> تَوَرَّدَتْ أسرارُ خَدِّهَا. رسالة تَضْحَكُ عن غُرَرٍ وزَهَرٍ، وقصيدة تنطوي على حَبَرٍ ودُرَرٍ. لم تَرْضَ في بَرِّكَ، بأخوات النَّثَرَةِ من نَثَرَ<sup>(٥)</sup>، حتى وصلتْها بِنات الشَّعْرَى من شَعْرَكَ<sup>(٦)</sup>. كلام كما هَبَّ نَسِيمُ السَّحَرِ، على صفحات الزَّهر، ولذَّ طَعْمُ الكَرَى بعد بَرِّجِ السَّهَرِ<sup>(٧)</sup>. وشِعْرٌ في نفسه شاعرٌ، تُوسِّمُ به المواسم والمُشاعِر. كلام أنْسَى حلاوة الأولاد بحلاوته، وطلَّأَوَةَ الربيع بطلاوته، وشِعْرٌ من حلَّةِ الشَّباب مسروق، ومن طِينَةِ

(١) المَهْيُضُ: المكور.

(٢) يعتب: يصفو، من أعتب إذا ترضى، وأزال أسباب العتب.

(٣) المُخْدَرَةُ: المستورة في خدرها، المصونة. واختدرت المرأة: لزمت الخدر، وهو سِتْرٌ يُمَدُّ لها في ناحية البيت، وكلُّ ما واراها من بيت ونحوه.

(٤) الخريذة من النساء: العذراء، البكر، ومن اللؤلؤ: التي لم تنقب بعد.

(٥) النَّثَرَةُ: عنقود من النجوم في صورة السرطان، وهو الثامن من منازل القمر.

(٦) الشَّعْرَى: كوكب نَيْرٌ يطلع عند شدة الحر. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَاللَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى﴾ (سورة النجم، آية ٤٩)، وهما شِعْرَيَانِ: الشَّعْرَى العَبُورُ، والشَّعْرَى الغميصاء.

(٧) برح السَّهَر: شدته.

الوصول مخلوق. قصيدة، في فنها فريدة، هي عروس كسوتها القوافي، وحليتها المعاني. شعرٌ يترقرق فيه ماء الطبع، ويرتفع له حجاب القلب والسمع. شعر لا مزية الإعجاز أخطأته، ولا فضيلة الإيجاز تخطته. شعرٌ رويته لما رأيته، وحفظته لما لحظته. أبيات لو جعلت خلعا على الزمان لتحلى بها مكائرا، وتجلى فيها مفاخر. شعرٌ راقني، حتى شافني، فإنه مع قرب لفظه بعيد المرام، ممر النظام<sup>(١)</sup>، قوي الأسر<sup>(٢)</sup>، صافي البحر. نظم قد أليس من البدواة فصاحتها، وعشي من الحضارة سجاتها<sup>(٣)</sup>؛ فإن شئت قلت عبيد وليد<sup>(٤)</sup>، وإن شئت حبيب والوليد<sup>(٥)</sup>. قصيدته روضة تجتنى بالأفكار، ونقل يتناول بالأسماع والأبصار<sup>(٦)</sup>، ونقل العلم والأدب، اللذ من نقل المأكّل والمشرب، وفاكهة الكلام، أطيب من فاكهة الطعام. نظم كنظم الجمان، وروض كالجنان، وأمن الفؤاد، وطيب الرقاد. قصيدة لم أر غيرها بكرا، استوفت أقسام الحنكة<sup>(٧)</sup>، واستكملت أحكام الدرّة<sup>(٨)</sup>؛ فعليها رونق الشباب، ولها قوة المذكيات الصلاب<sup>(٩)</sup>، روح الشعر، وتاج الدهر، ومقدمة عساكر السحر. كل بيت شعر خير من بيت تثر. شعر يحكم له بالإعجاز والتبريز، ويشبه في صفاء سبكه بالذهب الإبريز. شعر تألفت القلوب على درره ائتلافاً، وتصير الآذان له أصدافاً. لله

(١) ممر النظام: قوته، مُحْكَمُهُ.

(٢) الأسر: شدّة الخلق، يقال: شدّ الله أسرته: أحكم خلقه.

(٣) السجاجة: استواء الصورة.

(٤) عبيد: هو أبو زياد، عبيد بن الأبرص بن جشم بن عامر بن مالك الأسدي: شاعر جاهلي فحل، توفي نحو ٢٥ ق. هـ/ نحو ٦٠٠ م، قتله المنذر بن ماء السماء في يوم نحسه. (ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ١٨٧/١).

ليد: هو أبو عقيل، لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر العامري: شاعر من الفرسان الأشراف في الجاهلية. أدرك الإسلام وأسلم، وترك نظم الشعر، وكان جواداً كريماً. توفي سنة ٤١ هـ/ ٦٦١ م. (الأصفياني، الأغاني: ٢٩١/١٥).

(٥) حبيب: هو أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي (توفي ٢٣١ هـ/ ٨٤٦ م)، والوليد: هو أبو عبادة، الوليد بن عبيد البحر (توفي ٢٨٤ هـ/ ٨٩٨ م). وقد ترجمنا لهما في مكان سابق من هذا الكتاب.

(٦) النقل: ما ينتقل به من أنواع الفواكه على الشراب.

(٧) الحنكة: التجربة.

(٨) الدرّة: التمرين.

(٩) المذكيات والمذاكي: خيل بلغت سن القوة.



دَرَّةُ ما أَحْلَى شعره! وَأَنْقَى دَرَّةً، وَأَعْلَى قدره، وأعجب أمره! قد أخذ بِرِقَابِ القوافي، وَمَلَكَ رِقَ المعاني، فَضَّلَهُ بَرْهَانَ حق، وشعره لِسَانَ صدق. فلان يُغْرِبُ بِمَا يَجْلِبُ، وَيُتَدَعُّ فيما يصنع، حَسَنُ السبك، مُحْكَمُ الرِّصْفِ، بديع الوصف، مرغوب في شعره، مُتَنَافِس في سحره. هو ضارب في قِدَاحِ الشعرِ بَأَعْلَى السهام، أَخَذَ في عيون الفضلِ بِأَوْفَى الأقسام، شِعَارُهُ أشعارُهُ، ودابه أدابه، هو ممن يَبْتَدُهُ فيبتدع، طبعه يُملِي عليه، ما لا يُمَلُّ الاستماع إليه. قَرِيحَةٌ غير قَرِيحَةٍ، وَطَبْعٌ غير طَبْعٍ<sup>(١)</sup>، وَخِيمٌ غير وَخِيمٍ، لبيد عنده بليد، وعبيد لديه من العبيد، والفرزدقُ عنده أقل من فرزدقة خَمِيرٍ<sup>(٢)</sup>، وجريير يُقَادُ إليه بجريير<sup>(٣)</sup>، قد نَسَجَ حُلَلًا لا يُبْلِي جَدَّتَهَا الجديدان، ولا تزداد إلا حُسْنًا على تَرَدُّدِ الأَرْمَانِ. نَظَّمَهُ قد نظم حاشيتي البرِّ والبحر، وأدرك ناحيتي الشرق والغرب. أشعارُ قد وَرَدَتِ المياه، وَرَكِبَتِ الأفواه، وسارت في البلاد، ولم تَسِرْ بِزَادٍ، وَطَارَتْ في الآفاق، ولم تَمُشْ على ساق. شعره أَسْبَرُ من الأمثال، وَأَسْرَى من الخيال، سار مَسِيرَ الرياح، وَطَارَ بِغَيْرِ جَنَاح. أشعارُهُ سارت مَسِيرَ الشمس، وَهَبَتْ هُبُوبَ الريح، وَطَبَقَتْ نُحُومَ الأرض، وانتظمت الشرق إلى الغرب. قد كادت الأيامُ تنشدها، والليالي تَحْفَظُهَا، والجن ندرسها، والطير تنغني بها. آياتُ أَسْفَر عنها طَبْعُ المَجْدِ، فعلمت كيف يتكسر الزَّهر على صفحات الحقائق، وكيف بغرس الدرِّ في رياض المَهَارِقِ<sup>(٤)</sup>. شِعْرٌ قد أَحْسَنَ خِدْمَتَهُ بِكَمالِ فِكْرِهِ، ووقف كيف شاء عند عَالِي أمره. شِعْرٌ يُعَلِّقُ في كَعْبَةِ المَجْدِ، ويتوج به مَفْرُقُ الدهر. جاءت القصيدة ومعها عِزَّةُ المُلْكِ، وعليها رِواءُ الصدق، وفيها سِيَماءُ العلم، وعندها لِسَانُ المَجْدِ، ولها صِبَالُ الحق، لا غَرَو إذا فاض بَحْرُ العلم على لسانِ الشَّعْرِ أن ينتج ما لا عين وَقَعَتْ على مثله ولا أذن سَمِعَتْ بشبهه. شعر يكتب في غُرَّةِ الدهر، ويشرح في جَبْهَةِ الشمس [والبدر].

## وهذه جملة من فصول أهل العصر تليق بهذا الموضع

### من ابن العميد إلى خلاد الرامهرمزي

كتب أبو الفضل بن العميد إلى أبي محمد خلاد الرامهرمزي القاضي:

- (١) غير طبع: غير لثيم، وهي من طبع السيف، إذا ركب الصدا الكثير.
- (٢) الفرزدقة: القطعة من العجين، يقال: إن الشاعر الفرزدق لقب بهذا الاسم لأن وجهه كان يشبهها.
- (٣) الجريير: الحبل.
- (٤) المهارق: جمع مُهْرَق، وهو الصحيفة البيضاء يكتب فيها.

«وصل كتابك الذي وصلت جناحه بفنون صلاتك وتقديرك، وضروب برك وتعهدك؛ فارتحت لكل ما أوليت، وابتهجت بجميع ما أهديت، وأضفت إحسانك في كل فصل إلى نظائره التي وكلت بها ذكري، ووقفت عليها شكري، ونأملت النظم فملكني العجب به، وبهرني التعجب منه<sup>(١)</sup>، وقد رمت أن أجري على العادة في تشبيهه بمستحسن من زهر جنّي، وحلّ وحليّ، وشذور الفرائد، في نحور الخرائد<sup>(٢)</sup>».

وَالْعَذَارَى غَدَوْنَ فِي الْحُلَلِ الْبِيضِ      ضِرٌّ وَقَدْ رُحْنَ فِي الْخُطُوطِ السُّودِ

فلم أره لشيء عدلاً، ولا أرضى ما عدّته له مثلاً؛ والله يزيدك من فضله ولا يخلق من إحسانه، ويلهمك من برّ إخوانك ما تنتم به صنيعة لديهم، ويربّ معه إحسانك إليهم<sup>(٣)</sup>.

### من الصاحب بن عباد إلى الشيباني

وكتب أبو القاسم إسماعيل بن عباد الصاحب إلى أبي سعيد الشيباني:

«قد رأى شيخ الدولتين كيف الكلف بسادتي من أهل ميكال - أيدهم الله! - بين ود أضمره على البعد، وإيثار أظهره على تراخي المزار، وتقريظ يمليه عليّ الملوك<sup>(٤)</sup>، ومدح أنطق فيه بلسان الزمان، حتى إن ذكرهم إذا جرى على لساني اهتزت له نفسي، وفضلهم إذا جرى على سمعي انفرج له صدري، فتلك عصبة خير فضلها باهر، وشرفها على شرف النماء زاهر، وشجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء [ناظر]، والله يئتم أعدادها، ولا يعدمني ودادها، وإذا كان إكباري لهم هذا الإكبار فكلّ منتسب إلى جنهم أثير لدي<sup>(٥)</sup>، كثير في يدي. وطراً عليّ فلان منتسباً إلى جملتهم، وحبذا الجملة، ومعترياً إلى خدمتهم، ونعمت الخدمة، ففررنا<sup>(٦)</sup> عن طبع سمع، ولفظ عذب، وصلة نثر بنظم؛ فإن شاء قال:

(١) بهر الشيء فلاناً: أدهشه وحيره، ومنه: بهرت فلانة النساء: فاقتهن حسناً.

(٢) الخرائد: العذارى، الأبيكار، الواحدة: خريدة.

(٣) ربّ: يحفظ ويؤمن.

(٤) الملوك: الليل والنهار، أو طرفا النهار، يقال: لا أفعله ما يختلف الملوك.

(٥) الأثير: العزيز.

(٦) فررنا: اخترناه، وفرّ فلان: جرب واختبر، قال الحجاج بن يوسف الثقفي: «ولقد فررت عن ذكاء، وفئتت عن تجرّة».

أنا الوليد، وإن شاء قال: أنا عبد الحميد؛ ولم أعظم بمن خرّجته تلك النعمة ونتجته تلك الشدة أن يأخذ من كل حسنة بعروة، ويقطع في كل نار بجذوة؛ وأنسنا بالمقام مدة، أكثرتها شوافع عدة، إلى أن تذكر معاهد رأى فيها الدهر طلقاً، والزمان غلاماً، والفضل رهنًا، والإفضال لزاماً؛ فحنّ حنين الرّكاب، وركب عزم الإياب<sup>(١)</sup>.

فصل [من كتاب] كتبه الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي<sup>(٢)</sup> إلى أبي القاسم الداودي جواباً عن كتاب له ورد عليه. وأبو الفضل رئيس نيسابور وأعمالها في وقتنا هذا، وسيمر من كلامه ونثره ونظامه ما يغني عن التنويه، ويكفي عن التنبيه، ويجل عن التشبيه، ويكون كما قال أبو الحسن الأخفش علي بن سليمان: [استهدى إبراهيم بن المدبر] أبا العباس محمد بن يزيد جلياً يجمع إلى تأديب ولده الإمتاع بإتيانها؛ فندبني لذلك، وكتب إليه معي: قد أنفذت إليك - أعزك الله - فلاناً، وجملة أمره أنه كما قال الشاعر:

إذا زُرْتُ المُلُوكَ فَإِنْ حَسِبِي شَفِيعاً عَنْدهُمْ أَنْ يَخْبِرُونِي

### من أبي الفضل الميكالي إلى أبي القاسم الداودي

وفصل أبي الفضل: وقفت على ما أتحفني به الشيخ: من نظم الرائع البديع، وخطه المُرِّي بزهر الربيع، مُوشحاً بغرر ألفاظه، التي لو أُعيرت حليتها لعطلت قلائد النحور، وأبكار معانيه التي لو قُسمت حلالاتها لأغدبت موارِد البحور، فسرحت طرفي منها في رياض جادتها سحائب العلوم والحكم، وهب عليها نسيم الفضل والكرم، وابتمت عنها ثغور المعالي والهيم، ولم أدر - وقد حيرتني أصنافها، وبهرتني ثغورها وأوصافها، حتى كسّتي اهتزازاً وإعجاباً، وأنشأت بيني وبين التماسك سترًا وحجاباً، ولم أدر أدهنتي لها نشوة راح، أم أذهنتي نغمة ارتياح، وانتظم عندي عقد ثناء وقريض، أم قرع سمعي منها غناء معبد وغريض، وكيفما كان فقد حوى رتبة الإعجاز والإبداع، وأصبح نزهة القلوب والأسماع، فما من جارحة إلا وهي تؤدّ لو كانت أذنًا فلتقط ذرره وجواهره، أو عينًا لتجلكي مطالعه ومناظره، أو لسانًا يندرس محاسنه ومفاخره.

(١) العزيم: الجزي الشديد.

(٢) هو أبو الفضل، عبيد الله بن أحمد بن علي بن إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال الميكالي: أديب، شاعر، أمير، من أهل نيسابور. من آثاره: «ديوان شعر»، و«مخزن البلاغة»، و«فضائل الملوك»، وغيرها. توفي سنة ٤٣٦ هـ / ١٠٤٤ م. (عمر كحالة، معجم المؤلفين: ٦/ ٢٣٧).

## ومنه إلى الثعالبي

وله فصل من كتاب إلى أبي منصور عبد الملك بن إسماعيل الثعالبي<sup>(١)</sup>: «وصل كتاب مولاي وسيدي، أبلع الكتب هَوَادِي وأعجازاً<sup>(٢)</sup>، وأبرعها بلاغةً وإعجازاً، فَحَسِبْتُ أَلْفَاظَهُ دَرَّ السَّحَابِ، أو أَصْفَى قَطْرًا وَدِيمَةً، ومعانيه دُرُّ السَّخَابِ<sup>(٣)</sup>، بل أوفى قَدْرًا وَقِيمَةً. وتَأَمَّلْتَ الأَبْيَاتَ فوجدتها فائقةَ النَّظْمِ والرَّصْفِ، عَيْقَةُ النِّسِيمِ والعَرَفِ، فائزة بِقِدَاحِ الحُسْنِ والطَّرْفِ، مَالِكَةٌ لِرِمَامِ القَلْبِ والطَّرْفِ؛ ولا غَرَوُ أن يصدر مثلها عن ذلك الخاطر، وهو هَدَفُ الفِقْرِ والنوادر، وَصَدَفُ الدرر والجواهر، والله يُمَتِّعُهُ بما منحه من هذه الغرر والأوصاح، كما أطلت فيه ألسنة الشاء والامتداح.

\* \* \*

## أبو منصور الثعالبي

وأبو منصور هذا يعيش إلى وقتنا هذا [على طريق التخمين لا على حقيقة اليقين] وهو فريدُ دهره، وقريعُ عصره، ونسيجُ وَحْدِهِ، وله مصنفات في العلم والأدب، تشهدُ له بأعلى الرتب، وقد فُرِّقَتْ ما اخترته منها في هذا الكتاب، مع ما تعلق بشاكلته من الخطاب؛ منها كتاب سماه «سحر البلاغة»، قال في صدره في الكتاب: «أخرجتُ بعضه من غُرَرِ نجوم الأرض، ونُكَّتْ أعيان الفضل، من بُلْغَاءِ العصر، في الشَّرِّ، وحللت بعضه من نظم أمراء الشعر، الذين أوردت مُلَحَّ أشعارهم في كتابي المترجم بيتيمة الدهر<sup>(٤)</sup>، فَلَفَقْتُ جميع ذلك

(١) هو أبو منصور، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري: أديب، ناثر، شاعر، لغوي، إخباري. من تصانيفه الكثيرة: «فقه اللغة وسر العربية»، و«سحر البلاغة وسر البراعة»، و«بيتيمة الدهر في محاسن أهل العصر»، وغيرها. توفي سنة ٤٢٩ هـ / ١٠٣٨ م. (ابن العماد، شذرات الذهب: ٢٤٦/٣؛ عمر كحالة، معجم المؤلفين: ١٨٩/٦).

(٢) الهوادي والأعجاز: البدايات والنهايات.

(٣) السَّخَابُ: القلادة تُنَحَّذُ من قَرْنَيْهِ وَسُكُّ وَمَحَلِّبٍ، ليس فيها من اللؤلؤ والجوهر شيء.

(٤) «بيتيمة الدهر في محاسن أهل العصر»: كتاب جمع الكثير من غُرَرِ شعراء القرن الرابع و صدر القرن الخامس: ملوكهم وأمراءهم ووزرائهم وقضاتهم، ذوي الجِدِّ منهم، وذوي المجون، في رقعة البلاد التي كانت يد العرب مبسوطة عليها يومذاك، من بلاد الشام والعراق وجرجان ومصر والمغرب والأندلس وغيرها. وقد صدر هذا الكتاب عن دار الكتب العلمية في بيروت بخمسة أجزاء، وقام بشرحه وتحقيقه الدكتور مفيد محمد قميحة.

وحِرْرتَه، وسقته ونسَقته، وأنفقت عليه ما رزقته، وعملته بكذ الناظر، وجهد الخاطر، وتعب اليمين، وعرق الجبين، وتعمدت فيه لذة الجدة، ورَوْنَق الحداثة، وحلاوة الطراوة، ولم أشبه بشيء من كلام غير أهل العصر، إلا في قلائل وقلائد من ألفاظ الجاحظ وابن المعتز، تخللت أثنائه، وتوشحت تضاعيفه، ولم أُخل كلماته - التي هي وسائل الآداب، وصياقل الألباب، وما تستمتع به أنفس الأدباء، وتلد أعين الكتاب - من لفظ صحيح، أو معنى صريح، أو تجنيس أنيس، أو تشبيه بلا شبيه، أو تمثيل بلا مِثيل ولا عديل، أو استعارة مختارة، أو طباق، ذي رَوْنَق باق؛ فمن رافق هذا الكتاب قَرَّب تناوله من الكتاب، إذا وشوا ديباجة كلامهم بما يقتبسونه من نوره، وسماحة قياده لأفراد الشعراء إذا رصعوا عقود نظامهم بما يلتقطونه من شذوره، فأما المخاطبات والمحاورات، فإنها تبرز بغرة من غره، وتُتَوَّج بِلُزَّة من دُرِّه.

وقد ذكر جملة من أخرج معظم كتابه من نثرهم ونظمهم، وهم: الصابيان<sup>(١)</sup>، والخالديان<sup>(٢)</sup>، وبديع الزمان، وأبو نصر بن المرزبان [وعلي بن عبد العزيز القاضي، وأبو محمد القاضي، وأبو القاسم الزعفراني، وأبو فراس الحمداني]، وابن أبي العلاء الأصبهاني، وأبو الطيب المتنبي، وأبو الفتح البُستي، وأبو الفضل الميكالي، وشمس المعالي، والصاحب بن عباد، وجماعة يكثر بهم التعداد، قد ذكرهم في كتابه، فكل ما مر أو يمر من ذكر ألفاظ أهل العصر فمن كتابه نقلت، وعليه عوّلت.

وفي أبي منصور يقول أبو الفتح علي بن محمد البُستي<sup>(٣)</sup>:

قَلْبِي رَهِيْنٌ بِنِيسَابُورَ عِنْدَ أَخٍ      مَا مِثْلُهُ حِينَ تُسْتَقْرَى الْبِلَادُ أَخُ  
لَهُ صَحَائِفُ أَخْلَاقٍ مُهَذَّبَةٍ      مِنَ الْحِجَا وَالْعُلَا وَالظَّرْفِ تُنْتَسَخُ

(١) هما: إبراهيم بن هلال المتوفى سنة ٣٨٤ هـ، وهلال بن المحسن المتوفى سنة ٤٤٨ هـ.

(٢) هما: سعيد بن هاشم المتوفى سنة ٤٠٠ هـ، ومحمد بن هاشم المتوفى سنة ٣٨٠ هـ. وعرف هذان الأخوان بالخالدين، نسبة إلى «الخالدية» من قرى الموصل بالعراق، وكانا من خواص سيف الدولة الحمداني. ويقال: إنهما كانا يشتركان في نظم القصيدة، فتنسب إليهما معاً.

(٣) هو أبو الفتح، علي بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز البستي: شاعر مشهور، ولد في بست (قرب سجمستان) وإليها يُنسب. كان من كتاب الدولة السامانية في خراسان. مات غريباً في بلدة (أوزجند) ببخارى سنة ١٤٠١ هـ / ١٠١١ م. (الصفدي، الوافي بالوفيات: ١٦٨/٢٢).

وأما الذين ذكر أسماءهم في كتابه فساظهر من سرائر شعرهم الرصين، وأجلو من جواهر نثرهم الثمين، ما أخذ من البلاغة باليمين.

### من كتب لأبي الفضل الميكالي

فصل لأبي الفضل: وصل كتاب الشيخ المبشر من خبر سلامته التي هي غرة الزمان البهيم<sup>(١)</sup>، وعذر الدهر المليم<sup>(٢)</sup>، بما أشرقت له آفاق الفضل والكرم، وتمت به نفائس الآلاء والنعم، فسرحت طرفي من محاسن الفاظه، في أنوار تروق أزهارها، وقلائد تروغ دُررها وجواهرها، ومبار<sup>(٣)</sup> يَسْرِقُ الرِّقَابَ باطنها وظاهرها.

وله إلى أبي سعيد بن خلف الهمداني:

وصل كتابك متحملاً من أخبار سلامتك، وآثار نعم الله بساحتك، ما أدّى روح البرّ ونسيمه، وجمع فنون الفضل وتقاسيمه، ومجدداً عندي من عمر مواصلته، ومعسول كلامه ومحاورته، ما ترك غصن المقة<sup>(٤)</sup> غضاً أوراقه، ووجه الثقة طلقاً يتهلل إشراقه، فكم جنيت عنه من ثمر مسرة كانت عوائق الأيام تجاذبني، وحويت به من علق مَصْنَعَةٍ قلماً يوجد الدهر بمثله لبني<sup>(٥)</sup>.

وله فصل إلى بعض الحكام بجوين<sup>(٦)</sup>:

وصل كتاب الحاكم وقد وشّحه بمحاسن فقره، ونتائج فكره، من لفظ شهّي أعطته القلوب فضل المقادة، ومعنى سنيّ جاده صوب الإصابة والإجادة، وبرّ هنيّ اتفقت على الاعتراف بفضل السنة الشناء والشهادة، فسرحت طرفي فيما حواه من بدائع وطرف، قد جمعت في الحسن والإحسان بين واسطة وطرف، حتى لم تبق في البلاغة يتيمة إلا جبرتها وتممتها.

وله إلى الأمير السيد أبيه يهتته بالقدوم:

- (١) البهيم: المظلم.
- (٢) المليم: المذنب.
- (٣) المبار: جمع مبرة: موضع البرّ، وهو الخير والإحسان.
- (٤) المقة: الحبّ.
- (٥) العلق: الشيء النفيس.
- (٦) جوين: كورة كبيرة في خراسان.

كُتِبَ وأنا بمنزلة من ارتدَّ إليه شبابه بعد المشيب، وارتدى بِرْدَاءٍ مِنَ الْعَمْرِ قَشِيبٌ<sup>(١)</sup>، والحمد لله رب العالمين، وصل كتابُ مولاي مُبَشِّراً من خير عَوْدِهِ إِلَى مَقَرِّ عِزِّهِ وَشَرَفِهِ، محروساً في حفظِ اللَّهِ وَكَفِّهِ، بما لم تزل الآمالُ تتسَمَّ رواثحه، وترقُبُ غادي صُنْعِ اللَّهِ فِيهِ وَرَآئِحُهُ، واثقةً بأنَّ عادةَ اللَّهِ الْكَرِيمَةِ عِنْدَهُ تُسَايِرُهُ وَتُرَافِقُهُ، وتلزمُ جنباه فلا تُفَارِقُهُ، حتى تُخْرِجَهُ مِنْ عَمْرَةِ الْعَمَاءِ خُرُوجَ السِّيفِ مِنَ الْغِمْدِ، والبدر بعد السَّرَّارِ<sup>(٢)</sup> إِلَى الْإِنْجِلَاءِ، فَعَدَدْتُ يَوْمَ وُرُودِهِ عِيداً، أعاد عهدَ الشُّرُورِ جَدِيداً، وَرَدَّ طَرْفَ الْحُصُودِ كَلِيلاً وَقَدْ كَانَ حَدِيداً، وَلَمْ أَشْبَهُهُ فِي إِهْدَاءِ الرُّوحِ وَالشِّفَاءِ، وَتَلَا فِي الرُّوحِ بَعْدَ أَنْ أَشْفَى عَلَى الْمَكْرُوهِ كُلِّ الْإِشْفَاءِ<sup>(٣)</sup> إِلَّا بِقَمِيصِ يَوْسُفَ حِينَ تَلَقَّاهُ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْبَشِيرِ، وَأَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَنَظَرَ بَعَيْنَ الْبَصِيرِ، فَكَمْ أَوْسَعَتْهُ لُثْماً وَاسْتَلَاماً، وَالتَّقَطَّتْ مِنْهُ بَرْداً وَسَلَاماً، حَتَّى لَمْ تَبْقَ غُلَّةٌ فِي الصَّدْرِ إِلَّا بِرَدْنُهَا، وَلَا غُمَّةٌ فِي النَّفْسِ إِلَّا طَرْدُهَا، وَلَا شَرِيعَةٌ مِنَ الْأَنْسِ إِلَّا وَرَدْتُهَا.

وله فصل من رسالة:

وكان فَرَطُ التَّعَجُّبِ مَرَّةً وَعِظَمُ الْإِعْجَابِ تَارَةً يَقِفُ بِي عِنْدَ أَوَّلِ فَصَلٍ مِنْ فَصُولِهِ، وَيُشْبِطُنِي عَنْ اسْتِيفَاءِ غُرَرِهِ وَحُجُولِهِ، وَيُوْهِمُنِي أَنَّ الْمَحَاسِنَ مَا حَوَتْهُ قَلَانْدُهُ، وَنَظْمَتُهُ فَرَانْدُهُ؛ فَلَيْسَ فِي قَوْسِ إِحْسَانٍ وَرَاءَهَا مِزْنٌ<sup>(٤)</sup>، وَلَا لِقِتْرَاحِ جَنَانٍ فَوْقَهَا مُتَطَلِّعٌ، حَتَّى إِذَا جَاوَزْتَهُ إِلَى لَفْقِهِ وَتَزْيِينِهِ، وَأَجَلْتُ فِكْرِي فِي نُكْتِهِ وَعُيُونِهِ، رَأَيْتُ مَا يُحَيِّرُ الطَّرْفَ، وَيُعْجِزُ الْوَصْفَ، وَيَعْلُو عَلَى الْأَوَّلِ مَحَلًّا وَمَكَانًا، وَيَفُوقُهُ حَسَنًا وَإِحْسَانًا، فَتَرَعْتُ كَيْفَ شَتَّتْ فِي رِيَاضِهِ وَحَدَائِقِهِ<sup>(٥)</sup>، وَاقْتَبَسْتُ نُورَ الْحِكْمِ مِنْ مَطَالَعِهِ وَمَشَارِقِهِ، وَسَلَّمْتُ لِمَعَانِيهِ وَالْفَاظَةَ فَضِيلَةَ السَّبْقِ وَالْبِرَّاعَةِ، وَتَلَقَّيْتُهَا بِوَاجِبِهَا مِنَ النَّشْرِ وَالْإِذَاعَةِ؛ فَإِنَّمَا جَمَعْتُ إِلَى حُسْنِ الْإِيجَازِ دَرَجَةَ الْإِعْجَازِ، وَإِلَى فَضِيلَةِ الْإِيدَاعِ جَلَالَهَ الْمَوْقِعِ فِي الْقُلُوبِ وَالْأَسْمَاعِ.

- (١) القشيب: الجديد أو النظيف، يقال: ثوب قشيب، وريطة قشيب، وسيف قشيب: حديث عهد بالجلاء، والجمع: قُشْبٌ.
- (٢) السَّرَّارُ: آخر ليلة من الشهر، ولا يظهر فيها القمر.
- (٣) أَشْفَى عَلَى الْمَكْرُوهِ: أَشْرَفَ عَلَيْهِ.
- (٤) الْمِزْنُ: السهم البعيد المرْمَى، ويقال: رجل مِزْنٌ: شديد التَّزَعُّعِ. ويقال: لم يبق في قوس الصبر منزع، أي أن الصبر نفذت أسبابه.
- (٥) يقال: رتعت الماشية رَتْعاً وَرَتُوعاً وَرِتَاعاً: رعت كيف شاءت في خصب وسعة، ويقال: خرجنا نلعب ونرتع: نلهو وننعم.

وله من فصل:

وصل كتابُ الشيخ فَتَحَرَّ عِنْدِي مِنْ حُلِّ إِفْضَالِهِ وَإِكْرَامِهِ، وَمَحَاسِنِ خُطَابِهِ وَكَلَامِهِ، مَا لَمْ أَشَبِّهْهُ إِلَّا بِأَنْوَارِ التُّجُودِ<sup>(١)</sup>، وَحَبَرِ الْبُرُودِ، وَقَلَائِدِ الْعُقُودِ.

### أبو منصور الثعالبي يصف أبا الفضل الميكالي

وذكر أبو منصور الثعالبي الأمير أبا الفضل في كتاب ألفه، فقال في بعض فصوله: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْمَعَ سِرِّ النِّظَمِ، وَسِحْرِ الشَّعْرِ، وَرُقْيَةِ الدَّهْرِ، وَيَرَى صَوْبَ الْعَقْلِ، وَذَوْبَ الظُّرْفِ، وَنَتِيجَةَ الْفَضْلِ؛ فَلْيَسْتَشِدْ مَا أَسْفَرَ عَنْهُ طَبِيعُ مَجْدِهِ، وَأَثْمَرَهُ عَالِي فِكْرِهِ، مِنْ مُلْحِ نَمْتَرُجٍ بِالنَّفُوسِ لِنَفَاسَتِهَا، وَتَشْرَبَ بِالْقُلُوبِ لِسَلَاسَتِهَا:

قَوَافٍ إِذَا مَا رَوَاهَا الْمَشْوُ      قُ هَزَّتْ لَهَا الْغَايَاتِ الْقُدُودَا  
كَسَوْنَ عَيْدًا يَتَابَ الْعَيْدِ      وَأَضْحَى لَيْدٌ لَدَيْهَا بَلِيدًا<sup>(٢)</sup>

وأيُّ الله ما مرَّ يومٌ أسعفني فيه الزمانُ بمواجهة وجهه، وأسعدني بالاقْتِبَاسِ مِنْ نُورِهِ وَالْإِغْتِرَافِ مِنْ بَحْرِهِ، فَشَاهَدْتُ ثِمَارَ الْمَجْدِ وَالسُّودِ تَنْتَشِرُ مِنْ شِمَائِلِهِ، وَرَأَيْتُ فَضَائِلَ الدَّهْرِ عِيَالًا عَلَى فَضَائِلِهِ، وَقَرَأْتُ نَسْخَةَ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ مِنَ الْحَاطَةِ، وَانْتَهَيْتُ فَضَائِلَ الْفَوَائِدِ مِنَ الْفَاطَةِ، إِلَّا تَذَكَّرْتُ مَا أَثْنَدْنِيهِ أَدَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَهُ لِابْنِ الرُّومِيِّ<sup>(٣)</sup>:

لَوْلَا عَجَائِبُ صُنْعِ اللَّهِ مَا ثَبَّتَتْ      تِلْكَ الْفَضَائِلُ فِي لَحْمٍ وَلَا عَصَبٍ  
وَقَوْلُ الطَّائِي<sup>(٤)</sup>:

فَلَوْ صَوَّرْتُ نَفْسَكَ لَمْ تَزِدْهَا      عَلَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاعِ<sup>(٥)</sup>  
وَقَوْلُ كُشَاجِمِ<sup>(٦)</sup>:

- (١) التُّجُودُ: جمع تَجْد، وهو ما ارتفع من الأرض، وفيه يُونَع الزهر.
- (٢) عِيد: هو عِيدُ بَنِ الْأَبْرَصِ، وَلَيْد: هو لَبِيدُ بَنِ رَيْعَةَ الْعَامِرِيِّ، وَهُمَا مِنْ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ الْمَشْهُورِينَ.
- (٣) ابْنُ الرُّومِيِّ، الْدِيَوَانُ: ١٩٦/١. وفيه: «لَوْلَا عَجَائِبُ لُطْفِ اللَّهِ مَا ثَبَّتَتْ».
- (٤) أَبُو تَمَامٍ، الْدِيَوَانُ: ٤٠٦/١. وَالْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا مَهْدِيَّ بْنَ أَصْرَمَ.
- (٥) يَرِيدُ أَنَّهُ بَلَغَ أَقْصَى كَرَمِ الطَّبَاعِ.
- (٦) هُوَ أَبُو الْفَتْحِ، مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ شَاهِكٍ، الْمَعْرُوفُ بِكُشَاجِمٍ: شَاعِرٌ، أَدِيبٌ، مِنْ كُتَّابِ الْإِنْشَاءِ، مِنْ أَهْلِ الرَّمْلَةِ بِفِلَسْطِينَ تَقِلُّ بَيْنَ الْقُدْسِ وَدِمَشْقَ وَحَلَبَ وَبَغْدَادَ، وَطَالَ مَكْثُهُ بِحَلَبَ، =



مَا كَانَ أَحْوَجَ ذَا النِّكَمَالِ إِلَى عَيْبٍ يُوقِيهِ مِنَ الْعَيْنِ  
وَرَبَّعْتُ بِقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ<sup>(١)</sup>:

فَإِنْ تَفَقَّى الْأَكْثَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ<sup>(٢)</sup>

ثم استعرت فيه بيان أبي إسحاق الصابي حيث يقول لِلصَّاحِبِ «وَرَّثَهُ اللَّهُ أَعْمَارَهَا، كما بلغه في البلاغة أنوارها»:

اللَّهُ حَسْبِي فِيكَ مِنْ كُلِّ مَا تَعَوَّدَ الْعَبْدُ عَلَى الْمَوْلَى  
فَلَا تَزَلْ تَرْفُلُ فِي نِعْمَةٍ أَنْتَ بِهَا مِنْ غَيْرِكَ الْأَوَّلَى<sup>(٣)</sup>

### عود إلى ذكر فصول من كلام الميكالي

وقال في فصل منه: وما أنسَ لا أنسَ أيامي عنده بفيروزاباد إحدى قرَاه برستاق جوين، سقاها الله ما يحكي أخلاقَ صاحبها من سَبَلِ الْقَطْرِ، فإنها كانت - بِطَلْعَتِهِ الْبَدْرِيَّةِ، وَعِشْرَتِهِ الْعِطْرِيَّةِ، وآدابه العلوية، وألفاظه اللؤلؤية مع جلائلِ نَعَمِهِ المذكورة، ودقائقِ كرمه المشكورة، وفوائدِ مجالسه المعمورة، ومحاسنِ أقواله وأفعاله التي يَغِيَا بها الواصفون - أنموذجات من الجنة، التي وُعدَ المتقون، وإذا تذكرتها في المَرَابِعِ التي هي مَرَاتِعُ التَّوَاطُرِ، والمصانع التي هي مطالع العيش الناضر، والبساتين التي إذا أخذت بدائع زخارفها، ونشرت طرائف مطارفها، طَوِيَّ لها الدِيبَاجُ الْخُسْرَوَانِي، وَنُقِيَ معها الوَشْيُ الصَّنْعَانِي، فلم تُشَبَّهْ إلا بِشَبِيهِهِ، وآثار قلمه، وأزهار كلمه، تذكرت سِحْرًا وَسِيمًا، وخيرًا عَمِيمًا، وارتباحًا مُقِيمًا، وروحًا وَرِيحَانًا وَنَعِيمًا.

وكثيراً ما أَحْكِي لِلَاخْوَانِ أَنِّي اسْتَعْرِفْتُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ بِحَضْرَتِهِ، وَتَوَفَّرَتْ عَلَى خِدْمَتِهِ،

= فمدح أبا الهيجاء، وخدم في بلاط سيف الدولة الحمداني. من آثاره: «ديوان شعر»، و«أدب النديم»، و«الليزرة» في علم الصيد، وغيرها. توفي سنة ٣٦٠ هـ/ ٩٧٠ م. (ابن العماد، شذرات الذهب: ٣٧/٣).

(١) المتنبي، الديوان: ١٩/٢.

(٢) يقول: لا عجب إن فضلت الناس وأنت واحد منهم، فإنَّ بعض الشيء قد يفوق جملة، كالمسك فإنه بعض دم الغزال، وهو بفضلُه فضلاً كثيراً.

(٣) رَفَلٌ رَفَلًا وَرَفُلًا وَرَفَلَانًا: جَرَّ ذَيْلَهُ وَتَبَخَّرَ فِي سِيرِهِ، وَرَفَلٌ فِي ثَوْبِهِ: أَطَالَهُ وَجَرَّهُ مَبْخَرًا.

وَلَا زَمْتُ فِي أَكْثَرِ أَوْقَاتِي عَالِي مَجْلِسِهِ، وَتَعَطَّرْتُ [عند ركوبه] بِغُبَارِ مَوْكِبِهِ؛ فَبِاللَّهِ يَمِينًا كُنْتُ غَنِيًّا عَنْهَا لَوْ خَفْتُ حِثًّا فِيهَا إِنِّي مَا أَتُكَّرْتُ طَرَفًا مِنْ أَخْلَاقِهِ؛ وَلَمْ أَشَهِدْ إِلَّا مَجْدًا وَشَرْفًا مِنْ أَحْوَالِهِ. وَمَا رَأَيْتُهُ اغْتَابَ غَائِبًا، أَوْ سَبَّ حَاضِرًا، أَوْ حَرَّمَ سَائِلًا، أَوْ خَيَّبَ آمِلًا، أَوْ أَطَاعَ سُلْطَانَ الْغَضَبِ فِي الْحَضَرِ، أَوْ تَسَلَّى بِنَارِ الضَّجَرِ فِي السَّفَرِ، أَوْ بَطَشَ بِطَشِّ الْمُتَجَبِّرِ؛ وَلَا وَجَدْتُ الْمَآثِرَ إِلَّا مَا يَتَعَاطَاهُ، وَالْمَائِمَ إِلَّا مَا يَتَخَطَّاهُ.

وَقَالَ فِي فَصْلِ مَنْ يَصِفُهُ: وَأَمَّا فَنُونُ الْأَدَبِ فَهُوَ ابْنُ بَجْدَتِهَا<sup>(١)</sup>، وَأَخُو جَمَلَتِهَا، وَأَبُو عُدْرَتِهَا<sup>(٢)</sup>، وَمَالِكُ أَرْمَتِهَا، وَكَأَنَّمَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي الْاسْتِثْنَاءِ بِمَحَاسِنِهَا، وَالتَّفَرُّدِ بِبِدَائِعِهَا، وَلِلَّهِ هُوَ إِذَا غَرَسَ الدَّرَّ فِي [أَرْضِ] الْقَرَاتِيسِ، وَطَرَزَ بِالظَّلَامِ رَدَاءَ النَّهَارِ، وَأَلْقَتْ بِحَارِ خَوَاطِرِهِ جَوَاهِرَ الْبَلَاغَةِ عَلَى أَنْمَالِهِ، فَهَنَّاكَ الْحُسْنُ بِرُمَّتِهِ، وَالْحُسْنُ بِكُلِّيَّتِهِ.

### المطوعي يذكر أنواع الشعراء ثم يذكر الميكالي

وَذَكَرَ عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ الْمَطْوَعِيُّ<sup>(٣)</sup> فِي كِتَابِ أَلْفِهِ فِي شَعْرِ أَبِي الْفَضْلِ وَمَشُورِهِ وَالشُّعْرَاءِ، فَقَالَ: رَأَيْتُ أَهْلَ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ قَدْ تَشَعَّبُوا عَلَى طُرُقٍ، وَانْقَسَمُوا عَلَى ثَلَاثِ فِرَقٍ، فَمِنْهُمْ مَنْ اكْتَسَى كَلَامَهُ شَرَفَ الْاِكْتِسَابِ دُونَ شَرَفِ الْاِتِّسَابِ كَالْمَكْتَسِبِينَ مِنَ الشُّعْرَاءِ بِالْمَدَائِحِ، الْمُرْتَشِحِينَ بِهَا لِأَخْذِ الْجَوَائِزِ وَالْمَنَائِحِ، وَهُمْ الْأَكْثَرُونَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ شَرَّفَتْ بَنَاتُ فِكْرِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْعُقُولِ، وَجَلَبَتْ لَدَيْهِمْ فُضَائِلُ الْقَبُولِ، لِشَرَفِ قَائِلِهَا، لَا لِكَثْرَةِ عَقَائِلِهَا، وَكَرَمِ وَاشِبِهَا، وَلَا لِرَفَّةِ حَوَاشِيهَا، كَالْعَدَدِ الْكَثِيرِ، وَالْجَمِّ الْغَفِيرِ، مِنَ الْخُلَفَاءِ وَالْأُمَرَاءِ وَالْجِلَّةِ وَالْوُزَرَاءِ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَ بِحَبْلِ الْجُودَةِ مِنْ طَرَفِيهِ، وَجَمَعَ رَدَاءَ الْحُسْنِ مِنْ حَاشِيَّتَيْهِ، كَامِرِيُّ الْقَيْسِ بْنِ حُجْرٍ الْكَنْدِيِّ فِي الْمُتَقَدِّمِينَ، وَهُوَ أَمِيرُ الشُّعْرَاءِ غَيْرُ مُنَازِعٍ، وَسَيِّدُهُمْ غَيْرُ مُجَادِبٍ وَلَا مُدَافِعٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنِ الْمَعْتَرِ بِاللَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْمَوْلُودِينَ، وَهُوَ أَشْعَرُ أَبْنَاءِ الْخَلَاْفَةِ الْهَاشِمِيَّةِ، وَأَبْرَعُ أَنْشَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، وَمَنْ جَلَّ كَلَامُهُ فِي التَّشْبِيهِ، عَنْ

(١) الْبَجْدَةُ: حَقِيقَةُ الْأَمْرِ وَبَاطِنُهُ، يُقَالُ: عِنْدَهُ بَجْدَةٌ ذَلِكَ: عِلْمُهُ، وَهُوَ ابْنُ بَجْدَتِهَا: الْعَالِمُ بِالشَّيْءِ الْمَتَّقِنُ، وَأَصْلُهُ: الدَّلِيلُ الْهَادِي فِي الصَّحْرَاءِ.

(٢) الْعُدْرَةُ: الْبِكَارَةُ، وَأَبُو عُدْرَتِهَا: أَوَّلُ مَنْ افْتَضَّهَا، كَنَايَةٌ عَنِ التَّفُوقِ فِي أَمْرِ مِنَ الْأُمُورِ.

(٣) هُوَ أَبُو حَفْصٍ، عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ الْمَطْوَعِيُّ: أَدِيبٌ شَاعِرٌ، مِنْ أَهْلِ نِيسَابُورٍ. اتَّصَلَ فِي شِبَابِهِ بِخِدْمَةِ الْأَمِيرِ أَبِي الْفَضْلِ الْمِيكَالِيِّ، فَأَلَّفَ كِتَابَ «دَرَجِ الْغُرَرِ وَدَرَجِ الدَّرْرِ فِي مُحَاسِنِ نَظْمِ الْأَمِيرِ وَنَثَرِهِ». وَشَعْرُهُ كَثِيرٌ الْمَلْحُ وَالظَّرْفُ. تَوَفَّى نَحْوَ ٤٤٠ هـ / نَحْوَ ١٠٤٨ م. (الثعالبي، يَتِيْمَةُ الدَّهْرِ: ٥٠٠/٤).

أَنْ يُمَثَّلَ بِنَظِيرٍ أَوْ شَبِيهِ، وَعَلَّتْ أَشْعَارُهُ فِي الْأَوْصَافِ عَنْ أَنْ تَتَعَاطَاهَا أَلْسِنَةُ الْوُصَافِ؛ وَالْأَمِيرُ أَبِي فَرَّاسٍ بْنُ حَمْدَانَ فَارِسُ الْبَلَاغَةِ، وَرَجُلُ الْفَصَاحَةِ، وَمَنْ حَكَمَتْ لَهُ شِعْرَاءُ الْعَصْرِ قَاطِبَةً بِالسِّيَادَةِ، وَاعْتَرَفَتْ لِكَلَامِهِ بِالْإِحْسَانِ وَالْإِجَادَةِ، حَتَّى قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبَادٍ الصَّاحِبُ: بُدِيَءَ الشَّعْرُ بِمَلِكٍ وَخُتِمَ بِمَلِكٍ، يَعْنِي أَمْرَ الْقَيْسِ وَأَبَا فَرَّاسٍ؛ وَهَذِهِ الطَّائِفَةُ أَشْهُرُ الثَّلَاثَةِ تَقْدِمًا، وَأَثْبَتَهَا فِي مَوَاطِنِ الْفَخْرِ وَمَوَاطِنِ الشَّرَفِ قَدَمًا، وَأَسْبَقَ الشَّعْرَاءُ فِي مَيْدَانِ الْبَلَاغَةِ، وَأَرْجَحَهُمْ فِي مَيْدَانِ الْبَرَاعَةِ؛ فَإِنَّ الْكَلَامَ الْصَادِرَ عَنِ الْأَعْيَانِ وَالْصُدُورِ، أَقْرُّ لِلْعَيُونِ وَأَشْفَى لِلصُّدُورِ، فَشَرَفَ الْقَلَائِدَ بِمَنْ قَلَّدَهَا، كَمَا أَنَّ شَرَفَ الْعَقَائِلَ بِمَنْ وَلَّدَهَا:

وَحَيْرُ الشَّعْرِ أَكْرَمُهُ رِجَالًا      وَشَرُّ الشَّعْرِ مَا قَالَ الْعَبِيدُ

وَإِذَا اتَّفَقَ مَنْ اجْتَمَعَتْ فِيهِ هَذِهِ الشَّرَائِطُ، وَانْتَضَمَتْ عِنْدَهُ هَاتِيكَ الْمَحَاسِنِ، كَانَ خَلِيقًا بِأَنْ تُخَلَّدَ فِي صَحَائِفِ الْقُلُوبِ أَشْعَارُهُ، وَتُدَوَّنَ فِي ضَمَائِرِ النُّفُوسِ آثَارُهُ، وَتُكْتَبَ عَلَى الْأَحْدَاقِ وَالْعَيُونِ أَخْبَارُهُ، وَجَدِيرًا بِأَنْ يَخْتَصَّ بِسُرْعَةِ الْمَجَالِ فِي الْمَجَالِسِ، وَخِفَةِ الْمَدَارِ فِي الْمَدَارِسِ، كَالْأَمِيرِ الْجَلِيلِ السَّيِّدِ مَوْلَانَا:

أَبِي الْفَضْلِ مَنْ نَالَ السَّمَاءَ بِفَضْلِهِ      وَمَنْ وَعَدْتُهُ نَفْسُهُ بِمَزِيدِ  
تَوَدُّ عَقُودِ الدَّرِّ لَوْ كُنَّ لَفَظَهُ      فَيَنْظُمُهَا مِنْ تَوَاقُمِ وَفَرِيدِ

### وهذه مقطعات لأهل العصر في وصف البلاغة

#### لأبي الفتح البستي

قال أبو الفتح البستي<sup>(١)</sup>:

مَدَحْتُكَ فَالْتَأَمَتْ قَلَانِدُ لَمْ يَقْزُ      بِأَمْثَالِهَا الصَّيْدُ الْكِرَامُ الْأَعَاضِمُ<sup>(٢)</sup>  
لَأَنَّكَ بَحْرٌ وَالْمَعَانِي لَأِلَى      وَفِكْرِي غَوَاصٌّ وَشِعْرِي نَاطِمٌ  
وَقَالَ أَيْضًا<sup>(٣)</sup>:

مَا إِنْ سَمِعْتُ بِنُورٍ لَهُ ثَمَرٌ      فِي الْوَقْتِ يُمْتَعُ سَمْعَ الْمَرَّةِ وَالْبَصَرِ<sup>(٤)</sup>

(١) الشعالي، يتيمة الدهر: ٣٦٢/٤.

(٢) الصَّيْدُ: جمع الأصيد، وهو المائل بعنقه تكبراً وزهواً.

(٣) الشعالي، يتيمة الدهر: ٣٥٤/٤.

(٤) الثَّوَارُ: الزهر، واحده: ثَوَارَةٌ، والجمع: ثَوَاوِير.

حَسَى أَنَا نِي كِتَابٌ مِنْكَ مُبَسِّمٌ      عَنْ كُلِّ لَفْظٍ وَمَعْنَى يُشْبِهُ الدَّرَارَ  
فَكَانَ لَفْظُكَ فِي لَأَلَايِهِ زَهْرًا      وَكَانَ مَعْنَاهُ فِي أَثَائِهِ ثَمَرًا  
تَابِقًا فَأَصَابَا الْقَصْدَ فِي طَلْقٍ      لِلَّهِ مِنْ ثَمَرٍ قَدْ سَابَقَ الزَّهْرَا  
وقال أيضاً<sup>(١)</sup>:

لَمَّا أَنَا نِي كِتَابٌ مِنْكَ مُبَسِّمٌ      عَنْ كُلِّ بَرٍّ وَلَفْظٍ غَيْرٍ مَحْدُودٍ  
حَكَتْ مَعَانِيهِ فِي أَثْنَاءِ أَنْظَرِهِ      أَثَارَكَ الْبَيْضَ فِي أَحْوَالِي السُّودِ  
كَأَنَّهُ أَلَمَ بِقَوْلِ الطَّائِي<sup>(٢)</sup>:

بَرَى أَقْبَحَ الْأَشْيَاءِ أَوْبَةً أَمَلٍ      كَسَتْهَا يَدُ الْمَأْمُولِ حُلَّةَ خَائِبٍ  
وَأَحْسَنُ مِنْ نَوْرِ تَفْتَحُهُ الصَّبَا      يَاضُ الْعَطَايَا فِي سَوَادِ الْمَطَالِبِ  
وقال أبو الفتح البُشْتِي فِي أَبِي نَصْرٍ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْمِيكَالِيِّ<sup>(٣)</sup>:

جَمَعَ اللَّهُ فِي الْأَمِيرِ أَبِي نَصْرٍ      سِرَّ خِصَالًا تَغْلُو بِهَا الْأَقْدَارُ  
رَاحَةً بَرَّةً وَصَدْرًا فَضَاءً      وَذُكَاءً تَبْدُو لَهُ الْأَسْرَارُ  
خَطُّهُ رَوْضَةٌ، وَالْفَاطِظُ الْأَزْ      هَارٍ يَضْحَكُنَّ، وَالْمَعَانِي ثِمَارُ

### للمطويعي يمدح الميكالي

وقال عمر بن علي المطويعي يُمدِّحُ أَبَا الْفَضْلِ الْمِيكَالِيِّ مِنْ قَصِيدَةٍ:

وَالِي الْأَمِيرِ ابْنِ الْأَمِيرِ الْمُعْتَلِي      بِكَمَالٍ سُودِدِهِ عَلَى الْأَمْرَاءِ  
وَطِئْتُ بِي الْوَجْنَاءَ وَجَنَّةَ مَهْمِهِ      مُتَقَاذِفِ الْأَكْنَافِ وَالْأَرْجَاءِ<sup>(٤)</sup>  
كَيْمَا أُلَاحِظُ مِنْهُ فِي أَفْقِ الْعُلَا      فَلَكَا يُدِيرُ كَوَاكِبَ الْعُلْيَا  
كَالْبَنْدَرِ غَيْرِ دَوَامِهِ مُكَامِلًا      كَالْبَحْرِ غَيْرِ عُذُوبَةٍ وَصَفَاءِ

(١) الثعالبي، يتيمة الدهر ٣٥٣/٤.

(٢) أبو تمام، الديوان: ١٨٤/١. والبيان من قصيدة يمدح بها أبا دُلْفَ القاسم بن عيسى العجلي.

(٣) الثعالبي، يتيمة الدهر: ٣٦٤/٤.

(٤) الوجناء: الناقة الصلبة. والمهمه: المفازة البعيدة، والبلد المُقْفِر، والجمع: مهماه. ومتقاذف الأكناف: متباعد الأطراف.

بِالْفَضْلِ يُكْنَى وَهُوَ فِيهِ كَامِنٌ  
يَا مَنْ إِذَا خَطَّ الْكِتَابَ يَمِينُهُ  
لَمْ تَجْرِ كَفُّكَ فِي الْبَيَاضِ مُوقِعًا  
قَرْمٌ يَدَاهُ وَقَلْبُهُ مَا مِنْهُمَا  
كَالرِّيِّ يَكْمُنُ فِي زَلَالِ الْمَاءِ  
أَهْدَى إِلَيْنَا الْوَشْيَ مِنْ صَنْعَاءِ  
إِلَّا تَجَلَّتْ عَنْ يَدٍ بَيَضَاءِ  
فِي النِّظْمِ وَالْإِعْطَاءِ إِلَّا الطَّائِي<sup>(١)</sup>  
وقال فيه أيضاً:

كَلَامُ الْأَمِيرِ التَّدْبِ فِي ثَنِي نَظْمِهِ  
فَتُرَوَّى مَتَى تَرَوِي بَدَائِعَ نَظْمِهِ  
وَكُتِبَ إِلَيْهِ أَيْضًا:

أَقُولُ وَقَدْ جَادَتْ جُفُونِي بِأَذْمُعِ  
وَقَدْ عَلِقْتُ بِي لِلنِّزَاعِ نَوَازِعُ  
إِلَى سَيِّدِ أَوْفَى عَلَى الشَّمْسِ قَدْرُهُ  
أَبِي الْفَضْلِ مَنْ رَاحَتْ فَوَاضِلُ كَفِّهِ  
سَقَى اللَّهُ أَرْضًا حَلَّ فِيهَا سَحَابًا  
سَحَابٌ يَحْدُوهَا نَسِيمٌ كَخُلُقِهِ  
وَلَا زَالَ أَفْلَاكَ الشُّعُودِ مُطِيفَةً  
كَأَنِّي قَدْ اسْتَمْلَيْتُهُنَّ مِنَ السَّحْبِ  
كَتَبَنْ مُعَانَاةَ الْعِنَاءِ عَلَى قَلْبِي  
وَزَادَتْ مَعَالِيهِ ضِيَاءَ عَلَى الشُّهْبِ  
وَرَاحَتِهِ تُرْبِي عَلَى عَدَدِ الثُّرْبِ<sup>(٢)</sup>  
كَنَائِلِهِ الْفَيَاضِ أَوْ لَفْظِهِ الْعَذْبِ  
وَيَقْدُمُهَا بَرَقٌ كَصَارِمِهِ الْعَضْبِ<sup>(٣)</sup>  
بِحَضْرَتِهِ تَنْتَابُهَا وَهُوَ كَالْقُطْبِ

### للثعالبي يمدح الميكالي

وقال أبو منصور الثعالبي للأمير أبي الفضل:

لَكَ فِي الْفَضَائِلِ مُعْجَزَاتٌ جَمَّةٌ  
بَحْرَانِ بَحْرٌ فِي الْبَلَاغَةِ شَابَةٌ  
أَبْدَأْ لِيغْيِرَكَ فِي السُّورَى لَمْ تُجْمَعِ  
شِعْرُ الْوَلِيدِ وَحُسْنُ لَفْظِ الْأَصْمَعِيِّ<sup>(٤)</sup>

(١) القرم: السيد. الطائي في الكرم: هو حاتم الطائي، وفي النظم: أبو تمام.

(٢) التَّدْبُ: الخفيف في الحاجة، الشُّهْمُ، النجيب.

(٣) تُرْبِي: تزيد.

(٤) الصارم العضب: السيف القاطع.

(٥) الوليد: هو الوليد بن عبيد، أبو عبادة البحراني.

كَالتُّورِ أَوْ كَالسَّحَرِ أَوْ كَالذُّرِّ أَوْ  
شُكْرًا فَكَمْ مِنْ فَقْرَةٍ لَكَ كَالْغِنَى  
وَإِذَا تَفَتَّقَ نَوْرُ شِعْرِكَ نَاضِرًا  
أَرْجَلَتْ فُرْسَانُ الْكَلَامِ وَرُضْتُ أَفْ  
وَنَقَشْتَ فِي فَصِّ الزَّمَانِ بَدَائِعًا  
كَالْوَشْيِ فِي بُرْدٍ عَلَيْهِ مُوشَّعٌ<sup>(١)</sup>  
وَأَفَى الْكَرِيمَ بَعِيدَ فَقْرٍ مُدْقِعٌ<sup>(٢)</sup>  
فَالْحُسْنُ بَيْنَ مُرْصَعٍ وَمُصَرَّعٍ  
رَأْسَ الْبَدِيعِ وَأَنْتَ أَمَجَّدُ مُبْدِعِ  
تُزْرِي بِأَثَارِ الرِّيحِ الْمُمْرِعِ<sup>(٣)</sup>

### وللثعالبي في وصف فرس

[وقال في وصف فرس أهدها إليه ممدوحه]:

يَا مُهْدِي الطَّرْفِ الْجَوَادِ كَأَنَّمَا  
لَا شَيْءَ أَسْرَعُ مِنْهُ إِلَّا خَاطِرِي  
وَلَوْ أَنَّي أَنْصَفْتُ فِي إِكْرَامِهِ  
أَنْظَمْتُهُ حَبَّ الْقُلُوبِ لِحُبِّهِ  
وَخَلَعْتُ ثُمَّ قَطَعْتُ غَيْرَ مُضَيِّقِ  
قَدْ أُنْعَلُوهُ بِالرِّيحِ الْأَرْبَعِ<sup>(٤)</sup>  
فِي شُكْرِ نَائِلِكَ اللَّطِيفِ الْمَوْقِعِ  
لِجَلَالِ مُهْدِيهِ الْكَرِيمِ الْأَرْوَعِ<sup>(٥)</sup>  
وَجَعَلْتُ مَسْرِطَةً سَوَادَ الْمَدْمَعِ  
بُرْدَ الشَّبَابِ لِجَلَّتِهِ وَالْبُرْقَعِ

### لِلثَعَالِبِيِّ جَوَابًا عَلَى الْمِيكَالِيِّ

وكتب إليه في جواب كتاب ورد عليه:

أَنْسِيْمُ الرِّيَاضِ حَوْلَ الْغَدِيرِ  
أَمْ وَرُودُ الْبَشِيرِ بِالنَّجَحِ مِنْ فَ  
فِي مُلَاءٍ مِنَ الشَّبَابِ جَدِيدِ  
أَمْ كِتَابُ الْأَمِيرِ سَيِّدِنَا الْفَرِ  
مَا زَجَّجْتُهُ رِيًّا الْحَيْبِ الْأَثِيرِ<sup>(٦)</sup>  
لَكَ أَسِيرٍ أَوْ يُنِيرُ أَمِيرَ عَسِيرِ  
تَحْتَ أَيْكَ مِنَ الثَّصَابِي نَظِيرِ<sup>(٧)</sup>  
د؛ فَيَا حَبَّذَا كِتَابُ الْأَمِيرِ

(١) مُوشَّع: ذو رقوم وطرائق.

(٢) الْفَقْرُ الْمُدْقِعُ: الشديد، لصق صاحبه بالدقعاء: التراب.

(٣) الْمُمْرِعُ: المملوء بالكلاء والعشب.

(٤) الطَّرْفُ: الكريم من الناس والخيول ونحوها، والمراد هنا: الحصان.

(٥) الْأَرْوَعُ: الذكي الرَّوْع، وهو الفؤاد.

(٦) الْأَثِيرُ: العزيز.

(٧) الْأَيْكُ: الشجر الكثيف المُتَنَفِّ.

وَتَمَّارُ الصَّدُورِ مَا أَجْتَنِيهِ  
نَمَقَّتْهَا أُنَامِلٌ تَفْتَقُ الْأُنْدُ  
كَالْمُنَى قَدْ جُمِعْنَ فِي النَّعْمِ الْغُرَى  
يَا أَبَا الْفَضْلِ وَابْنَهُ وَأَخَاهُ  
شَيْمٌ يَرْتَضِعُنْ دَرَّ الْمَعَالِي  
وَسَجَايَا كَأَنَّهُنَّ لَدَى النَّشْ  
وَمُحَيَّا لَدَى الْمُلُوكِ مُحَيَّا  
مَنْ سَطُورٍ فِيهَا شَفَاءُ الصَّدُورِ  
وَوَارَ وَالزَّهْرُ فِي رِيَاضِ السَّطُورِ  
رَّ مَعَ الْأَمَنِ مِنْ صُرُوفِ الدَّهْورِ  
جَلَّ بِأَرِيكَ مِنْ لَطِيفِ خَيْرِ  
وَيَعْتَبِرُنْ عَنْ نَسِيمِ الْعِيرِ  
رِ رُضَابُ الْحَيَا بِأَرْي مَشُورِ<sup>(١)</sup>  
صَادِقُ الْبَشْرِ مُخْجَلٌ لِلْبَدُورِ

### جواب الميكالي على أبيات الثعالبي

فأجابه أبو الفضل بأبيات يقول فيها في صفة أبياته:

وَهَدِي زُفْتُ إِلَى السَّمْعِ بِكْرِ  
عَجِبَ النَّاسُ أَنْ بَدَتْ مِنْ سَوَادِ  
نُظِمْتُ فِي بِلَاغَةٍ وَمَعَانِ  
كَمْ تَذَكَّرْتُ عِنْدَهَا مِنْ عُهودِ  
فَدَمِمْتُ الزَّمَانَ إِذْ ضَنَّ عَنَّا  
وَلَيْنَ رَاعَنَّا الزَّمَانَ بَيِّنِ  
فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يُعِيدَ اجْتِمَاعاً  
إِنَّهُ قَادِرٌ عَلَى رَدِّ مَا فَا  
تَهَادَى فِي حِلْيَةٍ وَشُدُورِ<sup>(٢)</sup>  
فِي بَيَاضِ كَالْمِسْكِ فِي الْكَافُورِ  
مِثْلَ نَظْمِ الْعُقُودِ فَوْقَ النُّحُورِ  
لِلتَّلَاقِي فِي ظِلِّ عَيْشِ نَضِيرِ  
بِاجْتِمَاعِ يَضُمُّ شَمْلَ السُّرُورِ  
أَلْبَسَ الْأَنْسُ ذِلَّةَ الْمَهْجُورِ  
فِي أَمَانٍ مِنْ حَادِثَاتِ الدَّهْورِ  
تَ وَتَسِيرُ كُلُّ أَمْرِ عَسِيرِ

### للصابي يمدح الوزير المهلبى

وقال أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي<sup>(٣)</sup> في الوزير المهلبى<sup>(٤)</sup>:

- (١) الأري: العسل. والمشور: المُصَفَّى، تقول: شار العسل واشتاره، إذا صفاه من الأقراص.
- (٢) الهدي: العروس. والشُدُور: قطع الذهب أو فُتَاتُهُ، الواحدة: شُدرة.
- (٣) هو أبو إسحاق، إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون الصابىء، الحارثي: أديب، عالم، غلبت عليه صناعة الكتابة والبلاغة والشعر، وله يد طولى في علم الرياضة. ولد بحرّان، وتوفي ببغداد سنة ٣٨٤ هـ/ ٩٩٤ م. (ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ٤/ ١٦٧؛ الثعالبي، يتيمة الدهر: ٢/ ٢٨٧).
- (٤) الثعالبي، يتيمة الدهر: ٢/ ٣٢٣.

قُلْ لِلْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ الَّذِي      قَدْ أُعْجِزْتُ كُلَّ الْوَرَى أَوْصَافُهُ  
لَكَ فِي الْمَجَالِسِ مُنْطِقٌ يَشْفِي الْجَوَى      وَيَسْوَعُ فِي أُذُنِ الْأَدِيبِ سُلَافُهُ<sup>(١)</sup>  
وَكَانَ لَفَظُكَ جَوْهَرٌ مُتَحَلِّلٌ      وَكَأَنَّمَا آذَانُنَا أَصْدَافُهُ<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

### ترجمة الوزير المهلبی

والمهلبی هذا هو أبو محمد الحسن بن هارون بن إبراهيم بن عبد الله بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب، وَزَرَ لأحمد بن بُويهِ الدَّيْلَمِي، وكانت وزارته سنة تسع وثلاثين وثلثمائة، وكان أبو محمد من سَرَوات الناس وأدبائهم وأجوادهم وأعفائهم<sup>(٣)</sup>؛ وفيه يقول أبو إسحاق الصابئ:

نِعَمُ اللَّهِ كَالْوَحُوشِ فَمَا تَأ      لَفٌ إِلَّا الْأَخَايِرَ الشُّكَاكَ  
نَقَرَتْهَا آثَامٌ قَوْمٍ وَصِيْرُ      نَ لَهَا الْبِرِّ وَالثَّقَى أَشْرَاكَ<sup>(٤)</sup>

وكان قبل اتِّصاله بالسلطان سائحاً في البلاد، على طريق الْفَقْرِ والتَّصَوُّف، قال أبو علي الصوفي: كنت معه في بعض أوقاته، أمائيه في إحدى طرقاته، فضجّر لضيق الحال، فقال:

أَلَا مَوْتُ يُبَاعُ فَأَشْتَرِيهِ      فَهَذَا الْعَيْشُ مَا لَا خَيْرَ فِيهِ  
أَلَا رَحِمَ الْمُهْمِينُ نَفْسَ حُرٍّ      تَصَدَّقَ بِالْوَفَاةِ عَلَى أَخِيهِ

ثم تصرف بما يُرضيه الدهر، وبلغ المهلبی مبلغه قال أبو علي: دخلت البصرة فاجتزت بِسَرٍّ مَنْ رَأَى، وإذا أنا بِنَاشِطِيَّاتٍ وَحِرَاقَاتٍ وَزَيَارِبٍ وَطَيَّارَاتٍ فِي عُدَّةٍ وَعُدَدٍ، فَسَأَلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقِيلَ: لِلْوَزِيرِ الْمَهْلَبِيِّ، وَنَعْتُوا لِي صَاحِبِي؛ فَوَصَلْتُ إِلَيْهِ حَتَّى رَأَيْتُهُ، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ رَقْعَةً، وَتَوَصَّلْتُ حَتَّى دَخَلْتُ فَسَلَّمْتُ، وَجَلَسْتُ حَتَّى خَلَا مَجْلِسُهُ، فَدَفَعْتُ إِلَيْهِ الرَقْعَةَ وَفِيهَا:

(١) الشِّلَافُ: أَفْضَلُ الْخَمْرِ وَأَخْلَصُهَا، وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ: خَالِصُهُ.

(٢) الْمُتَحَلِّلُ: الْمُخْتَارُ.

(٣) وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ٣٥٢ هـ/ ٩٦٤ م.

(٤) الْأَشْرَاكُ: جَمْعُ شَرَكٍ، وَهُوَ حِبَالَةُ الصَّائِدِ.



أَلَا قُلْ لِلْوَزِيرِ بَلَا اخْتِشَامٍ      مَقَالَ مُذَكَّرٍ مَا قَدْ نَسِيهِ  
أَتَذَكَّرُ إِذْ تَقُولُ لِضَيْقِ عَيْشٍ      «أَلَا مَوْتُ يُبَاعُ فَاشْتَرِيهِ»

فَنَظَرَ إِلَيَّ وَقَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ نَهَضَ وَأَنْهَضَنِي مَعَهُ إِلَى مَجْلِسِ الْأُنْسِ، وَجَعَلَ يُذَكِّرُنِي مَا مَضَى، وَيَذَكِّرُنِي لِي كَيْفَ تَرَقَّتْ حَالُهُ، وَقُدِّمَ الطَّعَامُ فَطَعِمُنَا، وَأَقْبَلَ ثَلَاثَةً مِنَ الْغُلَّامَانِ عَلَى رَأْسِ أَحَدِهِمْ ثَلَاثُ بَدَرٍ<sup>(١)</sup>، وَمَعَ الْآخَرِ تَخَوْتُ وَثِيَابَ، وَمَعَ الْآخَرِ طَيْبٌ وَبُخُورٌ، وَأَقْبَلْتُ بَعْلَةً رَائِعَةً بِسَرَجٍ ثَقِيلٍ؛ فَقَالَ: يَا أَبَا عَلِيٍّ؛ تَفَضَّلْ بِقَبُولِ هَذَا، وَلَا تَتَخَلَّفْ عَنْ حَاجَةٍ تَعْرِضُ لَكَ، فَشَكَرْتَهُ وَانصَرَفْتُ، فَلَمَّا هَمَمْتُ بِالْخُرُوجِ مِنَ الْبَابِ اسْتَرَدَّنِي وَأَنْشَدَنِي بِدِيهَا:

رَقَّ الزَّمَانُ لِفَسَاقَتِي      وَرَقَّى لِطُولِ تَحَرُّقِي  
وَأَنَالَنِي مَا أَزْتَجِي      وَأَجَارَ مِمَّا أَتَقِي  
فَلَا غُفْرَانَ لَهُ الْكَثْ      يَرَمِنُ الذَّنُوبِ السُّبُوقِ  
إِلَّا جِنَايَتُهُ التَّسِي      فَعَلَ الْمَشِيبُ بِمَقْرِقِي

\*\*\*

### منزلة العقل وطريق رياضته

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: الْعُقُولُ لَهَا صُورٌ مِثْلُ صُورِ الْأَجْسَامِ، فَإِذَا أَنْتَ لَمْ تَسْلُكْ بِهَا سَبِيلَ الْأَدَبِ حَارَتْ وَضَلَّتْ، وَإِنْ بَعَثْتَهَا فِي أَوْدِيَّتِهَا كَلَّتْ وَمَلَتْ، فَاسْلُكْ بِعَقْلِكَ شِعَابَ الْمَعَانِي<sup>(٢)</sup> وَالْفَهْمِ، وَاسْتَبِقْهُ بِالْجَمَامِ لِلْعِلْمِ<sup>(٣)</sup>، وَارْتَدَّ لِعَقْلِكَ أَفْضَلُ طَبَقَاتِ الْأَدَبِ، وَتَوَقَّ عَلَيْهِ آفَةُ الْعَطَبِ؛ فَإِنَّ الْعَقْلَ شَاهِدُكَ عَلَى الْفَضْلِ، وَحَارِسُكَ مِنَ الْجَهْلِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ مَغَارِسَ الْعُقُولِ كَمَغَارِسِ الْأَشْجَارِ؛ فَإِذَا طَابَتْ بِقَاعِ الْأَرْضِ لِلشَّجَرِ زَكَ ثَمَرُهَا، وَإِذَا كَرُمَتِ النُّفُوسُ لِلْعُقُولِ طَابَ خَيْرُهَا، فَاعْمُرْ نَفْسَكَ بِالْكَرَمِ، تَسْلَمْ مِنَ الْآفَةِ وَالسَّقَمِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَقْلَ [الْحَسَنَ] فِي النَّفْسِ اللَّثِيمَةِ، بِمَنْزِلَةِ الشَّجَرَةِ الْكَرِيمَةِ فِي الْأَرْضِ

(١) الْبَدَرُ: جَمْعُ بَدْرَةٍ، وَهِيَ كَيْسٌ فِيهِ مَقْدَارٌ مِنَ الْمَالِ يُتَعَامَلُ بِهِ، وَيُقَدَّمُ فِي الْعَطَايَا، وَيَخْتَلَفُ بِاخْتِلَافِ الْعُهُودِ.

(٢) الشُّعَابُ: جَمْعُ شُعْبٍ، وَهُوَ الطَّرِيقُ فِي الْجِيلِ.

(٣) الْجَمَامُ: الرَّاحَةُ.

الدميمة، يتفع بثمرها على خُبثِ المَغْرِسِ؛ فَاجْتَنِ ثَمَرَ العقولِ وإنْ أَتَاكَ من لِيَامِ الأنفسِ. [وقال النبي عليه السلام: «رَبِّ حَامِلٍ فَقِهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ». وقيل: رب حامل فقه غير فقيه، ورب رمية من غير رام].

### الحكمة وواجب العاقل إزاءها

وقيل: الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ، أينما وجدها أخذها. وسمع الشَّعْبِيُّ الْحِجَاجُ بن يوسف وهو على المنبر يقول: أَمَا بعد، فَإِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى الدُّنْيَا الْفَنَاءَ، وَعَلَى الْآخِرَةِ الْبَقَاءَ، فَلَا فَنَاءَ لِمَا كُتِبَ عَلَيْهِ الْبَقَاءُ، وَلَا بَقَاءَ لِمَا كُتِبَ عَلَيْهِ الْفَنَاءُ، فَلَا يَغْرَنُكُمْ شَاهِدُ الدُّنْيَا عَنْ غَائِبِ الْآخِرَةِ، وَأَقْصِرُوا مِنَ الْأَمَلِ، لِقِصَرِ الْأَجْلِ. فقال: كَلَامُ حَكَمَةٍ خَرَجَ مِنْ قَلْبِ خَرَابٍ! وأخرج الواحَهُ فَكُتِبَ.

وقد روي ذلك عن سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ<sup>(١)</sup>.

وقد سُمِعَ إِبْرَاهِيمُ بن هشام وهو يَخْطُبُ على المنبر ويقول: إِنْ يَوْمًا أَشَابَ الصَّغِيرُ، وَأُسْكِرَ الْكَبِيرُ، لِيَوْمٍ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا!

### وصف الكتب

#### وصف الكتاب للجاحظ

قال الجاحظ<sup>(٢)</sup>: الْكِتَابُ وَعَاءٌ مُلِئَ عِلْمًا. وَظَرْفٌ حُشِيَ ظَرْفًا، وَبُسْتَانٌ يُحْمَلُ فِي رُودُنٍ<sup>(٣)</sup>، وَرَوْضَةٌ تَقْلَبُ فِي حِجْرٍ، يَنْطَلِقُ عَنِ الْمَوْتَى، وَيَتَرَجَّمُ كَلَامَ الْأَحْيَاءِ. وقال: مَنْ صَنَّفَ كِتَابًا فَقَدْ اسْتَهْدَفَ<sup>(٤)</sup>؛ فَإِنْ أَحْسَنَ فَقَدْ اسْتَعْطَفَ، وَإِنْ أَسَاءَ فَقَدْ اسْتَقْذَفَ<sup>(٥)</sup>.

(١) هو أبو عبد الله، سُفْيَانُ بن سعيد بن مسروق... بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان الثوري الكوفي: كان إماماً في علم الحديث، وأجمع الناس على دينه وورعه وثقته، وهو أحد الأئمة المجتهدين. توفي بالبصرة سنة ١٦١ هـ / ٧٧٧ م. (ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٣٨٦/٢).

(٢) الجاحظ، كتاب الحيوان: ٣٨/١ - ٤١.

(٣) الرذن: أصل الكم، ويستعمل في الكم نفسه. وفي الحيوان: «فمتى رأيت بستاناً يحمل في رذن، وروضة تُقْلَبُ فِي حِجْرٍ».

(٤) استهدف: صَيَّرَ نفسه هدفاً لسهام النقد.

(٥) استقذف: عَرَّضَ نفسه للقذف.

وقال: لا أعلم جاراً أبر، ولا خليطاً أنصف، ولا رفيقاً أطوع، ولا معلماً أخضع، ولا صاحباً أظهر كفاية، وأقلّ جنابة، ولا أقلّ إملالاً وإبراماً، ولا أقلّ خلافاً وإجراماً، ولا أقلّ غيبةً، ولا أبعد من عَضِيهَةٍ<sup>(١)</sup> ولا أكثر أعجوبة وتصرفاً، ولا أقلّ صلفاً وتكلفاً، ولا أبعد من مراء، ولا أترك لشغب، ولا أزهد في جدال، ولا أكفّ عن قتال، من كتاب. ولا أعلم قريباً أحسن مواتاة، ولا أعجل مكافأة، ولا أخضر معونة، ولا أقلّ مؤونة، ولا شجرة أطول عمراً، ولا أجمع أمراً، ولا أطيّب ثمرة، ولا أقرب مُجْتَنِي، ولا أسرع إدراكاً في كل أوّان، ولا أوجد في غير إبان، من كتاب. ولا أعلم نتاجاً في حداثة سنّه، وقرب ميلاده، ورخص ثمنه، وإمكان وجوده، يجمع من التدابير الحسنة، والعلوم الغريبة، ومن آثار العقول الصحيحة، ومحمود الأخبار عن القرون الماضية، والبلاد المترامية، والأمثال السائرة، والأمم ما يجمع الكتاب<sup>(٢)</sup>.

### المأمون يصف الكتاب لأبيه الرشيد

ودخل الرشيد على المأمون وهو ينظر في كتاب، فقال: ما هذا؟ فقال: كتاب يشحد الفكرة، ويحسن العشرة. فقال: الحمد لله الذي رزقني من يرى بعين قلبه أكثر مما يرى بعين جسمه.

### بعض العلماء يصف سروره بالكتب

وقيل لبعض العلماء: ما بلغ من سرورك بأدبك وكتبك؟ فقال: هي إن خلوت لذتي، وإن اهتممت سلوتي، وإن قلت: إن زهر البستان، ونور الجنان، يجلوان الأبصار، ويمتعان بحسنهما الألفاظ؛ فإن بستان الكتب يجلو العقل، ويشحد الذهن، ويحيي القلب، ويقوي القريحة، ويعين الطبيعة، ويبعث نتائج العقول، ويستثير دقات القلوب، ويمتّع في الخلوة، ويؤنس في الوحشة، ويضحك بنوادره، ويسر بغرائبه، ويقيد ولا يستفيد، ويعطي ولا يأخذ، وتصل لذته إلى القلب، من غير سامة تدركك، ولا مشقة تعرض لك.

### لأبي الطيب المتنبي

وقال أبو الطيب المتنبي<sup>(٣)</sup>:

(١) العَضِيهَةُ: الكذب والإفك والبهتان.

(٢) في الحيوان: «ما يجمع لك الكتاب».

(٣) المتنبي، الديوان: ٢/ ٢٩١.

- وَلِلَّسْرِ مَّيِّ مَوْضِعٌ لَا يَنَالُهُ  
وَلِلْحَوْدِ مِنِّي سَاعَةٌ، ثُمَّ بَيْنَنَا  
وَمَا الْعِشْقُ إِلَّا غِرَّةٌ وَطَمَاعَةٌ  
وَعَبْرٌ فَوَّادِي لِلْغَوَانِي رَمِيَّةٌ  
تَرَكْنَا لِأَطْرَافِ الْقَنَّا كُلِّ لَذَّةٍ  
نُصَرِّفُهُ لِلطَّعْنِ فَوْقَ سَوَابِحِ  
أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنَا سَرُجٌ سَابِحٌ  
نَدِيمٌ، وَلَا يُقْضِي إِلَيْهِ شَرَابٌ<sup>(١)</sup>  
فَلَاةٌ إِلَى غَيْرِ اللِّقَاءِ تُجَابٌ<sup>(٢)</sup>  
يُعَرِّضُ قَلْبُ نَفْسِهِ فَيَصَابُ<sup>(٣)</sup>  
وَعَبْرٌ بَنَانِي لِلرَّخَاخِ رِكَابٌ<sup>(٤)</sup>  
فَلَيْسَ لَنَا إِلَّا بِهِنٌ لِعَابٌ<sup>(٥)</sup>  
قَدْ انْقَصَفَتْ فِيهِنَّ مِنْهُ كِعَابٌ<sup>(٦)</sup>  
وَعَبْرٌ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابٌ<sup>(٧)</sup>

### فقر في الكتب

إنفاق الفضة على كتب الآداب، يُخلفك عليه ذهاب الألباب. إن هذه الآداب شوارد، فاجعلوها الكتب لها أزيمة. كتاب الرجل عنوان عقله، ولسان فضله.

ابن المعتز: مَنْ قرأ سَطْرًا من كتاب قد خطَّ عليه فقد خان كاتبه؛ لأن الخطَّ يُحرز ما تحته.

- (١) النديم: العليّس على الشراب. يفضي: ينتهي. يريد أنه كنوم للسّر، يضعه حيث لا يطلع عليه النديم، ولا يصل إليه الشراب مع تغلغله في البدن.
- (٢) الحوذ: الفتاة الجميلة الناعمة. وتُجَاب: تُقَطَّع. يقول: أصحب المرأة حيناً يسيراً، ثم أسافر عنها، فيكون بيني وبينها فلاة أقطعها إلى حيث لا نلتقي.
- (٣) الغرّة: الغرور. يقول: العشق غرور بالمعشوق، وطمع في وصله، إذا وقعا في قلب العاشق عرض نفسه للعشق فيصاب به.
- (٤) الغواني: النساء الحسان، الواحدة: غانية. والرمية: ما يُرمى بالسهم. والبنان: أطراف الأصابع. والركاب: المطي. والرخاخ: أدوات الشطرنج، ويروى: الزجاج. يقول: لا تصيبي الحسان بسهم لحاظهن لأني أصون نفسي عن هواهن، ولا أتعاطى كؤوس الخمر، فتصير يديّ مركباً للزجاج.
- (٥) القنا: عيدان الرماح. واللعب: الملاعبة. يقول: تركنا شهواتنا لأطراف الرماح، أي أحلنا لذاتنا عليها، فإذا دعانا حبُّ اللهو، لهونا بمطاعنة الأقران.
- (٦) السوابح: الخيول. وفي الديوان: «الحوادر»: جمع حادر، وهو الغليظ السمين. والكعاب: العقْد بين أنابيب الرمح. يقول: نصرف الرماح فوق خيل غلاظٍ سمانٍ، قد ألقت الطعن قديماً، وانكسرت فيها كعاب من الرماح.
- (٧) الدني: جمع الدنيا. السابح: الفرس السريع الجري.

بُزِرَ جَمُّهُرُ: الْكُتُبُ أَصْدَافُ الْحِكْمِ، تَنْشَقُّ عَنْ جَوَاهِرِ الْكَلِمِ.

بعض الكتاب: إعجام الخط يمنع من استعجابه، وشكله يؤمن من إشكاله.

كَانَ هَذَا الْكَاتِبُ نَحَا إِلَى قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ<sup>(١)</sup>:

تَرَى الْحَادِثَ الْمُسْتَعْجِمَ الْخَطِّ مُعْجَمًا لَدَيْهِ، وَمَشْكُولًا إِذَا كَانَ مُشْكِلًا<sup>(٢)</sup>

مَا كُتِبَ قَرًّا، وَمَا حُفِظَ قَرًّا. الْخُطُوطُ الْمُعْجَمَةُ، كَالْبُرُودِ الْمُعْلَمَةِ.

وَقَالَ ابْنُ الْمَعْتَرِ يَصِفُ كِتَابًا:

وَذِي نُكَبٍ مُوشَى نَمَقْتُهُ وَحَاكَّتُهُ الْأَنَامِلُ أَيَّ حَوَكٍ

بِشَكْلِ يَرْفَعُ الْإِشْكَالَ عَنْهُ كَأَنَّ سَطُورَهُ أَغْصَانُ شَوْكٍ

### جملة من ألفاظ أهل العصر

#### في صفة الكتب وتهاديبها، وما يتعلق بأسمائها ومعانيها

حضرة مولاي تَجَلَّى عَنْ أَنْ يُهْدَى إِلَيْهَا غَيْرُ الْكُتُبِ، الَّتِي لَا يَتَرَفَّعُ عَنْهَا كَبِيرٌ، وَلَا يَمْتَنِعُ مِنْهَا خَطِيرٌ، وَقَدْ فَكَّرْتُ فِيمَا أَنْفَذْتُ بِهِ مَقِيمًا لِلرَّسْمِ فِي جُمْلَةِ الْخَدَمِ، وَحَافِظًا لِلْأَسْمِ فِي غِمَارِ الْحَشَمِ، فَلَمْ أَجِدْ إِلَّا الرِّقَّ الَّذِي سَبَقَ مُلْكُهُ لَهُ، وَالْمَالُ الَّذِي مَنَحَهُ وَخَوَّلَهُ، فَعَدَلْتُ إِلَى الْأَدَبِ الَّذِي تَنَقَّقُ سَوْقُهُ بِيَابِ سَيِّدِنَا وَلَا تَكْسَدُ. وَتَهَبُ رِيحُهُ بِجَانِبِهِ وَلَا تَرَكُدُ. وَأَنْفَذْتُ كِتَابِي هَذَا رَاجِيًا أَنْ أُشَرَّفَ بِقَبُولِهِ، وَيُوقَّعَ إِلَيَّ بِحَصُولِهِ؛ وَلَمَّا وَجِبَ عَلَى ذَوِي الْإِخْتِصَاصِ لَسَيِّدِنَا إِهْدَاءٌ مَا جَرَتْ الْعَادَةُ بِتَسَابُقِ الْأَوْلِيَاءِ إِلَى الْاجْتِهَادِ فِي إِهْدَائِهِ، وَجِبَ الْعُدُولُ فِي إِقَامَةِ رَسْمِ الْخِدْمَةِ إِلَى اتِّبَاعِ مَا صَدَرَ عَنْهُ مِنَ الرِّخْصَةِ فِيمَا تَسَهَّلَ كَلْفَتُهُ، وَتَجَلَّى عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ قِيَمَتُهُ، وَتَحَلُّوْا ثَمَرَتَهُ. وَهُوَ عَلِمٌ يُقْتَنَى، وَأَدَبٌ يُجْتَنَى.

### لابن طباطبا

قال أبو الحسن بن طباطبا العلوي<sup>(٣)</sup>:

- (١) أبو تمام، الديوان: ٤٩/٢. والبيت من قصيدة طويلة يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيات.
- (٢) المستعجم: الخفي. الخطب: الأمر العظيم. معجماً: مُنْقَطَئاً. مشكولاً: مُعْلَمًا بِالشَّكْلِ. المُشْكِلُ: المشبه. أي: يرى الحادث الغامض واضحاً كأنها كتابة مُنْقَطَئَةٌ مشكولة.
- (٣) هو أبو الحسن، محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم العلوي، المعروف بابن طباطبا: عالم، شاعر، أديب. ولد بأصبهان، وتوفي بها سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م. من تصانيفه: «عيار =

لَا تُشْكِرَنَّ إِهْدَاءَكَ لَكَ مَنَظِقًا      مِنْكَ اسْتَفْذَنَا حُسْنَهُ وَنِظَامَهُ  
فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَشْكُرُ فِعْلَ مَنْ      يَتْلُو عَلَيْهِ وَحْيَهُ وَكَلَامَهُ

### لأحمد بن يوسف

وأهدى أحمد بن يوسف<sup>(١)</sup> إلى المأمون في يوم مَهْرَجَانٍ هديةً قيمتها ألف ألف درهم، وكتب:

عَلَى الْعَبْدِ حَقٌّ فَهَوَ لَا بُدَّ فَاعِلُهُ      وَإِنْ عَظُمَ الْمَوْلَى وَجَلَّتْ فَضَائِلُهُ  
أَلَمْ تَرْنَا نُهْدِي إِلَى اللَّهِ مَالَهُ      وَإِنْ كَانَ عَنْهُ ذَا غِنَى وَهُوَ قَابِلُهُ

### لأبي الفتح البُستي

وقال أبو الفتح البُستي:

لَا تُشْكِرَنَّ إِذَا أَهْدَيْتَ نَحْوَكَ مِنْ      عُلُومِكَ الْغُرَّ أَوْ آدَابِكَ الثُّفَا  
فَقِيَّمُ الْبَاغَ قَدْ يُهْدِي لِمَالِكِهِ      بِرَسْمِ خِدْمَتِهِ مِنْ بَاغِهِ الثُّفَا<sup>(٢)</sup>

### لأبي إسحاق الصَّابي

وكتب أبو إسحاق الصَّابي إلى عَضُدِ الدَّوْلَةِ فِي هَذَا الْمَعْنَى: الْعَبِيدُ تُلَاطِفُ وَلَا تُكَاثِرُ الْمَوَالِي فِي هَدَايَاهَا، وَالْمَوَالِي تَقْبَلُ الْمِسُورَ مِنْهَا قَبُولًا هُوَ مُحْسُوبٌ فِي عَطَايَاهَا. وَلَمَّا كَانَ - أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى عَزَّهُ! - مَبْرُزًا عَلَى مَلُوكِ الْأَرْضِ فِي الْخَطَرِ الَّذِي قَصَّروا عَنْهُ شَدِيدًا، وَالسَّعْيِ الَّذِي وَقَفُوا مِنْهُ بَعِيدًا، وَالْآدَابِ الَّتِي عَجَزُوا عَنْ اسْتِعْلَامِهَا فَضْلًا عَنْ عِلْمِهَا، وَالْأَدْوَاتِ الَّتِي نَكَلَوْا<sup>(٣)</sup> عَنْ اسْتِفْهَامِهَا فَضْلًا عَنْ فَهْمِهَا، وَجَبَ أَنْ يُعَدَّلَ عَنْ اخْتِيَارَاتِهِمْ فِيمَا تَخْطِئُ بِهِ

= «الشعر»، و «تهذيب الطبع»، و «المعروض». (المرزباني، معجم الشعراء: ٤٢٧).

(١) هو أبو جعفر، أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح، مولى بني عجل: كان من أفاضل كتّاب المأمون، وأذكا هم، وأظنهم، وأجمعهم للمحاسن. وكان جيد الكلام، فصيح اللسان، مليح الخط. توفي سنة ٢١٣ هـ / ٨٢٩ م، وأخباره كثيرة. (الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٢١٦/٥).

(٢) الْبَاغُ: الطَّيْبُ.

(٣) نَكَلَ عَنْ الْأَمْرِ نُكُولًا: جَبَنَ وَنَكَصَ، يُقَالُ: نَكَلَ عَنِ الْعَدُوِّ، وَنَكَلَ عَنِ الْيَمِينِ. وَنَكَلَ فَلَانًا عَنْ الشَّيْءِ: نَحَاهُ.

الجسوم البهيمية، إلى اختياره فيما تحظى به النفوس العلية، وعما يتفق في سوقهم العامة. إلى ما يتفق في سوقه الخاصة، أفراداً لِرُبَّتِهِ العُليا، وغايته القصوى، وتميزاً له عمن لا يجري معه في هذا المضمار، ولا يتعلق منه بالغبار. وقد حملت إلى الخزانة - عمرها الله! - شيئاً من الدفاتر وآلة النجوم، فإن رأى مولانا أن يتطول<sup>(١)</sup> على عبده بالإذن في عرض ذلك عليه مشرفاً له وزائداً في إحسانه إليه فعَلَّ إن شاء الله تعالى.

### من أبي الطيب المتنبي إلى ابن العميد

وأهدى أبو الطيب المتنبي إلى أبي الفضل بن العميد في يوم نوروز قصيدة مدحه فيها يقول في آخرها<sup>(٢)</sup>:

كثُرَ الْفِكْرُ كَيْفَ نُهْدِي كَمَا نَهْ  
لدي إلى ربّها الرئيس عِبَادُهُ<sup>(٣)</sup>  
وَالَّذِي عِنْدَنَا مِنَ الْمَالِ وَالْحَيِ  
ل فَمِنْهُ هِبَاتُهُ وَفِيَادُهُ<sup>(٤)</sup>  
فَبَعَثْنَا بِأَرْبَعِينَ مِهَاراً  
كُلُّ مُهَرٍّ مِيدَانُهُ إِنْشَادُهُ<sup>(٥)</sup>  
فَارْتَبَطَهَا فَإِنَّ قَلْباً نَمَاهَا  
مَرِبُطٌ تَسْبِقُ الْجِيَادَ جِيَادُهُ<sup>(٦)</sup>

وفي هذه الكلمة يقول وقد احتفل فيها، واجتهد في تجويد ألفاظها ومعانيها، فعقّب عليه أبو الفضل في مواضع وقف عليها فقال:

- (١) يتطول: يتفضل.
- (٢) أبو الطيب المتنبي، الديوان: ٣٥٢/٢ - ٣٧٢، ومطلع هذه القصيدة:  
جَاءَ تَبَرُّوْرُنَا وَأَنْتَ مُرَادُهُ وَوَرَّتْ بِالسَّيِّدِ أَرَادَ زِنَادُهُ  
وقد مدح بها المتنبي ابن العميد، وهنّأه بالنيروز، ووصف صيفاً قلّده إياه، وفرساً حمله عليه، وجائزة وصله بها، وكان ابن العميد قد عاب عليه قصيدة رائية مدحه بها.
- (٣) الرَّبُّ هُنَا: السيد. وفي الديوان: «كما أهدت إلى ربّها».
- (٤) يقول: كيف تهدي إليه شيئاً كما تهدي العبيد إلى أسيادها، وكل ما عندنا من المال والخيال هو من عنده، قد وهبه لنا وقاده إلينا. وفي البيت طيٌّ ونشر لا يخفى.
- (٥) المهار: جمع مُهَرٍّ. كَتَبَ بِالْمِهَارِ عَنْ آيَاتِ الْقَصِيدَةِ الْأَرْبَعِينَ، وجعل ميدانها الإنشاد لأنها تُعَرَّفُ به، كما يُعَرَّفُ الْمُهَرُّ فِي الْمِيدَانِ.
- (٦) نماها: من نماء النسب، ذكره جرياً على عادة العرب في حفظ أنساب الخيل. والارتباط هنا: الحفظ. يقول: احتفظ بها، فإن القلب الذي نشأت منه، واتصلت نسبتها به تسبق جياده جياد غيره، أي ينظم من الشعر ما يفضل شعر سواه.

- هل لِعُذْرِي إِلَى الْهُمَامِ أَبِي الْفَضْلِ  
أَنَا مِنْ شِدَّةِ الْحِيَاءِ عَلِيلٌ  
مَا كَفَّانِي تَقْصِيرُ مَا قُلْتُ فِيهِ  
مَا تَعَوَّدْتُ أَنْ أَرَى كَأَبِي الْفَضْلِ  
غَمَرْتَنِي فَوَائِدُ شَاءَ مِنْهَا  
مَا سَمِعْنَا بِمَنْ أَحَبَّ الْعَطَايَا  
لِ قُبُولِ سَوَادٍ عَيْنِي مِدَادُهُ<sup>(١)</sup>  
مَكْرُمَاتِ الْمُعَلِّسَةِ عَوَّادُهُ<sup>(٢)</sup>  
عَنْ غُلَّاهُ حَتَّى ثَنَاهُ انْتِقَادُهُ<sup>(٣)</sup>  
لِ، وَهَذَا الَّذِي أَتَاهُ اغْتِيَادُهُ<sup>(٤)</sup>  
أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ مِمَّا أُفَادُهُ<sup>(٥)</sup>  
فَاشْتَهَى أَنْ يَكُونَ مِنْهَا فُؤَادُهُ<sup>(٦)</sup>  
وقد كان مدحه بقصيدته التي أولها<sup>(٧)</sup>:

- (١) الهمام: السيد، الشجاع، السخي. والمداد: الحبر. يشير إلى تقد ابن العميد لقصيدته الرائية، ويعتذر مما فرط له فيها من مواضع النظر. وقوله: سواد عيني مداده: من باب الدعاء، أي جعل الله سواد عيني مداداً له، وفي هذا إشارة إلى أن ابن العميد كان من أهل الأدب، المشتغلين بالكتابة والتصنيف.
- (٢) العَوَّادُ: جمع عائد، وهو الزائر في المرض. يقول: أنا من شدة حيائي من انتقاده شعري كالعليل، وهذا الذي أعلني تأتيني كل يوم كأنها تعودني من ذلك الاعتلال.
- (٣) يذكر سبب حياته منه فيقول: ما كفاني تقصير شعري عن مبلغ غللاه، حتى شفعه بانتقاده والتنبه على ما فيه من العيوب.
- (٤) يقول: لم أتعود أن أمدح مثله، فإن قصرت عن كنه وصفه كنت معذوراً، والذي ورد عليه من كلامي شيء معتاد عنده، لأنه لا يزال يُمدح، فهو أعلم الناس بالشعر. قال الواحدي (ت ٤٦٨ هـ / ١٠٧٦ م): وهذا يدل على تحرز أبي الطيب منه، وتواضعه له، ولم يتواضع لأحد في شعره تواضعه لابن العميد.
- (٥) في الديوان: «شاءَ فيها».
- يشير إلى ما انتقده عليه في شعره، فيقول: إنه أرشده بذلك إلى صواب القول، فكان الكلام من جملة الفوائد التي نالها عنده.
- (٦) يقول: لم نسمع قبله بأحد أحب الإعطاء، فتمنى أن يكون قلبه في جملة عطاياهم. والمراد: أن ما أفاده من العلم صادر من قلبه، فكأنه قد أعطاه قلبه، والقلب هنا بمعنى العقل.
- (٧) المتنبي، الديوان: ٣٤٤/٢ - ٣٥١. وقد ذكر الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢ هـ / ١١٠٩ م) أن المتنبي لما قصد مصر، ومدح كافوراً، مدح الوزير أبا الفضل المذكور بقصيدته التي أولها «بادِ هواك»، وجعلها موسومة باسمه، فكانت إحدى قوافيها «جعفراً»، وكان قد قال فيها:
- صُعُتُ السَّوَارِ لَكَيْ كَفَّ بِشَرِّتِ  
بِابْنِ الْفُرَاتِ وَأَيَّ عَبْدٍ كَبَّرَا  
فلما لم يرضه، صرفها عنه، ولم ينشده إياها، فلما توجه إلى عضد الدولة، قصد أرجان، وبها =



بَادِ هَوَاكَ صَبَرْتَ أَمْ لَمْ تَصْبِرَا      وَبُكَكَ إِنْ لَمْ يَجْرِ دَمْعُكَ أَوْ جَرَى  
وفيها معانٍ مخترعة، وأبيات مبتدعة، يقول فيها:

مَنْ مَبْلُغُ الْأَعْرَابِ أَنْتَ بَعْدَهَا      جَالَسْتُ رَسْطَالِيْسَ وَالْإِسْكَندَرَا<sup>(١)</sup>  
وَمَلَلْتُ نَحْرَ عِشَارَهَا فَأُضَافَنِي      مَنْ يَنْحَرُ الْبِدْرَ النَّضَارَ لِمَنْ قَرَى<sup>(٢)</sup>  
وَسَمِعْتُ بَطْلِيمُوسَ دَارَسَ كُتُبِهِ      مُتَمَلِّكًا مُتَبَدِّيًا مُتَحَضِّرًا<sup>(٣)</sup>  
وَرَأَيْتُ كُلَّ الْفَاضِلِينَ كَأَنَّمَا      رَدَّ الْإِلَهِ نَفْسَهُمْ وَالْأَعْصَرَا<sup>(٤)</sup>  
نُيْقُوا لَنَا نَسَقَ الْحِسَابِ مُقَدِّمًا      وَأَنْتَى فَذَلِكَ إِذْ أَتَيْتَ مُؤَخَّرًا<sup>(٥)</sup>  
وفيها يقول:

فَدَعَاكَ حُسْدُكَ الرَّئِيسَ وَأَسْكُوا      وَدَعَاكَ خَالِقُكَ الرَّئِيسَ الْأَكْبَرَا  
خَلَقْتَ صِفَاتِكَ فِي الْعَيُونِ كَلَامَهُ      كَالخَطِّ يَمَلَأُ مِسْمَعِي مَنْ أَبْصَرَا<sup>(٦)</sup>  
أخذه من قول الطائي يصف قصائده<sup>(٧)</sup>:

يُقَرِّبُ يَرَاهَا مَنْ يَرَاهَا بِسَمْعِهِ      وَيَذُنُّوْا إِلَيْهَا ذُو الْحِجَا وَهُوَ شَاسِعُ<sup>(٨)</sup>

- = ابن العميد، فحوّل القصيدة إليه، وحذف منها لفظ جعفر، وجعل ابن العميد مكان ابن الفرات.  
(١) يريد: أن ابن العميد قد جمع بين حكمة أرسطاليس وسعة ملك الإسكندر.  
(٢) العِشَار: النياق الوالدات، جمع عشراء. والبِدْر: جمع بَدْرَة، وهي كيس فيه سبعة آلاف دينار.  
والنضار: الذهب. وقرى: أضاف. يقول: مللت في صحبة الأعراب نحر الإبل، فأضافني من  
يجعل قرأه بَدْرَ الذهب.  
(٣) بطليموس (الإسكندري): رياضي، جغرافي، وفلكي يوناني من أهل القرن الثاني للميلاد. نشأ  
وعاش في الإسكندرية، وأشهر مؤلفاته «المجسطي» وهو موسوعة فلكية رياضية، تقع في ثلاثة  
عشر كتاباً. (منير بعلبكي، موسوعة المورد: ٩٥/٨؛ الشهرستاني، الملل والنحل: ١٤١/٢).  
والمتبدي: الذي تخلق بأخلاق أهل البادية.  
(٤) يقول: لقيت بلقاته كل فاضل من الأولين، لأنه قد جمع فضلهم، فكأنني معاصر لهم، وكأن الله  
قد أحياهم وردّ عصورهم.  
(٥) نسقوا: سردوا.  
(٦) المسمع: الأذن.  
(٧) أبو تمام، الديوان: ٤٨٥/٢. وفيه: «يُغَرُّ يراها».  
(٨) الشاسع: البعيد.

## [فقر في وصف الكتب]

كتاب كَتَبَ لي أماناً من الدَّهر، وهتائي في أيام العمر. كتاب أوجب من الاعتداد فوق الأعداد، وأودع بياض الوداد سواد الفؤاد. كتاب النظر فيه نعيم مقيم، والظفر به فتح عظيم. كتاب ارتحت لعيانه، واهتزت لعنوانه. كتاب هو من الكتب الميامين<sup>(١)</sup>، التي تأتي من قبل اليمين. كتاب عددته من حُجُول العُمُر وغرره<sup>(٢)</sup>، واعتدته من فُرُص العيش وغرره<sup>(٣)</sup>. كتاب هو أنفُس طالع، وأكرم متطلع، وأحسن واقع، وأجل متوقع. كتاب لو قرئ على الحجارة لانفجرت، أو على الكواكب لانتشرت. كتاب كِدْتُ أبليه طياً ونشراً، وقبَلْتُه ألفاً، ويَدَ حامله عشراً. كتاب نسيْتُ لحسنه الرُّوض والزهر، وغفرتُ للزمان ما تقدّم من ذنبه وما تأخر. كتاب أَمَلْتُهُ هِزَةَ المجد على بنانك، ونَطَقَ به لسانُ الفضل عن لسانك. أنا أَلْتَقَطُ من كُلِّ حَرْفٍ تَدِيرُهُ أَنَامِلُكَ تُحَفَّةً، وَأَخْذُ من كُلِّ سَطْرِ تَجَسَّمُ تَخْطِيطُهُ نُزْهَةً. إذا قرأت من خطك حَرْفاً، وجدتُ على قلبي خِفاً<sup>(٤)</sup>، وإذا تأملت من كلامك لفظاً، ازددتُ من أنبي حَظاً. كتاب كَتَبَ لي أماناً من الزمان، وتوقيع وقع مِنِّي مَوَاقِعَ الماء من العطشان. كتاب هو تَعَلَّةُ المسافر<sup>(٥)</sup>، وأنسَةُ المستوحش، وزبد الوصال، وعُقْلَةُ المُستوفز<sup>(٦)</sup>. كتاب هو رُقية القلب السليم<sup>(٧)</sup>، وغرة العيش البهيم<sup>(٨)</sup>. كتاب هو سَمَرٌ بلا سَهَر، وصَفْوٌ بلا كَدَر. كتاب تمتعت منه بالنعيم الأبيض، والعيش الأخضر، واستلمته استلام الحجر الأسود<sup>(٩)</sup>، ووكلتُ طرفي من سُطُورِهِ بَوْشِي مُهَلَّل، وتاج مُكَلَّل، وأودَعْتُ سمعي من محاسنه ما أنساني سماع الأغاني من مطربات الغواني<sup>(١٠)</sup>. نشأت سَحَابَةً من لفظك، غِيَمَتَهَا نِعْمَةٌ سَابِغَةٌ، وَغِيَتَهَا

- (١) الميامين: جمع ميمون، وهو ذو اليمن (البركة)، المُبارَك.
- (٢) الحُجُول: جمع حُجُل، وهو بياض في القوائم، والحُجُلُ: الخلل، والقيد. والغُرُزُ: جمع غُرَّة، وهو بياض في الجبهة.
- (٣) الغُرُزُ: جمع غُرَّة (بكسر الغين): النزق، وغالباً ما يكون في سنّ الشباب.
- (٤) الخف والخفة: الارتياح.
- (٥) تعلقة المسافر: ما يتلوه به لقطع الوقت.
- (٦) المستوفز: المُتَهَيِّء للوثوب.
- (٧) الرُّقِيَّةُ: العَوْدَةُ التي يُرَقَّى بها المريض ونحوه. والسليم: المملوغ، يسمى كذلك تيمناً بالشفاء.
- (٨) البهيم: المظلم.
- (٩) يريد: أنه استلمه تيمناً، كما يتقرب الحاج إلى الله باستلام الحجر الأسود.
- (١٠) الغواني: جمع غانية، وهي المرأة التي استغنت بجمالها عن الزينة، وقيل: هي التي استغنت =

حِكْمَةً بِالْعَمَّةِ، سَقَتْ رَوْضَةَ الْقَلْبِ، وَقَدْ جَهْدَتْهَا يَدُ الْجَدْبِ<sup>(١)</sup>؛ فَاهْتَرَتْ وَرَبَّتْ، وَاكْتَسَتْ مَا اكْتَسَبَتْ. كِتَابٌ حَسِبْتَهُ سَاقِطاً إِلَيَّ مِنَ السَّمَاءِ، اهْتَزَّازاً لِمَطْلَعِهِ، وَابْتِهَاجاً بِحُسْنِ مَوْقِعِهِ، تَنَاوَلْتُهُ كَمَا يُتَنَاوَلُ الْكِتَابُ الْمَرْقُومُ، وَفَضَضْتُهُ كَمَا يُفَضِّضُ الرَّحِيقُ الْمَخْتُومُ<sup>(٢)</sup>. كِتَابٌ كَالْمَشْتَرِيِّ شَرُفَ بِهِ الْمَسِيرَ، وَقَمِيصُ يَوْسُفَ جَاءَ بِهِ الْبَشِيرَ. كِتَابٌ هُوَ مِنَ الْحَسَنِ، رَوْضَةٌ حَزْنٌ، بَلْ جَنَّةٌ عَذْنٌ، وَفِي شَرْحِ النَّفْسِ وَبَسْطِ الْأَنْسِ بَرْدُ الْأَكْبَادِ وَالْقُلُوبِ، وَقَمِيصُ يَوْسُفَ فِي أَجْفَانِ يَعْقُوبَ. قَدْ أَهْدَيْتُ إِلَيَّ مُحَاسِنَ الدُّنْيَا مَجْمُوعَةً فِي وَرْقِهِ، وَبَاهِجَ الْحُلَى وَالْحُلَلِ مَحْصُورَةً فِي طَبَقِهِ. كِتَابٌ أَلْصَقْتُهُ بِالْقَلْبِ وَالْكَبِدِ، وَشَمَمْتُهُ شَمَّ الْوَلَدِ. وَرَدَّ مِنْكَ الْمِنْكُ ذَكِيًّا، وَالزُّهْرُ جَنِيًّا، وَالْمَاءُ مَرِيًّا<sup>(٣)</sup>، وَالْعَيْشُ هَنِيًّا، وَالسَّحَرُ بَابِلِيًّا<sup>(٤)</sup> كِتَابٌ مَطْلَعُهُ أَهْلَةٌ الْأَعْيَادِ، وَمَوْقِعُهُ مَوْقِعُ نَيْلِ الْمَرَادِ. كِتَابٌ وَجَدْتَهُ قَصِيرَ الْعُمَرِ، كَلِيلِي الْوَصَالِ بَعْدَ الْهَجْرِ، لَمْ أَبْدَأْ بِهِ حَتَّى اسْتَكْمَلَ، وَقَارَبَ الْآخِرَ مِنْهُ الْأَوَّلَ. كِتَابٌ مَتَقَضَّ الْأَطْرَافَ، مَنَقَطَعَ الْأَكْتَافَ، أَبْتَرَخَ الْجَوَارِحَ، مَضْطَرَبَ الْجَوَانِحَ، كِتَابٌ كَأَنَّهُ تَوْقِيعٌ مَتَحَرِّزٌ، أَوْ تَعْرِيزٌ مُبَرِّزٌ<sup>(٥)</sup>، كَادَ يَلْتَقِي طَرَفَاهُ، وَيَتَقَارِبُ مُفْتَحُهُ وَمُنْتَهَاهُ. كِتَابٌ التَّقَتْ طَرْفَاهُ صِغَرًا، وَاجْتَمَعَتْ حَاشِيَتَاهُ قِصَرًا. مَا أَطْنَنِي ابْتِدَآئُهُ حَتَّى خَتَمْتُهُ، وَلَا اسْتَفْتَحْتُهُ حَتَّى أَتَمَمْتُهُ، وَلَا لَمَحْتُهُ حَتَّى اسْتَوْفَيْتُهُ، وَلَا نَشَرْتُهُ حَتَّى طَوَيْتُهُ، وَأَحْسَبُنِي لَوْ لَمْ أَجُودَ ضَبْطَهُ، وَلَمْ أُلْزَمْ يَدِي حِفْظَهُ، لَطَارَ حَتَّى يَخْتَلِطَ بِالْجَوِ، فَلَا أَرَى مِنْهُ إِلَّا هَبَاءً مَثُورًا، وَهَوَاءً مَنْشُورًا. كِتَابٌ حَسِبْتُهُ يَطِيرُ مِنْ يَدِي لِخِفَّتِهِ، وَيَلْطَفُ عَنِّي لِحَسَنِ لِقَلَّتِهِ، وَعَجِبْتُ كَيْفَ لَمْ تَحْمِلْهُ الرِّيحُ قَبْلَ وَصُولِهِ إِلَيَّ، وَكَيْفَ لَمْ يَخْتَلِطَ بِالْهَوَاءِ عِنْدَ وَصُولِهِ لَدَيَّ. كِتَابٌ قَصَّ الْاِقْتِصَادَ أَجْنَحْتُهُ، فَلَمْ يَدْعَ لَهُ قَوَادِمَ وَلَا خَوَافِي، وَأَخَذَ الْاِخْتِصَارَ جَنَّتُهُ، فَلَمْ يَبْقَ أَفَافًا وَلَا مَعَانِي. طَلَعَ كِتَابُكَ كَأَيْمَانٍ بِطَرْفٍ، أَوْ وَحْيٍ بِكَفٍّ.

= بَيْتُ أَبِيهَا عَنِ الْأَزْوَاجِ، وَالْمَرَادُ هُنَا: الْقِيَانُ: الْمَغْنِيَاتُ.

(١) أَجْهَدْتُهَا: أَشَقَقْتُهَا، أَتَعَبْتُهَا. الْجَدْبُ: الْقَحْلُ، الْقَحْطُ، الْمَحْلُ.

(٢) الرَّحِيقُ الْمَخْتُومُ: الْخَمْرُ الْمَعْتَقَةُ الَّتِي لَمْ تُفَضَّ عَنْ دَنَانِهَا الْاِخْتِمَامِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يُسْتَقُونَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾ (سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ، آيَةُ ٢٦).

(٣) الْمَرِيءُ: الْهَنِيءُ.

(٤) بَابِلُ: مَدِينَةُ يَنْسَبُ إِلَيْهَا السَّحَرُ، وَقَدْ وَرَدَ ذِكْرُهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكِينَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ (سُورَةُ الْبَقَرَةِ، آيَةُ ١٠٢).

(٥) الْمُتَبَرِّزُ: الْمُتَعَفِّفُ، وَرَجُلٌ بَرَزَ، وَامْرَأَةٌ بَرَزَتْ: عَفِيفَةٌ.

وقال أبو العباس عبد الله بن المعتز: استعرت من علي بن يحيى المنجم<sup>(١)</sup> جُزْءاً فيه أخبار مَعْبُد بخط حماد بن إسحاق الموصلي، وكان وعدني به، فبعث إليّ بستَ ورقاتٍ لَطَافٍ، فرددتها وكتبت إليه: «إِنْ كُنْتَ أَرَدْتَ بِقَوْلِكَ جُزْءَ الجزء الذي لا يتجزأ فقد أصبت، وإن كنت أَرَدْتَ جُزْءاً فيه فائدةٌ للقارىء، ومُتَعَةٌ للسامع، فقد أَحَلَّتْ<sup>(٢)</sup>؟» وقد رَدَّدْتُه عليك بعد أن طار اللَّحْظُ عَلَيْهِ طيرةً.

فأجابني: إذا كان السَّفَرُ عِنْدَكَ مَنَاجاةً فما أَصْنَعُ<sup>(٣)</sup>؟

### [المحادثة والمجالسة]

وقال أبو العباس: دخل رجلٌ على الحسن بن سَهْلٍ بعد أن تأخر عنه أياماً، فقال: ما يَنْقُضِي يومٌ من عمري لا أراك فيه إلا علمت أنه مبتورُ القدرِ، منحوسُ الحظِّ، مَغْبُونُ الأيامِ. فقال الحسن: هذا لِأَنَّكَ توصل إليّ بحضورك سُوروراً لا أَجُدُهُ عند غيرك، وَأَتَسَّسَمُ من أرواح عَشْرَتِكَ ما تجدُ الحواسِّ به يُغَيِّتُهَا، وتستوفي منه لَدَّتْهَا، فنفْسُكَ تألف مني مثل ما آلفَ منك.

وكان يقال: محادثة الرِّجال تَلْفِيحُ الألباب<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن الرومي<sup>(٥)</sup>:

وَلَقَدْ سَمِعْتُ مَآرِبِي      فَكَأَنَّ أَطْيَهَ سَاخِيَةً  
إِلَّا الْحَدِيثَ؛ فَإِنَّهُ      مِثْلُ اسْمِهِ أَبَدًا حَدِيثٌ

قال مخارق: لقيني أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم قبل نسكه، فقال: أنا والله صَبْتُ بك، ولُوعَ إليك، مغمورُ القلب بشكرك، واللسان بِذِكْرِكَ، منشَوِّفٌ إلى رؤيتك

(١) هو أبو الحسن، علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم: راوية للأشعار والأخبار، حاذق في صناعة الغناء. نادم المتوكل، واختص بمن بعده من الخلفاء أيام المعتمد. توفي بـ «سُرٍّ من رأى» سنة ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م، ودفن بها. من آثاره: «كتاب البطيخ»، و«أخبار إسحاق بن إبراهيم»، وغيرها. (عمر كحالة، معجم المؤلفين: ٣٦١ / ٧).

(٢) أَحَلَّتْ: تكلمت بالمحال.

(٣) المنجاة: ما يُطَهَّرُ به من ورق ونحوه.

(٤) التلقيح: ما تلقح به الشجرة لثمر، أو ليجود ثمرها.

(٥) ابن الرومي، الديوان: ٤٦٥ / ١. وفيه: «فَكَأَنَّ طَيِّبَهَا».

ومفاوضتك، وقد طالت الأيام على ما أعدُّ به نفسي من الاجتماع معك، ومن قضاء الوطر منك؛ فما عندك؟ أنا الفداء لك! وتزورني أم أزورك؟

قلت: جعلني الله فداك! ما يكونُ عند مَنْ هو منك بهذا الموضع وفي هذا المحلِّ إلا الانقياد إلى أمرك، والسمع والطاعة لك، ولولا أن أسيء الأدب في أمرٍ بدأت فيه بالفضل لقلت: إن كثير ما ابتدأت به من القول يقلُّ فيما عندي من الشوق إليك، والشغف بك، دون ما حرَّك هذا القولُ مني، فوجبتُ لك به المنة عليّ، وأنا بين يديك، فأثّر عَنائي إلى ما أرَدت، وقُدّني كيف شئت، تجدني كما قال القائل:

ما تَشْتَهيه فإِنِّي اليَوْمَ فاعِلُهُ      وَالْقَلْبُ صَبٌّ فما جَسَمَتْهُ جَسَمًا  
وذكر سهل بن هارون رجلاً، فقال: لم أر أحسن منه فهماً لجليل، ولا تفهماً لدقيق.  
أشار إليه أو تمام فقال<sup>(١)</sup>:

وَكُنْتُ أَعَزَّ عِزًّا مِنْ قَنُوعٍ      تَعَرَّضَهُ صَفُوحٌ مِنْ مَلُولٍ<sup>(٢)</sup>  
فَصِرْتُ أَذْلَ مِنْ مَعْنَى دَقِيقٍ      بِهِ فَقَرُّ إِلَى ذَهَبٍ جَلِيلٍ

### بين المأمون وسعيد بن مسلم

وقال سعيد بن مسلم للمأمون: لو لم أشكر الله تعالى إلا على حُسن ما أبلاني من أمير المؤمنين من قصده إليّ بحديثه، وإشارته إليّ بطرفه؛ لقد كان في ذلك أعظم الرفعة، وأرفع ما توجبه الحرمة. فقال: يفعل أمير المؤمنين ذلك؛ لأن أمير المؤمنين يجدُّ عندك من حُسن الإفهام إذا حدثت وحسن الفهم إذا حدثت ما لا يجده عند أحدٍ ممن مضى، ولا يظنُّ أنه يجده عند أحدٍ ممن بقي، فإنك لتستقصي حديثي، وتقفُ عند مقاطع كلامي، وتُخبرُ بما كنتُ أغفلته منه.

### المتوكل وأبو العيناء

وقال المتوكل لأبي العيناء<sup>(٣)</sup>: ما تحسن؟ قال: أفهم وأفهم.

- (١) أبو تمام، الديوان: ٢٥٥/٢. والبيتان من قصيدة يهجو بها عياش بن لهيعة.
- (٢) القنوع: الراضي بما قسم له. عَوْضُهُ: أعطاه عوضاً، أي بدلاً. الصفوح: الكريم، والكثير الصفح. وفي الديوان: «صَفُوحٌ عَنْ مَلُولٍ».
- (٣) هو أبو العيناء، محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان الهاشمي بالولاء، مولى أبي جعفر المنصور. ولد بالأهواز، ونشأ بالبصرة، وكان فصيحاً ظريفاً لينا. فقد بصره بعد الأربعين، وتوفي سنة ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م. (ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٣٤٣/٤).

### بين حكيم وتلميذه

وقال بعض الحكماء لتلميذه، وقد ضَرَبَ الموسيقى: أفهمت؟ قال: نعم، قال: بل لم تفهم؛ لأنني لا أرى عليك سرورَ الفهم! وقد قيل: مَنْ نظر إلى الربيع وأنواره، والروض وأصباغه، ولم يتهيج كان عديمَ حِسٍّ، أو سقيمَ نَفْسٍ.

### أبو تمام يصف جارية تغني بالفارسية

ومر أبو تمام بإبرشهر من أرض فارس، فسمع جارية تغني بالفارسية، فشاقه شجي الصوت، فقال<sup>(١)</sup>:

وَمُسْمِعَةٍ تَرُوقُ السَّمْعَ حُسْنًا      وَلَمْ تُصْمِمَهُ، لَا يَصْمُمُ صَدَاهَا!  
لَوْثُ أَوْتَارِهَا فَشَجَّتْ وَشَاقَتْ      فَلَوْ يَسْطِيعُ حَاسِدُهَا قَدَاهَا  
وَلَمْ أَفْهَمْ مَعَانِيهَا، وَلَكِنْ      وَرَثَ كِبْدِي فَلَمْ أَجْهَلْ شَدَاهَا  
فَكُنْتُ كَأَنْنِي أَعْمَى مُعْتَى      يُحِبُّ الْغَانِيَاتِ وَلَا يَرَاهَا

### أبو تمام يذكر أنه أخذ المعنى من بشار

قال أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر: قلت لأبي تمام: أخذت هذا المعنى من أحد؟ قال: نعم، أخذته من قول بشار بن برد<sup>(٢)</sup>:

يَا قَوْمِ أَذْنِي لِبَعْضِ الْحَيِّ عَاشِقَةٌ      وَالْأَذُنُ تَعْشَقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أحيانَا  
قَالُوا: بِمَنْ لَا تَرَى تَهْذِي؟ فَقُلْتُ لَهُمْ:      الْأَذُنُ كَالْعَيْنِ تُوفِي الْقَلْبَ مَا كَانَا  
وقال بشار أيضاً في هذا المعنى<sup>(٣)</sup>:

قَالَتْ عَقِيلُ بْنُ كَعْبٍ إِذْ تَعَلَّقَهَا      قَلْبِي فَأَضْحَى بِهِ مِنْ حُبِّهَا أَثَرُ<sup>(٤)</sup>  
أَنْنَى وَلَمْ تَرَهَا تَهْذِي! فَقُلْتُ لَهُمْ:      إِنَّ الْفؤَادَ يَرَى مَا لَا يَرَى الْبَصَرُ<sup>(٥)</sup>

(١) أبو تمام، الديوان: ٤٦٣/٢.

(٢) بشار بن برد، الديوان: ١٨٣/٤.

(٣) المصدر نفسه: ٢١٤/٣.

(٤) عَقِيلُ بْنُ كَعْبٍ: موالي الشاعر. تَعَلَّقَهَا: أَحَبَّهَا.

(٥) في الديوان: «أَنْنَى وَلَمْ تَرَهَا تَصْبُو»، وصبا إليها: مال.

وقال<sup>(١)</sup>:

يُزَهِّدْنِي فِي حُبِّ عَبْدَةٍ مَعَشَرٍ      قُلُوبُهُمْ فِيهَا مُخَالَفَةٌ قَلْبِي<sup>(٢)</sup>  
فَقُلْتُ: دَعُوا قَلْبِي وَمَا اخْتَارَ وَارْتَضَى      فَبِالْقَلْبِ لَا بِالْعَيْنِ يُبْصِرُ ذُو اللَّبِّ<sup>(٣)</sup>  
وَمَا تُبْصِرُ الْعَيْنَانِ فِي مَوْضِعِ الْهَوَى      وَلَا تَسْمَعُ الْأَذْنَانِ إِلَّا مِنَ الْقَلْبِ

### أشباه لمعنى بشار

وقد قال أبو يعقوب الخُرَيْمِيُّ<sup>(٤)</sup> في هذا المعنى، وكان قد أعورَ ثم عُمِيَ، وقيل: إنها للخليل بن أحمد<sup>(٥)</sup>:

قَالَتْ أَتَهْزَأُ بِي غَدَاةَ لَقَيْتُهَا      يَا لِلرَّجَالِ لِبَصْوَةِ الْعُمَيَّانِ  
فَأَجَبْتُهَا: نَفْسِي فِدَاؤُكَ إِنَّمَا      أَذْنِي وَعَيْنِي فِي الْهَوَى سَيَّانِ

وقريب من هذا قول الحكم بن قتيبة وإن لم يكن منه:

إِنْ كُنْتُ لَسْتُ مَعِيَ فَالذِّكْرُ مِنْكَ مَعِيَ      يَرُءَاكَ قَلْبِي وَإِنْ غُيِّبَتْ عَنْ بَصَرِي  
الْعَيْنُ تُبْصِرُ مَنْ تَهْوَى وَتَفْقَدُهُ      وَنَظِيرُ الْقَلْبِ لَا يَخْلُو مِنْ النِّظَرِ

وقال آخر:

أَمَّا وَالَّذِي لَوْ شَاءَ لَمْ يَخْلُقِ الْهَوَى      لَنْ غَبَتْ عَنْ عَيْنِي فَمَا غَبَتْ عَنْ قَلْبِي  
تُرِينِيكَ عَيْنُ الْوَهْمِ حَتَّى كَأَنَّي      أَنَا جِيكَ مِنْ قُرْبٍ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ قُرْبِي

(١) بشار بن برد، الديوان: ١٩/٤؛ (الأصفهاني، الأغاني: ٦٧/٣).

(٢) المعشر: الجماعة، متخالطين كانوا أو غير ذلك، وقيل: كل جماعة أمرهم واحد.

(٣) ذو اللب: ذو العقل، ويروى: «ذو الحب».

(٤) هو أبو يعقوب، إسحاق بن حسان بن قوهي، المعروف بالخريمي: شاعر مجيد، أصله من خراسان، ونزل بغداد، وكان متصلاً بخريم بن عامر المري وآله، فُنُسِبَ إليه، وقيل: كان اتصاله بعثمان بن خريم. وقال أبو حاتم السجستاني: الخريمي أشعر المولدين. (الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٣٢٦/٦).

(٥) هو أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تيم الفراهيدي، الأزدي، اليعمدي، البصري: نحوي، لغوي، وأول من استخراج علم العروض، وحصَّن به أشعار العرب. توفي بالبصرة سنة ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م. (عمر كحالة، معجم المؤلفين: ١١٢/٤).

وقال أبو عثمان سعيد بن الحسن النّاجم:

لَئِنْ كَانَ عَنْ عَيْنِي أَحْمَدُ غَائِباً      فَمَا هُوَ عَنْ عَيْنِ الضَّمِيرِ بِغَائِبٍ  
لَهُ صُورَةٌ فِي الْقَلْبِ لَمْ يُقْصِبْهَا النُّوَى      وَلَمْ تَخْطَفْهَا أَكْفُ النُّوَابِ  
إِذَا سَاءَ كَيْ مِنْهُ شُحُوطُ مَزَارِهِ      وَضَاقَتْ بِقَلْبِي فِي نَوَاهِ مَذَاهِبِي<sup>(١)</sup>  
عَظِفْتُ عَلَى شَخْصٍ لَهُ غَيْرُ نَازِحٍ      مَحَلَّتُهُ بَيْنَ الْحَشَا وَالتَّرَائِبِ<sup>(٢)</sup>

### كيسان مستملي أبي عبيدة

وذكر أبو عبيدة كيسان مُستمليه في بعض الأمر، فقال: مَا فَهِمَ، وَلَوْ فَهِمَ لَوَهِمَ<sup>(٣)</sup>.  
وكان كيسان يوصف بالبلادة والغفلة.

قال الجاحظ: كَانَ يَكْتُبُ غَيْرَ مَا يَسْمَعُ، وَيَسْتَقْنِي غَيْرَ مَا يَكْتُبُ، وَيَقْرَأُ غَيْرَ مَا  
يَسْتَقْنِي<sup>(٤)</sup>، وَيُمْلِي غَيْرَ مَا يَقْرَأُ، أَمْلَيْتَ عَلَيْهِ يَوْمًا:

عَجِبْتُ لِمَعْشَرٍ عَدَلُوا      بِمُعْتَمِرٍ أَبَا عُمَرَ

فكتب أبا بشر، وقرأ أبا حفص، واستقنى أبا زيد.

قال أبو عباد: للمحدث على جليسه، السامع لحديثه، أَنْ يَجْمَعَ لَهُ بِأَلِهِ، وَيُضْغِي إِلَى  
حديثه، وَيَكْتُمُ عَلَيْهِ سِرَّهُ، وَيَسْطُ لَهُ عِذْرَهُ.

### ما يجب للمحدث على جليسه

وقال: ينبغي للمحدث إذا أنكر عَيْنَ السامع أَنْ يَسْتَفْهِمَهُ عَنْ مَعْنَى حديثه، فَإِنْ وَجده  
قد أَخْلَصَ لَهُ الاستماع أتم له الحديث، وَإِنْ كَانَ لاهياً عنه حرمة حُسْنِ الإقبال عليه، وَنَفَعَ  
المؤانسة له، وعرفه بسوء الاستماع والتقصير في حق المحدث.

وقال: نَشَاطُ المحدث عَلَى قَدْرِ فَهْمِ المستمع.

(١) الشُّحُوطُ: البُعْدُ.

(٢) النّازح: البعيد. التّرائب: موضع القلادة من الصدر.

(٣) وهم: غلط، أخطأ.

(٤) استقنى: سَوَّدَ.



وكان عبد الله بن مسعود<sup>(١)</sup> - رضي الله عنه! - يقول: حَدَّثَ النَّاسَ مَا حَدَّثُوكَ بِأَسْمَاعِهِمْ<sup>(٢)</sup>، ولحظوك بأبصارهم، فإذا رأيت منهم فُتُوراً فأمسك.

وقال أبو الفتح البُستي:

إِذَا أَحْسَسْتَ فِي لَفْظِي فُتُوراً      وَحِفْظِي وَابْلَاغِي وَالْبَيَانِ  
فَلَا تَرْتَبْ بِفَهْمِي إِنَّ رَفْصِي      عَلَى مِقْدَارِ إِيقَاعِ الزَّمَانِ

وقال عامر بن عبد قيس: الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب. وإذا خرجت من اللسان لم تُجاوز الأذان.

وقال الحسن - وقد سمع متكلماً يعِظُ فلم تَقَعْ مَوْعِظَتُهُ مِنْ قَلْبِهِ ولم يرق لها -: يا هذا؛ إن بقلبك لشراً، أو بقلبي!

### تكرار الحديث

وقال محمد بن صبيح المعروف بابن السمَّك<sup>(٣)</sup> لجاريته: كيف ترين ما أَعْظُ النَّاسَ بِهِ؟ قالت: هو حَسَنٌ، إِلَّا أَنَّكَ تَكْرَرُهُ، قال: إِنَّمَا أَكْرَرُهُ لِيَفْهَمَهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ فَهَمَهُ، قالت: إِلَى أَنْ يَفْهَمَهُ الْبَطِيُّ يَثْقُلَ عَلَى سَمْعِ الذَّكِيِّ.

واستُعِيدَ ابْنُ عَبَّاسٍ حَدِيثاً فَقَالَ: لَوْلَا أَنِّي أَخَافُ أَنْ أَعْصِيَ مِنْ بَهَائِهِ، وَأُرِيقَ مِنْ مَائِهِ، وَأُخْلِقَ مِنْ جِدَّتِهِ، لَأَعَدْتَهُ.

وقال أبو تمام الطائي يصف قصائده<sup>(٤)</sup>:

مُنْزَهَةٌ عَنِ السَّرِقِ الْمُوَدِّي      مُكْرَمَةٌ عَنِ الْمَعْنَى الْمُعَادِ<sup>(٥)</sup>

(١) عبد الله بن مسعود: صحابي جليل، توفي سنة ٣٢ هـ / ٦٥٣ م، وقد وردت ترجمته في مكان سابق.

(٢) حدجوك بأسماعهم: وجهوها نحوك.

(٣) هو أبو العباس، محمد بن صبيح المذكر، مولى بني عجل، المعروف بابن السمَّك: كان زاهداً عابداً حسن الكلام. وهو كوفي، قدم بغداد زمن الرشيد فمكث بها مدة، ثم عاد إلى الكوفة وتوفي بها سنة ١٨٣ هـ / ٨٠٠ م. والسمَّك: نسبة إلى بيع السمك وصيده. (الحافظ الذهبي، العبر في خبر من عبر: ٢٨٧/١ ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٤/٣٠١).

(٤) أبو تمام، الديوان: ٢١٧/١. والبيت من قصيدة يمدح بها أبا عبد الله بن أحمد بن أبي دؤاد.

(٥) في الديوان: «عن السَّرِقِ الْمُورِي». والمورى: من وَرَى الشيء إذا ستره.

أخذه البحرى فقال<sup>(١)</sup>:

لا يُعْمِلُ اللَّفَّ ظُ الْمَكْ — سَرَّرَ فِيهِ وَالْفَظُّ الْمُرْدَّدُ  
والإطالة مملولة كما يُمَلُّ التكرير.

### الآداب

وقد قال الحسن بن سهل: الآداب عشرة؛ فثلاثة شهرجانية، وثلاثة أنوشروانية، وثلاثة عريية، وواحدة أزيث عليهن؛ فأما الشهرجانية فضربُ العود، ولعب الشطرنج، ولعب الصّوالج. وأما الأنوشروانية فالطب، والهندسة، والفروسية. وأما العربية فالشعر، والنسب، وأيام الناس. وأما الواحدة التي أزيث عليهن: فمقطعات الحديث، والسمر، وما يتلقاه الناس بينهم في المجالس.

### السمر ونتف الأحاديث

وكان يُقال: خُذْ من العلوم نتفها، ومن الآداب طرفها.

وكان يقال: مقطّعات الأدب، قُرَاضَاتُ الذهب.

وحضّر بشار بن بُرْدٍ مجلساً فقال: لا تجعلوا مَجْلِسَنَا غِناءَ كله، ولا شعراً كله، ولا سَمراً كله، ولكن انتهوه انْتِهَاباً.

وقال الحسن رحمه الله: حادّثوا هذه القلوبَ فإنها سريعةُ الذّور، واقْدَعُوا<sup>(٢)</sup> هذه الأنفسَ فإنها طُلعة<sup>(٣)</sup>؛ وإنكم إلّا تَزْعُوها<sup>(٤)</sup> تَتَرَعُّ بكم إلى شرّ غاية.

وقال أزدشير بن بابك: إن للأذهان كلالاً، وللقلوب ملالاً، ففرّقوا بين الحكمتين يكن ذلك استجماماً.

ويروى في حكمة آل داود: لا ينبغي للعاقل أن يُخْلِى نفسه من أربع: عُدّة لِمَعَادِهِ،

(١) البحرى، الديوان: ٢١٠/٢. ويروى فيه:

لا يُعْمِلُ الْقَوْلَ الْمَكْرَرَّ فِيهِ وَالرَّأْيَ الْمُرْدَّدَ

(٢) قَدَعَ الرجل وغيره: كَفَّ، وَأَقْدَعَهُ: كَفَّهُ وَمَنَعَهُ، وانقَدع فلان: كَفَّ وامتنع.

(٣) طلعة: كثيرة التطلع.

(٤) يَزْعُو: يَزْجُر.

وصلاحٌ لِمَعاشِهِ، وَفِكْرٌ يَقِفُ بِهِ عَلَى مَا يُصْلِحُهُ مِنْ فِسادِهِ، وَلَذَلِكَ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ يَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى الْحَالَاتِ الثَّلَاثِ.

وما أحسن ما قال أبو الفتح بن كُشَاجِم:

عَجَبِي مِمَّنْ تَنَاهَتْ حَالُهُ      وَكَفَّاهُ اللَّهُ ذِلَّاتِ الطَّلَبِ  
كَيْفَ لَا يَقْسِمُ شَطْرِي عُمْرِهِ      بَيْنَ حَالَيْنِ نَعِيمٍ وَأَدَبِ؟  
سَاعَةً يُمَتِّعُ فِيهَا نَفْسَهُ      مِنْ غِذَاءٍ وَشَرَابٍ مُتَخَبِ  
وَدُنُوٍّ مِنْ دُمَى هُنَّ لَهُ      حِينَ يَشْتَاقُ إِلَى اللَّعْبِ لُعْبِ<sup>(١)</sup>  
فَإِذَا مَا نَالَ مِنْ ذَا حَظِّهِ      فَحَدِيثٌ وَنَشِيدٌ وَكُتُبِ  
مَرَّةً جِدًّا، وَأُخْرَى رَاحَةً      فَإِذَا مَا غَسَقَ اللَّيْلُ انْتَصَبِ<sup>(٢)</sup>  
فَقَضَى السَّنِيئَةَ نَهَارًا حَقَّهَا      وَقَضَى لِلَّهِ لَيْلًا مَسَا وَجَسَبِ  
تِلْكَ أَقْسَامٌ مَتَى يَعْمَلُ بِهَا      دَهْرُهُ يَسْعَدُ وَيَرْشُدُ وَيُصِيبِ

### نظام كسرى في حياته

وقال أبو العباس محمد بن يزيد: قَسَمَ كَسْرَى أَيَّامَهُ فَقَالَ: يَصْلُحُ يَوْمُ الرِّيحِ لِلنُّومِ، وَيَوْمُ النِّعَمِ لِلصِّيدِ، وَيَوْمُ الْمَطَرِ لِلشُّرْبِ وَاللَّهْوِ، وَيَوْمُ الشَّمْسِ لِقَضَاءِ الْحَوَائِجِ.

### رسول الله ﷺ يجزئ نهاره على المصالح

قال الحسن بن خَالَوَيْهِ<sup>(٣)</sup>: مَا كَانَ أَغْرَفَهُمْ بِسِيَاسَةِ دُنْيَاهُمْ، يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ، وَلَكِنْ نَبَّيْنَا ﷺ قَدْ جَزَأَ نَهَارَهُ ثَلَاثَةً أَجْزَاءً: جُزْءٌ لِلَّهِ، وَجُزْءٌ لِأَهْلِهِ، وَجُزْءٌ لِنَفْسِهِ، ثُمَّ جُزْءٌ جَزَأَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ؛ فَكَانَ يَسْتَعِينُ بِالْخَاصَّةِ عَلَى

(١) الدُّمَى: جَمْعُ دُمَى، وَالْمُرَادُ هُنَا: النِّسْوَةُ الْجَمِيلَاتُ.

(٢) غَسَقَ اللَّيْلُ غَسَقًا وَغُسُوقًا وَغَسَقَانًا: أَظْلَمَ.

(٣) هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، الْحَسَنِ (وَلَيْسَ الْحَسَنُ كَمَا وَرَدَ فِي الْأَصْلِ) بِنْ أَحْمَدَ بْنَ خَالَوَيْهِ النَّحْوِي اللُّغَوِي. أَصْلُهُ مِنْ هَمْدَانَ، وَاسْتَوطنَ حَلَبَ، وَصَارَ بِهَا أَحَدَ أَفْرَادِ الدَّهْرِ فِي كُلِّ قِسْمٍ مِنْ أَقْسَامِ الْأَدَبِ، وَاخْتَصَّ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْحَمْدَانِي وَأَوْلَادِهِ. تَوَفَّى سَنَةَ ٣٧٠ هـ/ ٩٨١ م. مِنْ أَثَرِهِ: «كِتَابُ لَيْسَ»، وَ«الْأَلَّ»، وَ«الْقَرَاءَاتُ»، وَغَيْرُهَا. (ابْنُ خُلِّكَانَ، وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ: ١٧٨/٢؛ الثَّعَالِبِيُّ، يَتِيْمَةُ الدَّهْرِ: ١٣٦/١).

العامّة، وكان يقول: أبلغوني حاجةً من لا يستطيع إبلاغي؛ فإنه من أبلغ [ذا سلطان] حاجةً من لا يستطيع إبلاغها آمنه الله تعالى يوم الفرع الأكبر.

### [عود إلى الإطالة والإيجاز]

وقال شبيب بن شيبّة<sup>(١)</sup>: إن ابتليت بمقام لا بد لك فيه من الإطالة فقدّم إحكام البلوغ في طلب السلامة من الخطأ، قبل التقدّم من إحكام البلوغ في شرف التجويد؛ ثم إياك أن تعدّل بالسلامة شيئاً، فقليل كافٍ خيرٌ لك من كثير غير شاف.

وكان جعفر بن يحيى يقول لكتابه: إن استطعتم أن يكون كلامكم كلّ مثل التوقيع فافعلوا.

وقال ثمامة بن أشرس: لم أر قط أنطق من جعفر بن يحيى بن خالد، وكان صاحب

إيجاز.

### إياس بن معاوية يحتج للإطناب

وكان أبو وائلة إياس بن معاوية<sup>(٢)</sup> - على تقدّمه في البلاغة، وفُضِّل عقله وعلمه - بالإكثار معيّاً، وإلى التطويل منسوباً، وقال له عبد الله بن شبرمة: أنا وأنت لا تنفق، أنت لا تشتهي أن تسكت، وأنا لا أشتهي أن أسمع. وقيل له: ما فيك عيب إلا كثرة كلامك، قال: أفتسمعون صواباً أم خطأ؟ قالوا: بل صواباً، قال: فالزيادة في الخير خير.

### الجاحظ يرد عليه

قال الجاحظ: وليس كما قال، بل للكلام غاية، ولنشاط السامعين نهاية، وما فُضِّل عن مقدار الاحتمال، ودعا إلى الاستئصال والكلال؛ فذلك هو الفضال<sup>(٣)</sup> والهدر والخطأ والإسهاب الذي سمعت الخطباء يعيونه.

(١) شبيب بن شيبّة: أحد الفصحاء والدهاة. توفي سنة ١٧٠ هـ / ٧٨٧ م، وقد وردت ترجمته في مكان سابق.

(٢) هو أبو وائلة، إياس بن معاوية بن قرة بن إياس بن هلال بن أوس بن مزيّة المزني: أديب، بليغ، فصيح، راجح العقل، وبه يضرب المثل بالذكاء. ولآه عمر بن عبد العزيز قضاء البصرة، وتوفي سنة ١٢٢ هـ / ٧٤١ م بـ «عبدس»، وهي قرية بين البصرة وخوزستان. (ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٢٤٧/١).

(٣) الفضال: المبتذل من قول وغيره.

### ابن هُبَيْرَة يَريدُ إِيَّاساً عَلَى الْقَضَاءِ

وذكر الأَصْمَعِيُّ أن ابن هُبَيْرَة لما أراد إِيَّاساً عَلَى الْقَضَاءِ قال: إني والله لا أَصْلَحُ لَهُ، قال: وكيف ذلك؟ قال: لأنِّي دَمِيمٌ حَدِيدٌ، ولأنِّي عَيْيٌّ، قال ابن هُبَيْرَة: أما الْحِدَّةُ فَإِنْ السَّوْطُ يُقَوِّمُكَ؛ وأما الْعِيَّ فَقَدْ عَبَّرْتُ عَمَّا تَريدُ؛ وأما الدَّمَامَةُ فَإِنِّي لا أريدُ أَنْ أَحَاسِنَ بِكَ. ولم يصفه أَحَدٌ بِالْعِيَّ، وإنما كان يُعَابُ بِالْإِكْثَارِ، ولكنه أراد المدافعة عن نفسه. والحديث ذو شجون<sup>(١)</sup>.

### أَبُو الْعَيْنَاءِ وَبَعْضُ الْقِيَانِ

قال أبو العيناء، ذُكِرْتُ لِبَعْضِ الْقِيَانِ فَعَشَقْتَنِي عَلَى السَّمَاعِ؛ فلما رَأَيْتَنِي اسْتَقْبَحْتَنِي، فقلت:

وَشَاطِرَةٌ لَمَّا رَأَيْتَنِي تَنَكَّرَتْ      وَقَالَتْ: قَبِيحٌ أَحْوَلُ مَا لَهُ جِئِمٌ  
فَإِنْ تُنْكِرِي مِنِّي أَحْوَلًا فَإِنِّي      أَدِيبٌ أَرِيبٌ لَا عِيَّيٌّ وَلَا فَدَمٌ<sup>(٢)</sup>

[فاتصل بها الشعر]، فكتبت إلي: إننا لم نرد أن نُؤَلِّكَ ديوانَ الزمام!

### فُطْنَةُ إِيَّاسِ

وكان عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رحمه الله تعالى كتب إلى عَدِيِّ بْنِ أَرْطَاةَ<sup>(٣)</sup>: إِنْ قَبْلَكَ رَجُلَيْنِ مِنْ مُرِيَّةٍ - يعني بكر بن عبد الله، وإِيَّاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ - قَوْلَ أَحَدَهُمَا قَضَاءَ الْبَصْرَةِ؛ فَأَحْضِرْهُمَا، فقال بكر: وَاللَّهِ مَا أَحْسِنُ الْقَضَاءَ؛ فَإِنْ كُنْتُ صَادِقًا فَمَا تَحِلُّ تَوَلِّيَّتِي، وَإِنْ كُنْتُ كَاذِبًا فَذَلِكَ أَوْجِبُ لِرَكْبِي، فقال إِيَّاسُ: إِنَّكُمْ وَقَفْتُمُوهُ عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ، فافْتَدَى مِنْهَا بِيَمِينٍ يَكْفُرُهَا، وَيَسْتَغْفِرُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهَا، فقال له عَدِيٌّ: أَمَا إِذَا اهْتَدَيْتَ لَهَا فَأَنْتَ أَحَقُّ بِهَا، فَوَلَّاهُ.

### قُوَّةُ لِسَنِ إِيَّاسِ

ودخل إِيَّاسُ الشَّامَ وهو غلامٌ صَغِيرٌ، فَقَدَّمَ خَصْمًا لَهُ إِلَى بَعْضِ الْقَضَاءِ، وَكَانَ الْخَصْمُ

(١) شجون: ضروب.

(٢) الأريب: الفطن. الفدم: العي عن الكلام.

(٣) عدي بن أرتاة الفزاري: أمير من أهل دمشق، ولأه عمر بن عبد العزيز على البصرة سنة ٩٩ هـ/

٧١٨ م، فاستمر إلى أن قتله معاوية بن يزيد سنة ١٠٢ هـ/ ٧٢١ م. (الخطيب البغدادي، تاريخ

بغداد: ٣٠٦/١٢).

شَيْخًا، فَصَالَ عَلَيْهِ إِيَّاسٌ بِالْكَلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي: خَفِّضْ عَلَيْكَ فَإِنَّهُ شَيْخٌ كَبِيرٌ، قَالَ: الْحَقُّ أَكْبَرُ مِنْهُ، قَالَ: اسْكُتْ! قَالَ: فَمَنْ يَنْطِقُ بِحُجَّتِي؟ قَالَ: مَا أَرَاكَ تَقُولُ حَقًّا، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ! فَدَخَلَ الْقَاضِي عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَأَخْبَرَهُ؛ فَقَالَ: أَقْضِ حَاجَتَهُ السَّاعَةَ وَأَخْرِجْهُ مِنَ الشَّامِ لَا يُفْسِدَ أَهْلَهَا!

\* \* \*

### الحديث المملوك

وقال أحمد بن الطيّب السرخسي تلميذ يعقوب بن إسحاق الكندي<sup>(١)</sup>: كنت يوماً عند العباس بن خالد، وكان ممن حبب الله إليه أن يتحدث، فأخذ يحدثني، ويتنقل من حديث إلى حديث، وكنا في صحن له، فلما بلغتنا الشمس انتقلنا إلى موضع آخر، حتى صار الظل فيئاً؛ فلما أكثر وأضجر، ومللت حسن الأدب في حسن الاستماع، وذكرت قول الأوزاعي<sup>(٢)</sup>: إن حسن الاستماع قوة للمحدث، قلت له: إذا كنت وأنا أسمع قد عييت مما لا كلفة علي فيه، فكيف أراك وأنت المتكلم؟ فقال: إن الكلام يحلل الفضول للزجة الغليظة التي تعرض في اللهوات وأصل اللسان ومنابت الأسنان، فوثبت وقلت: لا أراني معك اليوم إلا «إيارج الفقرا»؛ فأنت تتغرغر بي! فاجتهد في أن أجلس فلم أفعل.

قال أحمد بن الطيّب: كنا مرة عند بعض إخواننا، فتكلم وأعجبه من نفسه البيان، ومنا حسن الاستماع، حتى أفرط، فعرض لبعض من حضر مَلَلٌ، فقال: إذا بارك الله في الشيء لم يقن، وقد جعل الله تعالى في حديث أخينا البركة!

ولعبد الله بن سالم الخياط في رجل كثير الكلام:

لِي صَاحِبٌ فِي حَدِيثِهِ الْبَرَكَةُ      يَزِيدُ عِنْدَ الشُّكُونِ وَالْحَرَكَةِ  
لَوْ قَالَ لَا فِي قَلِيلٍ أَحْرَفُهَا      لَرَدَّهَا بِالْحُرُوفِ مُشْتَبِكَةً

(١) هو أبو يوسف، يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل الكندي: عالم بالطب والفلسفة والحساب والمنطق والهندسة والنجوم وغير ذلك. ولد بواسط، ونشأ بالبصرة، وانتقل إلى بغداد، وأصاب عند المأمون والمعتصم منزلة عظيمة. توفي ببغداد سنة ٢٥٢ هـ / ٨٦٧ م. من آثاره: «كتاب الفلسفة»، و«رسالة في الحساب الهندي»، و«المدخل إلى الموسيقى»، وغيرها. (عمر كحالة، معجم المؤلفين: ٢٤٤/١٣).

(٢) هو أبو عمرو، عبد الرحمن بن عمرو بن يحميد الأوزاعي: إمام أهل الشام، لم يكن بالشام أعلم منه، قيل: إنه أجاب في سبعين ألف مسألة، وكان يسكن بيروت، وتوفي فيها سنة ١٥٧ هـ / ٧٧٤ م: (ابن خلكان، وفیات الأعيان: ١٢٧/٣).

ومن طرائف التطويل ما أنشأه البديع، وسيمر من كلامه ما هو أتنق من زهر الربيع.

## [الطّلع]

### مفزلة الملح

قال الأصمعي: بالعلم وصلنا، وبالمُلاح نلنا، وقال الأصمعي أيضاً: أنشدت محمد بن عمران قاضي المدينة، وكان أعقل من رأيتُه:

يَأْتِيهَا السَّائِلُ عَنْ مَنْزِلِي      نَزَلْتُ فِي الْخَانِ عَلَى نَفْسِي  
يَعْدُو عَلَيَّ الْجُبْزُ مِنْ خَابِرٍ      لَا يَقْبَلُ الرَّهْنُ وَلَا يُنْسِي<sup>(١)</sup>  
أَكُلُ مِنْ كَيْسِي وَمِنْ كِنَرَتِي      حَتَّى لَقَدْ أَوْجَعَنِي ضِرْسِي

فقال: اكتب لي هذه الأبيات، فقلت: أصلحك الله! هذا لا يُشبهُ مثلك، وإنما يروى مثل هذا الأحداث، فقال: اكتبها فالأشرف تُعْجِبُهُمُ الْمُلاح.

وقد قال أبو الدرداء<sup>(٢)</sup> رحمه الله تعالى: إني لأستجِمُّ نفسي ببعض الباطل، ليكون أقوى لها على الحق.

[وقال ابن مسعود رحمه الله: القلوب تمل كما تمل الأبدان، فاطلبوا لها طرائف الحكمة].

وقال ابن الماجشون: لقد كُنَّا بالمدينة وإن الرجل ليحدثني بالحديث من الفقه فيمليه عليّ، ويذكر الخبر من الملح فاستعيده فلا يفعل، ويقول: لا أعطيك ملحي، وأهبك ظرفي وأدبي.

وقال ابن الماجشون: إني لأسمع بالكلمة المليحة ومالي إلا قميص واحد؛ فأدفعه إلى صاحبها، وأستكسي الله عز وجل.

### بعض ملح الغاصري

وقال الزبير بن بكار<sup>(٣)</sup>: روي الغاصري يَنَازِعُ أَشْعَبَ الطَّمِيعِ عند بعض الولاة،

(١) يُنْسِي: يُنسى، من النسيء، وهي التأخير.

(٢) أبو الدرداء الخزرجي الزاهد الحكيم: أسلم بعد بدر، وولي قضاء دمشق لمعاوية، في خلافة عثمان بن عفان. توفي سنة ٣٢ هـ/ ٦٥٣ م. (ابن العماد، شذرات الذهب: ٣٩/١).

(٣) هو أبو عبد الله، الزبير بن بكر بن بكار بن عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي، الأسدي، =

ويقول: أَصْلَحَ اللَّهُ الأمير! إِنَّ هَذَا يَدْخُلُ عَلَيَّ فِي صِنَاعَتِي، وَيَطْلُبُ مِشَارَكَتِي فِي بِضَاعَتِي، وَهَيَأَتْهُ هَيَأَةً قَاضٍ، وَالْأَمِيرُ يَضْحَكُ، وَكَانَا جَمِيعاً فَرَسِي رِهَانٍ وَرَضِيعِي لِبَانٍ فِي بَيَانِهِمَا؛ إِلَّا أَنَّ الْغَاضِرِي [كَانَ] لَا يَتَخَلَّقُ بِالطَّمْعِ تَخَلَّقُ أَشْعَبُ.

وَأَتَى الْغَاضِرِي يَوْمًا الْحَسَنَ بْنَ زَيْدٍ فَقَالَ: جُعِلْتُ فِدَاكَ! إِنِّي عَصَيْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ: بِشِّ مَا صَنَعْتَ! وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَا يُفْلِحُ قَوْمٌ وَلَوْ أَمَرَهُمْ امْرَأَةٌ، وَأَنَا أَطَعْتُ أَمْرَانِي، فَاشْتَرَيْتُ غُلَامًا فَهَرَبَ.

قَالَ الْحَسَنُ: فَاخْتَرِ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ: إِنْ شِئْتَ فَتَمَنَّ الْغُلَامَ، قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ! قَفَّ عِنْدَ هَذِهِ وَلَا تَتَجَاوَزْهَا! قَالَ: أَعْرِضْ عَلَيْكَ الْخَصْلَتَيْنِ، قَالَ: لَا، حَسْبِيَ هَذِهِ.

وَقَدْ رُوِيَ نَحْوُ هَذَا عَنْ أَشْعَبٍ، أَنَّهُ قَالَ لَهُ بَعْضُ إِخْوَانِهِ: لَوْ صَرْتَ إِلَيَّ الْعَشِيَّةَ تَتَفَرَّجُ؟ قَالَ: أَخَافُ أَنْ يَجِيءَ ثَقِيلٌ، قُلْتُ: لَيْسَ مَعْنَا ثَالِثٌ، فَمَضَى مَعِي، فَلَمَّا صَلَيْنَا الظَّهْرَ وَدَعَوْتُ بِالطَّعَامِ، فَإِذَا بِدَقِّ الْبَابِ، قَالَ: تَرَى أَنْ قَدْ صِرْنَا إِلَى مَا نَكْرَهُ، قُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ صَدِيقٌ، وَفِيهِ عَشْرُ خِصَالٍ إِنْ كَرِهْتَ وَاحِدَةً مِنْهُمْ لَمْ أَذَنْ لَهُ، قَالَ: هَاتِي، قُلْتُ: أَوَّلُهَا أَنَّهُ لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ، فَقَالَ: التَّسْعُ لَكَ! قُلْ لَهُ يَدْخُلُ!

وَرَأَى سُفْيَانُ الثَّوْرِي<sup>(١)</sup> الْغَاضِرِيَّ وَهُوَ يُضْحِكُ النَّاسَ؛ فَقَالَ: يَا شَيْخُ أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ يَوْمًا يَخْسِرُ فِيهِ الْمُبْطِلُونَ؟ فَوَجَمَ الْغَاضِرِي، وَمَا زَالَ ذَاكَ يُعْرِفُ فِيهِ حَتَّى لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ.

### أَشْعَبُ الْمَشْهُورُ بِالطَّمْعِ

وَأَشْعَبُ الطَّمْعِ<sup>(٢)</sup> هُوَ أَشْعَبُ بْنُ جُبَيْرٍ، مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَكَانَ أَحْلَى النَّاسِ، قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ: كَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَقُولُونَ: تَغَيَّرَ كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا مُلَحَ أَشْعَبٍ، وَخُبْرَ أَبِي الْغَيْثِ، وَمِثْيَةَ بَرَّةَ؛ وَكَانَ أَبُو الْغَيْثِ يَمُوجُ الْخُبْرَ بِالْمَدِينَةِ. وَبَرَّةُ بِنْتُ سَعِيدِ بْنِ الْأَسْوَدِ كَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ وَأَحْسَنَهُنَّ مِثْيَةً، وَأَشْعَبُ يَضْرِبُ بِهِ الْمَثْلَ فِي الطَّمْعِ، وَكَانَ أَشْعَبُ قَدْ نَشَأَ

= الزبيري: من أعيان العلماء. ولي قضاء مكة، وكانت وفاته فيها سنة ٢٥٦ هـ/ ٨٧٠ م. (الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٤٦٧/٨).

(١) هو أبو عبد الله، سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي: إمام في علم الحديث، وأجمع الناس على دينه وورعه وزهده، وهو أحد الأئمة المجتهدين. توفي بالبصرة سنة ١٦١ هـ/ ٧٧٧ م. (الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ١٥١/٩).

(٢) أشعب الطامع، ويُعرفُ بابن أم حميد. روى عن عكرمة وسالم، وله نوادر وملح في الطمع والتفليل أشهر من أن تذكر. توفي سنة ١٥٤ هـ/ ٧٧١ م. (ابن العماد، شذرات الذهب: ٢٣٦/١).



في حجر عائشة بنت عثمان - رحمها الله! - مع أبي الزناد<sup>(١)</sup>، قال أشعب: فلم يزك يعلم وأنحط حتى بلغنا الغاية.

وقال أشعب: أسلمتني أمي إلى برّاز، فسألتني بعد سنة، أين بلغت؟ فقلت: في نصف العمل، قالت: وكيف؟ قلت: تعلمت النثر وبقي الطي، قالت: أنت لا تفلح.

وسأله صديقه له خاتماً، فقالت: أذكرك به، قال: اذكرني أنك سألتني ومنعتك!

وقيل له: كم كان أصحاب رسول الله ﷺ يوم بدر؟ قال: ثلثمائة عشر درهماً! ثم تنسك في آخر عمره، وغزاً ومات على خير، رحمه الله تعالى!.

وقيل لأشعب: أرايت أطمع منك؟ قال: نعم، كلبه آل فلان، رأيت رجلين يَمْضُغَانِ عَلَكا<sup>(٢)</sup>، فتبعتهما فرسخين تظن أنهما يأكلان شيئاً.

وأهدى رجل من ولد عامر بن لؤي إلى إسماعيل الأعرج فالودجة وأشعب حاضراً، فقال: كُلْ يا أشعب، فأكل منها؛ فقال: كيف تراها؟ فقال: عليه الطلاق إن لم تكن عَمِلْتَ قبل أن يُوحى ربك إلى النحل! أي: ليس فيها حلاوة.

### ظرف أبي نواس وسرعة بديهته

وروى أبو هفان<sup>(٣)</sup> قال: دخل أبو نواس الحسن بن هانيء على يحيى بن خالد فقال له: أنشدني بعض ما قلت، فأنشده:

إني أنا الرجل الحكيم بطيئه  
أَتَبَّعُ الظرفاء أَكْتُبُ عَنْهُمْ  
وَيَزِيدُ فِي عِلْمِي حِكَايَةُ مَنْ حَكَى  
كَيْمَا أَحَدْتُ مَنْ أَحَبَّ فَيَضْحَكُ<sup>(٤)</sup>

(١) هو أبو الزناد، عبد الله بن ذكوان، مولى رملة بنت شيبه بن ربيعة، وكانت رملة تحت عثمان بن عفان. أصله من همدان، وولاه عمر بن عبد العزيز خراج العراق، وكان من كبار المحدثين والعلماء والفقهاء. توفي فجأة بالمدينة سنة ١٣١ هـ / ٧٤٩ م. (ابن العماد، شذرات الذهب: ١/ ١٨٢).

(٢) العلك: اللبان.

(٣) هو أبو هفان، عبد الله بن أحمد بن حرب المهزبي العبدي: شاعر، أديب، راوية. ولد بالبصرة، وسكن بغداد، وأخذ عن الأصمعي وحديث عنه، وشعره سائر على الألسنة، وكان من ندماء أبي نواس ورواته. توفي سنة ٢٥٧ هـ / ٨٧١ م. من آثاره: «أخبار الشعراء»، و«صناعة الشعر»، و«أخبار أبي نواس». (ابن المعتز، طبقات الشعراء: ٤٠٨).

(٤) وفي ديوانه ص ٣٨٣:

تَبَّعُ الظرفاء إعجاباً به  
حَتَّى تُحَدِّثَ مَنْ تُحِبُّ فَيَضْحَكَا

فقال له يحيى [ابن خالد]: إن [أول] زَنْدُكَ يُؤِيرِي بِأَوَّلِ قَذْحَةٍ، فقال ارتجالاً في معنى قول يحيى:

أَمَّا وَزَنْدُ أَبِي عَلِيٍّ إِنَّهُ      زَنْدٌ إِذَا اسْتَوْرَيْتَ سَهْلٌ قَدْ حَكَى  
إِنَّ الْإِلَهَ لِعَلِمِهِ بِعِبَادِهِ      قَدْ صَاغَ جَدَّكَ لِلْسَّامِحِ وَمَنْحَكَ  
تَأْبَى الصَّنَائِعَ هَمَّتِي وَقَرِيحَتِي      مِنْ أَهْلِهَا وَتَعَاْفُ إِلَّا مَدْحَكَ

### صفة أبي نواس

ووصف أبو عبد الله الجماز أبا نواس فقال: كان أَظْرَفَ النَّاسِ مَنْطِقاً، وَأَغْزَرَهُمْ أَدْباً، وَأَقْدَرَهُمْ عَلَى الْكَلَامِ، وَأَسْرَعَهُمْ جَوَاباً، وَأَكْثَرَهُمْ حَيَاءً، وَكَانَ أَبْيَضَ اللَّوْنِ، جَمِيلَ الْوَجْهِ، مَلِيحَ النِّعْمَةِ وَالْإِشَارَةِ، مُلْتَفَّ الْأَعْضَاءِ، بَيْنَ الطَّوِيلِ وَالْقَصِيرِ، مَسْنُونُ الْوَجْهِ<sup>(١)</sup>، قَائِمُ الْأَنْفِ، حَسَنُ الْعَيْنَيْنِ وَالْمَضْحَكِ<sup>(٢)</sup>، حُلُوُ الصُّورَةِ، لَطِيفُ الْكَفِّ وَالْأَطْرَافِ؛ وَكَانَ فَصِيحَ اللِّسَانِ، جَيِّدَ الْبَيَانِ، عَذْبَ الْأَلْفَاظِ، حُلُوَ الشَّمَائِلِ، كَثِيرَ النُّوَادِرِ، وَأَعْلَمَ النَّاسِ كَيْفَ تَكَلَّمَتِ الْعَرَبُ، رَأَوِيَةً لِلْأَشْعَارِ، عَلَامَةً بِالْأَخْبَارِ، كَانَ كَلَامُهُ شَعْرٌ مُوزُونٌ.

وأقبل أبو شُرَاعَةَ الْعَبْسِيُّ، وَالْجَمَّازُ فِي حَدِيثِهِ، وَكَانَ أَقْبَحَ النَّاسِ وَجْهًا، وَكَانَتْ يَدُ أَبِي شُرَاعَةَ كَأَنَّهَا كَرْبَةٌ نَخْلٌ<sup>(٣)</sup>؛ فَقَالَ الْجَمَّازُ: فَلَوْ كَانَتْ أَطْرَافُهُ عَلَى أَبِي شُرَاعَةَ لَتَمَّ حُسْنُهُ؛ فَغَضِبَ أَبُو شُرَاعَةَ وَانْصَرَفَ يَسْتُمُهُ.

### ترجمة الجماز

والجماز هو: أبو عبد الله محمد بن عمرو بن حماد بن عطاء بن ياسر، وكانوا يَزْعَمُونَ أَنَّهُمْ مِنْ حِمْيَرَ، نَالَهُمْ سِبَاءٌ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُمْ مَوَالِيهِ، وَسَلَّمُ الْخَاسِرِ عَمَّهُ<sup>(٤)</sup>، وَكَانَ الْجَمَّازُ مِنْ أَحْلَى النَّاسِ حِكَايَةً، وَأَكْثَرِهِمْ نَادِرَةً<sup>(٥)</sup>.

(١) مسنون: مخروط.

(٢) المضحك: الضحك.

(٣) الكربة: أصل السعفة.

(٤) هو سلم بن عمرو بن حماد، الشهير بسلم الخاسر: شاعر خليع ماجن، من أهل البصرة، من الموالى. سمي الخاسر لأنه باع مصحفاً واشترى بثمنه طنبوراً. قدم بغداد، ومدح المهدي والهادي والبرامكة، وكان مزاحاً لطيفاً. توفي سنة ١٨٦ هـ/٨٠٢ م، مُخْلِفاً ثروة كبيرة صادرها الرشيد. (ياقوت الحموي، معجم الأدباء: ٢٣٦/١١).

(٥) كان الجماز البصري الشاعر ماجناً، خبيث اللسان، يهوى الغلمان، وقيل: إنه مات فرحاً بعشرة =

قال بعض جلساء المتوكل: كنا نُكثِر عند المتوكل ذِكْرَ الجمّاز حتى اشتاقه، فكتب في حمله إليه، فلما دخل أُفجم، فقال له المتوكل: تكلم فإني أريد أن أُستبرئك، فقال: بِحِيْضَةٍ أَوْ بِحِيْضَتَيْنِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فقال له الفتح<sup>(١)</sup>: قد كلّمتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُؤَلِّيكَ عَلَى الْقُرُودِ وَالْكِلَابِ! قال: أفلستَ سامِعاً مطيعاً؟ فضحك المتوكل وأمر له بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ.

وكان لا يُدْخِلُ بَيْتَهُ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ لَضِيقَةٍ؛ فدعا ثلاثة، فجاءه ستّة، وقرعوا الباب، ووقفوا على رجل رجل فعَدَّ أَرْجُلَهُمْ مِنْ خَلْفِ الباب؛ فلما حصلوا عنده، قال: اخرجوا عني، فإنما دعوتُ ناساً ولم أدعُ كَرَائِي<sup>(٢)</sup>.

### لأبي تمام يمدح عمرو بن طوق

وقال الطائي في عمرو بن طوق التغلبي<sup>(٣)</sup>:

الْجِدُّ شَيْمَتُهُ، وَفِيهِ فُكَاهَةٌ      سُجُحٌ وَلَا جِدٌّ لِمَنْ لَمْ يَلْعَبِ<sup>(٤)</sup>  
شَرِسٌ، وَتُبِعَ ذَاكَ لِمَنْ خَلِيقَةٌ      لَا خَيْرَ فِي الصَّهْبَاءِ مَا لَمْ تُقْطَبِ<sup>(٥)</sup>

### وله يمدح الحسن بن وهب

وقال في الحسن بن وهب<sup>(٦)</sup>:

لِلَّهِ أَيَّامٌ خَطَبْنَا لِنَهْأَا      فِي ظِلِّهِ بِالْخَنْدَرِيسِ السَّلْسَلِ<sup>(٧)</sup>

= آلاف درهم وهبه إياها المتوكل. (ابن المعتز، طبقات الشعراء: ٣٧٥؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ١٢٥/٣).

(١) هو الفتح بن خاقان، وزير المتوكل ونديمه، وقتل معه في ليلة واحدة، سنة ٢٤٧ هـ/ ٨٦٢ م، وقد وردت ترجمته في مكان سابق.

(٢) الكراكي: جمع كركي، وهو طائر كبير، أغبر اللون، طويل العنق والرجلين، أبتز الذنب، قليل اللحم، يأوي إلى الماء أحياناً.

(٣) أبو تمام، الديوان: ١١٢/١.

(٤) سُجُحٌ: سهل. يريد أنه يستعين على الجدّ بالمزاح واللعب.

(٥) تقطب: تمزج. يقول: كما أن الخمرة لا خير فيها إذا لم تُمزَج، فالشراسة لا تصلح إلا إذا مُزجت باللين.

(٦) أبو تمام، الديوان: ١٩/٢.

(٧) الخندريس: الخمر. السلسل: اللينة.

يُمْدَامَةٌ نَغْمُ السَّمَاعِ خَفِيرُهَا  
يَعْشَى عَلَيْهَا وَهُوَ يَجْلُو مُقْلَتِي  
لا طَائِشٌ تَهْفُو خِلَافُكُهُ، وَلَا  
فَكَّةٌ يُجْمُ الْجَدُّ أَحْيَانًا، وَقَدْ  
وَقَالَ فِيهِ (٤):

وَلَقَدْ رَأَيْتُكَ وَالْكَلامُ لَأَلَى  
وَكَأَنَّ قُفَا فِي عُكَاظٍ يَخْطُبُ  
وَكَأَنَّ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةَ تَنْدُبُ  
تَوْمٌ فَيَكْرُ فِي النَّظَامِ وَثَيِّبٌ (٥)  
وَإِبْنُ الْمُقَفَّعِ فِي الْيَتِيمَةِ يُسْهِبُ (٦)  
وَكَثِيرَ عَزَّةٍ يَوْمَ بَيْنِ يَسِيبُ (٧)

- (١) المعلول: الذي يشرب العلل، وهو الشرب الثاني، بخلاف النهل، وهو الشرب الأول. والمعلل هنا: من قولهم عللنا، أي غشنا. والمعنى: لا خير في شراب يُعلُّ صاحبه لم يكن مُعللاً بالغناء.
- (٢) الباز: ضرب من الصقور يستخدم في الصيد. ويعشى: يضعف بصره.
- (٣) يُنْضَى: يُهْزَل، من أنضى الدابة: هزلها وأتمعها. أي إن الإنسان يجب أن يكون فكها، طيب النفس، يترك الجد أحياناً، ويمزح لئلا يُنْضَى عيشه ويُهْزَل.
- (٤) أبو تمام، الديوان: ١٢٤/١.
- (٥) تَوْمٌ: أشباه الدر. يريد أن يجيء برأي فائق مبتكر.
- (٦) قس: هو قس بن ساعدة الإيادي: خطيب، شاعر، حكيم، ويقال: إنه أول من قال في كلامه: «أما بعد»، أي: بعد دعائي لك، وأول من خطب على شرف، واتفق عند خطبته على سيف أو عصا. قال فيه النبي ﷺ: «يُحْشَرُ أُمَّةٌ وَحْدَهُ». وهو من المعمرين. توفي نحو ٢٣ ق. هـ/ نحو ٦٠٠ م. (الأصفهاني، الأغاني: ١٩٢/٥). واليتيمة: اسم كتاب لعبد الله بن المقفع. ويروى

البيتان الثالث والرابع في الديوان كالتالي:

فَكَأَنَّ قُفَا فِي عُكَاظٍ يَخْطُبُ  
وَكَثِيرَ عَزَّةٍ يَوْمَ بَيْنِ يَسِيبُ  
وَإِبْنُ الْمُقَفَّعِ فِي الْيَتِيمَةِ يُسْهِبُ

وقد ذكر الشاعر هؤلاء الأعلام (قس، وليلى، وكثير، وابن المقفع) على أنهم المثل الأعلى في البلاغة ورجاحة الرأي، ثم ختم بأن تأثير رأي الممدوح وحسن تعبيره يهزُّ سامعيه، فيتوقر الطائش، ويستخف الوقور، مثلما أنها تبكي وتُسَرُّ.

- (٧) ليلى الأخيلية: هي ليلى بنت عبد الله بن الرحال الأخيلية، من بني عامر بن صعصعة: شاعرة، فصيحة، ذكية، جميلة. اشتهرت بأخبارها مع توبة بن الحمير (ت ٨٠ هـ/ ٦٩٩ م)، ولا يقدم عليها في الشعر غير الخنساء. توفيت بخراسان سنة ٨٠ هـ/ ٧٠٠ م، ودفنت بجانب قبر توبة. (ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٣٥٩/١). وكثير عزة: هو الشاعر الأموي الغزل، المتوفى سنة =

يَكْسُو الْوَقَارَ وَيَسْتَخَفُّ مُوقِراً      طَوَّراً فَيُبْهِكِي سَامِعِيهِ وَيُطْرِبُ

### لأبي الفتح البستي

وقال أبو الفتح البستي:

أَفِذْ طَبْعَكَ الْمَكْدُودَ بِالْهَمِّ رَاحَةً      بِرَاحٍ، وَعَلَّلْهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَرْحِ  
وَلَكِنْ إِذَا أَعْطَيْتَهُ الْمَرْحَ فَلْيَكُنْ      بِمَقْدَارٍ مَا تُعْطِي الطَّعَامَ مِنَ الْمِلْحِ

### [المزاح]

#### الكلام في المزاح

وما زال الأشراف يَمْزُحُونَ، ويسمحون بما لا يَقْدَحُ في أديانهم، ولا يَغْضُ من مُرُوءَاتِهِمْ.

وقال النبي ﷺ: بعثت بالحنيفية السمحة.

وقال: إني لَأَمْزُحُ ولا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا.

#### إنشاد الشعر

وقيل لسعيد بن المسيب<sup>(١)</sup>: إِنَّ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ لَا يَرَوْنَ إِنْشَادَ الشَّعْرِ فَقَالَ: لَقَدْ نَسَكُوا نُسْكَاً أَعْجَبِيًّا.

وقيل لابن سيرين<sup>(٢)</sup>: إِنَّ قَوْمًا يَزْعُمُونَ أَنَّ إِنْشَادَ الشَّعْرِ يَقْضِي الْوُضُوءَ، فَأَنشَدَ:

لَقَدْ أَصْبَحْتُ عِرْسُ الْفَرَزْدَقِ نَاشِزاً      وَلَوْ رَضِيتُ رَشْحَ أُسْتِهِ لَاسْتَقَرَّتْ<sup>(٣)</sup>

= ١٠٥ هـ / ٧٢٣ م، وقد وردت ترجمته في مكان سابق.

(١) هو أبو محمد، سعيد بن المسيب بن حَزْنٍ بن مخزوم القرشي المدني: أحد الفقهاء السبعة بالمدينة. جمع بين الحديث والفقه والزهد والعبادة والورع. توفي سنة ٩١ هـ / ٧١٠ م، وفي هذا التاريخ خلاف. (ابن سعد، الطبقات: ١١٩/٥).

(٢) هو أبو بكر، محمد بن سيرين البصري: فقيه من أهل البصرة، كانت له اليد الطولى في تعبير الرؤيا. وكان بزازاً، وَحُيِسَ بدين عليه، وولد له ثلاثون ولداً من امرأة واحدة عريية. توفي سنة ١١٠ هـ / ٧٢٩ م. (الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٣٣١/٥).

(٣) عرس الرجل: زوجه. ونشزت الزوجة: استعصت وأساءت العشرة.

وقام يُصَلِّي! وقيل: بل أنشد:

أُنِيتُ أَنَّ عَجُوزاً جِئْتُ أَخْطِبُهَا عَرَفُوبُهَا مِثْلُ شَهْرِ الصَّوْمِ فِي الطَّوْلِ<sup>(١)</sup>

### [النسيب]

وقيل لأبي السائب المخزومي: أترى أحداً لا يَشْتَهِي النسيب؟ فقال: أما من يؤمن بالله واليوم الآخر فلا.

### لَعْرُوةُ بن أُذينة

وروى مُصْعَبُ بن عبد الله الزُبَيْرِي<sup>(٢)</sup> عن عُرْوَةَ بن عُبيد الله بن عُرْوَةَ الزُبَيْرِي قال: كان عُرْوَةُ بن أُذينة<sup>(٣)</sup> نازلاً في دار أبي بالعقيق، فسمعتُه يُنشدُ لنفسه:

إِنَّ التِّي زَعَمْتُ فُؤَادَكَ مَلَّهَا خُلِقْتُ هَوَاكَ كَمَا خُلِقَتْ هَوَى لَهَا  
فِيكَ الَّذِي زَعَمْتُ بِهَا، وَكِلَاكُمَا أَبْدَى لِصَاحِبِهِ الصَّبَابَةَ كُلَّهَا<sup>(٤)</sup>  
وَلَعَمْرُهَا لَوْ كَانَ حُبُّكَ فَوْقَهَا يَوْمًا وَقَدْ ضَحِيتُ إِذَنْ لِأَظْلَمِهَا<sup>(٥)</sup>  
فَإِذَا وَجَدْتُ لَهَا وَسَاوِسَ سَلْوَةٍ شَفَعَ الضَّمِيرُ إِلَى الْفَوَادِ فَسَلَّهَا  
بِئْضَاءٍ بَاكَرَهَا النَّعِيمُ فَصَاغَهَا بِلَبَاقَةٍ فَادَّقَهَا وَأَجْلَهَا<sup>(٦)</sup>  
لَمَّا عَرَضْتُ مُسَلِّمًا، لِي حَاجَةٌ أَخْشَى صُعُوبَتَهَا، وَأَرْجُو ذُلَّهَا<sup>(٧)</sup>

- (١) العرقوب من الإنسان: وتر غليظ فوق عقيه. ورأى ابن سيرين بإنشاد الشعر في «العمدة»: ٣٠/١.
- (٢) هو أبو عبد الله، مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير: علامة بالأنساب، غزير المعرفة بالتاريخ. كان أوجه قريش مروءة وعلماً وشرفاً، وكان ثقة بالحديث، وله شعر. ولد بالمدينة، وسكن بغداد، وتوفي بها سنة ٢٣٦ هـ / ٨٥١ م. (الزركلي، الأعلام: ٢٤٨/٧).
- (٣) هو أبو عامر، عُرْوَةُ بن يحيى بن مالك بن الحارث، من بني الليث، من بني كنانة، وأذينة لقب والده يحيى: فقيه، محدث، وشاعر غزل، من أهل المدينة. توفي نحو ١٣٠ هـ / ٧٤٧ م. (فروخ، تاريخ الأدب العربي: ٧١٥/١).
- (٤) الصبابة: رقة الشوق وحرارته.
- (٥) ضحيت: تأذت من الشمس.
- (٦) أدقها وأجلها: أدق المواضع التي يجب أن تكون دقيقة، وأجل المواطن التي يجب أن تكون جليلة، فهي مثلاً دقيقة الخصر، وثيرة الردف.
- (٧) أرجو ذُلَّها: أرجو قضاءها.

مَنَعْتُ تَحِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي: مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقْلَهَا  
فَدَنَا وَقَالَ: لَعَلَّهَا مَعْدُورَةٌ فِي بَعْضِ رِقَبَتِهَا، فَقُلْتُ: لَعَلَّهَا<sup>(١)</sup>

قال: فأتاني أبو السائب المخزومي فقلت له بعد الترحيب به: ألك حاجة،

فقال: نعم أبياتٌ لعروة بلخني أنك سمعته يُنشدُها، فأنشدته الأبيات، فلما بلغت قوله:

فَدَنَا وَقَالَ لَعَلَّهَا مَعْدُورَةٌ... البيت

طرب، وقال: هذا والله الدائم الصَّابة، الصادق العهد، لا الذي يقول:

إِنْ كَانَ أَهْلُكَ يَمْنَعُونَكَ رَغْبَةً عَنِّي فَأَهْلِي بِي أَضَنُّ وَأَرْغَبُ

لقد عدا هذا الأعرابي طوره، وإنني لأرجو أن يغفر [الله] لصاحب هذه الأبيات لحسن الظن بها، وطلب العذر لها؛ قال: فعرضت عليه الطعام فقال: لا والله ما كنت لأخلط بهذه الأبيات طعاماً حتى الليل، وانصرف.

### ترجمة أبي السائب المخزومي

وكان أبو السائب غزير الأدب، كثير الطرب، وله فكاهاتٌ مذكورة، وأخبارٌ مشهورة، وكان جدُّه يكنى أبا السائب أيضاً، وكان خليطاً لرسول الله ﷺ، فكان النبي ﷺ إذا ذكره قال: نِعَمَ الخليط كان أبو السائب! لا يُشَارِي ولا يَمَارِي<sup>(٢)</sup>.

واسم أبي السائب عبد الله، وكان أشرف أهل المدينة يستظرفونه ويقدمونه لِشَرَفِ منصبه، وحلاوة ظرفه.

وكان عروة بن أذينة - على زُهدِهِ، وورَعِهِ، وكثرة علمه وفهمِهِ - رقيق الغزل كثيره، وهو القائل:

إِذَا وَجَدْتُ أَوَارَ الْحُبِّ فِي كَيْدِي أَقْبَلْتُ نَحْوَ سِقَاءِ الْقَوْمِ ابْتِرْدُ<sup>(٣)</sup>  
هَبْنِي بَرْدْتُ يَبْرُدُ الْمَاءُ ظَاهِرُهُ فَمَنْ لِنَارٍ عَلَى الْأَحْشَاءِ تَتَّقِدُ؟

وقد روي هذان البيتان لغيره.

(١) رقبته: الخوف والحذر، أو عيون الرقباء.

(٢) شَارِي فلان: لَجَّ في المجادلة. ومَارِي: ناظر وجادل.

(٣) الأوار: حرُّ الشمس والنار، واللهب، والعطش.

ومرت به سَكِينَةُ<sup>(١)</sup> بنتُ الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - فقالت له :  
أَنْتَ الَّذِي تَزْعُمُ أَنَّكَ غَيْرُ عَاشِقٍ، وَأَنْتَ تَقُولُ :

قَالَتْ وَأَبْشَرْتُهَا سِرِّي فَبَحْتُ بِهِ      قَدْ كُنْتُ عِنْدِي تُحِبُّ الشَّرَّ فَاسْتَرِ  
أَلَسْتُ تُبْصِرُ مَنْ حَوْلِي؟ فَقُلْتُ لَهَا :      غَطِّي هَوَاكَ وَمَا أَلْقَى عَلَى بَصَرِي  
والله ما خرج هذا من قلب سليم .

### للأحوص في الغزل

وروى الزبير عن رجل لم يسمه، قال : قال لي أبو السائب : أنشدني لِلْأَحْوَصِ<sup>(٢)</sup>  
فَأَنْشَدْتُهُ :

قَالَتْ - وَقُلْتُ : تَحَرَّجِي وَصِلِي      حَبَلَ امْرِئٍ بِوَصَالِكُمْ صَبَّ - :  
صَاحِبِ إِذَنْ بَعْلِي؟ فَقُلْتُ لَهَا :      الْغَدْرُ شَيْءٌ لَيْسَ مِنْ ضَرْبِي<sup>(٣)</sup>  
شَيْئَانِ لَا أَذْنُو لِوَصْلِهِمَا      عِرْسُ الْخَلِيلِ وَجَارَةُ الْجَنْبِ  
أَمَّا الْخَلِيلُ فَلَسْتُ فَاجِعُهُ      وَالْجَارُ أَوْ صَانِي بِهِ رَبِّي  
عُوجًا كَذَا نَذَكُرُ لَغَايَةِ      بَعْضَ الْحَدِيثِ مَطْيَكُمُ صَحْبِي<sup>(٤)</sup>  
وَنَقُلْ لَهَا : فِيمَ الصَّدُودُ وَلَمْ      نُذْنِبْ، بَلْ أَنْتِ بَدَأْتَ بِالذَّنْبِ؟  
إِنْ تَقْبَلِي نَقِيلُ وَنُنْزِلُكُمْ      مَنَا بِدَارِ السَّهْلِ وَالرُّحْبِ  
أَوْ تَهْجُرِي تَكْذُرُ مَعِيشَنَا      وَتَصْصَدْعِي مُتَلَاثِمِ الشَّعْبِ<sup>(٥)</sup>

(١) سَكِينَةُ بنت الحسين بن علي بن أبي طالب : شاعرة، أدبية، كانت تجالس الأجلاء من قريش، وتجتمع إليها الشعراء، وكانت طريقة مزأحة جميلة. ويقال : اسمها أُمَيَّة أو أُمَيَّة، وسَكِينَةُ لقب غلب عليها. توفيت بالمدينة سنة ١١٧ هـ / ٧٣٧ م. (الأصفهاني، الأغاني : ٩٥/١٦ ؛ ابن العماد، شذرات الذهب : ١٥٤/١).

(٢) هو أبو محمد، عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الأنصاري : شاعر أموي ماجن، لقب بالأحوص لحوص في عينه، ولقبه جده عاصم بن ثابت بحمي الدبر، لأن الدبر حمت من المشركين حين أرادوا صلبه. ولشعره ديباجة صافية وروث. توفي سنة ١١٠ هـ / ٧٢٨ م. (ابن قتيبة، الشعر والشعراء : ٤٤٦/١ ؛ الآمدي، المؤلف والمختلف : ٥٩).

(٣) ليس من ضربي : ليس من طبعي وخلقي.

(٤) عوجا مطيكم : ميلوا بها.

(٥) الشَّعْبُ : الجمع والتفريق، والإصلاح والإفساد، وهو من الأضداد. والشَّعْبُ : الصَّدْعُ أو الشق في الإناء ونحوه.



فَقَالَ: هَذَا وَاللَّهِ الْمَحَبُّ حَقًّا، لَا الَّذِي يَقُولُ:

وَكُنْتُ إِذَا حَبِيبٌ رَامَ هَجَسِرِي وَجَدْتُ وَرَائِي مُنْفَسِحًا عَرِيضًا

ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ، فَلَا صَحْبِكَ اللَّهُ، وَلَا وَسَّعَ عَلَيْكَ!

### ظرف أهل الحجاز ورقتهم

وخرج أبو حازم يوماً يرمي الجمار، فإذا هو بامرأة حاسِر<sup>(١)</sup> قد فتنت الناس بحُسن وجهها، وألتهتهم بجمالها، فقال لها: يا هذه، إنك بمشعرٍ حرام، وقد فتنت الناس وشغلتهن عن مناسكهم، فاتقي الله واستتري؛ فإن الله عز وجل يقول في كتابه العزيز: ﴿وَلْيَضْرِبَنَّ بِخِصْمِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾<sup>(٢)</sup>؛ فقالت: إني من اللاتي قيل فيهن:

أَمَاطَتْ كِسَاءَ الْخَزِّ عَنْ حُرٍّ وَجْهَهَا وَأَرْخَتْ عَلَى الْمَتْنِ بُرْدًا مَهْلَهَا  
مِنَ اللَّاءِ لَمْ يَحْجِجْنَ يَبْغِينَ حِسْبَةً وَلَكِنْ لِيَقْتُلَنَّ الْبَرِيءَ الْمُغْفَلَا<sup>(٣)</sup>

الشعر للحارث بن خالد المخزومي<sup>(٤)</sup>. فقال أبو حازم لأصحابه: تعالوا ندع الله لهذه الصورة الحسنة ألا يعذبها الله تعالى بالنار! فجعل أبو حازم يدعو وأصحابه يؤمنون، فبلغ ذلك الشعبي، فقال: ما أرفقكم يا أهل الحجاز وأظرفكم! أما والله لو كان من قرى العراق لقال اعزبي عليك لعنة الله!

### بعض أخبار أبي حازم

وكان أبو حازم من فضلاء التابعين، وله مقامات جميلة من الملوك، وكلامٌ محفوظ يدلُّ على فضله وعقله، وهو القائل: كل عمل تكره من أجله الموت فاتركه، ولا يضرك متى مت. وكان يقول: ما أحببت أن يكون معك غداً فقدّمه اليوم. وكان يقول: إنما بني

(١) امرأة حاسر وسافر: ليس على وجهها قناع.

(٢) سورة النور، آية: ٣١.

(٣) المغفل: الطيب القلب.

(٤) هو الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي، وأمه فاطمة بنت أبي سعيد بن الحارث بن هشام: أحد شعراء قريش المعدودين، وكان غزلاً يتبع النساء وشيبت بهن، وله اهتمام بغريب اللغة. توفي نحو ١٠٠ هـ/ نحو ٧١٨ م. (الأصفهاني، الأغاني: ٣٠٧/٣؛ فروخ، تاريخ الأدب العربي: ٥٨٢/١).

وبين الملوك يوم واحد، أما أمس فلا يجدون لذته، وأنا وإياهم من غدٍ على وجَلٍ؛ وإنما هو اليوم، فما عسى أن يكون اليوم؟

### لأبي العتاهية

وقال أبو العتاهية:

حَتَّى مَتَى نَحْنُ فِي الْأَيَّامِ نَحْسُهَا      وَإِنَّمَا نَحْنُ فِيهَا يَتَنَ يَوْمَيْنِ  
يَوْمٌ تَوَلَّى، وَيَوْمٌ نَحْنُ نَأْمُلُهُ      لَعَلَّهُ أَجْلَبُ الْيَوْمَيْنِ لِلْحَيْنِ<sup>(١)</sup>

### لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة

وروى الزبير بن أبي بكر قال: قدمت امرأة من هذيل المدينة، وكانت جميلة، ومعهما ابن لها صغير، وهي أَيْم<sup>(٢)</sup>، فخطبها الناس وأكثروا، فقال فيها عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود<sup>(٣)</sup>:

أَحْبَبُكَ حُبًّا لَا يُحِبُّكَ مِثْلُهُ      قَرِيبٌ وَلَا فِي الْعَالَمِينَ بَعِيدُ  
أَحْبَبُكَ حُبًّا لَوْ عَلِمْتَ بِبَعْضِهِ      لَجُدْتَ وَلَمْ يَصْعُبْ عَلَيْكَ شَدِيدُ  
وَحُبُّكَ يَا أُمَّ الْعِلَاءِ مُتِمِّي      شَهِيدِي أَبُو بَكْرٍ فَذَلِكَ شَهِيدُ  
وَيَعْلَمُ وَجْدِي الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ      وَعُرْوَةُ مَا أَلْقَى بِكُمْ وَسَعِيدُ  
وَيَعْلَمُ مَا أَخْفَى سُلَيْمَانُ كَلَهُ      وَخَارِجَةُ يُبْدِي لَنَا وَيُعِيدُ  
مَتَى تَسْأَلِي عَمَّا أَقُولُ فَتَخْبَرِي      فَلَلْحُبِّ عِنْدِي طَارِفٌ وَتَلِيدُ<sup>(٤)</sup>

فقال له سعيد بن المسيب: قد أَمَلْنَا أَنْ تَسْأَلَنَا، وَلَوْ سَأَلْتَنَا مَا شَهِدْنَا لَكَ بِزُورٍ.

### فقهاء المدينة السبعة

وكان عبيد الله أَحَدَ الفقهاء السبعة الذين انتهى إليهم علمُ المدينة، وقد ذكرهم

(١) الْحَيْنُ: الهلاك.

(٢) الْأَيْم: التي لا زوج لها.

(٣) هو أبو عبد الله، عبيد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي: أحد فقهاء المدينة السبعة، ومن أعلام التابعين. سمع من ابن عباس وأبي هريرة وعائشة، وتأدب على يديه الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز، وله شعر رقيق. توفي في المدينة سنة ٩٨ هـ/ ٧١٦ م. (ابن العماد، شذرات الذهب: ١/ ١١٤).

(٤) الطارف: الذي يكسبه المرء بنفسه، والتلید: الذي يرثه عن آبائه.

عبيد الله في الأبيات؛ وهم: أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي. والقاسم بن [محمد بن] أبي بكر الصديق، وعروة بن الزبير العوام، وسعيد بن المسيب بن حزن، وسليمان بن يسار، وخارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري.

### لعبيد الله المسعودي أيضاً

وقيل لعبيد الله: أتقول الشعر على شرفك؟ فقال: لا بد للمصدور<sup>(١)</sup> أن يثُث؟ وعبيد الله هو القائل:

شَقَقْتُ الْقَلْبَ ثُمَّ ذَرَزْتُ فِيهِ      هَوَاكَ فَلَيْمَ وَالتَّامَ الْفُطُورُ<sup>(٢)</sup>  
تَغْلَغَلَ حُبُّ عَثْمَةَ فِي فُؤَادِي      فَبَادِيهِ مَعَ الْخَافِي يَسِيرُ  
تَغْلَغَلَ حَيْثُ لَمْ يَتْلُغْ شَرَابٌ      وَلَا حُزْنَ وَلَمْ يَتْلُغْ سُورُورُ

### أشباه لقول المسعودي

أخذه سلم بن عمرو الخاسر فقال:

سَقَقَنِي بِعَيْنَيْهَا الْهَوَى وَسَقَقْتُهَا      فَدَبَّ دَيْبُ الْخَمْرِ فِي كُلِّ مَفْصِلِ  
وقال أبو نواس<sup>(٣)</sup>:

أَحِبُّ اللَّوْمَ فِيهَا لَيْسَ إِلَّا      لَيْسَ زَادِ اسْمِهَا فِيهَا أَلَامُ  
وَيَدْخُلُ حُبُّهَا فِي كُلِّ قَلْبٍ      مَدَاخِلُ لَا تَغْلَغُلُهَا الْمُدَامُ<sup>(٤)</sup>  
ومنه قول المتنبي<sup>(٥)</sup>:

(١) المصدور: المريض صدره، وأصل النفث: تغل الريق. والنفاثة: ما ينفثه المصدور من فيه، ويقال: هذا من نفاثات فلان: من شعره، ويقال: هذه نفثة مصدور: ما يُخَفِّفُ به عن صدره، ويرقح به عن نفسه.

(٢) لَيْمَ فلان: عُدِلَ، ولیم بالرجل: قُطِعَ به وحيلَ بينه وبين ما يريد. والتَّام الشيء: انضم والتصق فهو ملتم. والفطور: جمع فطر، وهو الصدع.

(٣) أبو نواس، الديوان: ص ٣٨٩. ورواية هذين البيتين فيه بصيغة المذكر.

(٤) لا تغلغلها المدام: لا تغلغل فيها، والمدام: الخمر. وفي الديوان: «لا تَغْلَغُلُهَا».

(٥) المتنبي، الديوان: ٢٩١/٢. والنديم: الجليس على الشراب. ويفضي: ينتهي. يريد أنه كتوم للتر يضعه حيث لا يطلع عليه النديم، ولا يصل إليه الشراب مع تغلغله في البدن.

وَلَلْسَرُّ مَنِّي مَوْضِعٌ لَا يَنَالُهُ نَدِيمٌ، وَلَا يُقْضِي إِلَيْهِ شَرَابٌ  
وقال بعض المحدثين:

مَا زِلْتُ تُغْوِينِي وَتَطْلُبُ خَلَّتِي حَتَّى حَلَلْتَ بِحَيْثُ حَلَّ شَرَابِي<sup>(١)</sup>  
ثُمَّ انْصَرَفْتَ بِغَيْرِ جُرْمٍ كَانَ لِي مَا هَكَذَا الْأَحْبَابُ لِلْأَحْبَابِ

### لأبي محمد بن أبي أمية

أخذ أبو نؤاس قوله: «أحب اللوم فيها»... البيت من قول [أبي محمد] بن أبي أمية<sup>(٢)</sup>:

وَحَدَّثَنِي عَنْ مَجْلِسٍ كُنْتُ زَيْنَهُ رَسُولُ أَمِينٍ، وَالنِّسَاءُ شُهُودُ  
فَقُلْتُ لَهُ رُدِّ الْحَدِيثَ الَّذِي مَضَى وَذَكَرَكَ مِنْ بَيْنِ الْحَدِيثِ أُرِيدُ  
أُنَاشِدُهُ بِاللَّهِ إِلَّا أَعَدَّتْهُ كَأَنِّي بَطِيءُ الْفَهْمِ عَنْهُ بَعِيدُ

### لأبي نؤاس

وقول أبي نؤاس في البيت الأول كقوله<sup>(٣)</sup>:

إِذَا غَادَيْتَنِي بِصُبُوحِ لَوْمٍ فَمَمَزُوجاً بِسَمِيمَةِ الْحَبِيبِ<sup>(٤)</sup>  
فَإِنِّي لَا أَعُدُّ اللَّوْمَ فِيهَا عَلَيْكَ، إِذَا فَعَلْتُ، مِنَ الذُّنُوبِ<sup>(٥)</sup>  
وَلَا أَنَا إِنْ عَمَدْتُ أَرَى جَنَانَا وَإِنْ ضَلَّتْ بِمَبْخُوسِ النَّصِيبِ<sup>(٦)</sup>

(١) الخُلَّةُ: الصداقة والمحبة.

(٢) هو محمد بن أمية بن أبي أمية: كاتب، شاعر ظريف. نادم إبراهيم بن المهدي، وكتب له على بيت المال، وكان إليه ختم الكتب بحضرته. وعاصر أبا العتاهية وله معه أخبار. (الصفدي، الوافي بالوفيات: ٢٢٩/٢).

(٣) أبو نؤاس، الديوان: ص ٢٥٤.

(٤) وفي الديوان:

إِذَا غَادَيْتَنِي بِصُبُوحِ عَذْلِ فَشُوِيهِ بِسَمِيمَةِ الْحَبِيبِ

غاديتني: باكرتني، والغداة: ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس. والعذل: اللوم. وشويه: اخلطبه.

(٥) في الديوان: «فإنِّي لَا أَعُدُّ الْعَذْلَ».

(٦) في الديوان: «وَمَا أَنَا إِذْ عَمِرْتُ»، و«وإنْ بَخَلْتُ». وعمرت: بقيت زماناً. ومبخوس النصيب: =

مُقَنَّعَةٌ بِشَوْبِ الْحُسْنِ تَرَعَى      بِغَيْرِ تَكْلُفٍ ثَمَرَ الْقُلُوبِ  
وفي جنان هذه يقول أبو نواس<sup>(١)</sup>:

يا ذا الذي عَنْ جِنَانٍ ظَلَّ يُخْبِرُنَا      بِإِلَّهِ قُلٍّ وَأَعْدُ يَا طَيِّبَ الْخَبْرِ  
قالوا اشْكُتَكَ وَقَالَتْ مَا ابْتُلَيْتُ بِهِ      أَرَاهُ مِنْ حَيْثُ مَا أَقْبَلْتُ فِي أَثَرِي  
وَيَرْفَعُ الطَّرْفُ نَحْوِي إِنْ مَرَرْتُ بِهِ      حَتَّى لِيُخْجِلَنِي مِنْ شِدَّةِ النَّظَرِ<sup>(٢)</sup>  
وَإِنْ وَقَفْتُ لَهُ كَيْمَا يُكَلِّمَنِي      فِي الْمَوْضِعِ الْخَلَوِ لَمْ يَنْطِقْ مِنَ الْحَصْرِ<sup>(٣)</sup>  
مَا زَالَ يَفْعَلُ بِي هَذَا وَيُذَمِّنُهُ      حَتَّى لَقَدْ صَارَ مِنْ هَمِّي وَمِنْ وَطَرِي<sup>(٤)</sup>

وفي جنان أيضاً يقول أبو نواس، وكان بها صباً، ولها محباً<sup>(٥)</sup>:

جِنَانٌ تَسُبُّنِي ذِكْرَتْ بِخَيْرٍ      وَتَزْعُمُ أَنَّني رَجُلٌ خَيْثُ  
وَأَنَّ مَوَدَّتِي كَذِبٌ وَمَيِّنٌ      وَأَنَّي لِلَّذِي تَطْطُوِي بِثُوثٍ<sup>(٦)</sup>  
وَلَيْسَ كَذَا، وَلَا رَدٌّ عَلَيْهَا،      وَلَكِنَّ الْمَلُولَ هُوَ النَّكُوثُ<sup>(٧)</sup>  
وَلِي قَلْبٌ يُنَازِعُنِي إِلَيْهَا      وَشَوْقٌ بَيْنَ أَضْلَاعِي حَيْثُ<sup>(٨)</sup>  
رَأْتُ كَلْفِي بِهَا وَقَسْدِيَمَ وَجْدِي      فَمَلَّتْنِي، كَذَا كَانَ الْحَدِيثُ<sup>(٩)</sup>

[وكانت جنان مولاة لبعض الثقفين].

وفي معنى قول ابن أبي أُمَيَّةَ يَقُولُ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَخْنَفِ:

= ممنوعه، والتصيب: الحظ. يقول: لت سيء الحظ ما دمت أرى جنان، وإن كانت لا توجد بشيء، لأن استمتاعها برؤيتها هو حسي منها.

(١) أبو نواس، الديوان: ص ٢٤٨.

(٢) في الديوان: «وَيُعْمِلُ الطَّرْفُ»، و«من حِلَّةِ النَّظَرِ».

(٣) الحصر: العي، العجز عن الكلام.

(٤) الوطر: الحاجة.

(٥) لم نجد هذه الأبيات في ديوانه.

(٦) المَيِّن: الكذب. بثُوث: كثير البث لِسِرِّه، وقد بثَّ الخبر أو السر: أذاعه.

(٧) ملول: كثير الملل: الضجر. نكوث: كثير النكث للمعهود والمواثيق، وقد نكث العهد: نقضه.

(٨) الحثيث: السريع الجاد في أمره.

(٩) كَلَفَ الشيء، وبه: أحبه وأولع به، فهو كَلِفٌ، وقيل: الكَلِفُ (بتسكين اللام): العاشق المولع.

وَحَدَّثْتَنِي يَا سَعْدُ عَنْهَا فَرَدْتُهَا جُنُونًا فَرَدَّنِي مِنْ حَدِيثِكَ يَا سَعْدُ

### شيم أهل المدينة

وأهل المدينة أكثر الناس ظُرفاً، وأكثرهم طيباً، وأحلامهم مزاجاً، وأشدُّهم اهتزازاً للسمع، وحُسن أدب عند الاستماع. وقال عبد الله بن جعفر: إن لي عند السماع هزة لو سئلت عندها لأعْطَيْتُ، ولو قاتلت لأبْلَيْتُ.

### طرب أبي ريحانة

وروى أبو العِيَنَاء قال: قال الأصمعي: مررت بدار الزبير بالبصرة، فإذا شيخ قديم من أهل المدينة من ولد الزبير يكنى أبا رِيحَانَة جالس بالباب عليه شَمْلَةٌ تَسْتُرُهُ، فسلمتُ عليه، وجلستُ إليه؛ فبينما أنا كذلك إذ طلعتُ علينا سويداء تحمل قربة، فلما نظر إليها لم يتمالك أن قام إليها، فقال لها: بالله غني صوتاً. فقالت: إن موالِيَّ أعجلوني، فقال: لا بدَّ من ذلك، قالت: أما والقربة على كتفي فلا، قال: فأنا أحملها، فأخذ القربة منها، فاندفعت تُغني:

فُوَادِي أَسِيرٌ لَا يَفْكَ، وَمُهْجَتِي تَفِيضٌ، وَأَحْزَانِي عَلَيْكَ تَطُولُ  
وَلِي مَقْلَةٌ قَرَحَى لَطُولِ اشْتِيَاقِهَا إِلَيْكَ، وَأَجْفَانِي عَلَيْكَ هُمُولٌ<sup>(١)</sup>  
فَدَيْتُكَ، أَعْدَائِي كَثِيرٌ، وَشَقَّتِي بَعِيدٌ، وَأَشْيَاعِي لَدَيْكَ قَلِيلٌ<sup>(٢)</sup>

فَطَرِبَ وصرخ صَرْخَةً، وضرب بالقربة إلى الأرض فشَقَّهَا؛ فقامت الجارية تبكي، وقالت: ما هذا بِجَزَائِي منك؛ أَسْعَفْتِكَ بحاجتك فَعَرَضْتَنِي لما أكره من موالِي. قال: لا تغتمني فإن المصيبة عليَّ حصلت، ونزع الشملة وَوَضَعَ يَدًا من خلف ويداً من قُدَام، وباع الشملة وابتاع لها قربة جديدة، وقعد بتلك الحال؛ فاجتاز به رجلٌ من ولد علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه! - فعرف حاله، فقال: يا أبا ريحانة! أحسبك من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿فَمَا رَیَحْتِ بِجَنَّتِهِمْ وَمَا كَانُوا لَهُمْ جَنَّتِينَ﴾<sup>(٣)</sup>. قال: لا يا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ، ولكنني من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ﴾<sup>(٤)</sup> الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ<sup>(٥)</sup> فضحك، وأمر له بألف درهم.

(١) هملت العين هَمَلًا، وَهَمَلَتَا، وَهُمُولًا؛ فاضت وسالت.

(٢) فديتك: كنت فداءً لك. وشقتي بعيد: أي أن ما بيني وبين أهلي بعيد. والأشياء: الأنصار.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٦.

(٤) سورة الزمر، آية: ١٧، ١٨.

### بين الأوقص المخزومي وسكران

ومرّاً بالأوقص المخزومي، وهو قاضي المدينة، سكران [وهو] يتغنّى بليل، فأشرف عليه، وقال: يا هذا، شربت حراماً، وأيقظت نياماً، وغيت خطأ، خذني، وأصلح له الغناء.

### ابن المسيب يستمع إلى منشد شعر

وسمع سعيد بن المسيب منشداً ينشد:

فَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَ سِرْبِ رَأَيْتُهُ      خَرَجْنَا مِنَ التَّنْعِيمِ مُعْتَمِرَاتٍ<sup>(١)</sup>  
مَرَرْنَا بِفَخٍّ، ثُمَّ رُحْنًا عَشِيَّةً      يُبَيِّنَنَّ لِلرَّحْمَنِ مُؤْتَجِرَاتٍ<sup>(٢)</sup>  
وَلَمَّا رَأَتْ رَكْبَ النَّمِيرِي أَعْرَضَتْ      وَكُنَّ مِنْ أَنْ يُلْقِيَنَّ حَذِرَاتٍ<sup>(٣)</sup>  
دَعَتْ نُسُوءَ شَمِّ الْعَرَانِينَ بُزْلاً      نَوَاعِمَ، لَا شُعْثاً وَلَا غَبِرَاتٍ<sup>(٤)</sup>  
فَأُبْرَزْنَ لَمَّا قُمْنَ يَحْجِبْنَ دُونَهَا      حَجَاباً مِنَ الْقَسِيِّ وَالْجَبَرَاتِ<sup>(٥)</sup>  
تَضَوُّعٍ طَيِّباً بَطْنُ نَعْمَانَ إِذْ مَشَتْ      بِهِ زَيْنَبٌ فِي نُسُوءِ عَطِرَاتٍ<sup>(٦)</sup>  
يُحَبِّسْنَ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ الثَّقَى      وَيَخْرُجْنَ شَطْرَ اللَّيْلِ مُعْتَجِرَاتٍ<sup>(٧)</sup>

(١) السرب: القطيع من البقر والظباء، والمراد به هنا جماعة من النساء الحسان. والتنعيم: موضع قرب مكة. والمعتمرات: المحرمات لأداء العمرة.

(٢) فخ: موضع بينه وبين مكة ثلاثة أميال، وبه كانت وقعة الحسين وعقبة. التلية: قولك ليك اللهم ليك. مؤتجرات: طالبات للأجر، وهو الثواب.

(٣) في الأغاني: «ولما رأت ركب النميري راعها».

(٤) العرائن: جمع عرين، وهو الأنف. وبُزْل: جمع بازل، وهو البعير يبلغ تسع سنين فتكتمل قوته، والمراد: وصف هؤلاء النسوة بأنهن بلغن السن التي ينقلن فيها القلب من مكان إلى مكان. وفي الأغاني:

تَهَادَيْنَ مَا بَيْنَ الْمُحْصَبِ مِنْ مَنَى      وَأَقْبَلْنَ لَا شُعْثاً وَلَا غَبِرَاتٍ  
والمحصب: موضع بين مكة ومنى، وهو إلى منى أقرب.

(٥) القسي: ضرب من الثياب، منسوب إلى قس، وهي قرية مصرية قرب العريش. وفي الأغاني:

فَأَذْنَيْنِ حَتَّى جَاوَزَ الرُّكْبُ دُونَهَا      حَجَاباً مِنَ الْقَسِيِّ وَالْجَبَرَاتِ  
في الأغاني: «تَضَوُّعٌ مِنْكَ».

(٧) اعتجرت المرأة: اختمرت بالعجار، وهو ثوب تلفه على استدارة رأسها، ثم تتجلبب فوقه بالجلباب. وفي الأغاني:

يُحَبِّسْنَ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ الثَّقَى      وَيَقْتُلْنَ بِالْأَلْحَاطِ مُقْتَدِرَاتٍ  
ويقال: ليست امرأة من الطائف تخرج إلا وعلى يديها قفازان للثقى.

فَقَالَ سَعِيدٌ: هَذَا وَاللَّهِ مَا يَلِدُ اسْتِمَاعَهُ، ثُمَّ قَالَ:

وَلَبَسْتُ كَأُخْرَى وَسَعَتْ جَيْبَ دِرْعِهَا      وَأُبْدَتُ بَنَانَ الْكَفِّ لِلْجَمَرَاتِ<sup>(١)</sup>  
وَعَالَتُ بَيَانَ الْمِسْكِ وَخَفَا مُرَجَلًا      عَلَى مِثْلِ بَذْرِ لَاحٍ فِي الظُّلُمَاتِ<sup>(٢)</sup>  
وَقَامْتُ تَرَاءَى بَيْنَ جَمْعٍ فَأَفْتَنْتُ      بِرُؤْيَيْهَا مَنْ رَاحَ مِنْ عَرَفَاتِ

### بين الحجاج والنميري

قال: فكانوا يرون أن الشعرَ الثاني له، والأوّل لمحمد بن عبد الله بن نُمَيْرِ الثَّقَفِيِّ<sup>(٣)</sup> بقوله في زَيْنَب بنت يُوْسُفَ أختِ الْحَجَّاجِ؛ [وطلبه الْحَجَّاجُ] حَتَّى ظَفِرَ بِهِ فَقَالَ: أَنْتَ الْقَائِلُ مَا قُلْتَ؟ قَالَ: وَهَلْ قُلْتُ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ إِلَّا:

يُخْبِتُنَ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ الثَّقَى      وَيَخْرُجُنَ شَطَرَ اللَّيْلِ مُعْجِرَاتِ  
قال له: كم كُتِبَ إذ تقول:

وَلَمَّا رَأَتْ رَكْبَ النَّمِيرِيِّ أَعْرَضَتْ

### لمحمد بن عبد الله بن نمير الثَّقَفِيِّ

قال: واللّٰه ما كنت إلا أنا وصاحب لي عَلَى حِمَارٍ هَزِيلٍ! فَضَحِكَ وَعَفَا عَنْهُ، وَهُوَ الْقَائِلُ:

أَهَاجَتُكَ الظَّعَائِنُ يَوْمَ بَانُوا      بِلَذِي الزَّيِّ الْجَمِيلِ مِنَ الْأَثَاثِ<sup>(٤)</sup>  
ظَعَائِنُ أَسْلُكْتُ فِي بَطْنِ قَوْ      تَحْتُ إِذَا رَنَتْ أَيَّ احْتِثَاثِ<sup>(٥)</sup>

(١) الدرع: قميص المرأة، وثوب صغير تلبسه الجارية في البيت.

(٢) الوحف: الأسود (صفة للشعر). والمرجل: المُسَرَّحُ.

(٣) هو محمد بن عبد الله بن نُمَيْرِ بن خَرْشَةَ بن جُثَمِ بْنِ قَسِيٍّ؟ وقسي هو ثَقِيف: شاعر غزل، مولده ومنشؤه بالطائف. من شعراء الدولة الأموية. كان يهوى زَيْنَب بنت يوسف بن الحكم أخت الحجاج بن يوسف، وله فيها أشعار كثيرة. وكان الحجاج قد طلبه، فهرب إلى اليمن، ثم ركب بحر عدن، ويقال: إنه استجار بعبد الملك بن مروان فَأَتَنَهُ. (الأصفهاني، الأغاني: ١٨٠/٦).

(٤) الظعائن: جمع الظعينة، وهي المرأة في اليهودج. والأثاث: متاع البيت.

(٥) بطن قَوْ: موضع. تحْتُ: تحضُّ، والاحتثااث: الحَضُّ. وفي الأغاني:  
ظَعَائِنُ أَسْلُكْتُ نَقَبَ الْمُتَقَى      تُحْتُ إِذَا وَنَتْ أَيَّ احْتِثَاثِ  
نقب المتقَى: موضع. وونت: فترت، ضعفت، تكاسلت.



كَأَنَّ عَلَى الْهَوَاجِ يَوْمَ بَانُوا      نِعَاجاً تَرْتَعِي بَقْلَ الْبِرَاثِ<sup>(١)</sup>  
يُهَيِّجُكَ الْحَمَامُ إِذَا تَغْنَى      كَمَا سَجَعَ النَّوَادِبُ بِالْمَرَاثِي<sup>(٢)</sup>

### [من أدب ابن المعتز]

وقال ابن المعتز: وَعَدُّ الدُّنْيَا إِلَى خَلْفٍ، وَتَقَاوُهَا إِلَى تَلَفٍ، وَبَعْدَ عَطَائِهَا الْمَنَعُ، وَبَعْدَ أَمَانِهَا الْفَجْعُ، طَوَاحَةُ طَرَّاحَةٍ، آسِيَةُ جَرَّاحَةٍ، كَمَ رَاقِدٍ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيْقَظَتْهُ، وَوَاتَّقَ بِهَا قَدْ خَافَتْهُ، حَتَّى يَلْفِظَ نَفْسَهُ، وَيَوَدِّعَ دُنْيَاهُ، وَيَسْكُنَ رَمْسَهُ، وَيَنْقُطِعَ عَنْ أَمَلِهِ، وَيُشْرِفَ عَلَى عَمَلِهِ، وَقَدْ رَجَعَ الْمَوْتُ بِحَيَاتِهِ<sup>(٣)</sup>، وَنَقَضَ قُوَى حَرَكَاتِهِ، وَطَمَسَ الْبِلَى جَمَالَ بَهْجَتِهِ، وَقَطَعَ نِظَامَ صُورَتِهِ، وَصَارَ كَخَطٍّ مِنْ رَمَادٍ تَحْتَ صِفَاتِحِ أَنْضَادٍ<sup>(٤)</sup>؛ وَقَدْ أَسْلَمَهُ الْأَحْبَابُ، وَافْتَرَشَ التُّرَابُ، فِي بَيْتِ نَجْرَتِهِ الْمَعَاوِلِ<sup>(٥)</sup>، وَفُرِشَتْ فِيهِ الْجَنَادِلُ، مَا زَالَ مُضْطَرِباً فِي أَمَلِهِ، حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي أَجَلِهِ، وَمَحَتِ الْأَيَّامُ ذِكْرَهُ، وَاعْتَادَتِ الْأَلْحَاطُ فَقْدَهُ.

### بين ابن المعتز وأستاذه ثعلب

وكتب وهو معتقل إلى أستاذه أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب<sup>(٦)</sup> يتشوقه:

مَا وَجَدْتُ صَادِقَ سَالِحِجَالٍ مُوْتَقِي      بِمَاءٍ مُزْنٍ بَارِدٍ مُصَفَّقٍ<sup>(٧)</sup>

(١) بانوا: رحلوا بعيداً. والنعاج: البقر الوحشي. والبراث: الأماكن السهلة من الرمل، واحدها برث (بالفتح). وفي الأغاني:

كَأَنَّ عَلَى الْحَدَائِجِ يَوْمَ بَانُوا      نِعَاجاً تَرْتَعِي بَقْلَ الْبِرَاثِ  
والحدائج: جمع حديجة، وهي من مراكب النساء، مثل اليهودج.

(٢) في الأغاني:

يُهَيِّجُكَ الْحَمَامُ إِذَا تَدَاعَى      كَمَا سَجَعَ النَّوَادِبُ بِالْمَرَاثِي

(٣) رجح: مال كما ترجح كفة الميزان.

(٤) صفائح أنضاد: الصفائح: الحجارة العريضة، وأنضاد: جمع نضد، وهو المنحوت باستواء، وقد نَضَدَ الشَّيْءُ: ضَمَّ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ مُتَّبِعاً.

(٥) المعاول: جمع معول، وهو آلة لحفر الأرض كالقُدوم.

(٦) هو أبو العباس، أحمد بن يحيى بن زيد بن سَيَّار النحوي الشيباني بالولاء، المعروف بثعلب: إمام

أهل الكوفة في اللغة والنحو، وكان ثَقَّةً، حُجَّةً، مشهوراً بالحفظ، وصدق اللهجة، والمعرفة

بالعربية، ورواية الشعر القديم. توفي ببغداد سنة ٢٩١ هـ / ٩٠٧ م. (ابن خلكان، وفيات

الأعيان: ١٠٢/١؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء: ١٠٢/٥).

(٧) مصفق: صفقه الريح: لعبت به حتى لكأنه يصفق.

بِالرَّيْحِ لَمْ يَكُنْزٌ وَلَمْ يُرْتَقِ جَادَتْ بِهِ أَخْلَافٌ دَجْنٌ مُطْبِقٌ<sup>(١)</sup>  
 بِصَخْرَةٍ إِنْ تَرَّ شَمْسًا تَبْرُقِ مَادَ عَلَيْهَا كَالرُّجَاجِ الْأَزْرَقِ<sup>(٢)</sup>  
 صَرِيحٌ غَيْثٌ خَالِصٍ لَمْ يُمَذَّقِ إِلَّا كَوَجْدِي بِكَ، لَكِنْ أَتَقِي<sup>(٣)</sup>  
 بِإِفَاتِحًا لِكُلِّ بَابٍ مُغْلَقٍ وَصَيْرَفِيًّا نَاقِدًا لِلْمَطْبِقِ<sup>(٤)</sup>  
 إِنْ قَالَ هَذَا يَهْرَجُ لَمْ يَتَّقِ إِنَّا عَلَى الْبِعَادِ وَالتَّفَرُّقِ<sup>(٥)</sup>  
 لِنَلْتَقِيَ بِالذِّكْرِ إِنْ لَمْ نَلْتَقِ

فأجابه: أخذت أطل الله بقاءك أول هذه الآيات مما أملتته عليك من قول جميل<sup>(٦)</sup>:

وَمَا صَادِيَاتُ حُمْنٍ يَوْمًا وَلَيْلَةً عَلَى الْمَاءِ يَخْشِبْنَ الْعِصْيَ حَوَانِي<sup>(٧)</sup>  
 كَوَاعِبُ لَمْ يَصْلُدْنَ عَنْهُ لِيُوجِّهَ وَلَا هُنَّ مِنْ بَرْدِ الْحِيَاضِ دَوَانِي<sup>(٨)</sup>  
 يَرَيْنَ حَبَابَ الْمَاءِ وَالْمَوْتُ دُونَهُ فَهِنَّ لِأَصْوَاتِ الشُّقَاةِ رَوَانِي<sup>(٩)</sup>  
 بِأَكْثَرِ مَنِي غُلَّةٍ وَصَبَابَةٍ إِلَيْكَ، وَلَكِنَّ الْعَدُوَّ عَرَانِي<sup>(١٠)</sup>

- (١) رَتَّقَ الْمَاءُ: كَثُرَ. الْأَخْلَافُ: الْأَثْدَاءُ يَفِضُ مِنْهَا اللَّيْنُ. وَالذَّجْنُ الْمَطْبِقُ: السَّحَابُ الْمُتَرَكَمُ.
- (٢) مَادَ الشَّيْءُ مَبْدَأً وَمِيدَانًا: تَحَرَّكَ وَاضْطَرَبَ، وَمَادَ الْغَضَنُ: تَمَایَلَ، وَمَادَ السَّرَابُ: تَمَوَّجَ فِي مَرَأَى الْعَيْنِ وَاضْطَرَبَ.
- (٣) لَمْ يُمَذَّقِ: لَمْ يَمِزْجْ، وَقَدْ مَذَّقَ اللَّيْنُ وَالشَّرَابُ بِالْمَاءِ: مَزَجَهُ وَخَلَطَهُ. يَشْبَهُ الْغَيْثَ الشَّدِيدَ بِالْخَمْرِ الْخَالِصَةِ نَصْرَعُ الشَّارِبِينَ.
- (٤) الصَّيْرِفِيُّ وَالصَّرَافُ وَالصَّيْرَفُ: الَّذِي يَبْدُلُ نَقْدًا بِنَقْدٍ، وَالْخَبِيرُ بِتَمْيِيزِ النُّقُودِ، وَالْمَرَادُ هُنَا: الْبَصِيرُ بِنَقْدِ الْقَوْلِ.
- (٥) الْبَهْرَجُ: الزَّاهِفُ.
- (٦) هُوَ أَبُو عَمْرٍو، جَمِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرِ الْعَدْرِيِّ، الشَّهِيرُ بِجَمِيلِ بَيْتَةٍ: شَاعِرٌ مُقَدِّمٌ فَصِيحٌ، مِنْ عَشَاقِ الْعَرَبِ الْمَشْهُورِينَ، وَصَاحِبُهُ بَيْتَةٌ، وَكِلَاهُمَا مِنْ عَذْرَةٍ. تُوْفِيَ بِمِصْرَ سَنَةَ ٨٢ هـ/ ٧٠١ م. (ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٣٤٦/١؛ الأصفهاني، الأغاني: ٩٠/٨؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ١٩٤/١). والآيات في ديوانه: ص ١٢٩.
- (٧) صَادِيَاتُ: جَمْعُ صَادِيَةٍ، وَهِيَ الْعَطْشَى، وَالْمَرَادُ بِالصَّادِيَّاتِ: النِّيَاقُ. حَوَانِي: لَاوِيَّاتُ الْأَعْنَاقِ. وَفِي الدِّيَوَانِ «يَغْشِبْنَ» أَيُ: يَضْرِبْنَ.
- (٨) كَوَاعِبُ: جَمْعُ كَاعِبٍ، وَهِيَ الْفَتَاةُ الَّتِي نَهْدُ ثَدْيِهَا.
- (٩) الْحَبَابُ: طَرَائِقُ تَظْهَرُ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ تَصْنَعُهَا الرِّيحُ، وَالْفَقَافِعُ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ. وَالرَّوَانِي: جَمْعُ رَانِيَةٍ: الَّتِي تُدِيمُ النَّظَرَ مَعَ سُكُونِ طَرَفٍ.
- (١٠) الْغُلَّةُ: شِدَّةُ الْعَطَشِ وَحَرَارَتِهِ. وَالصَّبَابَةُ: رَقَّةُ الشَّوْقِ وَحَرَارَتِهِ. وَغَرَاهُ الْأَمْرُ وَالذَّاءُ: أَلَمَ بِهِ وَأَصَابَهُ.

وَأَخَذَتْ آخَرَهَا مِنْ قَوْلِ رُؤْبَةَ بْنِ الْعَجَّاجِ<sup>(١)</sup>:

إِنِّي وَإِنْ لَمْ تَرَني فَابْتَئِي أَخُوكَ وَالرَّاعِي إِذَا اسْتَرْعَيْتَنِي<sup>(٢)</sup>  
أَرَاكَ بِالسُّودِّ وَإِنْ لَمْ تَرَني

### بعض أخبار ابن المعتز والمختار من قوله

وكان أبو العباس عبد الله بن المعتز في المنصب العالي من الشعر والنثر، وفي النهاية في إشراق ديباجة البيان، والغاية من رقة حاشية اللسان. وكان كما قال ابن المرزبان: إذا انصرف من بديع الشعر إلى رقيق النثر أتى بحلال السحر، وليس بعد ذي الرمة<sup>(٣)</sup> أكثر افتناناً وأكبر تصرفاً وإحساناً في التشبيه منه. وإنما فرقتُ جملة ما اخترتُ من شعره ونثره في جملة هذا الكتاب؛ لئلا أخرج عما تقدّم به الشرط في البسط، وأتي ههنا ببعض ما اختاره له، قال:

وَفَتَيَانٍ سَرَوْا وَاللَّيْلُ دَاجٍ وَضَوْءُ الصُّبْحِ مُتَهَّمُ الطُّلُوعِ  
كَأَنَّ بُزَانَتَهُمْ أُمَرَاءُ جَيْشٍ عَلَى أَكْتَافِهِمْ صَدَأُ الدُّرُوعِ

وقال أيضاً:

فِي لَيْلَةٍ أَكَلَ الْمُحَاقُّ هِلَالَهَا حَتَّى تَبَدَّى مِثْلَ وَقْفِ الْعَاجِ<sup>(٤)</sup>

(١) هو أبو العجاج، رؤبة بن عبد الله بن رؤبة النيمي السعدي: من رُجَّاز العرب المشهورين، ومن مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، مدح بني أمية وبني العباس، وكان أكثر مقامه في البصرة. أخذ عنه وجوه اللغة، وكثر الاحتجاج بشعره. توفي سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م. (ابن المعتز، طبقات الشعراء: ١١٣؛ البغداد، خزانة الأدب: ٨٩/١).

(٢) الراعي: من يحفظ الماشية ويرعاها، وكل من وليّ أمراً بالحفظ والسياسة. وراعه مراعاة ورعاء: لاحظته وراقبه، واسترعاها الشيء: استحفظه إياه، أو طلب منه أن يرعاها.

(٣) هو أبو الحارث، غيلان بن عقبة بن بهشي بن مسعود بن عمرو بن ربيعة، من بني عدي، وسمي ذا الرمة لقوله في الوند: «أَشَعْتُ بِأَقْي رِمَّةَ التَّقْلِيدِ». وهو من عشاق العرب المشهورين، وصاحبه مئة بنت فلان بن طلبة بن عاصم. ولد ونشأ بالبادية. عدّه حماد الراوية أحسن الإسلاميين تشبيهاً، وقال فيه أبو عمرو بن العلاء: «فتح الشعر بامرئ القيس، وختم بذي الرمة». توفي بأصبهان سنة ١١٧ هـ / ٧٣٥ م. (ابن سلام، طبقات الشعراء: ٥٤٩؛ حاجي خليفة، كشف الظنون: ٧٨٠؛ زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية: ٢٩٢/١).

(٤) وقف العاج: هو القطعة من العاج يُمسك بها الثوب كالديبوس ونحوه.

والصبحُ يَنْلُو المُشْتَرِي فَكَأَنَّهُ  
عُزِيَانُ يَمْشِي فِي الدَّجَا بِسَرَّاجٍ<sup>(١)</sup>  
وقال أيضاً يصف فرساً:

ولقد غَدَوْتُ عَلَى طِمْرٍ سَابِحٍ  
مُتَلَكِّمٍ لُجْمَ الْحَدِيدِ يُلَوِّكُهَا  
وَمُحَجَّلٍ غَيْرِ الْيَمِينِ كَأَنَّهُ  
وقال:

قَدْ أَغْتَدِي بِقَارِحٍ  
يَنْفِي الْحَصَى بِحَافِرٍ  
قَدْ ضَحِكْتَ غَرَّتُهُ  
وقال أيضاً:

وَلَقَدْ وَطِئْتُ الْغَيْثَ يَحْمِلُنِي  
جَمَّاعَ أَطْرَافِ الصُّوَارِ فَمَا أَلِ  
يَمْشِي فَيَعْرِضُ فِي الْعِنانِ كَمَا  
فَكَأَنَّهُ مَوْجٌ يَذُوبُ إِذَا  
طَرَفُ كَلَوْنِ الصَّبْحِ حِينَ وَفَدُ<sup>(٢)</sup>  
أُخْرَى عَلَيْهِ إِذَا جَرَى بِأَشَدَّ<sup>(٣)</sup>  
صَدَفَ الْمُعَشَّقُ ذُو الدَّلَالِ وَصَدَّ<sup>(٤)</sup>  
أَطْلَقَتْهُ فإِذَا حَبَسَتْ جَمْدُ

- (١) الدجي: جمع دجية، وهي الظلمة.
- (٢) الطمر: الحصان السريع الجري. وسنابك الجواد: حوافره. والعجاجة: السحابة، والقسطل: الغبار.
- (٣) اللُجْمُ: جمع لجام، وهو الحديد في فم الفرس، ثم سَمَّوْهَا مع ما يتصل بها من سُيُور وآلة لجاماً، والإسحل: شجر تُتخذ من عيدانه المساويك.
- (٤) الْمُحَجَّلُ من الدواب: ما كان البياض منه في موضع الخلاخيل والقيود وفوق ذلك. وَكَمْ مُسْبَلٍ: مُرَحَّى.
- (٥) القارح من ذي الحافر: ما طلع نابه، وذلك في السنة التاسعة. والمُسَوِّم: المُعْلَم. واليَعُوبُ: الفرس الطويل الرقيق، وقيل: الكثير الجري، وقيل: الجواد السهل في عدوه.
- (٦) التقطيب: العبوس.
- (٧) الطَّرْف من الجياد: الكريم.
- (٨) الصوار: القطيع.
- (٩) صدف عنه: أعرض ومال.

وقال أيضاً يصف سيفاً:

وَلِي صَارِمٌ فِيهِ الْمَنَايَا كَوَامِنٌ      فَمَا يُنْتَضَى إِلَّا لِتَفْكِ دِمَاءٍ<sup>(١)</sup>  
تَرَى فَوْقَ مَتْنَبِهِ الْفَرِنْدَ كَأَنَّهُ      بَقِيَّةُ غَيْسِمٍ رَقٌّ دُونَ سَمَاءٍ<sup>(٢)</sup>  
وقال يصف ناراً:

مُشْهَرَّةٌ لَا يَحْجُبُ النَّحْلُ ضَوْءَهَا      كَأَنَّ سَيْوفاً بَيْنَ عِيْدَانِهَا تُجَلَّى  
يُفَرِّجُ أَغْصَانُ الْوُقُودِ اضْطِرَامَّهَا      كَمَا شَقَّتِ الشَّقْرَاءُ عَنْ مَتْنَبِهَا جُلًّا<sup>(٣)</sup>

### للسري الرفاء

وقال بعض أهل العصر، وهو السري الموصلي<sup>(٤)</sup>:

يَوْمٌ رَدَاذٍ مُسَسِّكِ الْحُجُبِ      يَضْحَكُ فِيهِ الشُّرُورُ مِنْ كُتُبِ<sup>(٥)</sup>  
وَمَجْلِسِ أُسْبِلَتْ سَتَائِرُهُ      عَلَى شُمُوسِ الْبَهَاءِ وَالْحَسَبِ  
وَقَدْ جَرَتْ خَيْلُ رَاجِحَا خَيْبَا      فِي حَلِيهَا أَوْ هَمَمَنْ بِالْخَبِ<sup>(٦)</sup>  
وَالْتَهَبَتْ نَارَنَا فَمَنْظَرُهَا      يُغْنِيكَ عَنْ كُلِّ مَنْظَرٍ عَجَبِ  
إِذَا ارْتَمَتْ بِالْشَّرَارِ فَاطْرَدَتْ      عَلَى ذُرَاهَا مَطَارِدُ اللَّهَبِ  
رَأَيْتَ يَافُوتَةً مُشَبَّكَةً      تَطِيرُ عَنْهَا قُرَاضَةُ الذَّهَبِ<sup>(٧)</sup>

(١) يُنْتَضَى: يُسَلُّ، يُشْهَرُ، يُخْرَجُ مِنْ غَمْدِهِ.

(٢) مَتْنَبُ السَّيْفِ: جَانِبَاهُ، حَدَاهُ. وَالْفَرِنْدُ: مَا يُلْمَحُ فِي صَفْحَةِ السَّيْفِ مِنْ أَثَرِ تَمَوُّجِ الضَّوءِ.

(٣) الشَّقْرَاءُ: فَرَسٌ زَهْرِيٌّ بَنَ جَذِيمَةً، وَمَتْنَبُهَا: ظَهْرُهَا. وَالْجُلُّ: السَّرْجُ.

(٤) هُوَ أَبُو الْحَسَنِ، السَّرِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ السَّرِيِّ الْكَنْدِيُّ الْمَوْصِلِيُّ الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ. كَانَ فِي صَبَاهُ يَرْفُو

وَيَطْرُزُ فِي دُكَّانِ بِالْمَوْصِلِ، فَعَرَفَ بِالرَّفَاءِ. اتَّصَلَ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْحَمْدَانِيِّ وَمَدَحَهُ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى

بَغْدَادَ، وَمَدَحَ الْوَزِيرَ الْمَهْلِيَّ وَجَمَاعَةَ مِنَ الرُّؤَسَاءِ، فَتَفَقَّ شِعْرُهُ وَرَاجَ. تَوَفِيَ سَنَةَ ٣٦٦ هـ/

٩٧٦ م. (الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ١٤٩/٩؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء:

١٨٢/١١).

(٥) الرَّدَاذُ: الْمَطَرُ الْخَفِيفُ الضَّعِيفُ. مِنْ كُتُبٍ: مِنْ قُرْبٍ.

(٦) الْخَبِ: ضَرْبٌ مِنَ الْعَدُوِّ، وَهُوَ أَنْ يَنْقُلَ الْفَرَسُ أَيْامَهُ جَمِيعاً وَأَيْاسِرَهُ جَمِيعاً، أَوْ أَنْ يَرَاوَحَ

بَيْنَ يَدَيْهِ.

(٧) الْقُرَاضَةُ: مَا سَقَطَ بِالْقَرْضِ، وَقَدْ قَرَضَ الشَّيْءُ قَرْضاً: قَطَعَهُ بِالْمِقْرَاضِينَ.

فَانْهَضَ إِلَى الْمَجْلِسِ الَّذِي ابْتَسَمَتْ فِيهِ رِیَاضُ الْجَمَالِ وَالْأَدَبِ

### لأبي الفرج الببغاء

وقال بعض أهل العصر، وهو أبو الفرج الببغاء<sup>(١)</sup>:

فَحَمًّا قَدَّمَ الْغَلَامُ فَأَهْدَى      فِي كَوَانِيهِ حَيَاةَ الثُّبُوسِ  
كَانَ كَالْأَبْتُسُوسِ غَيْرَ مُحَلَّى      فَعَدَا وَهُوَ مُذْهَبُ الْآبُسُوسِ  
لَقِيَ النَّارَ فِي ثِيَابِ حِدَادٍ      فَكَشَّتْهُ مُصَبَّغَاتِ عَرُوسِ

### لأبي الفضل الميكالي

وقال أبو الفضل الميكالي:

كَأَنَّ الشَّرَارَ عَلَى نَارِنَا      وَقَدْ رَاقَ مُنْظَرُهَا كُلَّ عَيْنِ  
سُحَالَةٍ يَنْبِرُ إِذَا مَا عَلَا      فَإِذَا هَوَى فُتَّتَاتُ اللَّجِينِ<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

### لابن المعتز

وقال ابن المعتز يصف سحابة:

وَمُوقَرَّةٌ بِثَقْلِ الْمَاءِ جَاءَتْ      تَهَادَى فَوْقَ أَعْنَاقِ الرِّيَّاحِ<sup>(٣)</sup>  
فَبَاتَتْ لَيْلَهَا سَحًّا وَوَيْلًا      وَهَطَلًا مِثْلَ أَفْوَاهِ الْجِرَاحِ<sup>(٤)</sup>  
كَأَنَّ سَمَاءَهَا لَمَّا تَجَلَّتْ      خِلَالَ نُجُومِهَا عِنْدَ الصَّبَاحِ  
رِیَاضٌ بَنَفْسَجٍ خَضِلٍ ثَرَاهُ      تَفَقَّحَ بَيْنَهُ نَوْرُ الْأَقْصَاحِ<sup>(٥)</sup>

(١) هو أبو الفرج، عبد الواحد بن نصر بن محمد الببغا المخزومي الشامي: شاعر، ناثر. تنقل في البلاد، ومدح سيف الدولة، وبعض الرؤساء. توفي ببغداد سنة ٣٩٨ هـ / ١٠٠٨ م. (عمر كحالة، معجم المؤلفين: ٢١٤/٦).

(٢) السحابة: النخالة. الثبر: الذهب. اللجين: الفضة.

(٣) الموقرة: المثقلة.

(٤) سحّ الماء ونحوه: سال من أعلى إلى أسفل. وويلت السماء ويلًا وويولًا: اشتد مطرها، والويل والوايل: المطر الشديد. والهطل: المطر المتتابع. وقد هطل المطر: تابع متفرقًا عظيم القطر.

(٥) الخضل: الندي. الثرى: التراب. الثور: الزهر.

وقال :

وَلُجَّةٌ لِلْمَنَايَا خُضَّتْ عَمَرَتَهَا      بِصَارِمٍ ذَكَرَ صَمَصَامَةَ خَدِمِ<sup>(١)</sup>  
وَقَارِحَ صَبَغَ الْخِيلَانَ دُهِمَّتَهُ      بِشُبْهَةِ كَاخْتِلَاطِ الصُّبْحِ بِالظُّلَمِ<sup>(٢)</sup>

وقال :

وَلِيلٍ كَكَحْلِ الْعَيْنِ خُضَّتْ ظِلَامَهُ      بِأَزْرَقَ لَمَاعٍ وَأَيَّضَ صَارِمِ<sup>(٣)</sup>  
وَمَضْبُورَةِ الْأَعْضَادِ حَرْفٍ كَانَتْهَا      تُصَافِحُ رَضْرَاضَ الْحَصَى بِمَنَاسِمِ<sup>(٤)</sup>

وقال يصف حيَّةً :

نَعْتُ رَقَطَاءَ لَا تَحِيَا لِدِيغَتِهَا      لَوْ قَدَّهَا السَّيْفُ لَمْ يَغْلِقْ بِهِ بَلَلُ<sup>(٥)</sup>  
تُلْقِي إِذَا انْسَلَخَتْ فِي الْأَرْضِ جِلْدَتَهَا      كَأَنَّهَا كُتْمٌ دَرِعٌ قَدَّهُ بَطَلُ

وقال أيضاً :

وَأَسَارَ مِنِّي الدَّهْرُ عَضْباً مُهْتَدَاً      يَقُولُ شَبَابًا حَظِّي، وَقَلْباً مُشِيْعَاً<sup>(٥)</sup>  
وَرَأْيَا كَمِرَّةَ الصَّنَاعِ أَرَى بِهِ      سَرَائِرَ غَيْبِ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ مَا سَعَى

أخذه من قول المنصور لابنه المهدي: لا تُبْرِمَنَّ أمراً حتى تفكر فيه؛ فإن فكرة العاقل مرآته، تريحه قبحه وحسنه.

- (١) الصارم: السيف القاطع. وسيف ذكر أو مذكر: ذو رونق، أو شديد صلب. والذكر من الحديد: أيه وأشدّه وأجوده. والصمصامة والصمصام: السيف الصارم لا يشي. والخدم: القاطع.
- (٢) القارح من الخيل: بمزلة البازل من الإبل، وهو الذي قوي ببلوغه سبع سنين. والخيلاان: جمع خال، وهو شامة في البدن. والدهمة: السواد. والشبهة: لون بين السواد والبياض.
- (٣) المضبورة من النوق: المحكمة المخلوق، المكتنزة اللحم. والأعضاد: جمع عضد، وهو ما بين المرفق والكتف. والحرف: الضامرة. ورضراض الحصى: صغارها. والمناسم: جمع منسم، وهو خفّ البعير.

(٤) رقطاء: منقطعة. وَقَدَّ الشَّيْءُ: شَقَّ طَوْلًا.

(٥) أسار: أبقي. وسيف عَضْبٌ: قاطع، ولسان عَضْبٌ: حادّ. والمُهْتَدُ: المصنوع في الهند. وفلّ السيف فللاً: ثَلَمَهُ وكسّر حَدَّهُ. وشبابة الشَّيْءِ: حَدُّ طَرَفِهِ، يقال: شبابة السيف، وشبابة العقرب، إيرتها، والجمع: شباباً. والمشييع: الشجاع.

ولما دُفِنَ المنصور وقف الربيعُ على قبره فقال: رَحِمَكَ اللَّهُ يا أمير المؤمنين، وغفر  
لك! فقد كان لك حِمَى من العقل لا يطيرُ به الجهل، وكنت ترى باطنَ الأمرِ بمرآةٍ من  
الرأي، كما ترى ظاهره. ثم التفت إلى يحيى بن محمد أخي المنصور فقال: هذا كما قال  
أبو دَهْل الجُمحي<sup>(١)</sup>:

عَقِمَ النِّسَاءُ فَمَا يَلِدْنَ شَبِيهَهُ      إِنَّ النِّسَاءَ يَمَثُلُهُ عَقْمٌ<sup>(٢)</sup>  
وبعده:

مُتَهَلِّلٌ بِنَعَمٍ، بِإِلَّا مُتَبَاعِدٌ      سَيِّانٌ مِنْهُ الْوَفَرُ وَالْعُدْمُ<sup>(٣)</sup>  
نَزَرُ الْكَلَامِ مِنَ الْحَيَاءِ تَخَالَهُ      ضَمِنًا، وَلَيْسَ بِجِسْمِهِ سُقْمٌ<sup>(٤)</sup>  
أخذ البيت الأخير من قول لَيْلَى الْأَخِيلِيَّة:

لَا تَقْرَبَنَّ الدَّهْرَ آلَ مُطَرِّفٍ      إِنَّ ظَالِمًا يَوْمًا وَإِنْ مَظْلُومًا  
قَوْمٌ رِبَاطُ الْخَيْلِ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ      وَأَسِنَّةُ زُرْقٍ يُخَلِّنَ نُجُومًا  
وَمُمَزَّقٌ عَنْهُ الْقَمِيصُ تَخَالَهُ      وَسَطَ الْيَبُوتِ مِنَ الْحَيَاءِ سَقِيمًا  
حَتَّى إِذَا رُفِعَ اللَّوَاءُ رَأَيْتَهُ      يَوْمَ الْهَيَاجِ عَلَى الْخَمِيسِ زَعِيمًا<sup>(٥)</sup>  
وقال:

يُسَبِّهُونَ مُلُوكًا فِي تَجَلَّتْهُمْ      وَطُولِ أَنْصِبَةِ الْأَعْنَاقِ وَاللَّمَمِ<sup>(٦)</sup>

(١) هو أبو دهل، وهب بن زمعة بن أحيحة الجمحي: شاعر إسلامي، مدح معاوية وعبد الله بن الزبير. وكان سيداً شريفاً، يحمل الحمالات، ويعطي الفقراء، ويقرى الضيوف، وعرف بجمال طلعته، وعفته في شعره. توفي سنة ٩٦ هـ / ٧١٥ م. (ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٥١٢/٢؛ فروخ، تاريخ الأدب العربي: ٥٦٤/١).

(٢) عقم: جمع عقيم، وهي المرأة العاقر (التي لا تحمل).

(٣) الوفور والعدم: الغنى والفقر.

(٤) النزر: القليل. والضمن: المريض.

(٥) اللواء: الراية. والخميس: الجيش؛ لأنه خمس فرق: المقدمة، والقلب، والميمنة، والميسرة، والساقة. والزعيم: الرئيس.

(٦) الأنصبية: جمع نصاب، وهو الأصل الذي ركب فيه العنق. واللمم واللام: جمع لَمَّة، وهي شعر الرأس المجاوز شحمة الأذن.



إِذَا بَدَأَ الْمِسْكُ يَجْرِي فِي مَقَارِفِهِمْ رَاحُوا كَأَنَّهُمْ مَرَضَى مِنَ الْكَرَمِ  
 وقال أبو علي الحاتمي: وما أحسن أبياتاً أنشدنا أبو عمر المُنْطَرِزَ غلامٌ ثَعْلَبٌ يعترض  
 في أثنائها هذا المعنى:

تَخَالُهُمْ لِلْحِلْمِ صُمًّا عَنِ الْخَنَا وَخُرْسًا عَنِ الْفَحْشَاءِ عِنْدَ التَّهَانُرِ<sup>(١)</sup>  
 وَمَرَضَى إِذَا لَاقُوا حَيَاءً وَعِقَّةً وَعِنْدَ الْحُرُوبِ كَاللُّيُوثِ الْخَوَادِرِ<sup>(٢)</sup>  
 لَهُمْ عِزٌّ أَنْصَافٍ وَذُلٌّ تَوَاضُعٍ بِهِمْ وَلَهُمْ ذَلَّتْ رِقَابُ الْعَشَائِرِ  
 كَأَنَّ بِهِمْ وَصْماً يَخَافُونَ عَارَهُ وَلَيْسَ بِهِمْ إِلَّا اتِّقَاءُ الْمَعَايِرِ<sup>(٣)</sup>  
 وأنشد:

أَحْلَامٌ عَادٍ لَا يَخَافُ جَلِيسُهُمْ - وَإِنْ نَطَقَ الْعَوْرَاءُ - عَيْبَ لِسَانٍ<sup>(٤)</sup>  
 إِذَا حَدَّثُوا لَمْ يُخَشَّ سُوءَ اسْتِمَاعِهِمْ وَإِنْ حَدَّثُوا أَدَّوْا يُحْسِنُ بَيَانٍ

### لابن المعتز

وقال ابن المعتز:

وَعَاقِدِ زُنَّارٍ عَلَى غُصْنِ الْآسِ دَفِينِ الْمَعَانِي مُخْطَفِ الْخَصْرِ مَيَّاسٍ<sup>(٥)</sup>  
 سَفَانِي عُقَاراً صَبَّ فِيهَا مِسْرَاجُهَا فَأَضْحَكَ عَنْ ثَغْرِ الْحَبَابِ فَمَ الْكَاسِ<sup>(٦)</sup>  
 وقال:

بَا لَيْلَةَ نَسِي الزَّمَانُ بِهَا أَحْدَاثُهُ، كُونِي بِلَا فَجْرِ  
 فَاحِ الْمَسَاءِ بِبَدْرِهَا، وَوَشَتْ فِيهَا الصَّبَا بِمَوَاقِعِ الْقَطْرِ<sup>(٧)</sup>

- (١) التهاتر: الشهادات التي يكذب بعضها بعضاً، وقد تهاتر الخصمان: ادعى كل واحد على الآخر باطلاً. والخنأ: الفحش في الكلام.
- (٢) الخوادر: جمع خادر، وهو الليث يلزم أجمته.
- (٣) الوصم: العار، العيب. والمعابر: المعايير.
- (٤) العوراء: الكلمة أو الفعل القبيحة.
- (٥) الزنَّار: رباط يُشدُّ به الخصر. ومخطف الخصر: ضامره، ومثله: أخطف ومخطوف. وميَّاس: صيغة مبالغة من ماس: اختال وتبخثر.
- (٦) العقار: الخمر، سميت بذلك لأنها تعقر صاحبها.
- (٧) الصَّبَا: ريح ناعمة تهب من ناحية الشرق.

ثُمَّ انْقَضَتْ وَالْقَلْبُ يَتَّبِعُهَا      فِي حَيْثُ مَا سَقَطَتْ مِنَ الدَّهْرِ  
وقال:

يَا رَبِّ إِخْوَانِ صَحْبِهِمْ      لَا يَمْلِكُونَ لِسَلْوَةٍ قَلْبًا<sup>(١)</sup>  
لَوْ تَسْتَطِيعُ قُلُوبُهُمْ نَفَرَتْ      أَجْسَامُهُمْ فَتَعَانَقَتْ حُبًّا<sup>(٢)</sup>

### لابن الرومي

هذا كقول ابن الرومي<sup>(٣)</sup>:

أَعَانِقُهُ وَالنَّفْسُ بَعْدَ مَشْوَقَةٍ      إِلَيْهِ، وَهَلْ بَعْدَ الْعِنَاقِ تَدَانِي<sup>(٤)</sup>؟  
وَأَلْتُمُ فَاهُ كَيْ تَزُولَ حَرَارَتِي      فَيَشْتَدُّ مَا أَلْقَى مِنَ الْهِمَانِ<sup>(٥)</sup>  
وَلَمْ يَكْ مِقْدَارُ الَّذِي بِي مِنَ الْهَوَى      لِيُرْوِيَهُ مَا تَرَشَّفُ الشَّفْتَانِ<sup>(٦)</sup>  
كَأَنَّ فُؤَادِي لَيْسَ يَشْفِي غَلِيلَهُ      سِوَى أَنْ يُرَى الرُّوحَانِ يَمْتَزِجَانِ

### من نثر ابن المعتز

ومن مشوره: لا يزال الإخوان يسافرون في المودة، حتى يبلغوا الشفة، فإذا بلغوها ألقوا النسيار، واطمأننت بهم الدار، وأقبلت وفود النوائح، وأمنت خبايا الضمائر، فحلوا عقد التحفظ، ونزعوا ملابس التحلق.

وله: سار فلان في جيوش عليهم أردية السيوف، وأقمصة الحديد، وكان رماحهم قرون الوعول<sup>(٧)</sup>، وكان دروعهم زبد السيول، على خيل تأكل الأرض بحوافرها، وتمد

(١) السَّلْوَةُ: كل ما يسلي، والشَّلْوُ: هو النسيان مع طيب نفس بعد الفراق.

(٢) نفرت: سعت.

(٣) ابن الرومي، الديوان: ٢٢٢/٦.

(٤) في الديوان:

أعانقها والنفس بعد مشوقة إليها وهل بعد العناق تداني  
(٥) في الديوان: «ألتُمُ فاهها كي تموت حزازتي». والهمان: العطش الشديد.

(٦) في الديوان: «الذي بي من الجوى ليشفيه».

(٧) الوعول: جمع وعُل، وهو تيس الجبل، قال الأعشى:

كَنَاطِحِ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيُوهِنَهَا      فَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعِلُ

(ديوانه: ص ١٤٨).

بِالْفَقْعِ سَرَادِقَهَا<sup>(١)</sup>، قَدْ نُشِرَتْ فِي وَجْهِهَا غُرَرُ كَأَنَّهَا صَحَائِفُ الرَّقِّ<sup>(٢)</sup>، وَأَمْسَكَهَا تَحْجِيلٌ كَأَنَّهُ أَسُورَةُ اللَّجِينِ<sup>(٣)</sup>، وَقُرِّطَتْ عُدْرًا كَأَنَّهَا الشَّفَفُ<sup>(٤)</sup>، تَتَلَقَّفُ الْأَعْدَاءَ أَوَائِلُهُ وَلَمْ تَنْهَضْ أَوَاخِرُهُ، قَدْ صُبَّ عَلَيْهِمْ وَقَارُ الصَّبْرِ، وَهَبَتْ مَعَهُمْ رِيحَ النَّصْرِ.

وله في عليل: أَدْنَى اللَّهِ فِي شِفَائِكَ، وَتَلَقَّى دَاءَكَ بِدَوَائِكَ، وَمَسَحَ بِيَدِ الْعَافِيَةِ عَلَيْكَ، وَوَجَّهَ وَقَدْ السَّلَامَةَ إِلَيْكَ، وَجَعَلَ عِلَّتَكَ مَاحِيَةً لَذُنُوبِكَ، مُضَاعِفَةً لثَوَابِكَ.

وكتب إلى عبيد الله بن سليمان بن وهب<sup>(٥)</sup> في يوم عيد: أَخْرَجْتَنِي الْعِلَّةَ عَنِ الْوَزِيرِ أَعَزَّهُ اللَّهُ، فَحَضَرْتُ بِالْإِعْذَارِ فِي كِتَابِ يَتُوبُ عَنِّي، وَيَعْمُرُ مَا أَخْلَتْهُ الْعَوَائِقُ مِنِّي، وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْعِيدَ أَكْثَمَ الْأَعْيَادِ السَّالِفَةِ بَرَكََةً عَلَى الْوَزِيرِ، وَدُونَ الْأَعْيَادِ الْمُسْتَقْبَلَةِ فِيمَا يُحِبُّ وَيُحِبُّ لَهُ، وَيَقْبَلُ مَا تَوَسَّلَ بِهِ إِلَى مَرْضَاتِهِ، وَيَضَاعَفَ الْإِحْسَانَ إِلَيْهِ، عَلَى الْإِحْسَانِ مِنْهُ، وَيَمْتَنِعَهُ بِصَحْبَةِ النِّعْمَةِ وَلِبَاسِ الْعَافِيَةِ، وَلَا يُرِيئُهُ فِي مَسْرَةٍ نَقْصًا، وَلَا يَقْطَعُ عَنْهُ مَزِيدًا، وَيَجْعَلَنِي مِنْ كُلِّ سُوءٍ فِدَاءً، وَيَصْرِفَ عَيُونَ الْغَيْرِ عَنْهُ، وَعَنْ حَظِي مِنْهُ.

وله إلى بعض الرؤساء: لَا تَشْنِ حُسْنَ الظَّفَرِ بِقُبْحِ الْإِنْتِقَامِ، وَتَجَاوِزَ عَنْ كُلِّ مُذْنِبٍ لَمْ يَسْلُكْ مِنَ الْإِعْذَارِ طَرِيقًا<sup>(٦)</sup> حَتَّى اتَّخَذَ مِنْ رَجَاءِ عَفْوِكَ رَفِيقًا.

وله اعتذار إلى القاسم بن عبيد الله: تَرَفَّعَ عَنْ ظُلْمِي إِنْ كُنْتُ بَرِيئًا، وَتَفَضَّلَ بِالْعَفْوِ إِنْ كُنْتُ مُسِيئًا، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَطْلُبُ عَفْوَ ذَنْبٍ لَمْ أَجْهِهِ، وَأَلْتَمَسُ الْإِقَالَةَ مِمَّا لَا أَعْرِفُهُ؛ لِتَزْدَادَ تَطَوُّلًا، وَأَزْدَادَ تَذَلُّلًا؛ وَأَنَا أُعِيدُ حَالِي عِنْدَكَ بِكَرَمِكَ مِنْ وَاشٍ يَكِيدُهَا، وَأَحْرُسُهَا بِوَفَائِكَ مِنْ

(١) النقع: الغبار، أو غبار الحرب خاصة. والشراذق: كل ما أحاط بشيء من حائط أو مضرب، والفسطاط يجتمع فيه الناس لعريس أو مأتم وغيرهما.

(٢) الرق: جلد رقيق يكتب فيه.

(٣) اللجين: الفضة.

(٤) الشف (بالفتح): القرط. والمذر (بضمين): جمع عذار، وهو جانب اللحية.

(٥) عبيد الله بن سليمان بن وهب: وزير، من أكابر الكتاب. استوزره المعتمد على الله وأقره بعده المعتمد، واستمرت وزارته عشر سنين وخمسين يوماً. وكانت وفاته سنة ٢٨٨ هـ / ٩٠١ م. قال ابن المعتز عند دفنه:

هَذَا أَبُو الْقَاسِمِ فِي نَعْشِهِ قَوْمُوا انْظُرُوا كَيْفَ تَسِيرُ الْجِبَالِ (الزركلي، الأعلام: ٤/١٩٤).

(٦) الإعذار: إبداء العذر.

باغ يحاولُ إفسادها، وأسأل الله تعالى أن يجعلَ حظِّي منك، بقدرِ وُدِّي لك؛ ومحلي من رجائك، بحيثِ أَسْتَحِقُّ منك.

وله إليه: لو كان في الصَّمْتِ مَوْضِعٌ يَسَعُ لَخَفَّفْتُ عَنْ سَمْعِ الوزيرِ وَنَظَرِهِ، ولم أَشْغَلْ وَجْهًا مِنْ فِكْرِهِ، وما زالت الشكوى، تُعْرِبُ عَنْ لِسَانِ الْبَلْوَى، ومن اختَلَّتْ حالته، كان في الصَّمْتِ هَلَكَتُهُ، وقد كان الصبرُ ينصُرُنِي على سَثْرِ أَمْرِي حتى خذلني.

وهذا كقول أحمد بن إسماعيل: فصاحةُ الشكوى، على قَدْرِ الْبَلْوَى، إلا أن يكونَ بالشاكي انقباض، وبالمشكُوِّ إليه إعراض.

### [وصف الماء وما يتصل به]

#### لابن المعتز يصف ماء

وقد أحسن أبو العباس بن المعتز في صفة الماء في أرجوزته التي أنشدتها آنفاً، وقد قال في قصيدة له وذكر إبلاً:

فَتَبَدَّى لَهُنَّ بِالنَّجَفِ الْمُدُّ	بِرِّ مَاءٍ صَافِي الْجِمَامِ عَرِيٍّ <sup>(١)</sup>
يَتَمَشَّى عَلَى حَصَى يَسْلُبُ الْمَا	ءَ قَذَاهُ فَمَتَّئُهُ مَجْلِيٍّ <sup>(٢)</sup>
وَإِذَا دَاخَلَتْهُ دُرَّةٌ شَمْسٍ	خِلَّتُهُ كَسَّرَتْ عَلَيْهِ الْحُلِيَّ

#### وله أيضاً يحن للدويرة ويصف ماء

وقال:

لَا مِثْلَ مَنَزَلَةِ الدَّوِيرَةِ مَنَزِلٌ	يَا دَارُ جَادِكِ وَإِبِلٌ وَسَقَاكِ <sup>(٣)</sup>
بُؤْسًا لِدَهْرِ عَيَّرَتْكِ صُرُوفُهُ	لَمْ يَمُحْ مِنْ قَلْبِي الْهَوَى وَمَحَاكِ
لَمْ يَحُلْ لِلْعَيْنَيْنِ بَعْدُكَ مَنَظَرٌ	دُمَّ الْمَنَازِلُ كُلُّهُنَّ سِوَاكِ

(١) النَّجَفُ: مكان لا يعلوه الماء، مستطيل، متقاد، ويكون في بطن الوادي، أو في بطن الأرض. والنَّجَفُ: التل، والجمع: نِجَافٌ. والنَّجَفُ من الكيب: إبطه. والجمام: جمع جم، وهو الماء الكثير.

(٢) مَجْلِيٍّ: الصواب أن يقول: مَجْلُوٌّ، لأن فعله جلا، ومضارعه يجلو.

(٣) الدويرة: محلة ببغداد.

أَيِّ الْمَعَاهِدِ مِنْكَ أَنْذُبُ طَيْسَهُ  
أَمْ بَرْدُ ظِلِّكَ ذِي الْغُصُونِ وَذِي الْجَنَى  
وَكَأَنَّمَا سَطَعَتْ مَجَامِرُ عَنَبِرٍ  
وَكَأَنَّمَا حَضَبَاءُ أَرْضِكَ جَوْهَرُ  
[وَكَأَنَّمَا أَيْسَدِي الرِّبِيعِ ضُحَيَّةُ  
وَكَأَنَّ دِرْعاً مُفْرَعاً مِنْ فِضَّةِ  
مُمَسَّاكِ بِالْأَصَالِ أَمْ مَعْدَاكِ  
أَمْ أَرْضُكَ الْمَيْثَاءُ أَمْ رَبَّاءُ<sup>(١)</sup>  
أَوْ فُتٌّ فَأَرُّ الْمِسْكِ فَوْقَ ثَرَاكِ<sup>(٢)</sup>  
وَكَأَنَّ مَاءَ الْوَرْدِ دَمْعُ نَدَاكِ  
نَشَرْتُ ثِيَابَ الْوَشْيِ فَوْقَ رُبَاكِ<sup>(٣)</sup>  
مَاءُ الْغَدِيرِ جَرَتْ عَلَيْهِ صَبَاكِ<sup>(٤)</sup>

### لعاتكة المرية في وصف ماء

وعشقت عاتكة المرية ابن عم لها فراودها عن نفسها فقالت:

فَمَا طَعْمُ مَاءٍ أَيْ مَاءِ تَقْوَلُهُ  
بِمُنْعَرَجٍ مِنْ بَطْنٍ وَإِدْ تَقَابَلْتُ  
نَفْتُ جَرِيَةِ الْمَاءِ الْقَذَى عَنْ مُثُونِهِ  
بِأَطْيَبِ مِمَّنْ يُقْصِرُ الطَّرْفَ دُونَهُ  
تَحَدَّرَ عَنْ غُرٍّ طَوَالِ الذَّوَابِ  
عَلَيْهِ رِيَا حُ الصَّيْفِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ  
فَمَا إِنْ بِهِ عَيْبٌ تَرَاهُ لِشَارِبِ  
تُقَى اللَّهُ وَاسْتَحْيَاءُ بَعْضِ الْعَوَاقِبِ

### لجابر بن الأرق يصف الماء

وأنشد الأصمعي قال: أنشدني أبو عمرو بن العلاء لجابر بن الأرق، وقال: هو أحسن

ما قيل في معناه:

أَيَا وَنَحْ نَفْسِي كَلِمَا التَّحْتِ لَوْحَةً  
بَقَايَا نَطَافٍ أَوْدَعِ الْغَيْمُ صَفْوَهَا  
تَرَفَّرَقَ دَمْعُ الْمُزْنِ فِيهِنَّ وَالتَّوْتُ  
عَلَى شَرِبَةٍ مِنْ مَاءِ أَحْوَاضِ مَارِبِ<sup>(٥)</sup>  
مُصْقَلَةِ الْأَرْجَاءِ زُرْقِ الْمَشَارِبِ<sup>(٦)</sup>  
عَلَيْهِنَّ أَنْفَاسُ الرِّبَاحِ الْغَرَائِبِ

(١) الميثاء: اللينة.

(٢) فأر المسك: ما تجمد من دم الغزال.

(٣) ضحية: تصغير ضحوة.

(٤) مُفْرَعٌ: مصبوب.

(٥) التحت: عطشت، من قولهم: لاح فلان لَوْحاً وَلَوْحاً وَلَوْحاً وَلَوْحَاناً، إذا عطش. ومنه: لاح

العطش أو السفر أو الحزن فلاناً: غيَّره وأضمَّره. ومنه: المِلْوَحُ: السريع العطش، ومثله المِلْيَاحُ

والمِلْوَاخُ. ومأرب: بلاد الأزْد باليمن.

(٦) النطاف والنطف: جمع نطفة: الماء الصافي قلَّ أو كثر.

وأنشد إسحاق بن إبراهيم للأبيرد اليربوعي<sup>(١)</sup>، ورويت لمُضَرَّس بن رُبَعي الأسدي<sup>(٢)</sup>:

فَأَلْقَتْ عَصَا التَّشْيَارِ عَنْهَا، وَخَيَّمَتْ      بِأَرْجَاءِ عَذْبِ الْمَاءِ زُرْقِي مَحَافِرُهُ  
أَزَالَ الْقَذَى عَنْ مَائِهِ وَأَفْنَدُ الصَّبَا      يَرُوحُ عَلَيْهِ نَاسِماً وَبُكَارُهُ

### ولزهير

وأول من أتى بهذا زُهَيْر بن أَبِي سُلَمَى<sup>(٣)</sup> في قوله<sup>(٤)</sup>:

فَلَمَّا وَرَدْنَا الْمَاءَ زُرْقاً جَمَامُهُ      وَضَعْنَا عِصِيَّ الْحَاضِرِ الْمُتَخَيِّمِ<sup>(٥)</sup>

### ولابن الرومي

وقال ابن الرومي<sup>(٦)</sup>:

وَمَاءٌ جَلَّتْ عَنْ حُرِّ صَفْحَتِهِ الْقَذَى      مِنْ الرِّيحِ مِعْطَارُ الْأَصَائِلِ وَالْبَكْرِ  
بِهِ عَبَقٌ مِمَّا تَسَحَّبَ فَوْقَهُ      نَسِيمُ الصَّبَا يَجْرِي عَلَى النَّوْرِ وَالزَّهْرِ

- (١) هو الأبيرد بن المعذر بن قيس بن عتاب بن هرمي بن رياح بن يربوع بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم: شاعر بدوي فصيح، مقلد، لم يقد إلى الملوك، ولم يمدحهم. توفي سنة ٦٨ هـ / ٦٨٨ م. (الأصفهاني، الأغاني: ١٣/١٢٥؛ الآمدي، المؤتلف والمختلف: ٢٦).  
(٢) هو مضرس بن ربيعي بن لقيط بن فقعس الأسدي: شاعر إسلامي، له خبر مع الفرزدق. وزعم صاحب «الخزانة» أنه جاهلي. وتميّز بحسن التشبيه والوصف. (البغدادي، خزانة الأدب: ٢٢/٥؛ الزركلي، الأعلام: ٧/٢٥٠).  
(٣) هو زهير بن أبي سلمى (ربيعية) بن رياح المزني، من مضر: أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء. ولد في بلاد مزينة بنوحي المدينة. اشتهر بحكمته ورويته، وعُني بشعره، فَعُرِفَتْ قصائده بالحوليات. توفي نحو ١٣ ق. هـ / نحو ٦٠٩ م. (ابن سلام، طبقات الشعراء: ٥١؛ ابن الأثير، شرح القصائد السبع الطوال: ٢٣٥؛ بدوي طبانة، معلقات العرب: ١٣١).

- (٤) زهير بن أبي سلمى، الديوان: ص ٧٨.  
(٥) الزرقة: شدة الصفاء. ونصل أزرق وماء أزرق: إذا اشتد صفاؤهما. والجمام: جمع جم، وهو من الماء ما اجتمع منه في البئر والحوض ونحوهما. ووضع العصي: كناية عن الإقامة، لأن المسافرين إذا أقاموا وضعوا عصيهم. والتخيّم: ابتناء الخيمة، والتخيّم: المقيم.  
(٦) لم نجد هذين البيتين في ديوانه.

## [وصف الدور والقصور]

## للبحثري يصف بركة الجعفري

ويتعلق بهذا الباب قولُ البُحْثري يصف بركة الجَعْفَرِي<sup>(١)</sup> وهو قصر ابتناه المتوكل في سُرَّ مَنْ رَأَى<sup>(٢)</sup>:

يا مَنْ رَأَى الْبِرْكََةَ الْحَسَنَاءَ وَرَوْنَقَهَا      وَالْأَسَاتِ إِذَا لَاحَتْ مَغَانِيهَا<sup>(٣)</sup>  
 مَا بِأَلْ دِجْلَةٍ كَالْغَيْرَى تُنَافِسُهَا      فِي الْحُسْنِ طَوْرًا وَأَطْوَارًا تُبَاهِيهَا!  
 إِذَا عَلَتْهَا الصَّبَا ابْدَتْ لَهَا حُبَّكَأً      مِثْلَ الْجَوَاشِنِ مَصْقُولًا حَوَاشِيهَا<sup>(٤)</sup>  
 فَحَاجِبُ الشَّمْسِ أحيانًا يُغَازِلُهَا      وَرَبِّقُ الْغَيْثِ أحيانًا يُبَاكِهَا<sup>(٥)</sup>  
 إِذَا النُّجُومُ تَرَاءَتْ فِي جَوَانِبِهَا      لَيْلًا حَسِبْتَ سَمَاءَ رُكْبَتِ فِيهَا  
 كَأَنَّمَا الْفِضَّةُ الْبِيضَاءُ سَائِلَةٌ      مِنَ السَّبَائِكِ تَجْرِي فِي مَجَارِيهَا  
 تَنْصَبُ فِيهَا وَفُودُ الْمَاءِ مُعْجَلَةٌ      كَالْخَيْلِ خَارِجَةً مِنْ حَبْلِ مُجْرِيهَا<sup>(٦)</sup>  
 كَأَنَّ جِنَّ سُلَيْمَانَ الَّذِينَ وَلُوا      إِبدَاعَهَا فَأَدُقُّوا فِي مَعَانِيهَا  
 فَلَوْ تَمَرُّ بِهَا بَلْقَيْسُ عَنْ عُرْضِ      قَالَتْ: هِيَ الصَّرْحُ تَمْثِيلًا وَتَشْبِيهَا<sup>(٧)</sup>  
 [لَا يَلِغُ السَّمَكُ الْمَقْصُورُ غَايَتَهَا      لِبُعْدِ مَا بَيْنَ قَاصِيهَا وَدَانِيهَا]  
 يَعْمُنُ فِيهَا بِأَوْسَاطٍ مُجْتَنِحَةٍ      كَالطَّيْرِ تَنْشُرُ فِي جَوْ خَوَافِيهَا

- (١) الجعفري: قصر بناه المتوكل قرب سامراء، فلما انتقل إليه، انتقل معه أهل سامراء حتى كادت تخلو، وفي هذا القصر قُتل المتوكل سنة ٢٤٧ هـ / ٨٦٢ م مع وزيره الفتح بن خاقان.
- (٢) البحتري، الديوان: ٣٥/١.
- (٣) في الديوان: «الحساء رؤيتها». والرونق: الحسن، ورونق السيف: ماؤه وصفائه، ورونق الشباب: أوله وطراوته. والمناني: جمع مغنى: المسكن.
- (٤) الصبا: ريح الشرق الناعمة. الحُبْك: جمع حياك: الطريقة تحدثها الريح في الرمل والماء الساكن. الجواشن: جمع جوشن، وهو الدرع.
- (٥) في الديوان: «فحاجب الشمس أحياناً يضاحكها»، وهي أنسب للمعنى.
- (٦) الوفود: جمع وفد، والمراد هنا: تيار الماء.
- (٧) بلقيس: ملكة سبأ في اليمن. الصرح: القصر. وفي هذا البيت إشارة إلى قصة سليمان عليه السلام وبلقيس (راجع القصة في سورة النحل). يشبه الشاعر هذه البركة بقصر بلقيس العجيب.

### علي بن الجهم يصف قصور المتوكل

ولم يُنْفَقْ أَحَدٌ من خلفاء بني العباس في البناء ما أَنْفَقَهُ المتوكل؛ وذلك أنه أنفق في أبنيته ثلثمائة ألف ألف، وفي أبنيته يقول عَلِيّ بن الجهم<sup>(١)</sup>:

وَمَا زِلْتُ أَسْمَعُ أَنَّ الْمُلُوكَ	كَ تَبَيَّيَ عَلَى قَدْرِ أَخْطَارِهَا
وَأَعْلَمُ أَنَّ عُقُولَ الرِّجَالِ	لَ يُقْضَى عَلَيْهَا بِأَثَارِهَا
صُحُونٌ تَسَافِرُ فِيهَا الْعُيُونُ	فَتَحْسِرُ مِنْ بُعْدِ أَقْطَارِهَا <sup>(٢)</sup>
وَقَبَّةٌ مَلِكٌ كَانَ النُّجُومُ	مَ تَفْضِي إِلَيْهَا بِأَسْرَارِهَا
إِذَا أُوقِدَتْ نَارُهَا بِالْعِرَاقِ	أَضَاءَ الْحِجَازِ سَنَا نَارِهَا
لَهَا شُرُفَاتٌ كَأَنَّ الرِّيحَ	كَسَاهَا الرِّيَاضَ بِأَنْوَارِهَا
فَهِنَّ كَمُصْطَحِبَاتٍ خَرَجْنَ	لِفَضْحِ النَّصَارَى وَإِفْطَارِهَا <sup>(٣)</sup>
نَظْمَنَ الْقِسِيَّ كَنَظْمِ الْحَلَى	يُؤُونِ النِّسَاءِ وَأَبْكَارِهَا <sup>(٤)</sup>
فَمَنْ يَبْنِي عَاقِصَةَ شَعْرِهَا	وَمُصْلِحَةَ عَقْدِ زُنَارِهَا <sup>(٥)</sup>

### وللبحتري

وللبحتري فيها شعرٌ كثيرٌ منه<sup>(٦)</sup>:

أَرَى الْمُتَوَكِّلِيَّةَ قَدْ تَعَالَتْ مَصَانِعُهَا وَأَكْمَلَتْ التَّمَامَا<sup>(٧)</sup>

- (١) هو أبو الحسن، علي بن الجهم بن بدر بن الجهم بن مسعود القرشي السامي: شاعر مفلق مطبوع، من أهل بغداد. عاصر أبا تمام، واختص بالمتوكل، ثم غضب عليه المتوكل ونفاه إلى خراسان. شعره سهل التركيب، واضح المعاني. توفي سنة ٢٤٩ هـ / ٨٦٣ م. (الأصفهاني، الأغاني: ٢١٥/١؛ المزياني، معجم الشعراء: ١٤٠؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ٤٣/٢).
- (٢) تحسر: تكل، وقد حَسِرَ البصر حَسَارَةً فهو حَسِير، قال تعالى: ﴿يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (سورة الملك، آية: ٤). والأقطار: الأرجاء والنواحي.
- (٣) الفصح: من أعياد النصارى، وهو وفق اعتقادهم: عيد ذكرى قيام السيد المسيح من الموت.
- (٤) عون: جمع عونان، وهي التي كانت متزوجة.
- (٥) الزنار: رباط يُشَدُّ به الخصر.
- (٦) البحتري، الديوان: ٣٩/١.
- (٧) مصانعها: مبانيها. وفي الديوان: «محاسنها».



قُصُورٌ كَالْكُوَاكِبِ لَامِعَاتُ  
وَرَوْضٌ مِثْلُ بُرْدِ السَّوْثِي فِيهِ  
غَرَائِبُ مِنْ فَنُونِ النَّوْرِ فِيهَا  
تُضَاحِكُهَا الضُّحَى طَوْرًا وَطَوْرًا  
وَلَوْ لَمْ يَسْتَهْلِ لَهَا غَمَامٌ  
وَقَالَ أَيْضًا<sup>(٣)</sup>:

قَدْ تَمَّ حُسْنُ الْجَعْفَرِيِّ وَلَمْ يَكُنْ  
مَلِكٌ تَبَوَّأَ خَيْرَ دَارٍ أُنْشِئَتْ  
[فِي رَأْسِ مُشْرِفَةٍ حَصَاهَا لَوْلُؤًا]  
مُخَضَّرَةٌ وَالْغَيْثُ لَيْسَ بِسَاكِبٍ  
رُفِعَتْ بِمُنْخَرِقِ الرِّيحِ، وَجَاوَرَتْ  
وَبَعْدَهُ:

وَرَفَعَتْ بُيُوتَانَا كَأَنَّ زُهَاءَهُ  
عَالٍ عَلَى لَحْظِ الْعُيُونِ كَأَنَّمَا  
مَلَأَتْ جَوَانِبَهُ الْفُضَاءَ، وَعَانَقَتْ  
وَتَسِيلُ دِجْلُهُ تَحْتَهُ قَفْنَاؤُهُ  
شَجَرٌ تُلَاعِبُهُ الرِّيحُ فَتَنْشِئِي  
أَعْلَامُ رَضْوَى أَوْ شَوَاهِقُ صَبِيرٍ<sup>(٧)</sup>  
يَنْظُرْنَ مِنْهُ إِلَى بَيَاضِ الْمُشْتَرِيِّ<sup>(٨)</sup>  
شُرُفَاتُهُ قَطَعَ السَّحَابِ الْمُطِيرِ  
مِنْ لُجَّةٍ فَرِشَتْ وَرَوْضِ أَخْضَرِ  
أَعْطَافُهُ فِي سَائِحِ مُتَفَجِّرِ

(١) الحوذان والخزامى: من النباتات المزهرة. وفي الديوان: «وَبُرْدٌ مِثْلُ بُرْدٍ».

(٢) رَيْقُ الْقَطْرِ: الغزير منه.

(٣) البحتري، الديوان: ٤٠/١.

(٤) تَبَوَّأَ الْمَكَانَ وَه: نَزَلَهُ وَأَقَامَ بِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ (سورة الحشر، آية: ٩).

(٥) مُشْرِفَةٌ: أَي رَابِية أَوْ تَلَّةٌ عَالِيَةٌ. يُشَاب: يُمَزَج.

(٦) الصَّيْبُ: الْكَثِيرُ الْإِنْهَامَال.

(٧) رَضْوَى وَصَبِيرٌ: جَبَلَان. وَفِي الدِّيَّان: «كَأَنَّ مَنَارَهُ».

(٨) الْمُشْتَرِي: اسْمُ نَجْمٍ.

## للصنوبري يصف موضعاً في حلب

أخذ أبو بكر الصنوبري<sup>(١)</sup> قولَ البحرري في صفة البركة فقال يصف موضعاً:

سَقَى حَلْباً مَافِكَ دَمْعُهُ      يَطِيءُ الرُّقُوءَ إِذَا مَا سَفَكَ<sup>(٢)</sup>  
مَيَادِينُهُ بُسْطُهُنَّ الرِّيَاضُ      وَسَاحَاتُهُ يَبْنِيهِنَّ الْبِرْكَ  
تَرَى الرِّيحَ تَسِيحُ مِنْ مَائِهِ      دُرُوعاً مُضَاعَفَةً أَوْ شَبَاكَ  
كَأَنَّ الرُّجَّاجَ عَلَيْهَا أُذِيبَ      وَمَاءَ اللَّجَيْنِ بِهَا قَدْ سُبِكَ  
هِيَ الْجَوُّ مِنْ رِقَّةٍ غَيْرِ أَنَّ      مَكَانَ الطُّيُورِ يَطِيرُ السَّمَكَ  
وَقَدْ نَظَّمَ الزَّهْرَ نَظْمَ النُّجُومِ      فَمَقْتَرِقُ النَّظْمِ أَوْ مُشْتَبِكُ  
كَمَا دَرَجَ الْمَاءُ مَرُّ الصَّبَا      وَدَبَّحَ وَجْهَ السَّمَاءِ الْحُبُكَ<sup>(٣)</sup>  
يُبَاهِيهِنَّ أَعْلَامُ قُمْصِ الْقِيَانِ      وَنَقَشَ عَصَائِبُهَا وَالتَّكْكَ<sup>(٤)</sup>

وأخذ قوله:

إِذَا التُّجُومُ تَرَاءَتْ فِي جَوَانِبِهَا

فقال:

وَلَمَّا تَعَالَى الْبَدْرُ وَامْتَدَّ ضَوْؤُهُ      يَدْجَلَةٌ فِي تَشْرِينَ فِي الطُّولِ وَالْعَرْضِ  
وَقَدْ قَابَلَ الْمَاءَ الْمُفَضَّضُ نُورَهُ      وَبَعْضُ نُجُومِ اللَّيْلِ يَقْفُو سَنَا بَعْضِ<sup>(٥)</sup>  
تَوَهُّمُ ذُو الْعَيْنِ الْبَصِيرَةِ أَنَّهُ      يَرَى بَاطِنَ الْأَفْلَاقِ مِنْ ظَاهِرِ الْأَرْضِ

(١) هو أبو بكر، أحمد بن محمد بن الحسن بن مرار الضبي، الحلبي، الأنطاكي، المعروف بالصنوبري: شاعر سكن حلب ودمشق. وقد جمع محمد راغب الطباخ قسماً من شعره، وسمّاه الروضيات. توفي سنة ٣٣٤ هـ/ ٩٤٦ م. (ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٦١/٢؛ عمر كحالة، معجم المؤلفين: ٩١/٢).

(٢) الرقوء: يقال: رقأ الدمع والدم ونحوهما رُقُوءاً وَرُقُوءاً: سكن وجفّ وانقطع بعد جريانه. ومنه: لا أرقأ الله دمعته، ولا أرقأ عينه، وهو دعاء عليه بدوام البكاء. ورجل رَقُوءٌ بين القوم: مُصْلِحٌ.

(٣) دَرَجَهُ: جعله دَرَجَاتٍ، وَدَرَجَ البناء: جعل له دَرَجاً. وَدَبَّحَ الشيءَ وَدَبَّجَهُ: نقشه وزينه، ودبج المطر الأرض: سقاها فاخضرت وأزهرت.

(٤) التَّكْكَ: جمع تَكَّة، وهي رباط السراويل.

(٥) يقفو: يتبع. والسنا: الضوء.

ولأهل العصر في هذا النَّحْوِ كلامٌ كثير.

### للميكالي يصف بركة

قال الأمير أبو الفضل الميكالي، يصف بركة وقع عليها شعاع الشمس فألقته على مهر<sup>(١)</sup> مطلق عليها يقول:

أما تَرَى الْبِرْكََةَ الْعَرَاءَ قَدْ لَبَسَتْ      نُوراً مِنْ الشَّمْسِ فِي حَافَاتِهَا سَطَعَا  
وَالْمَهْوُ مِنْ فَوْقِهَا يُلْهِيكُ مَنَظَرُهُ      كَأَنَّهُ مَلِكٌ فِي دَسْتِهِ ارْتَفَعَا<sup>(٢)</sup>  
وَالْمَاءَ مِنْ تَحْتِهِ أَلْقَى الشَّعَاعُ عَلَى      أَعْلَى سَمَاوَاتِهِ فَارْتَجَّ مُلْتَمِعَا  
كَأَنَّهُ السِّيفُ مَضْطُّولاً تُقَابُهُ      كَفَتْ الْكَمِّيَّ إِلَى ضَرْبِ الْكَمِّيِّ سَعَى<sup>(٣)</sup>

### علي بن محمد الإيادي يصف داراً بالمنصورية

وقال علي بن محمد الإيادي يمدح المعز<sup>(٤)</sup> ويصف دار البحر بالمنصورية<sup>(٥)</sup>:

وَلَمَّا اسْتَطَالَ الْمَجْدُ وَاسْتَوْلَتْ الْبُئَى      عَلَى النَّجْمِ وَاشْتَدَّ الرِّوَاقُ الْمُرَوَّقُ<sup>(٦)</sup>  
بَنَى قُبَّةً لِلْمَلِكِ فِي وَسْطِ جَنَّةٍ      لَهَا مَنَظَرٌ يُزْهِى بِهِ الطَّرْفُ مُونِقُ<sup>(٧)</sup>  
بِمَعْشُوقَةِ السَّاحَاتِ، أَمَّا عِرَاصُهَا      فَخَضِرٌ، وَأَمَّا طَيْرُهَا فَهِيَ نَطَقُ<sup>(٨)</sup>

(١) المَهْوُ: الحصى الأبيض.

(٢) الدَّسْتُ: صدر المجلس، وَدَسْتُ الوزارة: منصبتها، والدَّسْتُ: اللباس.

(٣) الكمي: البطل الشجاع المُتَكَمِّي في سلاحه، وكمى الفارس نفسه: سترها بالدرع والبيضة،

وجمع الكمي: كُمَاةً، وقيل: الكمي: اللابس السلاح.

(٤) المعز: هو المعز بن باديس بن المنصور بن بُلْكَيْن بن زيري بن مَنَاد الحميري، الصنهاجي،

صاحب إفريقية وما والاها من بلاد المغرب: ملك جليل، عالي الهممة، مُحِبٌّ لأهل العلم، كثير

العطاء. مدحه الشعراء، وانتجعه الأدباء، وكانت ولادته بالمنصورية، ووفاته بالقيروان سنة

٤٥٤ هـ / ١٠٦٢ م. (ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٥/٢٣٣).

(٥) المنصورية: مدينة من أعمال إفريقية، يقال لها: «صبرة».

(٦) الْبُئَى: جمع بُئِيَّة. والرَّوَاقُ: بيت كالفسطاط، يُحْمَل على عمود واحد طويل، ورواق البيت:

مقدمه. وقد رَوَّقَ الْبَيْتَ: جعل له رواقاً.

(٧) مُونِقٌ: حَسَنٌ مُعْجِبٌ.

(٨) الْعِرَاصُ: الساحت، الواحدة: عَرَصَةٌ.

تَحَفَّ بِقَصْرِ ذِي قُصُورٍ كَأَنَّمَا  
 لَهُ بِرُكَّةٌ لِلْمَاءِ مِلءُ فَضَائِهِ  
 لَهَا جَذُولٌ يَنْصَبُ فِيهَا كَأَنَّهُ  
 لَهَا مَجْلِسٌ قَدْ قَامَ فِي وَسْطِ مَائِهَا  
 كَأَنَّ صَفَاءَ الْمَاءِ فِيهَا وَحُسْنَهُ  
 إِذَا بَثَّ فِيهَا اللَّيْلُ أَشْخَاصَ نَجْمِهِ  
 وَإِنْ صَافَحَتْهَا الشَّمْسُ لَاحَتْ كَأَنَّهَا  
 كَأَنَّ شُرَافَاتِ الْمَقَاصِرِ حَوْلَهَا  
 يَذُوبُ الْجَفَاءُ الْجَعْدُ عَنْ وَجْهِ مَائِهَا

تَرَى الْبَحْرَ فِي أَرْجَائِهِ وَهُوَ مُتَأَقُّ<sup>(١)</sup>  
 تَخَبُّ بِقَصْرَيْهَا الْعَيُونَ وَتُعْنِقُ<sup>(٢)</sup>  
 حُسَامٌ جَلَاءَ الْقَيْنِ بِالْأَرْضِ مُلْصَقُ<sup>(٣)</sup>  
 كَمَا قَامَ فِي فَيْضِ الْفَرَاتِ الْخَوَرَنَقُ<sup>(٤)</sup>  
 زُجَاجٌ صَفَتْ أَرْجَاؤُهُ فَهُوَ أَزْرَقُ  
 رَأَيْتَ وَجْهَ الزَّنْجِ بِالنَّارِ تُحْرِقُ  
 فَرَنْدٌ عَلَى تَاجِ الْمُعْزَرِّ وَرَوْنَقُ<sup>(٥)</sup>  
 عَذَارَى عَلَيْهِنَّ الْمُلَاءُ الْمُمنَطَقُ  
 كَمَا ذَابَ آلُ الصَّحْصَحَانِ الْمُرَقَّقُ<sup>(٦)</sup>

### لعبد الكريم بن إبراهيم يصف موضعاً

وقال عبدُ الكريم بن إبراهيم:

يَا رَبِّ فِتْيَانِ صِدْقِ رُحْتٍ بَيْنَهُمْ  
 مَرْضَى أَصَانِلَهَا حَسْرَى شَمَائِلَهَا  
 مُعَاطِيَا شَمْسٍ إِذَا مُزَجَّتْ  
 عَنْ مَاحِلٍ طَافِحٍ بِالْمَاءِ مُعْتَلِجٍ

وَالشَّمْسُ كَالذَّنْفِ الْمَعْشُوقِ فِي الْأَفْقِ<sup>(٧)</sup>  
 تُرَوِّحُ الْغُصْنَ الْمَمْطُورَ فِي الْوَرَقِ<sup>(٨)</sup>  
 تَقَلَّدَتْ عِقْدَ مَرْجَانٍ مِنَ النَّزْقِ<sup>(٩)</sup>  
 كَأَنَّمَا نَفْسُهُ صِيغَتْ مِنَ الْحَدَقِ<sup>(١٠)</sup>

- (١) الْمُتَأَقُّ: المَلَان.
- (٢) تَخَبُّ: مِنَ الْخَبَبِ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ السَّيْرِ سَرِيعٌ، وَقَدْ خَبَّ الْفَرَسُ: نَقَلَ أَبَامَنَهُ وَأَيَّاسَرَهُ جَمِيعاً فِي الْعَدُوِّ. وَتُعْنِقُ: مِنَ الْعَتَقِ، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْبَرِّ فَيُحِجُّ وَسَرِيعٌ، لِلْإِبِلِ وَالْخَيْلِ.
- (٣) الْقَيْنُ: الْحَدَاد.
- (٤) الْخَوَرَنَقُ: قَصْرٌ كَانَ لِلنَّعْمَانِ الْأَكْبَرِ بِالْعِرَاقِ.
- (٥) الْفَرَنْدُ: السِّيفُ، وَمَا يُلْمَحُّ فِي صَفْحَتِهِ مِنْ أَثَرِ تَمَوُّجِ الضَّوْءِ، وَحَبُّ الرُّثْمَانِ، وَالْوَرْدُ الْأَحْمَرُ.
- (٦) الْآلُ: السَّرَابُ. الصَّحْصَحَانُ: مَوْضِعٌ بَيْنَ حَلَبَ وَتَدْمَرَ.
- (٧) الذَّنْفُ: الْمَرِيضُ الَّذِي اشْتَدَّ مَرَضُهُ، وَأَشْفَى عَلَى الْمَوْتِ، وَمِنْهُ: دَنَفَتِ الشَّمْسُ: دَنَتْ لِلْمَغْرُوبِ وَاصْفَرَّتْ.
- (٨) الْمَمْطُورُ: الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الْمَطَرُ.
- (٩) النَّزْقُ: الْخِفَّةُ وَالطَّبِشُ فِي كُلِّ أَمْرٍ، وَقِيلَ: الْعِجْلَةُ فِي جَهْلٍ وَحُمَقٍ.
- (١٠) اعْتَلَجَ الْمَوْجُ: التَّطَمُّ، وَالرَّمْلُ: اجْتَمَعَ، وَاعْتَلَجَتِ الْأَرْضُ: طَالَ نَبَاتُهَا وَانْفَتَحَتْ، وَمُعْتَلِجٌ: مُجْتَمِعٌ.

تَضُمُّهُ الرِّيحُ أَحْيَانًا، وَتَفَرِّقُهُ  
مِنْ أَخْضَرِ نَاصِرٍ وَالطَّلُّ يُلْحَقُهُ  
تَهْزُهُ الرِّيحُ أَحْيَانًا فَيَمْنَحُهَا  
كَأَنَّ حَافَاتِهِ تُطْفَنُ مِنْ زَبَدٍ  
كَأَنَّ قُبَّتَهُ مِنْ سُندُسٍ نَمِطٍ  
إِذَا تَبَلَّجَ فَجَرٌّ فَوْقَ زُرْقَتِهِ  
أَوْ لَازَرُودًا جَرَى فِي مَنِيهِ ذَهَبٌ  
عَشِيَّةً كَمَلْتُ حُسْنًا وَسَاعَدَهَا  
تُجَلَّى بِغُرَّةٍ وَضَّاحِ الْجَبِينِ لَهُ  
فَالْمَاءُ مَا بَيْنَ مَحْبُوسٍ وَمُطْلَقٍ  
وَأَبْيَضُ تَحْتَ قَيْظِي الضُّحَى يَقُقُ<sup>(١)</sup>  
لِلزَّجَرِ خَفَقَ فَوَادِ الْعَاشِقِ الْقَلْبِي  
مَنَاطِقًا رُصَّعَتْ مِنْ لَوْلِي نَسَقٍ<sup>(٢)</sup>  
حَنَنَاءُ مَجْلُوءَةُ اللَّبَابِ وَالْعُنُقِ<sup>(٣)</sup>  
حَسْبَتُهُ فَرَسًا دَهْمَاءَ فِي بَلْقٍ<sup>(٤)</sup>  
فَلَّاحَ فِي شَارِقٍ مِنْ مَائِهِ شَرِيقٍ  
لَيْلٌ يُمَدِّدُ أَطْنَابًا عَلَى الْأَفْقِ<sup>(٥)</sup>  
مَا شِئْتَ مِنْ كَرَمٍ وَافٍ وَمِنْ خُلُقٍ

### ألفاظ لأهل العصر في وصف الماء وما يتصل به

ماء كالزُّجَاجِ الأزرق، غدير كعين الشمس، مَوَارِدُ كالمبارد، وماء كِلْسَانِ الشمعة، في صفاء الدَّمْعَةِ، يسبح في الرُّضْرَاضِ، سَبَحَ النَّضْنَاضُ، ماء أزرق كعين السُّورِ<sup>(٦)</sup>، صاف كفضيب البلور، ماء إذا مَسَّتْهُ يَدُ النسيم حكى سَلَاسِلَ الفضة، ماء إذا صافحته رَاحَةُ الرِّيحِ، لبس الدَّرْعُ كالمسيح، كأن الغديرَ بترابِ الماءِ رِداءً مُصَنَّدًا، بركة كأنها مرآة السماء، بركة مَفْرُوزَةٌ بالخضرة، كأنها مرآة مجلوة، على ديباجة خضراء، بركة ماء كأنها مرآة الصَّنَاعِ<sup>(٧)</sup>، غدير تفرقت فيه دموعُ السحائب، وتواترت عليه أنفاسُ الرياحِ الغرائب، ماء زُرْقٍ جَمَامُهُ،

(١) الطَّلُّ: المطر الخفيف. والقَيْظِي: المنسوب إلى القيظ، وهو الحر الشديد. والبَقُّ: الناصع البياض.

(٢) المَنَاطِقُ: جمع مَنَاطِقٍ: ما يُشَدُّ به الوِطْء.

(٣) السُّنْدُسُ: ضَرْبٌ مِنْ رَقِيْقِ الدِّيَابِجِ. وَاللَّبَّاتُ وَاللَّبَابُ: جمع لَبَّةٍ، وهي موضع القلادة من العنق، وقيل: اللَّبَّاتُ: أعالي الصدور، قال المتنبي:

يَضْرِبُ أُنَى الْهَامَاتِ وَالنَّصْرُ غَائِبٌ وَصَارَ إِلَى اللَّبَّاتِ وَالنَّصْرُ قَادِمٌ  
(ديوانه: ١٦٦/٢).

(٤) البَلْقُ: ارتفاع التحجيل إلى الفخذين. وفرس دهماء: سوداء.

(٥) الْأَطْنَابُ: الجبال.

(٦) السُّورُ: القِطْعُ.

(٧) الصَّنَاعُ: المرأة الماهرة فيما تصنع، ولعله أراد المرأة التي تُزَيِّنُ النساء.

طامية أَرْجَاؤُهُ، يَبُوحُ بِأَسْرَارِهِ صَفَاؤُهُ، وتلوحُ في قراره حَصْبَاؤُهُ، ماء كأنما يفقده مَنْ يَشْهَدُهُ، يَتَسَلَّلُ كالزرافين<sup>(١)</sup>، ويرضع أولاد الرِّيحِجِين، انحَلَّ عقدُ السماء، وَوَهَى عقد الأنواء، انحَلَّ سلكُ القطر عن دُرِّ الْبَحْرِ، أَسْعَدَ السحابُ جفونَ الْعُشَّاقِ<sup>(٢)</sup>، وأكفَّ الأجواد، وانحلَّ خَيْطُ السماء، وانقطع شِرْيَانُ الْغَمَامِ، سحابة يتجلَّى عليها ماءُ البحر، وتفَضُّ علينا عقود الدَّر، سحابٌ حكى المحبَّ في انسكاب دموعه، والتهاب النار بين ضُلُوعه، سحابة تحدر من الغيوم جَمَالًا، وتمدُّ من الأمطار حَبَالًا، سحابة ترسلُ الأمطارَ أمواجًا، والأمواج أفواجًا، تحللت عقد السماء بالديمَّةِ الْهَطْلَاءِ، غيثٌ أجشُّ<sup>(٣)</sup> يروي الهَضَابَ والآكام<sup>(٤)</sup>، ويحيي النبات والسَّوَامِ<sup>(٥)</sup>، غيثٌ كخزارة فضلك، وسلاسة طبعك، وسلامة عقدك، وصفاء وُدِّك، وَبَلَّ كالنبل، سحابة يَصْحَكُ من بُكَائِهَا الرُّوضِ، وتَخْضَرُ من سَوَادِهَا الْأَرْضِ، سحابة لا تجفُّ جفونُها ولا يخفُّ أُنْيُها، ديمة رَوَّتْ أديمَ الثرى، ونهت عُيُونَ التَّوْرِ من الْكَرَى، سحابة ركبَتْ أَعْنَاقَ الرِّيحِ، وَسَحَّتْ كَأَفْوَاهِ الْجِرَاحِ، مطر كأفواه الْقِرْبِ، وَوَحَلَّ إِلَى الركب، أُنْدِيَّةٌ مَنَّ اللهُ معها على البيوت بالثُّبُوتِ، وعلى السقوف بالوُقُوفِ، أَقْبَلَ السَّيْلُ يَنْحَدِرُ انحدارًا، ويحمل أحجارًا وأشجارًا، كَانَ بِهِ جَنَّةٌ، أو في أحشائه أَجَنَّةٌ.

وبعض ما مر من هذه الألفاظ محلول نظام ما تقدم إنشاده.

### ولهم في مقدمات المطر

لبست السماءُ جِلْبَابَهَا، وسحبت السحابُ أذْيَالَهَا، قد احتجبت الشمسُ في سُرَادِقِ الْغَيْمِ، ولبس الجؤُ مُطَرَفَهُ الْأَدَكْنَ<sup>(٦)</sup>، باحت الريحُ بِأَسْرَارِ النَّدى، وضربت خَيْمَةَ الْغَمَامِ، ورش جيش النسيم، وابتل جناحُ الهواءِ، واغرورقت مُقْلَةُ السَّمَاءِ، وبَشَّرَ النسيم بالندى، واستعدت الأرضُ للقطر، هَبَّتْ شمائلُ الْجَنَائِبِ، لِتَأْلِفَ شَمْلَ السَّحَابِ. تَأَلَّفَتْ أَشْتَاتُ الْغَيْومِ، وَأَسْبَلَتْ الشُّتُورُ عَلَى النُّجُومِ.

(١) الزرافين: آلات يُرْفَعُ بها الماء.

(٢) أسعد: من الإِسْعَادِ، وهو المشاركة في البكاء.

(٣) الديمة: المطر يطول زمانه في سكون، الجمع: دِيمٌ.

(٤) غَيْثٌ أَجَشُّ: ذو صَوْتٍ.

(٥) السوام: جمع سائمة، وهي الماشية.

(٦) الْمُطَرَفُ: رداءٌ أو ثوب من خَزٍّ مُرَبَّعٍ ذو أعلام، الجمع: مطارف. والأدكن: الْمُغْبَرُّ، وقد دَكِنَ دُكْنًا وَدَكْنًا: مال إلى السواد، أو اغْبَرَّ لونه.

### وفي الرعد والبرق

قام خطيبُ الرَّعْدِ، ونبض عِرْقُ الْبَرْقِ، سحابة ارتجزت<sup>(١)</sup> رَوَّاعِدها، وأذهبت بيروقها مطاردِها، نطقَ لسانُ الرعد، وخفق قلبُ البرق، فالرعدُ ذو صَحْبٍ، والبرقُ ذو لَهَبٍ، ابتسم البرقُ عن قهقهة الرعد، زارت أَسَدُ الرعد، ولمعت سيوف البرق، رعدت [سيوفُ] الغمام، وبرقت، وانحلت عَزَالِي السَّماء فطبقت، هَدَّرت رَوَّاعِدها، وقربت أَبَاعِدها، وصدقت مَوَّاعِدها. كأن البرق قلب مَشُوق، بين التهاب وَخُفُوق.

### ويتصل بهذه الأنحاء

ما حكاه عُمر بن علي المطوعي قال: رأى الأمير السيد أبو الفضل عبيد الله بن أحمد - أدام الله عزه! - أيام مُقَامِيهِ بِجُوزَيْن أن يطالع قرية من قرى ضياعه تدعى نجاب على سبيل التنزه والتفرُّج، فكنت في جملة من استصحبه إليها من أصحابه، واتفق أنا وصلنا والسماء مُصْحِيَّةٌ، والجو صاف لم يطرز ثوبه بعلم الغمام، والأفق فيروزج<sup>(٢)</sup> لم يعبق به كافور السحاب؛ فوقع الاختيار على ظل شجرة باسقة<sup>(٣)</sup> الفروع، مُسَيِّقَةُ الأوراق والغصون، قد سترت ما حوالَيْهَا من الأرض طولاً وعرضاً، فترلنا تحتها مُسْتَظِلِّينَ بِسَمَاوَةٍ أَفْنَانِهَا<sup>(٤)</sup>، مُسْتَتَرِينَ من وَهَجِ الشمس بستارة أغصانها، وأخذنا نتجاذب أذْيَالَ المذاكرة، ونَسَالِبَ أَهْدَابِ الْمُنَاشِدَةِ والمحاورة؛ فما شعرنا بالسماء إلا وقد أَرَعَدَتْ وأبرقت، وأظلمت بعدما أشرقت، ثم جادت بِمَطَرٍ كَأَفْوَاهِ الْقَرَبِ فَأَجَادَتْ، وحكت أنامل الأجواد ومدامع العشاق<sup>(٥)</sup>، بل أَوْفَتْ عليها وزادت، حتى كاد غيثها يعود عَيْثًا<sup>(٦)</sup>، وَهَمَّ وَبَلَهَا<sup>(٧)</sup> أن يستحيل وَيلاً فصبرنا على أذاها، وقلنا: سَحَابَةٌ صَيْفٍ عما قليل تَقْشَعُ، فإذا نحن بها قد أمطرتنا بَرْدًا كَالثُّغُورِ، لكنها من ثغور الْعَذَابِ، لا من الثغور الْعَذَابِ، فَأَيَقُنًا بِالْبَلَاءِ، وَسَلْمًا لأسباب القضاء؛

(١) ارتجزت: صَوَّتت.

(٢) الْفَيْرُوزُجُ: حجر كريم غير شفاف، معروف بلونه الأزرق كلون السماء، أو أُمَيْلُ إلى الخضرة، يُتَحَلَّى به، ويقال: لون فيروزي: أزرق مائل إلى الخضرة قليلاً.

(٣) باسقة: عالية مرتفعة.

(٤) السَّماوَةُ: السماء، وهو السقف. والأفنان: جمع فنن، وهو الغصن.

(٥) المدامع: جمع مدمع، وهو مكان الدمع.

(٦) الْعَيْثُ: الفساد.

(٧) الْوَيْلُ والوابل: المطر العظيم الْقَطَرُ.

فما مرت إلا ساعة من النهار، حتى سمعنا خَرِيرَ الأنهار، ورأينا السَّيْلَ قد بلغ الرُّبَى<sup>(١)</sup>، والماء قد غَمَرَ القيعانَ والرُّبَى<sup>(٢)</sup>؛ فبادرنا إلى حِصْنِ القرية لائتدِين من السَّيْلِ بأفئتيها، وعائِذِينَ من القطر بأبْنيتِها، وأثوابنا قد صَنَدَلْ كافوريَّها ماءُ الوَبْلِ، وغَلَفَ طِرازِيَّها طِينُ الوَحْلِ، ونحن نحمدُ اللهَ تعالى على سلامة الأبدان، وإن فقدنا بَيَاضَ الأكمام والأردان<sup>(٣)</sup>، ونشكره على سلامة الأنفس والأرواح، شُكْرَ التاجر على بقاء رأس المال إذا فُجِعَ بالأرياح؛ فَبِتْنَا تلك الليلة في سماءٍ تَكْفُ ولا تَكْفُ<sup>(٤)</sup>، وتَبَكِي علينا إلى الصَّباحِ بِأَدْمَعِ هَوَامٍ، وأربعة سِجَامٍ<sup>(٥)</sup>؛ فلما سُلَّ سيفُ الصَّبح من غِمدِ الظلام، وصُرِفَ بَوَالِي الصَّحو عَامِلُ العِمام، رأينا صَوَابَ الرَّأْيِ أن تُوسِعَ الإقامة بها رَفْضاً، ونتخذ الارتحالَ عنها فَرَضاً؛ فما زِلْنَا نطوي الصَّحارى أرضاً فأرضاً، إلى أن وافينا المستقر ركضاً؛ فلما نَفَضْنَا غُبَارَ ذلك المسير، الذي جمعنا في رِبْقَةِ الأسير، وأَفْضَيْنَا إلى ساحةِ التيسير، بعدما أَصْبَنَّا بالأمر العسير، وتذاكرْنَا ما لقينا من التعب والمشقة، في قطع ذلك الطريق وَطَيَّ تلك الشُّقَّةَ، أخذ الأمير السيد - أطال الله بقاءه! - القلم فعلق هذه الأبيات ارتجالاً:

دَهَتْنَا السَّمَاءُ غَدَاةَ السَّحَابِ	بَغِيثٍ عَلَى أَفْقِهِ مُسْبِلِ
فَجَاءَ بِرَعْدٍ لَهُ رَنَّةٌ	كَرْنَةٍ تُكَلِّى وَلَمْ تُشْكَلِ
وَتَنَسَّى بِوَبْلِ عَدَا طَوْرُهُ	فَعَادَ وَبَالاً عَلَى الْمُحْجِلِ <sup>(٦)</sup>
وَأَشْرَفَ أَصْحَابُنَا مِنْ أَدَاهُ	عَلَى خَطَرٍ هَائِلٍ مُعْضِلِ <sup>(٧)</sup>
فَمِنْ لَائِذٍ بِفَنَاءِ الْجِدَارِ	وَأَوْ إِلَى نَفَقٍ مُهْمَلِ <sup>(٨)</sup>
وَمِنْ مُسْتَجِيرٍ يُكَادِي: الْغَرِيقَ	هَنَّاكَ، وَمِنْ صَارِخٍ مُعْوِلِ <sup>(٩)</sup>

- (١) الرُّبَى: جمع زبية، وهي الرابية لا يعلوها ماء.
- (٢) القيعان: جمع قاع، وهو أرض مستوية مطمئنة عما يحيط بها من الجبال والآكام، تَنَصَّبَ إليها مياه الأمطار، فتسكها ثم تثبت العشب، والقاع: القَعْرُ. والرَبَى: جمع رابية: ما ارتفع من الأرض.
- (٣) الأردان: جمع رُذْن، وهو الكُم.
- (٤) تَكْفُ: تسيل. وَتَكْفُ: تمتنع.
- (٥) هوام: جمع هامة: سائلة. وسجام: جمع ساجمة: ممطرة.
- (٦) الْمُحْجِلُ: الْمُجْدِبُ.
- (٧) مُعْضِلٌ: شديد، مُسْتَعْلِقٌ، مُعْجِزٌ.
- (٨) النَّفَقُ: السَّرْدَابُ.
- (٩) الْمُعْوِلُ: الذي يرفع صوته بالبكاء والصياح، من عَوَّلَ الرجل وأعال.



وَجَادَتْ عَلَيْنَا سَمَاءُ السَّقُوفِ      بِدَمْعٍ مِنَ الْوَجْدِ لَمْ يَهْمِلِ  
كَأَنَّ حَرَاماً لَهَا أَنْ تَرَى      يَيْساً مِنَ الْأَرْضِ لَمْ يَتَلِ  
وَأَقْبَلَ سَيْلٌ لَهُ رَوْعَةٌ      فَأَذْبَرَ كُلُّ عَيْنٍ الْمُقْبِلِ  
يُقْلَعُ مَا شَاءَ مِنْ دَوْحَةٍ      وَمَا يُلْقَى مِنْ صَخْرَةٍ يَحْمِلِ  
كَأَنَّ بِأَحْشَائِهِ إِذَا بَدَا      أَجِنَّةَ حُبْلَى وَلَمْ تَحْبَلِ  
فَمِنْ عَامِرٍ رَدَّهُ غَامِراً      وَمِنْ مُعْلِمٍ عَادَ كَالْمَجْهَلِ<sup>(١)</sup>  
كَفَانَا بِلَيْتِهِ رَبُّنَا      فَقَدْ وَجَبَ الشُّكْرُ لِلْمُفْضِلِ  
فَقُلْ لِلْسَّمَاءِ ارْعُدِي وَابْرُقِي      فَإِنَّا رَجَعْنَا إِلَى الْمَنْزِلِ

### لأبي الفتح البستي

أخذ المطوعي قوله: فلما سُلَّ سيفُ الصبحِ من غمدِ الظلامِ من قول أبي الفتح البستي<sup>(٢)</sup>:

رُبَّ لَيْلٍ أَغَمَدَ الْأَنْوَارَ إِلَّا      نُورَ ثَغِيرٍ أَوْ مُدَامٍ أَوْ نُدَامٍ  
قَدْ نَعَمْنَا بِدَيَاجِهِ إِلَى أَنْ      سُلَّ سَيْفُ الصُّبْحِ مِنْ غَمْدِ الظَّلَامِ

### لأبي العباس الناشيء

[وقال بعض أهل العصر، وهو أبو العباس الناشيء<sup>(٣)</sup>]:

خَلِيلِي هَلْ لِلْمُرْنِ مُقْلَةٌ عَاشِي      أَمْ النَّارُ فِي أَحْشَائِهَا وَهِيَ لَا تَذْرِي

(١) الغامر: الخراب. والمُعْلَمُ: المعلوم، والمجهل: المجهول.

(٢) هو أبو الفتح، علي بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز البستي: شاعر مشهور، ولد في بستان (قرب سجستان) وإليها نسبته. كان من كتّاب الدولة السامانية في خراسان، وعلت مكانته عند الأمير سبكتكين، والتحق بخدمة ابنه يعين الدولة الذي أخرجه إلى ما وراء النهر، فمات غريباً في بلدة «أوزجند» ببخارى سنة ٤٠١ هـ/١٠١١ م. (الثعالبي، يتيمة الدهر: ٣٤٥/٤؛ الصفدي، الوافي بالوفيات: ١٦٨/٢٢).

(٣) هو أبو العباس، عبد الله بن محمد الناشيء الأكبر، المعروف بابن شرسير: شاعر مكثّر مجيد، من طبقة ابن الرومي والبحري. ولد بالأنبار، وأقام مدة ببغداد، ثم خرج إلى مصر فسكنها وتوفي فيها سنة ٢٩٣ هـ/٩٠٦ م. وله قصيدة على روي واحد وقافية واحدة في أربعة آلاف بيت. (ابن المعتز، طبقات الشعراء: ٤١٧؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٩٢/١٠).

أَشَارَتْ إِلَى أَرْضِ الْعِرَاقِ فَأَصْبَحَتْ  
سَحَابٌ حَكَتْ تُكَلَّى أُصِيبَتْ بِوَاحِدٍ  
تَسْرِبَلْ وَشَيْئاً مِنْ حُزُونٍ تَطَرَّرَتْ  
فَوْشِيَّ بِلَا رَقْمٍ، وَرَقْمٌ بِلَا يَدٍ  
وَقَالَ آخَرُ:

أَرَفْتُ لِبَرْقٍ شَدِيدِ الْوَمِيزِ  
كَأَنَّ تَأَلَّقَهُ فِي السَّمَاءِ  
تَرَامَى غَوَارِبُهُ بِالشُّهْبِ  
سُطُورٌ كُتِبْنَ بِمَاءِ الذَّهَبِ

### لابن المعتز

وقال ابن المعتز:

كَأَنَّ الرَّيَّابَ الْجَوْنَ دُونَ سَحَابِهِ  
إِذَا لَحِقَتْهُ خِيفَةٌ مِنْ رُعُودِهِ  
خَلِيعٌ مِنَ الْفَتَيَانِ يَسْحَبُ مِنْزَرًا<sup>(١)</sup>  
تَلَقَّتْ وَاسْتَلَّ الْحُسَامُ الْمَذْكُرَا

### لحسن بن ثابت

وقد قال حسان بن ثابت<sup>(٢)</sup>:

كَأَنَّ الرَّيَّابَ دُونِ السَّحَابِ  
نَعَامٌ تَعْلُقُ بِالْأَرْجُلِ<sup>(٣)</sup>

### لابن المعتز أيضاً

وقال ابن المعتز:

بَسَاكِيَةٌ يَضْحَكُ فِيهَا بَرْقُهَا  
مُوصَلَةٌ بِالْأَرْضِ مُرْخَاةُ الطُّنْبِ<sup>(٤)</sup>

(١) عاجت: مالت.

(٢) الرباب: السحاب. والجون: الأسود.

(٣) هو أبو الوليد، حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري: شاعر الرسول ﷺ وصاحبه، وأحد المخضرمين الذين أدركوها الجاهلية والإسلام. اشتهر في الجاهلية بمداخلة للغساسنة وملوك الحيرة، ثم أصبح المحامي الأكبر عن الإسلام والمسلمين في معارك القول مع المشركين. توفي سنة ٥٤ هـ/ ٦٧٤ م. (ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ١/ ٢٢٣؛ الأصفهاني، الأغاني: ٤/ ١٣٧).

(٤) دوين: تصغير دون.

(٥) الطنّب: الحبل، الجمع أطناب.

رَأَيْتُ فِيهَا بَرْقَهَا مُنْذُ بَدَا  
جَرْتُ بِهَا رِيحَ الصَّبَا حَتَّى بَدَا  
تَحْسَبُهُ طُورًا إِذَا مَا انْصَدَعَتْ  
وَتَارَةً تَحْسَبُهُ كَأَنَّكَ  
وَتَارَةً تَحْسَبُهُ كَأَنَّكَ  
كَمِثْلِ طَرْفِ الْعَيْنِ أَوْ قَلْبٍ يَجِبُ<sup>(١)</sup>  
مِنْهَا لِي الْبَرْقُ كَأَمْثَالِ الشُّهْبِ<sup>(٢)</sup>  
أَحْشَاؤُهَا عَنْهُ شُجَاعًا يَضْطَرِبُ<sup>(٣)</sup>  
أَبْلَقُ مَالٍ جُلُّهُ حِينَ وَثَبُ<sup>(٤)</sup>  
سَلَسِلُ مَقْصُولَةٍ مِنَ الذَّهَبِ

وقال الطائي:

يَا سَهْمٌ لِلْبَرْقِ الَّذِي اسْتَطَارَا  
صَارَ عَلَى رُغْمِ الدُّجَى نَهَارَا  
أَصْ لَنَا مَاءٌ وَكَانَ نَارًا<sup>(٥)</sup>

وينشد أصحاب المعاني:

نَارٌ تَجَدَّدُ لِلْعَيْنَيْنِ نُضْرَتَهَا  
وَالنَّارُ تَلْفَحُ عِيدَانَا فَتَحْتَرِقُ

### لابن المعتز يمدح الشراب في الصحو

وقال ابن المعتز يمدح الشرب في الصحو، ويذمه في المطر:

أَنَا لَا أَشْتَهِي سَمَاءَ كَبُطْنِ الدِّ  
يُبْنِ سَقْفٍ قَدْ صَارَ مُنْخَلَّ مَاءٍ  
وَيُيَوِّتُ يُوقِّعُ الْوَكُفَّ فِيهِ  
إِنَّمَا أَشْتَهِي الصَّبُوحَ عَلَى وَجْهِ  
وَنَسِيمٍ مِنَ الصَّبَا يَتَمَشَّى  
عَيْرَ وَالشَّرْبُ تَحْتَهَا فِي خَرَابِ<sup>(٦)</sup>  
وَجِدَارٍ مُلْقَى وَتَلَّ تُرَابٍ  
سَنَ وَإِقَاعُهُ بِغَيْرِ صَوَابِ<sup>(٧)</sup>  
هِ سَمَاءٌ مَقْصُولَةُ الْجَلْبَابِ<sup>(٨)</sup>  
فَوْقَ رَوْضٍ نَدٍ جَدِيدِ الشَّبَابِ

(١) يجب: يضطرب.

(٢) الصبا: ريح ناعمة تهب من الشرق.

(٣) الشجاع: الثعبان.

(٤) الأبلق: الجواد يرتفع تحجيله إلى الفخذين، والتحجيل: بياض في القوائم. والجل: ما يوضع على ظهر البعير والجواد.

(٥) أص: رجع وصار.

(٦) الشرب: جماعة الشارين.

(٧) التوقيع: الضرب على آلة الغناء. والوكف: انهمال المطر.

(٨) الصبوح: الخمر التي تُشرب في الصباح.

وَكَأَنَّ الشَّمْسَ الْمَضِيَّةَ دِينَا  
فِي غَدَاةٍ وَكَأْسُهَا مِثْلُ شَمْسٍ  
أَوْ عُرُوسٍ قَدْ ضُمَّخَتْ بِخُلُوقٍ  
وَعَنَاءٍ لَا عُذْرَ لِلْعُودِ فِيهِ  
وَنَقَاءِ الْبَسَاطِ مِنْ وَضَرِ الطَّبِّ  
وَنَشَاطِ الْغُلَمَانِ إِنْ عُرِضَتْ حَا  
وَجَفَافِ الرِّيحَانِ وَالتَّرْجَسِ الْغَدَا  
لَا تَنْدَى أَنْوْفُهُمْ كُلَّمَا حُدِّ  
ذَاكَ يَوْمٌ أَرَاهُ غَنَمًا وَحَظًّا  
وقال الصنوبري:

أَنْيَسُ ظِبَاءٍ بِوَحْشِ الطَّبَا  
وَيَوْمٍ تُكَلِّلُهُ الشَّمْسُ مِنْ  
بِشْمِ الدُّنَانِ وَشَمْسِ الْقِيَانِ  
وَصِبْغٍ حَيًّا مِثْلُ صِبْغِ الْحَيَا  
صَفَاءِ الْهَوَى وَصَفَاءِ الْهَوَا  
وَشَمْسِ الْجَنَانِ وَشَمْسِ السَّمَا

### وصف شدة الشوق

وَشَيْءٌ بِالْأَبْيَاتِ الَّتِي كَتَبَهَا ثَعْلَبٌ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ الْمَعْتَرِ لَجَمِيلٍ<sup>(٢)</sup> قَوْلُ الْآخِرِ:  
وَمَا وَجَدُ مِلْوَاحٍ مِنَ الْهَيْمِ خُلِّيتُ  
تَحُومٌ وَتَغْشَاهَا الْعِصْيُ وَحَوْلَهَا  
بِأَكْثَرِ مَنِّي لَوْعَةً وَصَبَابَةً  
عَنِ الْوَرْدِ حَتَّى جَوْفُهَا يَتَصَلَّصِلُ<sup>(٣)</sup>  
أَقْطَاعُ أَنْعَامٍ تُعَلُّ وَتَنْهَلُ  
إِلَى الْوَرْدِ إِلَّا أَنْتَنِي أَنْجَمَلُ

### لأبي حية في هذا المعنى

وقال أبو حية التميمي:

كَفَى حَزَنًا أَنِّي أَرَى الْمَاءَ مُعْرِضًا  
لِعَيْنِي وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوَرْدِ

(١) ضُمَّخَتْ: لَطَخَتْ. وَالْخُلُوقُ: ضَرَبٌ مِنَ الطَّبِّ أَعْظَمُ أَجْزَائِهِ الزَّعْفَرَانُ.

(٢) وَرَدَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ فِي الصَّفْحَةِ ١٨٦ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ.

(٣) الْمِلْوَاحُ: النَّاقَةُ أَصَابَهَا اللَّزْجُ، وَهُوَ الظَّمْأُ الشَّدِيدُ. وَالْهَيْمُ: جَمْعُ هَيْمَاءَ، وَهِيَ الَّتِي أَصَابَتْ بِدَاءِ الْهَيْامِ، وَهُوَ شِدَّةُ الظَّمْأِ. وَيَتَصَلَّصِلُ: يُصَوَّتُ.

وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ مَيْثِي بِكَفِّ أَعَزَّ النَّاسِ كُلِّهِمْ عِنْدِي

### [وصف رجل حازم لابن المقفع]

قال ابن المقفع: كان لي أخ أعظم الناس في عيني، وكان رأس ما عظمه في عيني صغر الدنيا في عينه، وكان خارجاً من سلطان بطنه، فلا يشتهي ما لا يجد، ولا يكثر إذا وجد، وكان خارجاً من سلطان فرجه، فلا تدعوه إليه مؤنة، ولا يستخف له رأياً ولا بدنأً. وكان لا يتأثر عند نعمة، ولا يستكين عند مصيبة. وكان خارجاً من سلطان لسانه، فلا يتكلم بما لا يعلم، ولا يماري فيما علم، وكان خارجاً من سلطان الجهالة، فلا يتقدم أبداً إلا على ثقة بمنفعة، وكان أكثر دهره صامتاً، فإذا قال برّ القائلين<sup>(١)</sup>، وكان ضعيفاً مستضعفاً، فإذا جدّ الجدّ فهو اللبث عاديّاً<sup>(٢)</sup>. وكان لا يدخل في دعوى، ولا يشارك في مرأ<sup>(٣)</sup>، ولا يذلّ بحجة حتى يرى قاضياً فهِماً وشهوداً عدولاً. وكان لا يلوم أحداً فيما يكون العذر في مثله حتى يعلم ما عذره.

وكان لا يشكو وجعه إلا عند من يرجو عنده البرء، ولا يستشير صاحباً إلا أن يرجو منه النصيحة. وكان لا يتبرّم<sup>(٤)</sup> ولا يتسخط، ولا يتشكى ولا يتشهى، ولا يتقم من العدو، ولا يغفل عن الولي، ولا يخص نفسه بشيء دون إخوانه من اهتمامه وحيلته وقوته. فعليك بهذه الأخلاق إن أطقها، ولن تطيق، ولكن أخذ القليل خير من ترك الجميع.

### لابن كناسة يصف ابن أدهم

وعلى ذكر قوله: «وإن قال برّ القائلين» قال ابن كناسة<sup>(٥)</sup> - واسمه محمد بن عبد الله، ويكنى أبا يحيى - في إبراهيم بن أدهم<sup>(٦)</sup> الزاهد:

- (١) برّ القائلين: غلبهم.
- (٢) عادياً: منصوب على الحال.
- (٣) المرأ: الجدل. قال تعالى: «فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِراً» (سورة الكهف، آية ٢٢).
- (٤) يتبرّم: يتضجر.
- (٥) هو أبو يحيى، محمد بن عبد الله بن عبد الأعلى المازني، المعروف بابن كناسة: أديب فاضل، له علم بالعربية، والشعر، وأيام الناس. توفي بالكوفة سنة ٢٠٧ هـ / ٨٢٣ م. من آثاره: «كتاب الأنواء» و«معاني الشعر»، و«سراقات الكميت من القرآن»، وغيرها. (عمر كحالة، معجم المؤلفين: ٢٢٢/١٠).
- (٦) هو أبو إسحاق، إبراهيم بن أدهم البلخي: سيد جليل، زاهد، فصيح، وله مناقب وكرامات لا =

رَأَيْتُكَ لَا تَرْضَى بِمَا دُونَهُ الرِّضَا      وَقَدْ كَانَ يَرْضَى دُونَ ذَاكَ ابْنُ أَذْهَمَا  
وَكَانَ يَرَى الدُّنْيَا صَغِيرًا عَظِيمُهَا      وَكَانَ لِأَمْرِ اللَّهِ فِيهَا مُعْظَمَا  
وَأَكْثَرُ مَا تَلَقَّاهُ فِي النَّاسِ صَامِتًا      وَإِنْ قَالَ بَزُّ الْقَائِلِينَ فَأَفْحَمَا  
يُشِيعُ الْغِنَى فِي النَّاسِ إِنْ مَسَّهُ الْغِنَى      وَتَلَقَّى بِهِ الْبِئْسَاءُ عَيْسَى بْنُ مَرِيَمَا  
أَهَانَ الْهَوَى حَتَّى تَجَنَّبَهُ الْهَوَى      كَمَا اجْتَنَّبَ الْجَانِي الدَّمَ الطَّالِبَ الدَّمَا

### ألفاظ لأهل العصر في ذكر التقى والزهد

فلان عَذِبُ الْمَشْرَبِ، عَفَّ الْمَطْلَبُ، نَقِيَ السَّاحَةُ مِنَ الْمَآثِمِ، بَرِيءُ الذِّمَّةِ مِنَ الْجَرَائِمِ، إِذَا رَضِيَ لَمْ يَقُلْ غَيْرَ الصَّدَقِ، وَإِذَا سَخِطَ لَمْ يَتَجَاوَزْ جَانِبَ الْحَقِّ، يَرْجِعُ إِلَى نَفْسِ أَمَّارَةٍ بِالْخَيْرِ، بَعِيدَةٍ مِنَ الشَّرِّ، مَذْلُولَةٍ عَلَى سَبِيلِ الْبَرِّ، أَعْرَضَ عَنْ زِبْرِجِ الدُّنْيَا وَخُدْعِهَا، وَأَقْبَلَ عَلَى اكْتِسَابِ نِعَمِ الْآخِرَةِ وَمُتَعِهَا. كَفَّفَ كَفَّهُ عَنْ زُخْرِفِ الدُّنْيَا وَنَضَّرَتَهَا، وَغَضَّ طَرْفَهُ عَنْ مَتَاعِهَا وَزَهْرَتِهَا؛ وَأَعْرَضَ عَنْهَا وَقَدْ تَعَرَّضَتْ لَهُ بِزِيَّتِهَا، وَصَدَّ عَنْهَا وَقَدْ تَصَدَّتْ لَهُ فِي حِلِّيَّتِهَا.

فلانٌ لَيْسَ مِمَّنْ يَقِفُ فِي ظِلِّ الطَّمَعِ، فَيَسِفُّ إِلَى حَضِيضِ الطَّبَعِ<sup>(١)</sup>، نَقِيُّ الصَّحِيفَةِ، عَلِيٌّ عَنِ الْفَضِيحَةِ، عَفَّ الْإِزَارَ، طَاهِرٌ مِنَ الْأَوْزَارِ، قَدْ عَادَ لِإِصْلَاحِ الْمَعَادِ، وَإِعْدَادِ الزَّادِ.



### من أخبار ابن المقفع

وكان ابنُ الْمُقَفَّعِ من أشراف فارس، وهو من حكماء زمانه، وله مصنفات كثيرة، ورسائل مختارة؛ وكان مُحجِّماً عن قول الشعر، وقيل له: لم لا تقول الشعر؟ فقال: الذي أَرْضَاهُ لَا يَجِئُنِي، والذي يَجِيءُ لَا أَرْضَاهُ.

= نُحْصِي. كَانَ يَعِيشُ مِنْ عِرْقِ جَبِينِهِ، وَيَشْتَرِكُ مَعَ الْغَزَاةِ فِي قِتَالِ الرُّومِ. وَمِنْ شَعْرِهِ:  
تَرَكْتُ الْخَلْقَ طُرًّا فِي رِضَاكَ      وَأَيَّتَمْتُ الْعِيَالُ لِكُنْيِ أَرَاكَ  
فَلَمَّا قَطَعْتَنِي فِي الْحُبِّ إِرْبَا      لَمَّا حَنَّ الْفُؤَادُ إِلَى سَوَاكَ  
وكانت وفاته سنة ١٦٢ هـ/ ٧٧٩ م. (ابن العماد، شذرات الذهب: ٢٥٥/١).

(١) الطَّبَعُ: الْخِصَّةُ.

أخذ هذا بعضُهم فقال<sup>(١)</sup>:

أَبَى الشَّعْرُ إِلَّا أَنْ يَقِيَّ رَدِيئُهُ      إِلَيَّ، وَيَأْبَى مِنْهُ مَا كَانَ مُحْكَمًا  
فَيَا لَيْتَنِي إِذْ لَمْ أُجِدْ حَوْكَ وَشِيهِ      وَلَمْ أَكُ مِنْ فُرْسَانِهِ كُنْتُ مُفَحَّمًا<sup>(٢)</sup>

وكان ظريفاً في دينه<sup>(٣)</sup>، وذكر أنه مرَّ ببَيْت النار فقال:

يَا بَيْتَ عَاتِكَةِ الَّذِي أَتَعَزَّلُ      حَذَرَ الْعِدَا وَبِهِ الْفَوَازُ مُوَكَّلُ<sup>(٤)</sup>  
أَصْبَحْتُ أَمْنُحَكَ الصُّدُودَ، وَإِنِّي      قَسَمًا إِلَيْكَ مَعَ الصُّدُودِ لِأُمَيْلُ

### ترجمة للأحوص

البيتان للأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري أخي بني عمرو بن عوف. وعاصم بن ثابت حميُّ الدُّبُرِ<sup>(٥)</sup> قتله بنو لحيان من هذيل يوم الرجيع، فأرادوا أن يبعثوا برأسه إلى مكة، وكانت سُلَافَةُ بنتُ سَعْدٍ نذرت لِتَشْرَبَنَّ فِي رَأْسِهِ الْخَمْرَ، وكان قَتَلَ بَعْضَ وَلَدِهَا مِنْ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ أَحَدِ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ يَوْمَ أُحُدٍ، فلما أرادوا أخذَ رَأْسِهِ حَمَتُهُ الدُّبُرُ - وهي النحل - فلم يَجِدُوا إِلَيْهِ سَبِيلًا، وجعلوا يقولون: إِنَّ الدُّبُرَ لَوْ قَدْ أَمْسَى صِرْنَا إِلَى حَشْوِ اسْتِهِ، فلما أَمْسَوْا بَعَثَ اللَّهُ أَتِيًّا فَوَارَاهُ مِنْهُمْ<sup>(٦)</sup>. وعاتكة التي ذكر هي عاتكة بنت يزيد بن معاوية.

### [الطّف تعريض، وأدق فهم]

ولما دخل أبو جعفر المنصورُ المدينة قال للربيع: أَبْغِنِي رَجُلًا عَاقِلًا عَالِمًا بِالمَدِينَةِ لِيَقْفِنِي عَلَى دُورِهَا، فَقَدْ بَعُدَ عَهْدِي بِدِيَارِ قَوْمِي؛ فَالْتَمَسَ لَهُ الرِّبِيعُ فَتًى مِنْ أَعْقَلِ النَّاسِ وَأَعْلَمِهِمْ، فَكَانَ لَا يَتَدَيُّ بِإِخْبَارٍ حَتَّى يَسْأَلَهُ الْمَنْصُورُ فَيَجِيبُهُ بِأَحْسَنِ عِبَارَةٍ، وَأَجُودِ بَيَانٍ،

(١) البيتان لعبد الملك بن قريش الأصمعي، انظر العمدة في محاسن الشعر لابن رثيق القيرواني: ٢٠٦/١.

(٢) الْمُفَحَّمُ: الْمُغَلَّبُ.

(٣) «ظريفاً في دينه»: يريد أنه كان متهماً في دينه، لأنه كان قبل إسلامه مجوسياً يعبد النار.

(٤) أَتَعَزَّلُ: أَتَجَنَّبُ.

(٥) الدُّبُرُ: جماعة النحل والزنابير.

(٦) الْأَتِيُّ: السَّيْلُ يَأْتِي مِنْ بَعِيدٍ.

وأوفى معنى، فأعجب المنصور به، وأمر له بمال، فتأخر عنه، ودعته الضرورة إلى استنجاهه، فاجتاز بيت عاتكة، فقال: يا أمير المؤمنين؛ هذا بيت عاتكة الذي يقول فيه الأحوص: «يا بيت عاتكة الذي أتعلل... البيت، ففكر المنصور في قوله، وقال: لم يخالف عادته بابتداء الإخبار دون الاستخبار إلا لأمر، وأقبل يردد القصيدة ويتصفحها بيتاً حتى انتهى إلى قوله فيها:

وَأَرَاكَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ وَبَعْضُهُمْ مَذِقُ اللِّسَانِ يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ<sup>(١)</sup>

فقال: يا ربيع، هل أوصلت إلى الرجل ما أمرنا له به؟ فقال: أخرته عنه - لعله ذكرها الربيع - فقال: عجله له مضاعفاً، وهذا اللفظ تعريض من الرجل، وحسن فهم من المنصور.

### [الحسد والحساد]

#### لابن المقفع في صفة الحاسد

ومن كلام ابن المقفع: الحاسد لا يزال زارياً على نعمة الله ولا يجد لها مزالاً، ومكدرأ على نفسه ما به من النعمة فلا يجد لها طعماً، ولا يزال ساخطاً على من لا يترضاه، ومتسخطاً لما [لا] ينال، فهو كظوم هُلُوعَ جَزُوع<sup>(٢)</sup>، ظالم أشبه شيء بمظلوم، محروم الطلبة، مُنْغَصَّ العيشة، دائم التسخط، لا بما قسِمَ له يَنْتَعِ، ولا على ما لم يُقَسَمَ له يغلب، والمحسود يتقلب في فضل نعم الله مباشراً للسرور، مُمَهَّلًا فيه إلى مُدَّةٍ لا يقدر الناس لها على قطع ولا انتقاص، ولو صبر الحاسد على ما به لكان خيراً له؛ لأنه كلما أراد أن يُطْفِئَ نورَ الله أعلاه، ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتَّخَذَ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

- (١) مذاق اللسان: يقول ما لا يفعل، ومنه: رجل مَذِقٌ: مَلُولٌ، وأصل المَذِق: المزج والخلط، يكون ذلك في اللبن والشراب ونحوهما.
- (٢) كظوم: صيغة مبالغة من كظم الرجل غيظه إذا أمسك على ما في نفسه من صافحاً أو مغيضاً، فهو كاظم وكظيم وكظوم، قال تعالى: ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ﴾ «سورة آل عمران، آية ١٣٤»، وقال تعالى: ﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (سورة يوسف، آية ٨٤). وهُلُوعٌ: كثير الهلع، صيغة مبالغة من هلع الرجل هلعاً إذا جزع جزعاً شديداً، فهو هَلِيعٌ، وهَالِيعٌ، وهَلُوعٌ، وهِلُوعٌ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً﴾ (سورة المعارج، آية ١٨). وجزوع: كثير الجزع، صيغة مبالغة من جزع فلان إذا لم يصبر على ما نزل به، فهو جَزَعٌ، وجَزَاعٌ، وجَزُوعٌ، وجَزَاعٌ، قال تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً﴾ (سورة المعارج، آية ١٩).
- (٣) سورة التوبة: الآية ٣٢.



## لأبي تمام في فضل الحاسد على المحسود

قال الطائي<sup>(١)</sup>:

لَوْلَا التَّخَوُّفُ لِلْعَوَاقِبِ لَمْ تَزَلْ      لِلْحَاسِدِ التُّعْمَى عَلَى الْمَحْسُودِ  
وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ      طَوَيْتَ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حُسُودِ  
لَوْلَا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ      مَا كَانَ يُعْرِفُ طَيْبَ عَرَفِ الْعُودِ<sup>(٢)</sup>

## للبحثري في هذا المعنى

أخذه البحثري فقال<sup>(٣)</sup>:

وَلَنْ تَسْتَيِّنَ الدَّهْرَ مَوْضِعَ نِعْمَةٍ      إِذَا أَنْتَ لَمْ تُدَلِّلْ عَلَيْهَا بِحَاسِدِ  
وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ:

إِنْ يَحْسِدُونِي فَإِنِّي غَيْرُ لَائِمِهِمْ      قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا  
فَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمْ      وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَيْظًا بِمَا يَجِدُ  
أَنَا الَّذِي يَجِدُونِي فِي صُدُورِهِمْ      لَا أُرْتَقِي صَدْرًا عَنْهَا وَلَا أُرْدُ<sup>(٤)</sup>

## لابن الرومي

وقال ابن الرومي لصاعد بن مخلد<sup>(٥)</sup>:

وَصِيدٌ لَكُمْ لَا زَالَ يَنْفُلُ جَدُّهُ      وَلَا بَرِحَتْ أَنْفَاسُهُ تَصَعَّدُ<sup>(٦)</sup>  
يَسْرَى زَبْرِجَ السُّدْنِيا يُزَفُّ إِلَيْكُمْ      وَيُغْضِي عَنْ اسْتِحْقَاقِكُمْ فَهُوَ يُقَادُ<sup>(٧)</sup>

(١) أبو تمام، الديوان: ٢٢٣/١. والأبيات من قصيدة يمدح بها أحمد بن أبي دؤاد ويعتذر إليه.

(٢) العرف: الرائحة مطلقاً، وأكثر ما يستعمل في الطيبة منها.

(٣) البحثري، الديوان: ٦٥/١، والبيت من قصيدة يمدح بها أبا الفتح بن الفتح بن خاقان.

(٤) لا أرتقي صَدْرًا وَلَا أُرْدُ: لا أصعد ولا أهبط.

(٥) ابن الرومي، الديوان: ١١٩/٢.

(٦) الجَدُّ: الحَظُّ.

(٧) الزَبْرِجُ: الحلية والزينة من وشي أو جوهر أو نحو ذلك، والزبرج: الذهب، والسحاب الرقيق فيه حمرة. وَيُقَادُ: يُحَرَّقُ فؤاده.

وَلَوْ قَاسَ بِاسْتِحْقَاقِكُمْ مَا مُنَحْتُمْ      لِأَطْفَسَ نَارًا فِي الْحَشَا تَتَوَقَّدُ  
وَأَنْتَ مَنْ عَقِيدِ الْعَقِيلَةِ جِيدُهَا      وَأَحْسَنُ مِنْ سِرْبِهَا الْمُتَجَرَّدُ<sup>(١)</sup>

### لمعن بن زائدة

وقال معن بن زائدة<sup>(٢)</sup>:

إِنِّي حَسِدْتُ فَزَادَ اللَّهُ فِي حَسَدِي      لَا عَاشَ مِنْ عَاشَ يَوْمًا غَيْرَ مَحْسُودٍ  
مَا يُحْسَدُ الْمَرْءُ إِلَّا مِنْ فَضَائِلِهِ      بِالْعِلْمِ وَالظُّرْفِ، أَوْ بِالْبَأْسِ وَالْجُودِ

### الفاظ لأهل العصر في ذكر الحسد

دَبَّتْ عِقَارِبُ الْحَسَدَةِ، وَكَمَنْتَ أَفَاعِيهِمْ بِكُلِّ مَرْصِدٍ. فلان مَعْجُونٌ مِنْ طِينَةِ الْحَسَدِ  
وَالْمُنَافَسَةِ، مَضْرُوبٌ فِي قَالِبِ الضِّيقِ وَالْمُنَاقَشَةِ. قَدْ وَكَلَّ بِي لَحْظًا يَنْتَضِلُ بِأَسْهُمِ الْحَسَدِ.  
فلان جَسَدٌ كُلُّهُ حَسَدٌ، وَعَقْدٌ كُلُّهُ حِقْدٌ. الحاسدُ يَعْمَى عَنْ مَحَاسِنِ الصُّبْحِ، بَعِينَ تَدْرِكُ  
حَقَائِقَ الْقُبْحِ.

### [التلطف في الطلب]

#### بين الواثق ومحمد بن حماد

كتب محمد بن حماد يُعَرِّضُ فِي حَاجَةٍ لَهُ بَيْتِي شِعْرًا إِلَى الْوَائِقِ يَقُولُ:

جَذَبْتُ دَوَاعِي النَّفْسِ عَنْ طَلَبِ الْمُنَى      وَقُلْتُ لَهَا كُفِّي عَنِ الطَّلَبِ الْمُزْرِي  
فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِكَفِّهِ      مَدَارُ رَحَى بِالرِّزْقِ دَائِبَةٌ تَجْرِي

فَوَقَّعَ تَحْتَهَا: جَذَبْتُكَ نَفْسَكَ عَنْ امْتِهَاثِهَا بِالمَسْأَلَةِ دَعَانِي إِلَى صَوْنِكَ بِسَعَةِ فَضْلِي  
عَلَيْكَ، فَخُذْ مَا طَلَبْتَ هَنِيئًا.

(١) يقول: إن جيد المرأة أجمل من العقد الذي يُظَنُّ أنه يزينه، والجسم العريان أجمل من القميص الذي يستره.

(٢) هو أبو الوليد، معن بن زائدة بن عبد الله بن مطر الشيباني: من أشهر أجواد العرب، وأحد الشجعان الفصحاء. أدرك العصرين الأموي والعباسي. ولي سجستان، وأقام فيها مدة. قتل غيلة سنة ١٥١ هـ/٨٩٨ م.

### بين الحسن بن سهل وعلي بن عبيدة

قال علي بن عبيدة: أتيت الحسن بن سهل بفم الصلح؛ فأقمْتُ ببابه ثلاثة أشهر لا أخطئ منه بطائل، فكتبت إليه:

مَدَحْتُ ابْنَ سَهْلٍ ذَا الْأَيْدِي وَمَالَهُ      بِذَلِكَ يَسُدُّ عِنْدِي وَلَا قَدَمَ بَعْدُ  
وَمَا ذَنْبُهُ، وَالنَّاسُ - إِلَّا أَقْلَهُمْ -      عِيَالٌ لَهُ، إِنْ كَانَ لَمْ يَكُ لِي جَدُّ  
سَاحِمْدُهُ لِلنَّاسِ حَتَّى إِذَا بَدَا      لَهُ فِي رَأْيِي عَادَ لِي ذَلِكَ الْحَمْدُ

فكتب إلي: باب السلطان يَحْتَاجُ إلى ثلاث خِلال: عقل وصبرٌ ومال، فقلت للواسطة: تؤدّي عني؟ قال: نعم. قلت: تقول له: لو كان لي مال لأغنياني عن الطلب إليك، أو صبرٌ لصبرت عن الدُّلِّ ببابك، أو عقلٌ لاستدللت به على النزاهة عن رِفْدِك! فأمر لي بثلاثين ألف درهم.

\* \* \*

### بعض كلام علي بن عبيدة الريحاني

وقال علي بن عبيدة الريحاني يوماً، وقد رأى جارية يَهْوَها: لولا البُقيَا على الضمائر لَبَحْنَا بما تُجِثُّه السرائر، لكن نيرانَ الحُبِّ تُدَارِكُ بالإخفاء، ولا تُعَاجِلُ بالإبداء؛ فإن دوامها مع إغلاق أبواب الكِثْمَانِ، وزوالها في فَتْحِ مَصَارِعِ الإِعْلَانِ. وقد قال محمد بن يزيد الأموي:

لَا وَحْيِيكَ لَا أَصَا      فِجْ بِالْذَّمِّ مَذْمَعَا  
مَنْ بَكَى حُبَّهُ اسْتَرَا      حَ وَإِنْ كَانَ مُوَجَعَا

ومن كلام علي بن عبيدة: اجْعَلْ أُنْسَكَ آخِرَ مَا تَبْذُلُ مِنْ وُدِّكَ، وَصُنِ الاسْتِرْسَالَ مِنْكَ، حَتَّى تَجِدَ لَهُ مُسْتَحَقًّا؛ فَإِنَّ الْأُنْسَ لِبَاسُ الْعِرْضِ، وَتُخْفَةُ الثِّقَةِ، وَجِبَاءُ الْأَكْفَاءِ، وَشِعَارُ الْخَاصَّةِ، فَلَا تُخْلُقْ جِدَّتَهُ إِلَّا لِمَنْ يَعْرِفُ قَدْرَ مَا بَذَلْتَ لَهُ مِنْكَ.

وقال: لولا حركاتٍ من الابتهاج أَجِدَ حِسَّهَا عِنْدَ رُؤْيِكَ فِي نَفْسِي لَا أَعْرِفُ لَهَا مُثِيرًا مِنْ مِظَانِهَا إِلَّا مُؤَانَسَتَكَ لِي، لَا بَقِيَّتَ عَلَيْكَ مِنَ الْعَنَاءِ، وَخَفَقَتْ عَنْكَ مَوْوَنَةُ اللَّقَاءِ؛ لَكِنِّي أَجِدُ مِنَ الزِّيَادَةِ بِكَ عِنْدِي أَكْثَرَ مِنْ قَدْرِ رَاحَتِكَ فِي تَأْخُرِكَ عَنِّي، فَأُضِيقُ عَنْ احْتِمَالِ الْخُسْرَانِ بِالْوَحْدَةِ مِنْكَ.

وقال: لَوْجَلِي مِنْ طُلُوعِ الْمَلَالَةِ بِكَرِّ اللَّقَاءِ أَسْتَخِفُّ التَّجَافِيَّ مَعَ شِدَّةِ الشَّوْقِ، لَتَبْقَى جَدَّةُ الْحَالِ عِنْدَ مَنْ أَحَبَّ دَوَامَهُ لِي؛ وَرَدُّ طَرْفِ الشَّوْقِ بَاطِنًا أَيْسَرَ مِنْ مُعَانَاةِ الْجَفَاءِ مَعَ الْوَدِّ ظَاهِرًا.

### لبعض المحدثين من الشعراء في الشوق

وقال بعض المحدثين:

كَمْ اسْتَرَحَّ إِلَى صَبْرٍ فَلَمْ يُرَحْ      صَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ الْأَشْوَاقِ فِي تَرَحٍّ<sup>(١)</sup>  
تَرَكْتُمْ قَلْبَهُ مِنْ حُزْنٍ فُرَّتِكُمْ      لَوْ يُرْزَقُ الْوَصْلَ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْفَرَحِ

وقال أعرابي:

أَلَا قُلْ لِدَارٍ بَيْنَ أَكْثَبَةِ الْحِمَى      وَذَاتِ الْغَضَى: جَادَتْ عَلَيْكَ الْهَوَاضِبُ<sup>(٢)</sup>  
أَجْدَكَ لَا آتِيكَ إِلَّا تَتَابَعْتُ      دُمُوعٌ، أَضَاعَتْ مَا حَفِظْتُ، سَوَاكِبُ  
دِيَارٍ تَسَمَّتِ الْمُنَى نَحْوَ أَرْضِهَا      وَطَاوَعَنِي فِيهَا الْهَوَى وَالْجَبَائِبُ  
لِيَالِي لَا الْهَجْرَانُ مُحْتَكِمٌ بِهَا      عَلَى وَصْلٍ مِّنْ أَهْوَى وَلَا الظَّنُّ كَاذِبُ

### [الأدب في مجلس الحكم]

بين إبراهيم بن المهدي والطبيب ابن بختشيوخ عند ابن أبي دواد

تنازع إبراهيم بن المهدي<sup>(٣)</sup> وابن بختشيوخ الطبيب<sup>(٤)</sup> بين يدي أحمد بن أبي

(١) التَّرَحُّ: الحزن.

(٢) الأَكْثَبَةُ وَالْكُثْبُ وَالْكُثْبَانُ: جمع كَثِيب، وهو الرمل المستطيل المحدودب. والغَضَى: شجر من الأكل خشبه من أصلب الخشب، وجمره يبقى زماناً طويلاً لا ينطفئ، واحدته: غَضَاةٌ، وأهل الغَضَى: أهل نجد لكثرة هنالك، ولعله أراد بـ«ذات الغَضَى» اسم موضع. والهَوَاضِبُ: جمع أهضوية، وهي المطرة الدائمة العظيمة القَطَر، وقد هضبت السماء: دام مطرها أياماً لا يُقْلَع.

(٣) هو أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد بن المهدي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ويعرف بابن شكلة، وهو أخو هارون الرشيد. ولد ونشأ ببغداد، وكان أسود اللون، عظيم الجنة، ولم يُرَ في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه لساناً، ولا أجود شعراً. توفي في سامراء سنة ٢٢٤ هـ/٨٣٩ م. (الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ١٤٢/٦).

(٤) ابن بختشيوخ: طبيب سرياني الأصل، عظيم القدر، كان يضاهي المتوكل في اللباس والفرش، وكان يقربه ويقدمه، ثم إنه أفرط في إدلاله عليه فنبهه، وكان موته سنة ٢٥٦ هـ/٨٧٠ م.

دُوَادٍ<sup>(١)</sup> في مجلس الحكم في عقار بناحية السَّوَادِ، فَأَرَبَى عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ وَأَغْلَظَ لَهُ، فَأَحْفَظَ ذَلِكَ ابْنُ أَبِي دُوَادٍ، فَقَالَ: يَا إِبْرَاهِيمُ، إِذَا نَارَعْتَ فِي مَجْلِسِ الْحُكْمِ بِحَضْرَتِنَا امْرَأًا فَلَا أَعْلَمَنَّ أَنَّكَ رَفَعْتَ عَلَيْهِ صَوْتًا، وَلَا أَشَرْتَ بِيَدٍ، وَلِيَكُنْ قَصْدُكَ أَمَّا<sup>(٢)</sup>، وَرِيحُكَ سَاكِنَةً، وَكَلَامُكَ مُعْتَدِلًا، مَعَ وِفَاءٍ مَجَالِسِ الْخَلِيفَةِ حُقُوقَهَا مِنَ التَّعْظِيمِ، وَالتَّوْقِيرِ، وَالِاسْتِكَانَةِ، وَالتَّوَجُّهِ إِلَى الْوَاجِبِ؛ فَإِنْ ذَلِكَ أَشْكَلُ بِكَ، وَأَشْمَلُ لِمَذْهَبِكَ فِي مَحْتَدِكَ، وَعَظِيمُ خَطَرِكَ، وَلَا تَعَجِّلَنَّ، فَرُبَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثًا، وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنْ خَطَلِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَيَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبِيكَ مِنْ قَبْلُ، إِنْ رَبُّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ.

فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ تَعَالَى؛ أَمَرْتُ بِسَدَادٍ، وَحَضَضْتُ عَلَى رِشَادٍ؛ وَلَسْتُ عَائِدًا لَمَّا يَثْلُمُ مُرُوءَتِي عِنْدَكَ، وَيُسْقِطَنِي مِنْ عَيْنِكَ، وَيُخْرِجَنِي مِنْ مَقْدَارِ الْوَاجِبِ إِلَى الْإِعْتِزَالِ، فَهَآنَا مَعْتَرِئٌ إِلَيْكَ مِنْ هَذِهِ الْبَادِرَةِ اعْتِدَارٌ مُقَرَّرٌ بِذَنْبِهِ، مُعْتَرِفٌ بِجُرْمِهِ، وَلَا يَزَالُ الْغَضَبُ يَسْتَفِزُّ بِي بِمَوَادِهِ، فِيرُدُّنِي مِثْلُكَ بِحِلْمِهِ، وَتِلْكَ عَادَةُ اللَّهِ عِنْدَكَ وَعِنْدَنَا مِنْكَ؛ وَقَدْ جَعَلْتُ حَقِّي مِنْ هَذَا الْعَقَارِ لِابْنِ بَخْتِشُوعٍ، فَلَيْتَ ذَلِكَ يَكُونُ وَافِيًا بِأَرْشِ الْجَنَايَةِ عَلَيْهِ<sup>(٣)</sup>؛ وَلَمْ يَتْلَفْ مَالٌ أَفَادَ مَوْعِظَةً؛ وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

### [حِكْمَةُ أَرْدَشِيرِ وَحِصْنُهُ عَلَى الْعِلْمِ]

لَمَّا اسْتَوْثِقَ أَمْرُ أَرْدَشِيرِ بْنِ بَابَكٍ<sup>(٤)</sup> وَجَمَعَ مَلُوكَ الطَّوَائِفِ، وَتَمَّ لَهُ مُلْكُهُ، جَمَعَ النَّاسَ فَخَطَبَهُمْ خُطْبَةً حَضَّ فِيهَا عَلَى الْأَلْفَةِ وَالطَّاعَةِ، وَحَذَّرَهُمُ الْمَعْصِيَةَ وَمِفَارِقَةَ الْجَمَاعَةِ، وَصَفَّ النَّاسَ أَرْبَعَةَ صُفُوفٍ؛ فَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا، وَتَكَلَّمُوا مُتَكَلِّمُهُمْ فَقَالَ:

لَا زِلْتُ أَيُّهَا الْمَلِكُ مَحِبُّوًا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى بَعَزَ النُّصْرَى، وَدَرَكَ الْأَمَلِ، وَدَوَامَ الْعَافِيَةِ،

(١) هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ الْإِيَادِي الْقَاضِي، كَانَ مَعْرُوفًا بِالْمُرُوءَةِ وَالْمَعْصِيَةِ، وَلَهُ مَعَ الْمُعْتَصِمِ فِي ذَلِكَ أَخْبَارٌ مَأْثُورَةٌ. وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ وَاصِلِ بْنِ عِظَاءَ، فَصَارَ إِلَى الْإِعْتِزَالِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ افْتَتَحَ الْقَوْلَ مَعَ الْخُلَفَاءِ، وَلَهُ شِعْرٌ جَيِّدٌ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ٢٤٠ هـ/٨٥٥ م. (ابن خُلَكَانٍ، وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ: ٨١/١).

(٢) أُمِّ: قَرِيبٌ.

(٣) الْأَرْضُ: الدِّيَّةُ.

(٤) أَرْدَشِيرُ بْنُ بَابَكٍ: مَلِكُ فَارَسَ، وَمُؤَسِّسُ الدَّوْلَةِ السَّاسَانِيَّةِ. بَنَى عِدَدًا مِنَ الْمَدَنِ، مِنْهَا: بِيضَاءُ اصْطَخَرُ، وَبِيضَاءُ الْمَدَائِنِ، وَعِدَدًا مِنَ الْحِصُونِ وَالْقَنَاظِرِ وَالْجُسُورِ، وَجَعَلَ الزَّرَادَشْتِيَّةَ دِينَ الدَّوْلَةِ الرَّسْمِيَّ. (سِنِيرُ بَعْلَبَكِي، مَوْسُوعَةُ الْمَوْرِدِ: ١٥٦/١؛ الْجَاهِظُ، الْحَيَوَانُ: ٧٢/١).

وتمام النعمة، وحسن المزيد، ولا زلت تتابع لديك المكرمات، وتشفع إليك الذمامات<sup>(١)</sup> حتى تبلغ الغاية التي يؤمن زوالها، وتصل إلى دار القرار التي أعدها الله تعالى لنظرائك من أهل الزلّفى عنده والمكانة منه، ولا زال ملكك وسلطانك باقين بقاء الشمس والقمر، زائدين زيادة النجوم والأنهار، حتى تستوي أقطار الأرض كلها في علوّ قدرك عليها، ونفاذ أمرك فيها، فقد أشرق علينا من ضياء نورك ما عمنا عموم ضياء الصبح، ووصل إلينا من عظيم رأفتك ما اتّصل بأنفسنا اتصال النسيم؛ فأصبحت قد جمع الله بك الأيدي بعد افتراقها، وآلف القلوب بعد توقد نيرانها، ففضلك الذي لا يُدرك بوصف، ولا يُحدّ بنعت.

فقال أردشير: طوبى للممدوح إذا كان للممدح مستحقاً، وللداعي إذا كان للإجابة أهلاً.

وقيل لأردشير: أيها الملك الرفيع الذي حلب العصور، وجرب الدهور، أي الكنوز أعظم قدراً؟ قال: العلم الذي خفّ محمله، فتقلّت مفارقتة، وكثرت مرافقته، وخفيّ مكانه، فأمن من السرّيق عليه؛ فهو في الملاء جمال، وفي الوحدة أنيس، يُرأس به الخسيس، ولا يمكن حاسدك عليه انتقاله عنك. قيل له: فالمال؟ قال: ليس كذلك. محمله ثقل، والهم به طويل؛ إن كنت في ملاء شغلك الفكر فيه، وإن كنت في خلوة أتعبتك حراسته.

## [أخلاق الملوك]

### وصف ملك الروم

قال الجاحظ: حدثني الفضل بن سهل قال: كانت رسل الملوك إذا جاءت بالهدايا يُجعل اختلافهم إليّ، فتكون المؤامرات فيما معهم من ديواني، فكنت أسأل رجلاً رجلاً منهم عن سير ملوكهم، وأخبار عظمائهم، فسألت رسول ملك الروم عن سيرة ملكهم، فقال: بذل عرفه<sup>(٢)</sup>، وجرّد سيفه، فاجتمعت عليه القلوب رغبة ورهبة، لا يُنظر جُنْدَه، ولا يُخرج رعيته؛ سهل النّوال، حزن النّكال<sup>(٣)</sup>، الرجاء والخوف معقودان في يده.

قلت: فكيف حكمه؟ فقال: يردّ الظلم، ويردّع الظالم، ويُعطي كلّ ذي حق حقه؛ فالرعية اثنان: راضٍ، ومغتبط.

(١) الذمامات: جمع ذمام، وهو العهد ونحوه.

(٢) العرف: المعروف.

(٣) النّكال: العقاب أو النازلة، وفي التنزيل العزيز: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ (سورة البقرة، آية ٦٦).

قلت: فكيف هيبتهم له؟ قال: يُنْصَر في القلوب، فتَغْضِي له العيون.

### وصف ملك الحبشة

قال: فنظر رسولُ ملك الحبشة إلى إصغائي إليه، وإقبالي عليه، فسأل الترجمان: ما الذي يقوله الرومي؟ قال: يَذْكُر ملكهم، ويصِفُ سيرته؛ فتكلم مع الترجمان بشيء، فقال لي الترجمان: إنه يقول: إِنَّ مَلِكَهُمْ ذُو أَنَاةٍ عِنْدَ الْقُدْرَةِ، وَذُو حِلْمٍ عِنْدَ الْغَضَبِ، وَذُو سَطْوَةٍ عِنْدَ الْمَغَالِبَةِ، وَذُو عَقُوبَةٍ عِنْدَ الْاجْتِرَامِ، قَدْ كَسَا رَعِيَّتَهُ جَمِيلَ نِعَمَتِهِ، وَخَوَّفَهُمْ عَسْفَ نِقَمَتِهِ؛ فَهُمْ يَتَرَاءَوْنَهُ رَأَى الْهَلَالِ خِيَالًا، وَيَخَافُونَهُ مَخَافَةَ الْمَوْتِ نِكَالًا، وَسِعَهُمْ عَذْلُهُ، وَرَدَّعَتْهُمْ سَطْوَتُهُ، فَلَا تَمْتَنِيَهُ مَرْحَةً، وَلَا تَوَمِّنْهُ غَفْلَةً؛ إِذَا أُعْطِيَ أَوْسَعُ، وَإِذَا عَاقَبَ أَوْجَعُ؛ فَالنَّاسُ اثْنَانِ: رَاجٍ وَخَائِفٌ، فَلَا الرَّاجِي خَائِبٌ الْأَمَلِ، وَلَا الْخَائِفُ بَعِيدُ الْأَجَلِ. قلت: فكيف هيبتهم له؟ قال: لَا تَرْفَعُ إِلَيْهِ الْعْيُونَ أَجْفَانَهَا، وَلَا تُتْبِعُهُ الْأَبْصَارُ إِنْسَانَهَا<sup>(١)</sup>، كَأَنَّ رَعِيَّتَهُ قَطَأٌ رَفَرَتْ عَلَيْهَا صَقُورٌ صَوَائِدَ.

فَحَدَّثْتُ الْمَأْمُونُ بِهِذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ فَقَالَ: كَمْ قِيمَتُهَا عِنْدَكَ؟ قلت: أَلْفَا دِرْهَمًا. قال: يَا فَضْلُ؛ إِنْ قِيمَتُهُمَا عِنْدِي أَكْثَرُ مِنَ الْخِلَافَةِ، أَمَا عَرَفْتَ قَوْلَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: قِيمَةُ كُلِّ أَمْرٍ مَا يَحْسَنُ. أَتَعْرِفُ أَحَدًا مِنَ الْخُطَبَاءِ الْبُلْغَاءِ يُحْسِنُ أَنْ يَصِفَ أَحَدًا مِنْ خُلَفَاءِ اللَّهِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ؟ قلت: لَا. قال: فَقَدْ أَمَرْتُ لِهَمَا بَعْشَرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَاجْعَلِ الْعُنْدَ مَادَّةَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمَا فِي الْجَائِزَةِ [عَلَى الْمَعُوزِ]؛ فَلَوْلَا حَقُوقُ الْإِسْلَامِ وَأَهْلُهُ لَرَأَيْتُ إِعْطَاءَهُمَا مَا فِي بَيْتِ مَالِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ دُونَ مَا يَسْتَحِقَّانِهِ.

### فضل أخت ملك الخزر

وَقَالَ الْجَاهِظُ: حَدَّثَنِي حَمِيدُ بْنُ عَطَاءٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ الْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ، وَعِنْدَهُ رَسُولُ مَلِكِ الْخَزَرِ، وَهُوَ يَحْدُثُنَا عَنْ أُخْتٍ لِمَلِكِهِمْ، قَالَ: أَصَابَتْهَا سَنَةٌ أَحْتَدِمَ شَوَاطِئُهَا عَلَيْنَا بَحْرُ الْمَصَائِبِ، وَصُنُوفِ الْآفَاتِ؛ فَفَرَّعَ النَّاسُ إِلَى الْمَلِكِ، فَلَمْ يَدْرِ مَا يُجِيبُهُمْ بِهِ، فَقَالَتْ أُخْتُهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ؛ إِنْ الْخَوْفَ اللَّهُ خُلِقَ لَا يَخْلُقُ جَدِيدَهُ، وَسَبَبٌ لَا يَمْتَنُ عَزِيزَهُ، وَهُوَ دَالُّ الْمَلِكِ عَلَى اسْتِصْلَاحِ رَعِيَّتِهِ، وَزَاجِرُهُ عَنْ اسْتِفْسَادِهَا، وَقَدْ فَرَعَتْ إِلَيْكَ رَعِيَّتُكَ بِفَضْلِ الْعَجْزِ عَنِ الْاِلْتِمَاجِ إِلَى مَنْ لَا تَزِيدُهُ الْإِسَاءَةُ إِلَى خَلْقِهِ عِزًّا، وَلَا يَنْقُصُهُ الْعَوْدُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ مُلْكًا، وَمَا

(١) إنسان العين: ناظرها (سوادها).

أَحَدُ أَوْلَى بِحِفْظِ الوصية من الموصِي، ولا يركوب الدلالة من الدال، ولا يَحْسِنُ الرعاية من الراعي. ولم تزل في نعمة لم تغبرها نِقْمَةٌ، وفي رِضاً لم يكدره سُخْطٌ، إلى أن جَرَى القَدَرُ بما عَمِيَ عنه البصر، وذَهَلْ عنه الحَذَرُ، فسلب الموهوب، والواهب هو السالب؛ فَعُدَّ إليه بِشُكْرِ النعم، وَعُدَّ به من فطِيع النِّقم، فمَتَى تَسَّهَ يَنْسِكَ، ولا تجعلَ الحياء من التذلل للمعزِّ المذل سترًا بينك وبين رعيته، فتستحق مذمومَ العاقبة؛ ولكن مُرْهُمْ ونفسك بصرف القلوب إلى الإقرار له بِكُنْهِ القدرة، وتذلل الأئْسُن في الدعاء بِمَحْضِ الشُّكْرِ له؛ فإن الملك ربما عاقب عَبْدَه ليرجعه عن سَيِّءِ فِعْلٍ إلى صالح عمل، أو لِيَبْعَثَهُ على دَائِبِ شُكْرِ لِيُحَرِّزَ به فَضْلَ أَجْرٍ.

فأمرها الملك أن تقومَ فيهم فتندرهم بهذا الكلام، ففعلت، فرجع القومُ وقد علم الله منهم قبولَ الوَعْظِ في الأمر والنهي؛ فحال عليهم الحَوْلُ وما منهم مفتقد نِعْمَةٍ كان سُلْبُهَا، وتواترت عليهم الزيادات بجميل الصُّنع؛ فاعترف لها الملك بالفضل، فقلدها المُلْكُ؛ فاجتمعت الرعية لها على الطاعة في المكروه والمحبوب.

قال: وهذا وهم أعداء الله تعالى، وضرائر نعمته، ومستوجبو نِقْمَتِهِ، أعَادَ لهم بالشكر ما أرادوا، وأعطاهم بالإقرار له بِكُنْهِ قدرته ما تمنَّوا، فكيف بمن يَجْمَعُهُ على الشكر نوران اثنان: قرآن منزل، ونبي مرسل، لو صدقت النِّيَّاتُ، واجتمعت على الافتقار إليه الطلبات؛ لكنهم أنكروا ما عرفوا، وجهلوا ما علموا، فانقلبَ جدهم هَزْلاً، وسكوتهم خَبْلاً.

### قطعة صادرة من أقوال الملوك

#### دالة على فضل كرمهم وبعد همهم

غَضِبَ كسرى أُنُو شَرَوَان على بعض مَرَازِبَتِهِ<sup>(١)</sup>، فقال: يُحْطُ عن مرتبته، ولا ينقص من صِلَتِهِ؛ فَإِنِ الملوك تَوَدَّبُ بالهجران، ولا تعاقب بالحرمان.

واصطنع أُنُو شَرَوَان رجلاً فقيل له: إنه لا قديمَ له. قال: اصطناعنا إياه شرَّفه.

قال مُعاوية رضي الله عنه: نحن الزمان، من رَفَعْنَاهُ ارتفع، ومن وضعناه اتضع. وكان يقول: إِنِّي لَأَنْفٌ من أن يكون في الأرض جَهْلٌ لا يَسَعُهُ حِلْمِي، وَذَنْبٌ لا يَسَعُهُ عَفْوِي، وحاجة لا يَسَعُهَا جُودِي.

(١) المرازبة: جمع المرازبان: الرئيس من الفرس.



عبد الملك بن مروان - أَفْضَلُ النَّاسِ مَنْ تَوَاضَعَ عَنْ رِفْعَةٍ، وَعَفَا عَنْ قُدْرَةٍ؛ وَأَنْصَفَ عَنْ قُوَّةٍ.

زياد<sup>(١)</sup> - اسْتَشْفَعُوا لِمَنْ وَرَاءَكُمْ؛ فَلَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يَصِلُ إِلَى السُّلْطَانِ، وَلَا كُلُّ مَنْ وَصَلَ إِلَيْهِ يَفْقِدُ عَلَى كَلَامِهِ.

المُهَلَّب<sup>(٢)</sup> - عَجِبْتُ لِمَنْ يَشْتَرِي الْمَمَالِيكَ بِمَالِهِ، كَيْفَ لَا يَشْتَرِي الْأَحْرَارَ بِمَعْرُوفِهِ! وَقَدْ رَوَى هَذَا لَابْنُ الْمُبَارَكِ. وَقَالَ لَبْنِيهِ: يَا بَنِي؛ أَحْسَنُ ثِيَابِكُمْ مَا كَانَ عَلَى غَيْرِكُمْ.

قال أبو تمام الطائي يَسْتَهْدِي فَرَوًّا، وَعَرَّضَ بِقَوْلِ الْمُهَلَّبِ<sup>(٣)</sup>:

فَهَلْ أَنْتَ مُهْدِيهِ بِمِثْلِ شَكِيرَةٍ      مِنْ الشُّكْرِ يعلو مُضْعِداً وَيُصَوِّبُ<sup>(٤)</sup>  
فَأَنْتَ الْعَلِيمُ الطَّبَّ أَيُّ وَصِيَّةٍ      بِهَا كَانَ أَوْصَى فِي الثِّيَابِ الْمُهَلَّبُ<sup>(٥)</sup>

يزيد بن المُهَلَّبِ<sup>(٦)</sup> - اسْتَكَثِرُوا مِنَ الْحَمْدِ؛ فَإِنَّ الذَّمَّ قَلٌّ مَنْ يَنْجُو مِنْهُ.

(١) زياد: هو زياد ابن أبيه (ابن أبي سفيان): أمير، قائد، خطيب. ولد بمكة، وولاه الإمام علي بن أبي طالب إمرة فارس، وولاه معاوية على البصرة والكوفة، وكانت وفاته بالكوفة سنة ٥٣ هـ/ ٦٧٣ م. (فروخ، تاريخ الأدب العربي: ٣٨٧/١).

(٢) المهلب: هو أبو سعيد، المهلب بن أبي صفرة الأزدي، العنكي البصري: أمير، قائد، شجاع، حمى البصرة من الخوارج، وله معهم وقائع مشهورة بالأهواز. ولي خراسان سنة ٧٩ هـ، وظلّ والياً عليها حتى وفاته سنة ٨٣ هـ/ ٧٠٣ م. وكان أولاده من كبار القادة الأمجاد النجباء. (ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٣٥٠/٥).

(٣) أبو تمام، الديوان: ١٧٥/١.

(٤) شكيرة: شعرة، والمراد أن هديته لا تساوي شعرة من شكره. ويعلو ويصوب: يرتفع وينخفض. وفي الديوان: «بِمِثْلِ شَكِيرَةٍ»، والشكير: الريش الصغير. أي: هل أنت مهديه فأشكرك شكراً كثيراً كثيرة ريشه؟

(٥) الطب: الماهر الحاذق بعمله.

(٦) هو أبو خالد، يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي: أمير، قائد، شجاع. استخلفه أبو المهلب علي خراسان، فعزله عبد الملك بن مروان برأي الحجاج بن يوسف، ثم إن الحجاج سجنه وعذبه. ولآه سليمان بن عبد الملك على خراسان، فافتتح جرجان ودهستان، وأقبل يريد العراق، فظفر به عمر بن عبد العزيز وسجنه، ثم قتله مسلمة بن عبد الملك بعد وفاة عمر بالبصرة سنة ١٠٢ هـ/ ٧٢١ م.

(ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٢٧٨/٦ - ٣٠٩).

السفاح<sup>(١)</sup> - ما أفتَح بنا أن تكون الدنيا لنا وأولياؤنا خالون من أثرها.

المأمون<sup>(٢)</sup> - إنما تُطَلَّبُ الدنيا لِثُمَّلِكَ، فإذا مُلِكَتْ فلتوهب. وقال: إنما يتكثَّرُ بالذهب والفضة من يَقْلَانِ عنده.

الحسن بن سهل<sup>(٣)</sup> - الأطراف مَنَازِلُ الأشراف؛ يتناولون ما يريدون بالقُدْرَةِ، ويتناهبهم مَنْ يريدهم بالحاجة. وتعرض له رجل فقال له: من أنت؟ قال: أنا الذي أحسنتَ إليَّ يوم كذا وكذا. فقال: مرحباً بمن توسَّلَ إلينا بنا.

ولما أراد المعتصم<sup>(٤)</sup> أن يُشْرِفَ أشناس التركي بعقب فتح الخرمية أمر أصحاب المراتب بالترجل إليه، فترجَّلَ إليه الحسن بن سهل، فنظر إليه حاجبه يمشي ويتعثر في مشيه، فبكى، فقال: ما يبكيك؟ إن الملوك شرفتنا وشرفت بنا.

### ومن كلام أهل العصر

للأسير شمس المعالي قابوس بن وشمكير<sup>(٥)</sup> - مَنْ أَقْعَدَتْهُ نكايَةَ الأيام أقامتَه إغاثَةُ الكرام؛ ومن ألبسه الليلُ ثوبَ ظلماته نزعَه النهار عنه بضِيائِهِ.

وله: ابتناء المناقب باحتمال المتاعب، وإحرازُ الذكر الجميل بالسَّعي في الخطب الجليل.

(١) السفاح: هو الخليفة العباسي، أبو العباس السفاح (ت ١٣٦ هـ / ٧٥٤ م).

(٢) المأمون: هو الخليفة العباسي، أبو العباس، عبد الله بن هارون الرشيد (ت ٢١٨ هـ / ٨٤٠ م).

(٣) هو أبو محمد، الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسي: وزير المأمون بعد أخيه الفضل (ذي الرياستين)، وكان عالي الهمة، كثير العطاء، وكان يقول: «عجبت لمن يرجو من فوقه كيف يحرم من دونه». وكانت وفاته بمدينة سَرَخَس سنة ٢٣٥ هـ / ٨٥٠ م. (ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٢/١٢٠).

(٤) المعتصم: هو الخليفة العباسي محمد بن هارون الرشيد (ت ٢٢٧ هـ / ٨٤٢ م).

(٥) هو أبو الحسن، قابوس بن أبي طاهر وشمكير بن زيار بن وردانشاه الجيلي، شمس المعالي، أمير جرجان وبلاد الجبل وطبرستان. كان مُرَّ السياسة، لا يُسَاغُ كَأَمِهِ، ولا يؤمن جانبه، فثار عليه شعبه، وخلعه قواده وهو غائب عن جرجان، ولولا ابنه أبا المنصور مكانه، ولم يأمنوا شره حتى قُتِلَ في إحدى القلاع، ودفن بظاهر جرجان سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م. (الشمالي، يتيمة الدهر: ٦٧/٤؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ٢/١٢١).

الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ:

وَقَائِلَةٌ: لِسَمِ عَرَّتِكَ الْهُمُومُ      وَأَمْرُكَ مُمْتَلٌ فِي الْأَمَمِ؟  
فَقُلْتُ: ذَرِنِي لِمَا أَشْكِي      فَإِنَّ الْهُمُومَ يَقْلِبُ الْهِمَمَ  
أَبُو الطَّيِّبِ الْمَتْنِي<sup>(١)</sup>:

أَفْضَلُ النَّاسِ أَغْرَاضٌ لِدَا الزَّمَنِ      يَخْلُو مِنْ الْهَمِّ أَخْلَاهُمْ مِنَ الْفِطَنِ<sup>(٢)</sup>  
أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِي:

صَاحِبُ السُّلْطَانِ لَا بُدَّ لَهُ      مِنْ هُمُومٍ تَعْتَرِيهِ وَعَمَمٌ  
وَالَّذِي يَرْكَبُ بَحْرًا سَيْرِي      قَحَمَ الْأَهْوَالِ مِنْ بَعْدِ قَحَمِ<sup>(٣)</sup>

### ومن كلام الملوك الجاري مجرى الأمثال

أردشير - إذا رغبت الملوك عن العدل رغبت الرعية عن الطاعة.

أفريدون - الأيام صحائف آجالكم، فخلدوها أحسن أعمالكم.

وقيل للإسكندر<sup>(٤)</sup>: ما بال تعظيمك لمؤدبك أكثر من تعظيمك لأبيك؟ قال: لأن أبي سبب حياتي الفانية ومؤدبي سبب حياتي الباقية.

ودخل محمد بن زياد مؤدب الواثق على الواثق، فأظهر إكرامه، وأكثر إعظامه، فقيل له: من هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا أول من فتق لساني بذكر الله، وأدنانني من رحمة الله.

(١) أبو الطيب المتني، الديوان: ٣١٥/١. والبيت هو مطلع قصيدة يمدح بها أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الخصيبي، وهو يومئذ يتقلد القضاء بأنطاكية.

(٢) الأغراض: جمع غرض، وهو الهدف يُرمى بالسهم. وفي الديوان: «لدى الزمن» يقول: إن الأفاضل من الناس كالأغراض للزمان يصيبهم بأفاته ونوابه، إذ هم أشد اهتماماً بها من غيرهم، فكانهم هم المقصودون بها.

(٣) قَحَمٌ: جمع قحمة، وهي الشدة.

(٤) الإسكندر الكبير (٣٥٦ - ٣٢٣ ق.م): ملك مقدونيا، وأحد عباقرة الحرب على امتداد العصور. بسط سلطانه على بلاد اليونان، واستولى على صور، وأخضع مصر، ثم زحف على بلاد ما بين النهرين، واحتل بابل، وأطاح بالإمبراطورية الفارسية. توفي في مدينة بابل بالعراق، ودفن في الإسكندرية بمصر، وهي واحدة من مدن كثيرة بناها. (منير بعلبكي، موسوعة المورد: ٧٣/١).

وأُشير على الإسكندر بتبنييت الفرس<sup>(١)</sup>، فقال: لا أجعل غلبتي سرقة. وقيل له: لو تزوجت بنت دارا؟ فقال: لا تغلبني امرأة غلبت أباهما.

أنو شروان<sup>(٢)</sup> - الملك إذا كثر ماله مما يأخذ من رعيته كان كمن يعمر سطح بينه يما يقتلعه من قواعد بنيانه.

أبرويز<sup>(٣)</sup> - أطمع من [فوقك يطعمك من] دونك.

السقاح - إن من أدنى الناس ووضعايتهم من عد البخل حزمًا، والعفو ذلاً. وكان يقول: إذا كان الحلم مفسدة كان العفو معجزة، والصبر حسن إلا على ما أوقع بالدين، وأوهمى السلطان؛ والأناة محمودة إلا عند إمكان الفرصة.

وقد قال ابن المعتز:

كَمْ فُرْصَةٍ ذَهَبَتْ فَعَادَتْ عُصَّةً      تُشْجِي بِطُولِ تَلْهُفٍ وَتَنْلُمُ<sup>(٤)</sup>

ولما عزم المنصور<sup>(٥)</sup> على الفتك بأبي مسلم فزع من ذلك عيسى بن موسى، فكتب إليه:

إِذَا كُنْتَ ذَا رَأْيٍ فَكُنْ ذَا تَبَرٍّ      فَإِنَّ فَسَادَ الرَّأْيِ أَنْ تَتَعَجَّلَا

فأجابه المنصور:

(١) التبييت: الهجوم بغتة بالليل.

(٢) أنوشروان: هو كسرى الأول، ملك فارس، ومن أعظم ملوك الأسرة الساسانية. وسع رقعة الإمبراطورية، فامتدت حتى البحر الأسود وجمال القوقاز، وأعاد تنظيم الحكومة والجيش، ورعى الحياة الثقافية. توفي سنة ٥٧٩ م. ومعنى «أنوشروان»: ذو الروح الخالدة. (البلخكي، موسوعة المورد: ٥١/٦).

(٣) أبرويز: هو كسرى الثاني، ملك فارس. غزا أرمينيا والعراق، وخاض الحرب ضد البيزنطيين فهزمه هزلاً. حكم عليه بالموت فأعدم سنة ٦٢٨ م، وكان أشتهر بحبه لزوجته الأرمنية شيرين. ومعنى «أبرويز»: المُتَّصِر.

(البلخكي، موسوعة المورد: ٥١/٦).

(٤) الغصة: ما اعترض في الحلق، وتُشْجِي: تحدث الشجاء وهو الغصة.

(٥) هو الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور.

إِذَا كُنْتَ ذَا رَأْيٍ فَكُنْ ذَا عَزِيمَةٍ      فَإِنْ فَسَادَ الرَّأْيِ أَنْ تَرُدُّدًا  
وَلَا تُهْمِلِ الْأَعْدَاءَ يَوْمًا يَنْدُؤُهُ      وَبَادِرْهُمْ أَنْ يَمْلِكُوا مِثْلَهَا غَدًا

وهذا في موضعه كقول الإمام علي كرم الله وجهه: من فكر في العواقب لم يشجع.

### لسعد بن ناشب

وقال سعد بن ناشب فأفرط:

عَلَيْكُمْ بِدَارِي فَاهْدِمُوهَا؛ فَإِنَّهَا      تُرَاثُ كَرِيمٍ لَا يَخَافُ الْعَوَاقِبَ<sup>(١)</sup>  
إِذَا هُمْ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ      وَنَكَّبَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبًا  
وَلَمْ يَسْتَشِرْ فِي رَأْيِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ      وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ السِّيفِ صَاحِبًا  
سَأْغِيْلُ عَنِي الْعَارَ بِالسِّيفِ جَالِبًا      عَلَيَّ قَضَاءُ اللَّهِ مَا كَانَ جَالِبًا  
وَيَضْغُرُ فِي عَيْنِي تِلَادِي إِذَا اثْنَتُ      يَمِينِي بِإِدْرَاكِ الَّذِي كُنْتُ طَالِبًا

وكان سعد من مردة العرب وشياطين الإنس، وفيه يقول الشاعر:

وَكَيْفَ يُفِيقُ الدَّهْرَ سَعْدُ بْنُ نَاشِبٍ      وَشَيْطَانُهُ عِنْدَ الْأَهْلِ يُضْرَعُ

كتب مروان بن محمد الجعدي إلى عبد الله بن علي يسأله حفظ حرمه. فقال له: الحق لنا في ديمق، وعلينا في حرمك.

وقال الرشيد<sup>(٢)</sup> لإسماعيل بن صبيح: إياك والدالة<sup>(٣)</sup> فإنها تفسد الحزمة، ومنها أتت البرامكة.

وقال المأمون: الملوكة تحتمل كل شيء إلا ثلاثاً: إفشاء السر، والقدح في الملك، والتعرض للحرم.

المعتصم - إذا نصير الهوى بطل الرأي.

(١) وفي رواية: «فإن تهديموا بالغدر داري».

(٢) هو الخليفة العباسي، أبو جعفر، هارون الرشيد بن المهدي محمد بن المنصور بن عبد الله (ت ١٩٣ هـ / ٨٠٩ م).

(٣) الدالة: ما تدل به على صديقك من خير قدمته.

الْمُنْتَصِر<sup>(١)</sup> - لَذَّةُ الْعَفْوِ أَطْيَبُ مِنْ لَذَّةِ التَّشْفِي؛ وذلك أن لَذَّةَ الْعَفْوِ يلحقها حَمْدُ العاقبة، ولَذَّةُ التَّشْفِي يلحقها ذَمُّ الندم.

والمنتصر يقول عن تجربة؛ لأنه قتل أباه المتوكل، والأمر في ذلك أشهر من أن يُذكر، ولكني أُلْمِعُ منه باليسير:

### مقتل المتوكل العباسي

كان المتوكل قد عَقَدَ لولده المنتصر والمعتز والمؤيد ولاية العهد، ثم تغيّر على المنتصر دون أخويه، وكان يسميه المنتظر، ويقول له: أنتَ تتمنى موتي، وتنتظر وقتي! ويأمرُ الندماء أن يعثوا به، إلى أن أوغر صدره، وأقلَّ صبره؛ فلما كانت ليلة الأربعاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين كان المتوكلُ يَشْرَبُ مع الفُتُح في قصره المعروف بالجعفري، ومعه جماعة من الندماء والمغتنين، وكان المنتصر معهم، فلما انصرفت ثلاث ساعات من الليل قال لِرِزَاقَة التركي: ألا تَسْمَعُنِي ساعة حتى أشكو إليك ما يمرُّ بي؟ قال: بلى، وجعل يماطله ويطاوله، وغلّقَ بغا الشرايبي الأبواب كلها إلا باب الماء، ومنه دخل الذين قتلوه، فأول مَنْ ضربه باغر التركي ضربةً قطع بها حبل عاتقه، وتلقاه الفُتُح بنفسه فأكبَّ عليه، فقتلوا جميعاً، وبويع المنتصر من ساعته، وكانت مدة المنتصر في الخلافة مدة شيرويه بن كسرى - حين قتل أباه - ستة أشهر.

### لإبراهيم بن أحمد الأسدي يرثي المتوكل

وقال إبراهيم بن أحمد الأسدي يرثي المتوكل:

هَكَذَا فَلَتَكُنْ مَنَايَا الْكِرَامِ	بَيْنَ نَايٍ وَمِزْهَرٍ وَمُدَامٍ <sup>(٢)</sup>
بَيْنَ كَأْسَيْنِ أَرْوَتَاهُ جَمِيعاً	كَأْسَ لَذَاتِهِ وَكَأْسَ الْجِمَامِ
يَقِظُ فِي السَّرُورِ حَتَّى أَتَاهُ	- قَدَرُ اللَّهِ - حَقُّهُ فِي الْمَنَامِ <sup>(٣)</sup>
وَالْمَنَايَا مَرَاتِبٌ يَتَفَاضِلُ	نَ وَالْمُرْهَقَاتِ مَوْتُ الْكِرَامِ <sup>(٤)</sup>

(١) المنتصر: هو الخليفة العباسي المنتصر بالله بن المتوكل على الله (ت ٢٤٨ هـ / ٨٦٣ م).

(٢) المزهَر: العود الذي يُضْرَبُ به، وهو أحد آلات الطرب.

(٣) الحَقُّ: الهلاك، ويقال: مات فلان حَقًّا أَنفَه: مات على فراشه.

(٤) المرهقات: السيوف الرقيقة المحدثدة، يقال: سيف رَهِيْفٌ، وسيف مُرْهَقٌ.

لَمْ يَرِرْ نَفْسَهُ رَسُولُ الْمَنَائِيَا      يَصْنُوفِ الْأَوْجَاعِ وَالْأَسْقَامِ  
هَآيَهُ مُعَلِّناً فَلَيْبَ إِلَيْهِ      فِي سُورِ الدُّجَى بِحَدِّ الْحَنَامِ

### لعبد الكريم التيمي يرثي صاحب خراج المغرب

أخذ هذا المعنى عبد الكريم بن إبراهيم التيمي، فقال يرثي عيسى بن خلف صاحب خراج المغرب، وكان قد تناول دواءً فمات بسببه:

مَنَايَا سَفَدَتِ الطُّرُقَ عَنْهَا وَلَمْ تَدَعْ      لَهَا مِنْ ثَنَائِيَا شَاهِقٍ مُتَطَلِّمًا<sup>(١)</sup>  
فَلَمَّا رَأَتْ سُورَ الْمَهَابَةِ دُونَهَا      عَلَيْكَ وَلِمَا لَمْ تَجِدْ فِيكَ مَطْمَعًا  
نَرَقَّتْ بِأَسَابِإِ لُطَافٍ وَلَمْ تَكُذْ      تُوَاجِهُ مَوْفُورَ الْجَلَالَةِ أَرْوَعًا<sup>(٢)</sup>  
فَيَا مَنَّاكَ فِي مِرِّ الدَّوَاءِ خَفِيَّةً      عَلَى جِنِّ لَمْ تَحْفَرْ لِدَاءٍ تَوْفَعًا  
فَلَمْ أَرْ مَالًا يُغْنِي مِثْلَ سَهْمِهَا      وَلَا مِثْلَهَا لَمْ تَخْشَ كَيْدًا فَتَرْجَعًا

وقد رثاه البحرني ويزيد المهلي<sup>(٣)</sup> بمرثيتين من أجود ما قيل في معنهما، وكانا حاضرين ليلة قتله. فاحتفى أحدهما في طي الباب، والآخر في قناة الشاذروان؛ فمن قصيدة البحرني<sup>(٤)</sup>:

### للبحرني في رثاء المتوكل

تَغَيَّرَ حُسْنُ الْجَعْفَرِيِّ وَأُنْثَى      وَقَوَّضَ يَادِي الْجَعْفَرِيِّ وَحَاضِرُهُ  
نَحْمَلُ عَنْهُ سَاكِنُوهُ فُجَاءَةً      فَاضَتْ سَوَاءَ دُورُهُ وَمَقَابِرُهُ<sup>(٥)</sup>  
وَلَمْ أَوْ مِثْلَ الْقَصْرِ إِذْ رُبِعَ سِرُّهُ      وَإِذْ دَعَرَتْ أَطْلَافُهُ وَجَادِرُهُ<sup>(٦)</sup>

(١) شاهق: عظيم الارتفاع، والجمع شواحق.

(٢) الأروع: الذكي الفؤاد، أو المَعْجَبُ بحسه وجهلته منظره، أو بشجاعته.

(٣) هو أبو خالد، يزيد بن محمد بن المهلب بن المغيرة، من بني المهلب بن أبي حفرة: شاعر، راجز، فقيه، راوية، من أهل البصرة. قدم بغداد، وتادم المتوكل العباسي، ومدحه، ورثاه بعد موته. وكان فيه اعتزاز وتوقر. توفي ببغداد سنة ٢٥٩ هـ/ ٨٧٣ م. (الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٣٤٨/١٤، الزركلي، الأعلام: ١٨٧/٨).

(٤) البحرني، الديوان: ٥٤/١.

(٥) أضت: صارت.

(٦) الأطلاء: جمع طلاء، وهو ولد الظبية. والجلادر: جمع جؤذر، وهو ولد البقرة الوحشية، تشبه به النساء لجمال عينه.

وَإِذْ صِيحَ فِيهِ بِالرَّحِيلِ فَهَتَّكَتْ  
 إِذَا نَحْنُ زُرْنَاهُ أَجَدًا لَنَا الْأَسَى  
 فَأَيْنَ عَمِيدُ النَّاسِ فِي كُلِّ نَوْبَةٍ  
 تَخْفَى لَهُ مُعْتَالُهُ تَحْتَ غِرَّةٍ  
 صَرِيحٌ تَقَاضَاهُ الشُّيُوفُ حُشَاةً  
 حَرَامٌ عَلَيَّ الرِّاحُ بَعْلَكَ أَوْ أَرَى  
 وَهَلْ يُرْتَجَى أَنْ يَطْلُبَ الدَّمُ طَالِبٌ  
 فَلَا مُلَى الْبَاقِي تُرَاثَ الَّذِي مَضَى  
 عَلَى عَجَلٍ أَسْأَرُهُ وَسَائِرُهُ  
 وَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ يُبْهَجُ زَائِرُهُ  
 تَوْبُ وَنَاهِي الدَّهْرِ فِيهِمْ وَأَمْرُهُ<sup>(١)</sup>  
 وَأُولَى لِمَنْ يَغْتَالُهُ لَوْ يُجَاهِرُهُ  
 يَجُودُ بِهَا وَالْمَوْتُ حُمْرُ أَظْفَرُهُ  
 كَمَا بَدِمَ يَجْرِي عَلَى الْأَرْضِ مَائِرُهُ  
 مَدَى الدَّهْرِ وَالْمَوْتُورُ بِالْأَمِّ وَأَتَرُهُ<sup>(٢)</sup>  
 وَلَا حُمِلَتْ ذَلِكَ الدُّعَاءُ مَنَابِرُهُ

وهي طويلة، وكان أبو العباس ثعلب يقول فيها: ما قلت هاشمية أحسن منها، وقد صرح فيها تصريح من أذهلت المصائب عن تخوف العواقب.

### من شعر البحري

وقد كان البحري يرتاح في كثير من شعره إلى ذكره وذكر الفتح بن خاقان، فمن ذلك قوله لبعض من يمدحه<sup>(٣)</sup>:

تَلَوَّكِنِي الْإِحْسَانُ مِنْكَ، وَنَالَنِي  
 وَكَافَعْتُ عَنِي حِينَ لَا الْفَتْحُ يُرْتَجَى  
 عَلَى فَاقَةِ ذَاكَ الْأَدَى وَالْتَطَوُّلُ  
 لِدَفْعِ الْأَدَى عَنِّي وَلَا الْمُتَوَكَّلُ  
 وَقَالَ<sup>(٤)</sup>:

مَضَى جَعْفَرُ وَالْفَتْحُ بَيْنَ مُومِدٍ  
 أَطْلُبُ أَصْلَاهُ عَلَى الدَّهْرِ بَعْدَمَا  
 وَبَيْنَ قَتِيلٍ فِي الدُّعَاءِ مُضْرَجٍ  
 تَوَى مِنْهُمَا فِي التُّرْبِ أَوْسَى وَخَزَرْجِي<sup>(٥)</sup>  
 وَقَالَ فِي غِلَامٍ لَهُ<sup>(٦)</sup>:

- (١) العميد: السيد المعتمد عليه في الأمور.
- (٢) يريد: أن الموتور في هذه الحادثة هو الواتر، لأن الذي قتل المتوكل هو ابنه المتصر.
- (٣) البحري، الديوان: ٢/ ٢١٤.
- (٤) نفسه: ٢/ ٢٧٥.
- (٥) مات أوسه وخزرجه: مثل في قد النصير، لأن الأوس والخزرج يضرب بهما المثل العالي في الشجاعة.
- (٦) البحري، الديوان: ٢/ ١٤٦.



عَسَى آيِسٌ مِنْ رَجْعَةِ الْوَصْلِ يُوصَلُ      وَدَهْرٌ تَوَلَّى بِالْأَحْبَةِ يُقْبَلُ<sup>(١)</sup>  
 أَيَسًا سَكَنًا فَاتِ الْفِرَاقِ بِنَفْسِهِ      وَحَالُ التَّعَادِي دُونَهُ وَالْتِزِيلُ<sup>(٢)</sup>  
 أَنْعَجِبْ لَمَّا لَمْ يَغُلْ جِسْمِي الضَّنَا      وَلَمْ يَخْتَرِمْ نَفْسِي الْحِمَامُ الْمُعْجَلُ<sup>(٣)</sup>  
 فَقَبْلُكَ بَانَ الْفَتْحُ مِنْي مُودَعًا      وَفَارَقَنِي شَفْعًا لَهُ الْمَتَوَكِّلُ<sup>(٤)</sup>  
 فَمَا بَلَغَ الدَّمْعُ الَّذِي كُنْتُ أَرْتَجِي      وَلَا فَعَلَ الْوَجْدُ الَّذِي خِلْتُ يَفْعَلُ

### ليزيد بن محمد المهلب يريثي المتوكل

وقال أبو خالد يزيد بن محمد المهلب في قصيدة أولها:

لَا وَجْدَ إِلَّا أَرَاهُ دُونَ مَا أَحْسَدُ      وَلَا كَمَنْ فَقَدْتُ عَيْنَايَ مُفْتَقِدُ  
 يقول فيها:

لَا يَبْعُدُنْ هَالِكُ كَانَتْ مَنِيئُهُ      كَمَا هَوَى مِنْ عِضَاهِ الزُّبْيَةِ الْأَسَدُ<sup>(٥)</sup>  
 جَاءَتْ مَنِيئُهُ وَالْعَيْنُ هَادِيَةٌ      هَلَّا أَتَتْهُ الْمَنَابِ وَالْقَنَا قُصْدُ<sup>(٦)</sup>  
 فَخَرَّ فَوْقَ سَرِيرِ الْمَلِكِ مُنْجِدَلًا      لَمْ يَخِمِهِ مُلْكُهُ لَمَّا انْقَضَى الْأَمْدُ<sup>(٧)</sup>  
 لَا يَدْفَعُ النَّاسُ ضَيْمًا بَعْدَ لَيْلَتِهِمْ      إِذْ لَا يُهْزُ إِلَى الْجَانِي عَلَيْكَ يَدُ  
 عَلَتْكَ أَسِيفٌ مَنْ لَا دُونَهُ أَحَدُ      وَلَيْسَ فَوْقَكَ إِلَّا الْوَاحِدُ الصَّمْدُ  
 إِذَا بَكَيتُ فَإِنَّ الدَّمْعَ مُنْهَمِلٌ      وَإِنْ رَكِبْتُ فَإِنَّ الشَّعْرَ مُطَّرِدُ  
 إِنَّا فَقَدْنَاكَ حَتَّى لَا اصْطَبَارَ لَنَا      وَمَاتَ قَبْلَكَ أَقْوَامٌ فَمَا فُقِدُوا

- (١) آيس منه أيساً وإياساً: يشق وانقطع رجاؤه، فهو آيس وأيس.
- (٢) التزِيلُ: التباين والتفرق، وتزِيلُ القوم: تباينوا وتفرقوا، وفي التزِيل العزيز: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا فِيهِمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (سورة الفتح، آية ٢٥).
- (٣) غَالَهُ غَوْلًا: أهلكه، أخذه من حيث لا يدري. واخترمه الموت: أخذه، وأصل الخَرَم: الشَّقُّ والْقَطْعُ.
- (٤) بان منه، وعنه بَيَّنَّا وبَيَّنَّا وبَيَّنَّا: بعد وانفصل. وشَفَعَ الشيء: ضَمَّ مثله إليه، وقيل: جعله زوجاً، والشَّفْعُ: خلاف الوتر.
- (٥) العضاه: جمع عاضه، وهي الحية الشديدة السم، تقتل لساعتها. والزُّبْيَةُ: تلمعة الأسد.
- (٦) قُصْدُ: جمع قصد: متكرر.
- (٧) مُنْجِدَلًا: مُنْصَرَعًا، وقد جدله: صَرَعَهُ، وانجدل: انصرع.

قَدْ كُنْتُ أُسْرِفُ فِي مَالِي فَتُخْلِفُهُ      فَعَلَّمْتَنِي اللَّيَالِي كَيْفَ أَقْصِدُ

وَقَالَ فِيهَا يَذْكُرُ الْأَثْرَكَ، وَيَحْضُ عَلَى اصْطِنَاعِ الْعَرَبِ:

لَمَّا اعْتَقَدْتُمْ أَنَسَاءً لَا حِفَاطَ لَهُمْ      ضِعْتُمْ وَضِعْتُمْ مَنْ كَانَ يُعْتَقَدُ  
وَلَوْ جَعَلْتُمْ عَلَى الْأَحْرَارِ نِعْمَتَكُمْ      حَمَتُكُمُ الذَّادَةُ الْمُنْشُوبَةُ الْحُشْدُ<sup>(١)</sup>  
قَوْمٌ هُمْ الْأَصْلُ وَالْأَسْمَاءُ تَجْمَعُكُمْ      وَالْدِينُ وَالْمَجْدُ وَالْأَرْحَامُ وَالْبَلَدُ  
إِنْ الْعَبِيدُ إِذَا أَذْلَلْتَهُمْ صَلَحُوا      عَلَى الْهَوَانِ وَإِنْ أَكْرَمْتَهُمْ فَسَدُوا

### لأبي حية النميري

وَقَالَ أَبُو حِيَةَ النُّمَيْرِيُّ<sup>(٢)</sup>:

رَمَتْهُ فَتَاةٌ مِنْ رِبْعَةٍ عَامِرٍ      نَوُومُ الضُّحَى فِي مَاتِمٍ أَيْ مَاتِمٍ<sup>(٣)</sup>  
فَقُلْنَ لَهَا فِي السَّرِّ: تَقْدِيكَ لَا يَرْخُ      صَحِيحاً وَإِلَّا تَقْتُلِيهِ فَالْمِمْي  
فَأَلَقْتُ فَنَاعاً دُونَهُ الشَّمْسُ وَانْقَتَ      بِأَحْسَنِ مَوْصُولَيْنِ كَفَّ وَمِعْصَمٍ  
وَقَالَتْ فَلَمَّا أَفْرَعَتْ فِي فُؤَادِهِ      وَعَيْنِيهِ مِنْهَا السَّحَرُ قَالَتْ لَهُ نَمِ  
فَأَصْبَحَ لَا يَذْرِي أَفْنِي طُلْعَةَ الضُّحَى      تَرْوِّحُ أَمْ دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمٍ<sup>(٤)</sup>

أَخَذَ قَوْلَهُ: «فَأَلَقْتُ فَنَاعاً دُونَهُ الشَّمْسُ» مِنْ قَوْلِ النَّابِغَةِ الذِّبْيَانِيِّ<sup>(٥)</sup>:

(١) الذَّادَةُ: جمع ذائد، وهو المدافع. وَالْحُشْدُ: جمع حشد، وهو الذي لا يدع عند نفسه شيئاً من الجهد والنصرة والمال إلا جاد به.

(٢) هو الهيثم بن الربيع بن زرارة، من بني نمير بن عامر، المتوفى نحو ١٨٣ هـ/ ٨٠٠ م، وقد وردت ترجمته في مكان سابق.

(٣) نَوُومٌ: كثيرة النوم، ونَوُومُ الضُّحَى: كناية عن المرأة المترفة المخلومة؛ قال امرؤ القيس: وَتُضْحِي فَيَنْتِ الْمِسْكُ فَوْقَ فِرَاشِهَا نَوُومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَقْضَلِ (ديوانه: ص ٤٥). (وفي رواية: «رمته أناة»، وَأَنَاءُ: المرأة فيها فتور عند القيام.

(٤) وجاءت رواية الحماسة للبتن الأخيرين على الشكل التالي:

وَقَالَتْ فَلَمَّا أَفْرَعَتْ فِي فُؤَادِهِ      وَعَيْنِيهِ مِنْهَا السَّحَرُ قُلْنَ لَهُ قُمْ  
فَوَدَّ يَجْدُعُ الْأَنْفَ لَوْ أَنَّ صَحْبَهُ      تَادُوا وَقَالُوا فِي الْمَنَاخِ لَهُ نَمِ  
فَرَّاحٌ وَمَا يَذْرِي أَفْنِي سَاعَةِ الضُّحَى      تَرْوِّحُ أَمْ دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمٍ

(٥) النابغة الذبياني، الديوان: ص ٤٠، والبيتان من قصيدة يصف فيها «المتجردة» زوجة النعمان بن المنذر، وقد سقط نصيفها، فاسترت يدها وذراعها.

قَامَتْ تَرَاعَى بَيْنَ سَجْعَتِي كَلَّةٍ      كَالشَّمْسِ يَوْمَ طُلُوعِهَا بِالْأَسْعَدِ<sup>(١)</sup>  
 مَقَطَ الثَّصِيفِ وَلَمْ تُرِدْ إِسْقَاطَهُ      فَتَاوَلْتُهُ وَاتَّقَتْنَا بِالْيَدِ<sup>(٢)</sup>

### لأبي حية النميري يرثي سلمة بن عياش

وقال أبو حية يرثي سلمة بن عياش:

كَأَنَّ أَبَا حَقِصٍ قَتَى الْيَأْسَ لَمْ يُجِبْ      بِهِ اللَّيْلُ وَالْبَيْضُ الْقِلَاصُ النِّجَابُ<sup>(٣)</sup>  
 إِلَى الْغَايَةِ الْقُصْوَى، وَلَمْ تَهْدُ فِتَّةً      كَرَاماً وَتَخْطُوهُ الْخُطُوبُ النَّوَابُ  
 وَيُعْمَلُ عِتَاقُ الْعَيْسِ حَتَّى كَانَتْهَا      إِذَا وَضِعَتْ عَنْهَا الْعَلَايَا الْمَشَاجِبُ<sup>(٤)</sup>  
 يَعِيدُ مَنَاتِي الْهَمَّ يَمَيِّ وَمَالَهُ      سِوَى اللَّهِ وَالْعَصْبِ الشَّرِيجِي صَاحِبِ<sup>(٥)</sup>  
 يَرُومُ جَسِيمَاتِ الْعُلَا فَيَنَالُهَا      قَتَى فِي جَسِيمَاتِ الْمَكَارِمِ رَاغِبِ<sup>(٦)</sup>  
 فَإِنْ يُمْسِ وَحْشاً بَابُهُ فَلَرُبَّمَا      تَوَاتَرُ أَفْوَاجاً إِلَيْهِ الْمَوَاكِبُ<sup>(٧)</sup>  
 يُحْيَوْنَ يَسَاماً كَأَنَّ جِنَّةً      هَلَالٌ بَدَا وَانْجَابَ عَنْهُ السَّحَابُ<sup>(٨)</sup>  
 وَمَا غَائِبٌ مَنْ غَابَ يُرْجَى إِيَابُهُ      وَلَكِنَّهُ مَنْ ضَمَّنَ اللَّحْدَ غَائِبُ

- (١) السجف: السر الرقيق المشقوق الوسط. والكلة: التاموسية. تراءى: تظهر نفسها. الأسعد: برج الحمل.
- (٢) الثصيف: كل ما غطي الرأس من خمل وغيره.
- (٣) القلاص والقلاص: جمع القلوص، وهي من الإبل: الفتية المجتمعمة الخلق، وذلك من حين تُركب إلى التسعة من عمرها، ثم هي ناقة، وكانوا يكونون عن الفتيات بالقلاص والقلاص. ونجائب الإبل: خيارها، الواحدة: نجية.
- (٤) العيس: جمع أيس، وهو من الإبل: الذي يخالط بياضه شقرة، وقيل: الكريم منها. والعِتَاق: جمع عتيق، وهو الكريم. والعلايا: الأمتعة، مفرداها علان، والمشاجب: جمع مشجب، وهو عود من خشب تعلق عليه الثياب. وفي رواية: «إِذَا وَضِعَتْ عَنْهَا الْوَلَايَا»، والولايَا: جمع ولية، وهي البرذعة.
- (٥) العَصْبُ من السوف: القاطع. والشريجي: نبة إلى شريج، وهو حنّاد كان مضرب المثل في صنع السوف.
- (٦) الجسيم من الأمور: العظيم.
- (٧) الوحش: الموحش لا أئس به.
- (٨) السحاب: انكشف، ومنه: انجاب الظلام: انقشع وزال.

وزعم الصُّولي أن أبا حية إنما قالها في محمد بن سليمان بن علي بن عبيد الله بن العباس. وكان أبو حية جيد الطبع، مألوف الكلام، رقيق حواشي الشعر.

### [مجنون بني عامر]

وسئل الأصمعي عن قيس بن الملوّح المجنون<sup>(١)</sup>، فقال: لم يكن مجنوناً، وإنما كانت به لؤثة كلؤة أبي حية<sup>(٢)</sup>، وهو القاتل:

رَمَيْتُ وَمِثْرُ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا      عَشِيَّةَ أَحْجَارِ الْكِتَاسِ رَمِيمٌ  
رَمِيمٌ الَّتِي قَالَتْ لِجَارَاتِ بَيْتِهَا:      ضَمِئْتُ لَكُمْ أَلَّا يَزَالَ يَهِيْمُ  
أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَوْ رَمَيْتُ رَمِيَّتَهَا      وَلَكِنَّ عَهْدِي بِالنِّضَالِ قَلِيمٌ  
فِيَا عَجِيباً مَنْ قَاتِلٍ لِي أَوْدُهُ      أَشَاطَ كَمِي شَخْصٌ عَلَيَّ كَرِيمٌ<sup>(٣)</sup>  
يَرَى النَّاسَ أَنِّي قَدْ مَلَوْتُ، وَإِنِّي      لَمُنْتَفُ أَحْنَاءِ الصُّلُوعِ سَقِيمٌ<sup>(٤)</sup>

وأنشدني إسحاق بن إبراهيم الموصلي<sup>(٥)</sup> في مثله، ولم يسم قائله:

هَلِ الْأَدَمُ كَالْآرَامِ وَالزُّهْرُ كَالدُّمَى      مُعَاوِدَتِي أَيَّامُهُنَّ الصَّوَالِحُ<sup>(٦)</sup>

(١) قيس بن الملوّح بن مزاحم العامري: شاعر متميم، لقب بالمجنون لهيامه في حب ليلي بنت سعد، التي نشأ معها إلى أن كبرت، فحببها أبوها، فهام على وجهه يشد الأشعلور، ويأنس الوحوش حتى خولط في عقله، فكان يرى في أسكنة متعددة بين الشام ونجد والحجاز، إلى أن وجد ميتاً في وادٍ كثير الحجارة سنة ٦٨ هـ/ ٦٨٨ م. (الأصفهاني، الأغاني: ٥/٢ - ٧٩؛ البغداد، خزنة الأدب: ٢٢٩/٤).

(٢) اللؤثة: مسُّ الجنون.

(٣) أشاط دمي: أحرقة.

(٤) المُنْتَفُ: الذي اشتد عليه المرض فأعياه وأهزله. والأحناء: جمع حنو، وهو ما فيه اعوجاج من عظام البدن.

(٥) هو أبو محمد، إسحاق بن إبراهيم الموصلي: أديب، شاعر، راوية، وإمام في صناعة الغناء. وكان المأمون يقول: لولا ما سبق على ألسنة الناس، وشهر به عنهم من الغناء، لوليت القضاة بحضرتي، فإنه أولى به وأعف وأصدق وأكثر ديناً وأمانة من هؤلاء القضاة. وكان الموصلي نفسه يكره الغناء، ويكره أن يُسمّى به. توفي سنة ٢٣٥ هـ/ ٨٥٠ م. (الأصفهاني، الأغاني: ٢٤٢/٥).

(٦) الأدم: جمع أدماء، وهي السمراء. والزهر: جمع زهراء، وهي البيضاء.

زَمَانَ سِلَاحِي بَيْتُهُنَّ شَبِيئِي      لَهَا سَائِفٌ مِنْ حُسْنِهِنَّ وَرَامِحٌ<sup>(١)</sup>  
فَأَقْمُنَ لَا يَسْقِينِي قَطْرَ مُزْنَةٍ      لِشَبِيئِي وَلَوْ سَالَتْ بِهِنَ الْأَبَاطِحُ<sup>(٢)</sup>

### لهارون بن علي بن يحيى المنجم في الشباب

وقال هَارُونُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى الْمُنْجِمُ<sup>(٣)</sup>:

الْغَانِيَاتُ عُهْودُهُ      نَّ إِلَى انْصِرَامٍ وَانْقِضَابِ  
مَنْ شَابَ شِبْنٌ لَهُ الْمَوَدُّ      ۞ بِالْخَدِيعَةِ وَالْكَذَابِ<sup>(٤)</sup>  
فَانْعَمَ بِهِنَّ وَزَنَّدُ سِنِّ      لَكَ فِي الشَّيْبَةِ غَيْرُ خَابِي<sup>(٥)</sup>  
مَا دُمْتُ فِي رَوْقِ الصَّبَا      وَغُصُونِهِ الْخُضَرِ الرَّطَابِ<sup>(٦)</sup>  
فَافْخَرُ بِأَيَّامِ الصَّبَا      وَاخْلَعْ عِذَارَكَ فِي التَّصَابِي  
وَاعْطِ الشَّبَابَ نَصِييَهُ      مَا دُمْتُ تُعْذِرُ بِالشَّبَابِ

### لأشجع السلمي في الشباب

وقال أَشْجَعُ بْنُ عَمْرِو السُّلَمِيِّ<sup>(٧)</sup>:

وَمَالِي لَا أُعْطِي الشَّبَابَ نَصِييَهُ      وَغُصْنَاهُ يَهْتَزَّانِ فِي عُودِهِ الرَّطْبِ  
رَأَيْتُ اللَّيَالِي يَنْتَهِنُ شَبِيئِي      فَأَسْرَعْتُ بِاللَّذَاتِ فِي ذَلِكَ النَّهْبِ  
فَإِنَّ بَنَاتَ الدَّهْرِ يَخْلُسْنَ لَدَنِي      فَقَدْ جُزْنَ سَلَمِي وَأَنْتَهَيْنَ إِلَى حَرْبِي

(١) سائف: اسم فاعل من ساف ي سيف، إذا ضرب بالسيف. ورامح: اسم فاعل من رمح يرمح، إذا ضرب بالرمح.

(٢) المزنّة: واحدة المزن: السحابة المطرّة. والأباطح: جمع الأبطح: المكان المتسع يمرّ به السيل، فيترك فيه الرمل والحصى الصغار.

(٣) هو أبو عبد الله، هارون بن علي بن يحيى بن أبي منصور، المنجم البغدادي: أديب فاضل، راوية، حسن المنادمة، لطيف المجالسة. توفي سنة ٢٨٨ هـ/٩٠١ م. من آثاره: «كتاب النساء»، و«البارع» في أخبار الشعراء المولدين. (ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٧٨/٦).

(٤) شِبْنٌ: مَزَجْنٌ.

(٥) غير خاب: غير منطفيء.

(٦) رَوْقُ الصَّبَا: أَوَّلُهُ.

(٧) أشجع بن عمرو السلمي: شاعر فحل ظريف. اتصل بجعفر البرمكي، فوصله بالرشيد، فأصبح من مثّاحه وندمائه. توفي نحو ١٩٥ هـ/٨١١ م. (فروخ، تاريخ الأدب العربي: ١٤٤/٢).

وَقَدْ حَوَّلَتْ حَالِي اللَّيَالِي وَأَسْرَجَتْ عَلَى الرَّأْسِ أَمْثَالَ الْفَتِيلِ مِنَ الْعَطَبِ  
وَمَوْتُ الْفَتَى خَيْرٌ لَهُ مِنْ حَيَاتِهِ إِذَا كَانَ ذَا حَالٍ يَضْبُو وَلَا يُضْبِي  
وقال آخر:

مِمَّا الْعَيْشُ إِلَّا أَنْ تُحِ سَبَّ وَأَنْ يَجْبِكَ مَنْ تُجِبُهُ

### فَقَرَّ تَتَصَلُّ بِهَذِهِ الْآيَاتِ، فِي وَصْفِ الشَّبَابِ

أَطَاعَ الشَّبَابَ وَغَرَّتُهُ، وَأَجَابَ الصَّبَا وَشَرَّتُهُ<sup>(١)</sup>، جَرَّ إِزَارَ الصَّبَا، وَأَذَالَ<sup>(٢)</sup> ذِيُولَ  
الْهَوَى، وَرَكَضَ<sup>(٣)</sup> فِي مِيدَانِ التَّصَابِي، وَجَنَى ثَمَرَاتِ الْمَلَاهِي، هُوَ فِي اقْتِبَالِ شَبَابِهِ، وَحْدَاثَةِ  
أَثْرَابِهِ<sup>(٤)</sup>، وَزَيْعَانِ عَمْرِهِ، وَعُتْفَوَانِ أَمْرِهِ، هُوَ فِي إِبَّانِ شَبَابِهِ وَاعْتِدَالِهِ وَرِيْعَانِ اقْتِبَالِهِ وَاقْتِبَالِهِ.  
بَعَثَهُ عَلَى ذَلِكَ أَشْرُ الصَّبَا<sup>(٥)</sup>، وَلَيْنُ الْعُضْنِ، وَشَرَحُ الشَّبِيَّةِ<sup>(٦)</sup> وَسُكْرُ الْحَدَاثَةِ. فَتَى السَّنِ،  
رَطِيبُ الْعُضْنِ، عَمْرُهُ فِي اقْتِبَالِهِ، وَنَشَاطُهُ فِي اسْتِقْبَالِهِ، وَشَبَابُهُ فِي اقْتِبَالِهِ، وَمَاؤُهُ بِحَالِهِ. فَلَانَ  
فِي حَكْمِ الْأَطْفَالِ، الَّذِينَ لَمْ يَعْضُوا عَلَى نَوَاجِذِ الرِّجَالِ. هُوَ فِي عُتْفَوَانِ شَبَابِهِ تُخَافُ  
سَقَطَاتُهَا وَهَقَوَاتُهَا، وَلَا يُؤْمِنُ جِيْحَاتُهَا<sup>(٧)</sup> وَنَزَوَاتُهَا. هُوَ فِي سُكْرِ الشَّبَابِ وَالشَّرَابِ، وَبَيْنَ  
نَزَوَاتِ الشَّبَابِ، وَنَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ، شَبَابُهُ أَعْمَى عَنِ الرَّشْدِ. صَمٌّ عَنِ الْعَدْلِ، قَدْ لَبَّى دَاعِي  
هَوَاهُ، وَانْغَمَسَ فِي لُجَّةِ صَبَاهُ، قَدْ هَجَمَ بِسُكْرِ الْحَدَاثَةِ عَلَى سَكْرَاتِ الْحَوَادِثِ، يَجْرِي إِلَى  
الصَّبَا جَرِي الصَّبَا. فَلَانَ غَفْلٌ مِنْ سِمَةِ النَّجْرَةِ، جَامِعٌ فِي عِدَارِ الْعَفْلَةِ، صَعْبُ الرَّأْسِ<sup>(٨)</sup>  
عَلَى لُجَامِ الْعِظَةِ، هُوَ مِنْ سُلْطَانِ الصَّبَا فِي التَّوْبَةِ الْأُولَى، قَدْ خَلَعَ عِدَارَهُ وَمَقُودَهُ، وَأَلْقَى  
إِلَى الْبَطَالَةِ بَاعَهُ وَبَدَهُ. هُوَ بَيْنَ خُمَارِ الْغَدَاةِ<sup>(٩)</sup> وَسُكْرِ الْعَشِيِّ لَا يَعْرِفُ الصُّحُورَ، وَلَا يَفَارِقُ  
الْهَوَى. فَلَانَ لَا يَفِيْقُ، وَلَا يَذْكُرُ التَّوْفِيقَ، هُوَ بَيْنَ غَرَرِ الشَّبَابِ، وَغَرَرِ الْأَحْجَابِ.

(١) غَرَّةُ الشَّبَابِ: غَفْلَتُهُ، وَشَرَّتُهُ: جَدَّتُهُ.

(٢) أَذَالَ: أَهَانَ.

(٣) رَكَضَ: جَرَى.

(٤) الْأَثْرَابُ: جَمْعُ تَرْبٍ، وَهُوَ الْمِثْلُ فِي السَّنِ.

(٥) أَشْرُ الصَّبَا: مَرْحَةٌ وَنَشَاطُهُ.

(٦) شَرَحُ الشَّبِيَّةِ: أَوَّلُهَا وَنَضَارَتُهَا.

(٧) جِيْحَاتُ الشَّبِيَّةِ: يُقَالُ: جَاحَ فَلَانٌ: عَدَلَ عَنِ الْمَحْبَّةِ إِلَى غَيْرِهَا، وَالْجَائِحَةُ: الْمَصِيْبَةُ تَحُلُّ  
بِالرَّجُلِ فِي مَالِهِ فَتَجْتَاحُهُ كُلَّهُ.

(٨) صَعْبُ الرَّأْسِ: لَعْلُهُ صَعِبَ الْمَرَامِ.

(٩) الْخُمَارُ: مَا يَصِيبُ شَارِبَ الْخَمْرِ مِنْ أَلَمٍ وَصَدَاعٍ، أَوْ مَا يَصِيبُ الْإِنْسَانَ مِنْ سُكْرِ الْخَمْرِ.

## ويتعلق بهذه الألفاظ ألفاظ لهم في نجابة الشباب وترشحهم للمعالي

قد جمع نَصَارَةُ الشباب إلى أَبْهَةِ المشيب، وهو على حُلُوث ميلاده وقُرْب إسناده شيخ قَنَرٍ وَهِيَّة، وإن لم يكن شيخ سِنٍ وَشِيَّة. هو بين شباب مُقْتَبِل، وعقل مُكْتَمِل، قد لبس بُرْدَ شبابه على عَقْل كهل، ورَأَى جَزَلَ، وَمَنْطَقَ فصل، للدهر فيه مقاصد، وللأيام فيه مواعد، أرى له في فصل ضمان الأيام وودائع الحظوظ والأقسام، تَبَاشِيرَ نَجَح، وَمَخَايِلَ نَصَرٍ وفتح، قد استكمل قُوَّةَ الْفَضْلِ، ولم يتكامل له سِنُّ الْكَهْلِ. ما زالت مَخَايِلُهُ ولبداً وناشئاً، وشمائله صَغِيرًا ويافعاً، نَوَاطِقَ بالحسن عنه وَضَوَائِمَ التَّجَحُّج فيه! قد سما إلى مراتب أَعْيَانِ الرجال، التي لا تَذُرُّكَ إِلَّا مع الكمال والاكتهال. حُمِدَتْ عَزَائِمُهُ، قبل أن حُلَّتْ تماثمه، وشُهِدَتْ مكرماته، قبل أن تدرج لِدَاتُهُ<sup>(١)</sup>.

### للبحثري

وقال البحثري<sup>(٢)</sup>:

لا تَنْظُرَنَّ إِلَى الْعَبَاسِ مِنْ صَغَرٍ      فِي السَّنِّ وَانْظُرْ إِلَى الْمَجْدِ الَّذِي شَادَا<sup>(٣)</sup>  
إِنَّ النُّجُومَ نُجُومٌ الْأَفْقِ أَصْغَرُهَا      فِي الْعَيْنِ أَذْهَبُهَا فِي الْجَوِّ إِضْعَادَا  
وقال آخر:

رَأَيْتُ الْعَقْلَ لَمْ يَكُنْ اتِّهَابًا      وَلَمْ يُقَسَمْ عَلَى قَنَرِ السَّنِيَا  
فَلَوْ أَنَّ السَّنِينَ نَقَسَمْتُهُ      حَوَى الْآبَاءُ أَنْصِبَةَ الْبَيَا

### للفضل بن جعفر الكاتب

وقال الفضل بن جعفر الكاتب:

فَإِنْ خَلَفْتَهُ السَّنُّ فَالْعَقْلُ بِالْغُ      بِهِ رُبَّةَ الْكَهْلِ الْمُؤَهَّلِ لِلْمَجْدِ  
فَقَدْ كَانَ يَحْيِي أَوْتِي الْحُكْمَ قَبْلَهُ      صَيًّا وَعَيْسَى كُلَّمِ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ

(١) اللَّدَاتُ: جمع لدة، وهو التَّرب، أي المماثل في السن، وتدرج: تمشي. وفي رواية: «تدج» أي: تَدَبُّ.

(٢) البحثري، الديوان: ٢٤٥/٢.

(٣) في الديوان: «لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى الْفَيَاضِ».

## [مما قيل في أثر الأيام والليالي]

وكان أبو حية كثير الرواية عن الفرزدق، وعُمر حتى التقى بابن مناذر<sup>(١)</sup> فاستشده شعره، فأنشده أبو حية:

## بين أبي حية وابن مناذر

أَلَا حَيٍّ مِنْ أَجْلِ الْحَبِيبِ الْمَغَانِيَا      لَيْسَنَ الْبَلَى مِمَّا لَيْسَنَ اللَّيَالِيَا  
إِذَا مَا تَقَاضَى الْمَرْءُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ      تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَمَلُّ التَّقَاضِيَا  
حَتَّىكَ اللَّيَالِي بَعْدَمَا كُنْتَ مَرَّةً      سَوِيَّ الْعَصَا لَوْ كُنَّ يُقِيمَنَّ بَاقِيَا

فقال ابن مناذر: أو شعر هذا؟ فقال أبو حية: ما في شعري عيب، غير أنك تسمعه.

وفي هذه القصيدة يقول أبو حية:

وَلَمَّا أَبَتْ إِلَّا التَّوَاءَ بِوُدِّهَا      وَتَكْدِيرَهَا الشُّرْبَ الَّذِي كَانَ صَاقِيَا  
شَرِنْتُ بِرَنِّي مِنْ هَوَاهَا مُكْدِرٍ      وَكَيْفَ يِعَافُ الرَّثْقُ مَنْ كَانَ صَادِيَا<sup>(٢)</sup>

## لعمر بن قميئة

وقد قال عمرو بن قميئة<sup>(٣)</sup> في معنى قول أبي حية:

كَأَنْتَ قَنَاسِي لَا تَلِينُ لِغَامِرٍ      فَالْأَنَّهُا الْإِصْبَاحُ وَالْإِمَاءُ  
وَدَعَوْتُ رَبِّي فِي السَّلَامَةِ جَاهِدًا      لِيُصِحِّحَنِي فَإِذَا السَّلَامَةُ دَاءُ

(١) هو أبو جعفر، وقيل: أبو ذريح، محمد بن مناذر، مولى بني صير بن يربوع: شاعر مقلد فصيح، عالم باللغة والأدب. نشأ واشتهر بالبصرة، وكان في أول أمره متعبداً، ثم تهتكت وهجا الناس. وله في شعره شدة الجاهليين، وحلاوة المحدثين. توفي سنة ١٩٨ هـ/٨١٣ م. (ابن المعتز، طبقات الشعراء: ١١٩؛ الأصفهاني، الأغاني: ١٨/١٠٣).

(٢) ماء رنق: مكدر، غير صاف، ورثق الماء: كدّرهُ. يعاف: يكره.

(٣) هو عمرو بن قميئة بن ذريح بن سعد بن مالك أحد بني ضبيعة بن قيس بن ثعلبة من بني بكر بن وائل: شاعر مقدم فحل، مقل في شعره. خرج مع امرئ القيس في رحلته إلى قيصر الروم، ومات في الطريق، فسماه العرب «الضائع»، لموته في غربة. توفي نحو ٥٤٠ م. (ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ١١/٢٩٢؛ الأمل، المؤلف والمختلف: ٢٥٤).



## للنمر بن تولب

وقال النمر بن تولب<sup>(١)</sup>:

يَوَدُّ الْفَتَى طُولَ السَّلَامَةِ وَالْبَقَا      فَكَيْفَ يَرَى طُولَ السَّلَامَةِ يَفْعَلُ  
يَعُودُ الْفَتَى مِنْ بَعْدِ حُسْنِ وَصَحَّةٍ      يُسَوِّءُ إِذَا رَأَى الْقِيَامَ وَيَحْمَلُ

وقد روي في الحديث الشريف: «كفى بالسلامة داء».

## لحميد بن ثور

وقد أحسن حميد بن ثور<sup>(٢)</sup> في قوله:

أَرَى بَصَرِي قَدْ رَابَيْ بَعْدَ صِحَّةٍ      وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَا  
وَلَنْ يَلْبَثَ الْعَصْرَانِ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ      إِذَا طَلَبَا أَنْ يُدْرِكَمَا تَيْمَمَا

وهذان البيتان من قصيدة طويلة، وهي أجود شعر حميد، ومن أجود ما فيها:

وَمَا هَاجَ هَذَا الشَّوْقَ إِلَّا حَمَامَةً      دَعَتْ سَاقَ حُرٍّ فَرَحَةً وَتَرْتَمًا<sup>(٣)</sup>  
تَرُوحُ عَلَيْهِ وَالْهَاءُ ثَمَّ تَغْتَدِي      مُوَلَّهَةً تَبْغِي لِهَ الدَّهْرَ مَطْعَمًا  
تُؤْمَلُ مِنْهُ مُؤْنَسًا لِإِنْفِرَادِهَا      وَتَبْكِي عَلَيْهِ إِنْ زَقَا وَتَسْرَتَمَا<sup>(٤)</sup>  
كَأَنَّ عَلَى إِشْرَاقِهِ نُورَ خُمْرَةٍ      إِذَا هُوَ مَدَّ الْجَيْدَ مِنْهُ لِيَطْعَمَا

(١) هو النمر بن تولب بن زهير بن أقيش العكلي: شاعر مقل مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم وحسن إسلامه. وهو أحد أجواد العرب المذكورين، وفرسانهم المشهورين. سمّاه أبو عمرو بن العلاء «الكيس» لجودة شعره وحسنه. توفي نحو ١٤ هـ/٦٣٥ م. (ابن سلام، طبقات الشعراء: ١٦٠؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٧٨/١).

(٢) هو أبو المثنى، حميد بن ثور بن حزن الهلالي العامري: شاعر مخضرم، عاش زمناً في الجاهلية، وأدرك حيناً مع المشركين، ثم أسلم ووفد على النبي ﷺ، ومات في خلافة عثمان. وهو شاعر مجيد، له كثير من الأوصاف والتشابه، وعده ابن سلام في الطبقة الرابعة من الشعراء الإسلاميين. توفي نحو ٣٠ هـ/٦٥٠ م. (ابن سلام، طبقات الشعراء: ٥٨٤؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء: ٨/١١).

(٣) سَاقُ حُرٍّ: ذكر القماري (نوع من الحمام).

(٤) زَقَا الطائر: صاح.

فَلَمَّا اكْتَسَى الرِّيشَ السُّحَامَ وَلَمْ تَجِدْ      لَهَا مَعَهُ فِي سَاحَةِ الْحَيِّ مَجْئَمًا<sup>(١)</sup>  
 تَنَحَّتَ قَرِيبًا فَوْقَ غُصْنٍ تَذَابَّتْ      بِهِ الرِّيحُ صِرْفًا أَيَّ وَجْهِ تَيَمَّمَا<sup>(٢)</sup>  
 فَأَهْوَى لَهَا صَقْرٌ مُسِفٌّ فَلَمْ يَدْعُ      لَهَا وَلَدًا إِلَّا رِمَامًا وَأَعْظَمَا<sup>(٣)</sup>  
 فَأَوْفَتْ عَلَى غُصْنٍ ضَحِيًّا وَلَمْ تَدْعُ      لِنَائِحَةٍ فِي نَوَاحِيهَا مُتَلَوَّمَا<sup>(٤)</sup>  
 عَجِبْتُ لَهَا أَنَّى يَكُونُ غِنَاؤُهَا      فَصِيحًا وَلَمْ تَغْفَرْ بِمَنْطِقِهَا فَمَا<sup>(٥)</sup>  
 فَلَمْ أَرِ مِثْلِي شَاقَهُ صَوْتُ مِثْلِهَا      وَلَا عَرِيًّا شَاقَهُ صَوْتُ أَعْجَمَا

ومن خبيث الهجاء قوله في هذه القصيدة يخاطب رجلين بعثهما:

وَقُولَا إِذَا جَاوَزْتُمَا أَرْضَ عَامِرٍ      وَجَاوَزْتُمَا الْحَيَّينَ نَهْدًا وَخَثَمًا  
 تُرِعَانِ مِنْ جَرَمِ بَنِ زَيْانَ أَنَّهُمْ      أَبَوَا أَنْ يُرِيقُوا فِي الْهَزَاهِرِ مِجْمَمًا<sup>(٥)</sup>

وما هُجِيتَ جَرَمَ بَاشِدٍ مِنْ هَذَا، يَرِيدُ أَنَّهُمْ لَذَلَّتْهُمْ لَمْ يَتَرَوْا أَحَدًا فَيَطَالِبُهُمْ بِذَخْلِ.

وقال الأصمعي: قيل لبعض الصالحين: كيف حالك؟ قال: كيف حال من يقنى ببقائه، وَيَسْقَمُ بِسَلَامَتِهِ، وَيُؤْتَى مِنْ مَأْمَنِهِ.

### لمحمود الوراق

وقال محمود الوراق:

يُحِبُّ الْفَتَى طُولَ الْبَقَاءِ كَأَنَّهُ      عَلَى ثِقَةٍ أَنَّ الْبَقَاءَ بَقَاءُ  
 إِذَا مَا طَوَى يَوْمًا طَوَى الْيَوْمَ بَعْضَهُ      وَيَطْوِيهِ - إِنْ جَنَّ الْمَسَاءُ - مَسَاءُ<sup>(٦)</sup>  
 زِيَادَتُهُ فِي الْجِسْمِ نَقْصُ حَيَاتِهِ      وَأَنَّى عَلَى نَقْصِ الْحَيَاةِ نَمَاءُ<sup>(٧)</sup>  
 جَدِيدَانِ لَا يَبْقَى الْجَمِيعُ عَلَيْهِمَا      وَلَا لَهُمَا بَعْدَ الْجَمِيعِ بَقَاءُ

(١) السحام: الأسود. والمجثم: مكان الرقاد.

(٢) تذابت: أتت من كل جانب كما يفعل الذئب.

(٣) سف الطائر سفيافاً: مرَّ على وجه الأرض في طيرانه.

(٤) تغفر: تفتح.

(٥) الهزاهز: الحروب. والمحجم: وعاء الحجامة والفصد.

(٦) جن الليل جنأ وجنونا وجناتنا: أظلم، وجن الظلام: اشتد، وجن الشيء وعليه: ستره.

(٧) النماء: الزيادة.

## للمتنبى

وقال المتنبى<sup>(١)</sup>:

زِيَادَةُ شَيْبٍ وَهِيَ نَقْصُ زِيَادَتِي      وَقُوَّةُ عَشْقٍ وَهِيَ مِنْ قُوَّتِي ضَعْفُ<sup>(٢)</sup>

## للبحري

وبيت محمود الأخير كقول البحري<sup>(٣)</sup>:

أَنَاءُ أَتَهَا الْقَلْبُ الْمَدَارُ      سَمَفَنَى مِثْلَ مَا تُفْنِي وَتَبْلَى  
كَمَا تُبْلَى فَيُلْرِكُ مِنْكَ ثَارُ      تُنَابُ النَّائِبَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ  
وَيَلْمُرُ فِي تَصَرُّفِهِ الدَّمَارُ      وَمَا أَهْلُ الْمَنَازِلِ غَيْرُ رُكْبٍ  
مَطَايَاهُمْ رَوَاحٌ وَاتِّكَارُ      ويقول فيها:

لَنَا فِي الدَّهْرِ أَمَالٌ طَوَالُ      نُرَجِّهَا وَأَعْمَارُ قِصَارُ  
أَمَّا وَأَبِي بَنِي حَارِ بْنِ كَعْبٍ      لَقَدْ طَرَدَ الزَّمَانُ بِهِمْ فَكَارُوا  
أَصَابَ الدَّهْرُ ذَوْلَةَ آلِ وَهَبٍ      وَنَالَ اللَّيْلُ مِنْهُمْ وَالنَّهَارُ  
أَعَارَهُمْ رِدَاءَ الْعِزِّ حَتَّى      تَقَاضَاهُمْ فَارَدُّوا مَا اسْتَعَارُوا  
وَقَدْ كَانُوا وَأَوَّجُهُمْ بُدُورُ      لِمُبْصَرِهَا وَأَيْدِيهِمْ بِحَارُ

## لابن هانئ

أخذ قوله: «سَمَفَنَى مِثْلَ مَا تُفْنِي» أبو القاسم بن هانئ فقال:

- (١) أبو الطيب المتنبى، الديوان: ٢٣٣/١. والبيت من قصيدة يمدح بها أبا الفرج أحمد بن الحسين القاضي المالكي.
- (٢) يقول: إن ما ازدادته من الشيب مُنْقِصٌ إلى نقص ما ازدادته من الشباب، وقوة ما بي من العشق مؤدية إلى ضعف البدن ونقص القوة.
- (٣) البحري، الديوان: ٣٣٠/٢.
- (٤) الْجَبَّارُ: الهَلَكُ، وهو ما لا قِصَاصَ فِيهِ وَلَا غُرْمَ، يقال: ذَعَبَ دَمُهُ جَبَّارًا، ويقال: حرب جبار: لَا دِيَةَ فِيهَا وَلَا قِصَاصَ. وفي الديوان: «أَنَّهُبُ أَمْ تُطْرَقُ أَمْ جَبَّارُ». وتطرق: من طرق له: جعل له طريقًا.

تَفْنِي النُّجُومُ الزُّهْرَ طَالِعَةً      وَالنَّيِّرَانِ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ  
وَلَيْتَن تَبَدَّدَتْ فِي مَطَالِعِهَا      مَنَظُّومَةٌ فَلَسَوْفَ تَتَشَرُّ  
وَلَيْتَن سَعَى الْفَلَكَ الْمُنَارُ بِهَا      فَلَسَوْفَ يُسَلِّمُهَا وَيَنْقَطِرُ

### لابن الرومي

وقد استقصى علي بن العباس الرومي المعنى الأول فقال<sup>(١)</sup>:

وَالدَّهْرُ يُبْلِي الْفَنَى مِنْ حَيْثُ يُنْشِئُهُ      حَتَّى تُكْرَرَ عَلَيْهِ لَيْلَةُ الْقَرَبِ<sup>(٢)</sup>  
يَغْدُوهُ فِي كُلِّ آنٍ وَهُوَ يَأْكُلُهُ      وَيَحْتَسِي نَعْباً مِنْهُ عَلَى نَغَبِ<sup>(٣)</sup>  
يُودِي بِحَالٍ فَحَالٍ مِنْ شَيْئِهِ      تَرُبُّ الْمَاءِ فِي مُسْتَانَفِ الْكُتْبِ<sup>(٤)</sup>  
حَسْبُ امْرِئٍ مِنْ خَنَى دَهْرٍ تَطَاوَلُهُ      وَإِنْ أَجَمَّ فَلَمْ يُنْكَبْ وَلَمْ يُبِ<sup>(٥)</sup>  
فِي هُدْنَةِ النَّهْرِ كَافٍ مِنْ وَقَائِعِهِ      وَالْعُمْرُ أَقْلَحُ مِبْرَاةٍ مِنَ الْوَصَبِ<sup>(٦)</sup>  
وقال أيضاً<sup>(٧)</sup>:

يَا بَانِي الْحِصْنِ أَرْسَاهُ وَشَيْدَهُ      حِرْزاً لِشَلْوٍ مِنَ الْأَعْدَاءِ شَجُونِ<sup>(٨)</sup>  
انْظُرْ إِلَى السَّهْرِ هَلْ فَاتَتْهُ بُغْيَةٌ      فِي مَطْمَحِ النَّسْرِ أَوْ فِي مَسْبَحِ التُّونِ<sup>(٩)</sup>  
وَمَنْ تَحَصَّنَ مَخُوباً عَلَى وَجَلٍ      فَإِنَّمَا حِصْنُهُ سِجْنٌ لِمَسْجُونِ  
أَشْكُو إِلَى اللَّهِ جَهْلًا قَدْ أَضَرَّ بِنَا      بَلْ لَيْسَ جَهْلًا وَلَكِنْ عِلْمٌ مَفْتُونِ

(١) ابن الرومي، الديوان: ١٨٩/١. والآيات من قصيدة قالها في الحسن بن عبيد الله بن سليمان.

(٢) ليلة القرب: أن تير الليل كله لترد الماء في الغد.

(٣) النغب: جمع نغبة، وهي الجرعة.

(٤) الكتب: جمع كبة، وهو السير الذي تخرز به قربة الماء.

(٥) خنا الدهر: آفاته وتوابعه. وفي الديوان: «من جنى دهر».

(٦) الوصب: الوجع والمرض، والتعب، والفتور في البدن. وفي الديوان: «أفدح مبراة».

(٧) ابن الرومي، الديوان: ٢١٣/٦.

(٨) الشَّلْو: العضو، والقطعة من اللحم، والبقية من كل شيء، والجمع: أشلاء. وأشلاء الإنسان

وغیره: أعضاؤه بعد التفرق واليلى.

(٩) النون: الحوت.

## لأبي تمام

وقال الطائي<sup>(١)</sup>:

وإِنْ تُبْنَ جِبْطَانٌ عَلَيْهِ فَإِنَّمَا أَوْلَكَ عَقَّالَاتُهُ لَا مَعَاقِلُهُ

ودخل يحيى بن خالد على الرشيد وقد ابتدأت حاله في التغير، فأخبر أنه مشغول، فرجع، فبعث إليه الرشيد: خُنتي فاتهمني، فقال: إذا انقضت المدة كان الحُف في الحيلة، والله ما انصرفْتُ إلا تخفيفاً.

أخذه ابن الرومي فقال وقد فصد به بعض الأطباء، فزعم أن الفصد زاد في علته<sup>(٢)</sup>:غَلَطَ الطَّيِّبُ عَلَيَّ غَلْطَةً مُورِدٍ عَجِزَتْ مَحَالَّتُهُ عَنِ الإِصْدَارِ<sup>(٣)</sup>وَالنَّاسُ يَلْحَوْنَ الطَّيِّبَ، وَإِنَّمَا غَلَطُ الطَّيِّبِ إِصَابَةُ الْمِقْدَارِ<sup>(٤)</sup>

## [وصف الثغور]

## لأبي حية النميري

وقال أبو حية النميري:

سَقَتْنِي بِكَأْسِ الْحَبِّ صِرْفاً مُرَوِّقاً رِقَاقِ الثَّنَائِيَا عَذْبَةً الْمُسَرَّقِ<sup>(٥)</sup>وَحُمْصَانَةٍ تَفْتَرُّ عَنْ مُتَنَشِّقِي كَنُورِ الْأَقَاحِي طَيِّبِ الْمُتَذَوِّقِ<sup>(٦)</sup>إِذَا امْتَصَّغَتْ بَعْدَ امْتِنَاعٍ مِنَ الضُّحَى أَنْبَابِ مِنْ عُدُودِ الْأَرَاكِ الْمُخْلَقِ<sup>(٧)</sup>سَقَتِ شُعْبَ الْمِسْوَالِكِ مَاءَ غَمَامَةٍ فَضِيضاً بِخُرْطُومِ الرَّحِيقِ الْمُرَوِّقِ<sup>(٨)</sup>

(١) أبو تمام، الديوان: ١٤/٢. وفيه: «وإن يبن». وعقالاته: قيوده وجبوسه. ومعاقله: ملاجه.

(٢) ابن الرومي، الديوان: ١٩٨/٣. وقد فصد المريض: أخرج مقدراً من دم وريده بقصد العلاج.

(٣) المحالة: الحيلة، ومنه يقال: المرء يعجز لا المحالة.

(٤) لحا فلاناً: لأمه وعدله، ولحاه الله: قبَّحه ولعنه. وفي الديوان: «خطأ الطيب».

(٥) المُسَرَّقُ: العين، تقول: رنق النوم في عينه: خالطهما.

(٦) الحُمْصَانَةُ: الضامرة. والمُتَنَشِّقُ: الثغر؛ لأنك تَنَشِّقُ منه نكهته العطرة. والمُتَذَوِّقُ: الريق، لأنك تذوقه.

(٧) المُخْلَقُ: المضمَّخُ بالخلق، وهو ضرب من الطيب.

(٨) الفضيز: ما تنثر من الماء والبرد ونحوهما، والماء يخرج من العين، أو ينزل من السماء، قال جميل بن معمر العذري:

وَأُنْشِدُ الثَّوْرِي:

تَرَى الدَّرَّ مَثُوراً إِذَا مَا تَكَلَّمْتَ      وَكَالدَّرِّ مَنْظُوماً إِذَا لَمْ تَكَلِّمْ  
تُعَبِّدُ أَحْرَارَ الْقُلُوبِ بِدَلِّهَا      وَتَمْلَأُ عَيْنَ النَّاطِرِ الْمُتَوَسِّمِ<sup>(١)</sup>  
وَالْبَيْتَ الْأَوَّلَ مِنْ هَذَيْنِ كَقَوْلِ الْبَحْتَرِيِّ<sup>(٢)</sup>:  
فَمِنْ لَوْلُوٍ تَجَلَّوْهُ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا      وَمِنْ لَوْلُوٍ عِنْدَ الْحَدِيثِ تُسَاقِطُهُ  
وَقَدْ تَقَدَّمَ.

### لذي الرمة

قال أبو الفرج الرِّياشي<sup>(٣)</sup>: سمعت الأصمعي يقول: أحسن ما قيل في وصف الثغر قول ذي الرمة:

وَتَجَلَّوْهُ بِفَرْعٍ مِنْ أَرَاكِ كَأَنَّهُ      مِنْ الْعَنْبَرِ الْهِنْدِيِّ وَالْمِسْكِ يُصْبَحُ<sup>(٤)</sup>  
ذُرَى أَفْحُوَانٍ وَأَجَهَ اللَّيْلِ وَازْتَقَى      إِلَيْهِ النَّدَى مِنْ رَامَةِ الْمُتَرَوِّحِ  
هَجَانُ الثَّيَابِ مُعْرِبٌ لَوْ تَبَسَّمتْ      لِأَخْرَسَ عَنْهُ كَادَ بِالْقَوْلِ يَقْصِحُ<sup>(٥)</sup>

### للنابغة الذبياني

ومن قديم هذا المعنى وجيده قولُ النابغة الذبياني في صفة المُتَجَرِّدَةِ امرأة النعمان بن المُنْذِرِ<sup>(٦)</sup>:

= يَكَادُ فَضِيضُ الْمَاءِ يَخْدِشُ جِلْدَهَا      إِذَا اغْتَسَلَتْ بِالْمَاءِ مِنْ رِقَّةِ الْجِلْدِ  
(ديوانه: ص ٤٢).

(١) الدَّلُّ: الحالة التي يكون عليها الإنسان من السكينة والوقار في الهيئة والمنظر والشمال وغير ذلك، ويقال: امرأة ذات دَلٍّ: ذات شَكْلٍ تَدِلُّ به، وأدلت عليه: وَثِقَتْ بمحبته فأفرطت عليه.

(٢) البحتري، الديوان: ٢٠٥/١.

(٣) هو أبو الفضل، العباس بن الفرج الرياشي النحوي اللغوي البصري: عالم، راوية، عارف بأيام العرب. روى عن الأصمعي وأبي عبيدة وغيرهما. قتل بالبصرة أيام العلوي البصري صاحب الزنج سنة ٢٥٧ هـ/ ٨٧١ م. (ابن خلكان، وفیات الأعيان: ٢٧/٣).

(٤) أراد بفرع من أراك السواك، تجلو به أسنانها، وَكَّى بما وصف به السواك عن طيب رائحة فمها.

(٥) هجان الثياب: أي ثيابها ناصعة البياض، من قولهم: إبل هجان، أي بياض كرام.

(٦) النابغة الذبياني، الديوان: ص ٤٠ - ٤١.

تَجَلُّو بِقَادِمَتَي حَمَامَةٍ أَيْكَةٍ      بَرَدًا أَيْفَ لِسَانُهُ بِالْإِثْمِ (١)  
كَالْأُفْحَوَانِ غَدَاةً غَبَّ مَمَائِهِ      جَحَّتْ أَعَالِيهِ وَأَمْنَفْلُهُ نَدِي (٢)  
زَعَمَ الْهُمَامُ بَأَنَّ فَاهَا يَارِدُ      عَذْبٌ مَقْبَلُهُ شَهِي الْمَوْرِدُ  
زَعَمَ الْهُمَامُ وَلَمْ أَذْقُهُ أَنَّهُ      يُشْقَى بِرَبَارِيقِهَا الْعَطِشُ الصَّدِي (٣)

### للمتوكل الليثي

ومن قوله: «ولم أذقه» أخذ كل من أتى بهذا المعنى، فضحه الناس بعلمه، قال المتوكل الليثي (٤):

كَأَنَّ مُدَامَةَ صَهْبَاءٍ صِرْفًا      نَرَفَرَقَ يَنْ رَاوُوقٍ وَدَّ (٥)  
تُعَلُّ بِهَا الثَّنَائِيَا مِنْ سُلَيْمَى      فِرَاسَةٌ مَقْلَتِي وَصَحِيحٌ ظَنِّي

### لبشار بن برد

وقال بشار (٦):

يَا أَطْيَبَ النَّاسِ رِيْقًا غَيْرَ مُخْتَبِرٍ      إِلَّا شَهَادَةَ أَطْرَافِ الْمَسَاوِيكِ (٧)

(١) تجلو: تكشف. القوادم: الريش المقدم في جناح الطائر، ويكون شديد السواد. يشبه سواد شفتيها بالقوادم، ويبيض ثغرها بياض البرد. والثلاث: مغرز الأسنان، ومن عاداتهم أن يقرؤا عليه بالإثم (الكحل) لين يبيض الأسنان.

(٢) الأفحوان: نور أبيض، وأشد ما يكون صفاؤه غب المطر، إذ يزول ما عليه من الغبار بالحاء.

(٣) الرِّقَا: الرائحة. والصدى: العطشان.

(٤) هو أبو جهم، المتوكل بن عبد الله بن نَهْشَل الليثي: من شعراء الحماسة، من أهل الكوفة. عاصر معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد ومدحهما، واجتمع بالأخطل وتناشدا الشعر، فاستحسن الأخطل شعره وقلمه. وكان المتوكل على رأس الطبقة السابعة من الإسلاميين. وتميز شعره بالمتانة والسهولة والركة. توفي بعد ٦٤ هـ/ بعد ٦٨٣ م. (الأصفهاني، الأغاني: ١٥٥/١٢؛ الأمدى، المؤلف والمختلف: ٢٧٢؛ المزياني، معجم الشعراء: ٢٣٩).

(٥) الصَّرْفُ: الخالص لم يشب بغيره، يقال: شراب صرف: غير ممزوج. والراووق: الباطية، الكأس، والجمع: رواووق. والذن: وعاء ضخم للخمر ونحوها.

(٦) بشار بن برد، اللوان: ١٢٩/٤. والأبيات في الأغاني: ١٩٢/١٨.

(٧) المساويك: جمع مساوك: العود الذي يُسَنَّاك به من أراك أو بشام. والمعنى: أنها تاكله مساوكها الذي استاكت به، فوجد به نكهة فمها.

قَدْ زُرْتَنَا مَرَّةً فِي النَّهْرِ وَاحِدَةً      نَنِّي وَلَا تَجْعَلِيهَا بَيْضَةَ الدَّيْكِ<sup>(١)</sup>  
 يَا رَحْمَةَ اللَّهِ حُلِّي فِي مَنَازِلِنَا      حَسْبِي بَرَاتِحَةُ الْفِرْقُوسِ مِنْ قِيكِ<sup>(٢)</sup>  
 وقيل لبشار: يا أبا معاذ، كم بين قولك، وأنشد هذه الأبيات، وبين أن تقول<sup>(٣)</sup>:  
 إِنَّمَا عَظَّمُ سُلَيْمَى خُلَّتِي      قَصَبُ الثُّكْرِ لَا عَظَمَ الْجَمَلِ<sup>(٤)</sup>  
 وَإِذَا قُرَّبَ مِنْهَا بَصَلٌ      غَلَبَ الْمِنْكُ عَلَى رِيحِ الْبَصَلِ<sup>(٥)</sup>  
 فقال: إنما الشاعر المطبوع كالبحر: مرة يقذف صَفَهُ، ومرة يقذف جِيَه.

### [تفضيل السواد]

#### لابن الرومي في وصف جارية

وقد تناول هذا المعنى أبو الحسن علي بن العباس الرومي من أَقْرَبِ تناول فقال - وكشفه بأوضح عبارة - في صفته لجارية أبي الفضل عبد الملك بن صالح السوداء بعد أن استوفى جميع صفاتها وكان قد اقترح عليه وَصَفُهَا<sup>(٦)</sup>:

وَصَفْتُ فِيهَا الَّذِي هَوَيْتُ عَلَى الـ      وَهَمٌ وَلَمْ نَخْتَبِرْ وَلَمْ نَلْقِ  
 إِلَّا بِأَخْبَارِكَ الَّتِي رُفِعَتْ      مِنْكَ إِلَيْنَا عَنْ ظِيَةِ الْبُرْقِ<sup>(٧)</sup>  
 حَاشَا لِسَوْدَاءٍ مَنَظَرٍ سَكَنَتْ      ذُرَاكَ إِلَّا عَنْ مَخْبَرٍ يَقِي<sup>(٨)</sup>

- (١) بيضة الديك: يزعم العامة أن الديك بيض في عمره بيضة صغيرة لا قِشْرَ لها، فإذا باضها، لم يبيض مرة أخرى، ويقال: إن «بيضة الديك» تُضْرَبُ مثلاً في الشيء الذي يحدث مرة واحدة لا ثانية لها.
- (٢) حسي: يكفيني. الفردوس: الجنة.
- (٣) بشار بن برد، الديوان: ١٣٣/٤.
- (٤) في الديوان: «إِنَّ سُلَيْمَى خُلِقَتْ مِنْ قَصَبٍ».
- (٥) ذكر الشاعر القصب والعظم، وليسا من لغة الغزل، ولا مما يليق بالأحبة، وقد اعترف بشار بوهن هذين البيتين حين قال: إنما الشاعر المطبوع كالبحر، يقذف صَفَهُ مرةً، ومرة يقذف جِيَه، كما مباني.
- (٦) لبن الرومي، الديوان: ٢٩٣/٤ - ٢٩٤. والأبيات من قصيدة قالها في عبد الملك بن صالح الهاشمي.
- (٧) البُرْقُ: جمع بُرْقَةٍ، وهي مكانة تكثر فيه الظباء. وفي الديوان: «التي رُفِعَتْ».
- (٨) يَقِي: ناصح الياض. وفي الديوان «سَكَنَتْ ذُرَاكَ».



وهذه الآيات من قصيدة له وصف فيها السواد، واحتج بتفضيله على البياض، حتى أغلق فيه الباب بعده، ومنع أن يقصد فيه أحد قصده، إلا كان مقصّر السهم عن غرض الإحسان. وقد نبّه علي بن عبد الله بن العباس [المسيب على] فضائلها، وأجاد التشبيه، وكشف عن وجوه الإبداع، وضروب الاختراع.

### لأبي حفص الشطرنجي

وقد مدح الناس السوادَ والسود فأكثروا؛ فمن جيد ما قالوا فيه قول أبي حفص الشطرنجي:

أشبهَكَ الْمِسْكَ وَأَشْهَتْهُ قَائِمَةٌ فِي لَوْنِهِ قَاعِدَةٌ  
لَا شَكَّ إِذْ لَوْنُكُمَا وَاحِدٌ أَكْثَرُ مَا مِنْ طِينَةٍ وَاحِدَةٍ

### لابن الرومي

فأخذ ابن الرومي هذا المعنى، وأضاف إليه أشياء أخر توسعاً واقتداراً، فقال<sup>(١)</sup>:

يَذْكُرُكَ الْمِسْكَ وَالْغَوَالِي وَالسَّكُّ ذَوَاتُ النِّسِيمِ وَالْعَبَقِ<sup>(٢)</sup>

وهذه الأشياء وإن كانت ناقصة عن المسك، فهي ممدوحة بالطيب، غير مستغنى عن ذكرها في التشبيه؛ فأما زيادته على جميع من تعاضى مدح السواد فقوله:

سَوْدَاءَ لَمْ تَنْتَسِبْ إِلَى بَرَصِ الدَّخْرِ وَلَا كَلْفَةِ وَلَا بَهَقِ<sup>(٣)</sup>  
وَالْأَبْيَضُ الشَّدِيدُ الْبَيَاضُ مَعِيبٌ، وَقَدْ دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ:

وَيَعْضُ مَا فَضَّلَ السَّوَادُ بِهِ وَالْحَقُّ ذُو سُلَمٍ وَذُو نَقَقٍ  
أَلَّا يَعِيبَ السَّوَادَ حُلُكُتُهُ وَقَدْ يُعَابُ الْبَيَاضُ بِالْبَهَقِ<sup>(٤)</sup>

قوله: «الحق ذو سلم وذو نقق» أراد أن الحق يتصرف في جهات، وضرب الصعود

(١) ابن الرومي، الديوان: ٢٩٢/٤.

(٢) المسك: نوع من الطيب. والعبق: طيب الرائحة. والسك: ضرب من الطيب يركب من مسك ورامك.

(٣) الكلفة: النمش يكون في الوجه. والبَهَقُ والبُهَاقُ: داء يذهب بلون الجلد، فظهر فيه بقع بيض.

(٤) الحلكة: شدة السواد.

والنزولَ لذلك مثلاً؛ ثم قصد لَوْصِفَ هذه السوداء بالكمال في الصفة؛ ومن عيب السودان أن أَكْفَهُم عابسة<sup>(١)</sup> متشَقَّة، وأطرافهم ليست بناعمة لينة، وكذلك لا يزال الفلَحُ في شفاههم، وهي الشقوق المدمومة الموجودة في أكثر السودان في أوساط الشفاه، وأيضاً فإن الأسود مهجو بخبث العَرَق، فنفى هذه الصفات المدمومة الموجودة في أكثر السودان عنها، فقال:

لَيْسَتْ مِنَ الْعُبْسِ الْأَكْفَفَ وَلَا الـ فُلُحِ الشَّفَاهِ الْخَبَائِثِ الْعَرَقِ<sup>(٢)</sup>

ثم عاج بخاطره على وصف هذه السوداء بأضداد تلك الصفات المدمومة، فقال:

فِي لَيْلٍ سَمُورَةٍ تَخَيَّرَهَا الـ فِرَاءُ أَوْ لَيْلٍ جَيِّدِ الدَّلَقِ<sup>(٣)</sup>

ومن بديع مدح السوداء قوله:

أَكْسَبَهَا الْحُبُّ أَنَّهَا صَبِغَتْ صِبْغَةَ حَبِّ الْقُلُوبِ وَالْحَدَقِ  
فَانْصَرَفَتْ نَحْوَهَا الضَّمَائِرُ وَالْأَبْصَارُ يَعْشَقْنَ أَيَّمَا عَشَقِي

فأخبر أن القلوب إنما أحببتها بالمجانسة التي بينها وبين حبِّ القلوب من السوداء، وكذلك الحدق.

### لأبي نواس

ومن جيّد تشبيهات أبي نواس وقد نبّه نديماً للصبح فأخبر عن حاله وقال<sup>(٤)</sup>:

فَقَامَ وَاللَّيْلُ يَجْلُوهُ الصَّبَاحُ كَمَا جَلَا التَّبَسُّمُ عَنْ غُرِّ الشَّيَاطِينِ

(١) عابسة: يابسة.

(٢) فُلُحُ الشَّفَاهِ: في شفاههم فَلَحَةٌ، وهي شِقٌّ في الشفة السُّفْلَى. وقد انفلحت الشفة أو اليد: تَشَقَّقَتْ.

(٣) الدَّلَقُ: دوبة كالسمورة. والسَّمُورَةُ: مؤنث السَّمُور، وهو حيوان ثديي ليليّ من الفصيلة السمورية، من آكلات اللحوم، يُتَّخَذُ من جلده قَرَوٌ ثمين.

(٤) أبو نواس، الديوان: ص ١٧٤. وفيه: «فقلت والليل يجلوه الصبح». يجلو: يكشف. والنبات: جمع الثنية: الأضراس الأربع في مقدم الفم، ثتان من فوق، وثنان من أسفل. والعُرَّ: البيض.

## لابن الرومي أيضاً

ولعلي بن العباس عليه التقدم بقوله:

يَفْتَرُّ ذَاكَ السَّوَادُ عَنْ يَقَقِي      مِنْ ثَغَرِهَا كَاللَّالِيءِ الثُّنَيِّ (١)  
كَأَنَّهَا وَالْمَزَاحُ يُضْحِكُهَا      لَيْلٌ تَعَرَّى دُجَاهُ عَنْ فَلَاقِي (٢)

وفضلُ هذا الكلام على ذاك أن هذا قدّم لمعناه في التشبيه مقدمة أيّده، ووطأت له الآذان (٣)، وأصغت الأفهام إلى الاستحسان، وهي قوله:

يَفْتَرُّ ذَاكَ السَّوَادُ عَنْ يَقَقِي

وفي هذه السوءاء يقول، وقد سأله أبو الفضل الهاشمي أن يستغرق صفات محاسنها الظاهرة والباطنة، فقال:

لَهَا حِرٌّ يَسْتَعِيرُ وَقَدَنَهُ      مِنْ قَلْبٍ صَبٍّ وَصَلَرٍ فِي حَقَقِي (٤)  
كَأَنَّهَا حَرُّهُ لِحَايِيرِهِ      مَا أَلْهَبَتْ فِي حَشَاهُ مِنْ حُرْقِي  
يَزْدَادُ ضَيْقاً عَلَى الْمِرَاسِ كَمَا      تَزْدَادُ ضَيْقاً أَنْشُوطَةُ الْوَهَقِي (٥)

ثم فكّر فيما فكّر فيه النابغة، وقد أمره النعمان بوصف المتجرّدة، فوصف ما يجوز ذكره من ظاهر محاسنها، ثم كره أن يذكر من فضائلها ما لا يسوغ بمثله أن يذكر منها، فردّ الإخبار عن تلك الفضائل إلى صاحبها، وهو الملك، فقال (٦):

زَعَمَ الْهُمَامُ بِأَنَّ فَاهَا بَارِدٌ      عَزَبْتُ إِذَا قَبَّلْتُهُ قُلْتُ أَزْدَدُ

فاحتنى علي بن العباس هذا، فقال بعدما سأله أن يستغرق في وصف فضائلها الظاهرة والباطنة:

(١) نسق: مُنَقِّق.

(٢) تَعَرَّى: تَكَثَّف.

(٣) وطأت: مهدت.

(٤) الحر: الفرج.

(٥) الوهق: الحبل يرمى في أنشودة، فتؤخذ به الدابة أو الإنسان.

(٦) النابغة الذبياني، الديوان: ص ٤١.

خُذَهَا أَبَا الْفَضْلِ كُشُوءَ لَكَ مِنْ      خَزُّ الْأَمَادِيحِ لَا مِنْ الْخِرَقِ<sup>(١)</sup>  
وَصَفْتُ فِيهَا الَّتِي هَوَيْتَ عَلَى الدَّ      وَلَهُمْ وَلَمْ تَخْتَبِرْ وَلَمْ نَلْقُ  
إِلَّا بِأَخْبَارِكَ الَّتِي وَقَعَتْ      مِنْكَ الْبِنَاءُ عَنْ ظَنِّيَةِ الْبُرْقِ  
حَاشَا لِسُودَاءَ مَنْظَرٍ مَكَتَتْ      ذُرَاكَ إِلَّا عَنْ مَجْبَرٍ يَفْقُ

وهذا المعنى أومأ إليه النابغة إيماءً خفياً تنهّب معرفته عن أكثر الناس، ولو أثر النابغة ترك الاختصار، وهم يكشف المعنى وإيضاحه، ما زاد على هذا الكشف الذي كشفه ابن الرومي.

### للفرزديق

وأصحاب المعاني يشنون للفرزدق<sup>(٢)</sup>:

وَجَفَنَ سِلَاحٌ قَدْ رَزَّيْتُ فَلَمْ أَتَّخِ      عَلَيْهِ وَلَمْ أَبْعَثْ عَلَيْهِ الْبَوَاكِيا  
وَفِي بَطْنِهِ مِنْ دَارِمٍ دُوْ حَفِظَةٍ      لَوْ أَنَّ الْمَنَيا أَنْسَأَتْهُ لَيَالِيا<sup>(٣)</sup>

ومعناه عندهم أنه رأى امرأة توفيت حاملاً، فقال علي بن العباس وقد وصف هذه المرأة السوداء:

### لابن الرومي

أَخْلَقَ بِهَا أَنْ تَقُومَ عَنْ ذَكَرٍ      كَالسَّيْفِ يَفْرِي مُضَاعَفَ الْحَلَقِ<sup>(٤)</sup>  
إِنَّ جُفُونََ السِّيفِ أَكْثَرَهَا      أَسْوَدُ وَالْحَقُّ غَيْرُ مُخْتَلِكِ<sup>(٥)</sup>

فهذه زيادة بينة، وعبرة واضحة، لم نحتاج إلى تفاسير أصحاب المعاني، وقال مما لم ينشده المتبي:

غُضِنَ مِنَ الْآيَنُوسِ رُكْبَ فِي      مُؤَنَزَرٍ مُعْجِبٍ وَمُسْطَقِ  
يَهْتَرُ مِنْ نَاهِيْدِيهِ فِي لَمَرٍ      وَمِنْ دَوَاجِي ذُرَاهِ فِي وَرَقِ

(١) الخَزُّ (من الثياب): ما ينسج من صوف وإبرسم، وقيل: ما ينسج من إبرسم خالص.

(٢) لم نجد هذين البيتين في ديوانه.

(٣) الحَفِظَةُ: قوة الإباء. وَأَنْسَأَتْهُ: أَخْرَتْهُ.

(٤) قَرَى الشَّيْءَ قُرْباً: شَقَّه، وَقَتَّنَه.

(٥) جُفُونَ: جمع جَفَنَ، وجَفَنَ السِّيفُ: غَمَّه.

وهذا معنى قد بلغ قائله من الإجادة، فوق الإرادة، وامثل أبو الفضل الهاشمي ما أشار به ابن الرومي، فأولدها، فأنجبت.

وفي معنى قول الفرزدق قال الطائي وأحسن وذكر وَلَدَيْنِ تَوَآمِيْنِ ماتا لعبد الله بن طاهر<sup>(١)</sup>:

إِنْ تُرَزَّ فِي طَرْفِي نَهَارٍ وَاحِدٍ      رُزَّائِنِ هَاجَا لَوْعَةً وَبَلَابِلَا  
فَالثَّقْلُ لَيْسَ مُضَاعَفًا لِمِطْيَةِ      إِلَّا إِذَا مَا كَانَ وَهْمًا بِازِلَا<sup>(٢)</sup>  
لَهْفِي عَلَى تِلْكَ الْمَشَاهِدِ مِنْهُمَا      لَوْ أَهْلْتُ حَتَّى تَكُونَ شَمَائِلَا  
لَعَدَا سَكُونُهُمَا حِجْبِي، وَصَبَاهُمَا      حُكْمًا، وَتِلْكَ الْأَرِيحَةُ نَائِلَا<sup>(٣)</sup>  
إِنَّ الْهَلَالَ إِذَا رَأَيْتَ نَمَاءً      أَقْنَتَ أَنْ سَيَكُونُ بَدْرًا كَامِلَا

### وعلى ذكر التوأمين الفاظ لأهل العصر في التهنية بتوأمين

تَسَيَّرَتْ مِنْحَتَانِ فِي وَطْنٍ، وانتظمت مَوْهَبَتَانِ فِي قَرْنٍ<sup>(٤)</sup>، طلع في أفق الكمال نَجْمًا سَعْدًا، وشِهَابًا عِزًّا، وَكُوكَبًا مَجْدًا، فتأهلت بهما رُبُوعُ المحاسن، وَوُطِّئَتْ لهما أَكْنَافُ المكارم، واستشرفت إليهما صدورُ الأُسُرةِ والمَنابر. بلغني خَيْرُ الموهبة المشفوعة بِمِثْلِهَا، والنَّعْمَةُ المقرونة بِعِدْلِهَا<sup>(٥)</sup> في الفارسين المقبلين، رَضِيعِي العِزِّ والرفعة، وَقَرِينِي المجدِ والمنعة، فشملي من الاغبط ما يُوجِبُهُ اَزْدَوَاجُ البُشْرَى، واقترانُ غَادِيَةٍ<sup>(٦)</sup> بِأُخْرَى. والشَّيْءُ يُذَكِّرُ بما قارب نَاحِيَةً من أُنْحَاثِهِ، وجاذبَ حَاشِيَةٍ من رَدَائِهِ.

### [شيء من الهجاء يشتمل على تضمين]

وقال بعض أهل العصر يهجو رجلاً وضمَّن قول النابغة:  
كَالْأَفْحَوَانِ غَدَاةً غِيبٌ سَمَائِهِ

- (١) أبو تمام، الديوان: ٣٢١/٢ - ٣٢٢.
- (٢) الوهم: الجمل الضخم القوي. والبال: المكمل السن، يقال: بزل البعير: طلع نابه، وذلك في السنة الثامنة أو التاسعة، فهو وهي بالزل، والجمع يُزَلُّ للجمال، وبوازل للنوق.
- (٢) الأَرِيحَةُ: الارتياح للندى والنشاط إلى المعروف.
- (٤) القرن: الحبل المفتول من لحاء الشجر أو من الصوف.
- (٥) العِدْلُ (بالكسر): النظير، المثل.
- (٦) الغادية: السحابة تمطر غدوةً.

وأزاحه عن بابه؛ فجاءَ مليحاً في الطبع، مقبولاً في السمع:

يا سائلي عَن جَعْفَرٍ، عَهْدِي بِهِ رَطَبَ الْعِجَانِ وَكَفُّهُ كَالْجَلْمَدِ<sup>(١)</sup>  
كَالْأَفْحَوَانِ غَدَاةَ غِبِّ سَمَائِهِ جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدِي  
ومن مستحسن ما روي في هذا التضمين قول الآخر وضمن بيتاً لمهلل بن ربيعة<sup>(٢)</sup>:

وَسَائِلِي عَنِ الْحَسَنِ بْنِ وَهَبٍ وَعَمَّا فِيهِ مِنْ كَرَمٍ وَخَيْرِ  
فَقُلْتُ هُوَ الْمُهَذَّبُ، غَيْرَ أَنِّي أَرَاهُ كَثِيرَ إِرْخَاءِ الشُّرُورِ  
وَأَكْثَرَ مَا يُغْنِيهِ فَتَاهُ حَتَّى جِئْتُ يَخْلُو بِالشُّرُورِ  
فَلَوْلَا الرِّيحُ أَسْمِعَ مَنْ يَحْجِرُ صَلِيلَ الْبَيْضِ تُقْرِعُ بِالذُّكُورِ<sup>(٣)</sup>

وهذا البيت لمهلل مما يعدونه من أول كذب العرب، وكانت قبل ذلك لا تكذب في أشعارها، وكان بين الموضع الذي كانت فيه هذه الواقعة وهي بالجزيرة وبين حُجْر وهي قَصَبَةٌ باليمامة مسافةً بعيدة، فأخرجَه هذا الشاعر بقوة مُثَنِّهِ، ونفاذِ فَطَنَتِهِ، إلى معنى آخر مستظرف في بابه. وهذا المذهب أحسنُ مذاهب التضمين. ومن مليح ما في هذا الباب تضمينات الحمدوني في طليسان أحمد بن حرب المهلي، وسيأتي ما أختاره من ذلك في غير هذا الموضع.

### [عود إلى وصف الثغور ونقانها]

#### لجميل بن مَعْمَر العذري

وقد جاء في صِفَةِ الثغور والأفواه والرِّيق شعرٌ كثير. قال جميل<sup>(٤)</sup>:

- (١) العجنان: الأست. الجلمد: الصخر.
- (٢) هو أبو ليلى، عدي، وقيل امرؤ القيس بن ربيعة بن مرة بن هبيرة، من بني جشم بن بكر، من بني تغلب: شاعر من أبطال العرب في الجاهلية. سُمِّيَ مهلهلاً لأنه أول من هلهل الشعر، أي: أرقه. كان من أفصح الناس لساناً، وأصبحهم وجهاً، وكان في صباه مغرمًا باللهو والنساء، حتى سُمِّيَ «زير النساء». مات في الأسر، وقيل: في البادية وقد اعتزل، وتقدمت به السن، وخولط في عقله نحو ٥٢٥ م. (ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٢١٥/١؛ الأصفهاني، الأغاني: ٤٨/٥؛ الأملدي، المؤلف والمختلف: ٧، ٨).
- (٣) هذا هو بيت مهلهل المُضَمَّن. والبيض: السيوف. والذكور: جمع ذكر، وهو من الحديد: أبيضه وأشدّه وأجوده. وقد ذُكِرَ السيف: وضع في رأسه الذُّكْرَة، وهي القطعة من الفولاذ تزداد في رأس السيف ونحوه، وسيف مُذَكَّرٌ: ذو رونق.
- (٤) لم نجد هذه الأبيات في ديوانه.

تَمَنَيْتُ مِنْهَا نَظْرَةً وَهِيَ وَاقِفٌ      تُرِيكَ نَقِيًّا وَاضِحَ الشَّعْرِ أَشْنَبًا<sup>(١)</sup>  
كَأَنَّ عَرِيضًا مِنْ فَضِيضِ غَمَامَةٍ      هَزِيمُ الذَّرَى تَمْرِي لَهُ الرِّيحُ هَيْبًا<sup>(٢)</sup>  
بُصِّقْتُ بِالمِسْكِ الذَّكِيِّ رُضَابُهُ      إِذَا التَّجَمُّ مِنْ بَعْدِ الهُدُوءِ تَصَوَّبًا<sup>(٣)</sup>  
وقال<sup>(٤)</sup>:

وَكَأَنَّ طَارِقَهَا عَلَى عَلَلِ الْكَرَى      وَالنَّجْمُ وَهْنًا قَدْ بَدَا لِنَعْوَرٍ<sup>(٥)</sup>  
يَسْتَفُ رِيحَ مُدَامَةٍ مَعْلُولَةٍ      بِرُضَابٍ مِثْلِكَ فِي ذَكِيِّ الْعَبِيرِ<sup>(٦)</sup>

### لعمر بن أبي ربيعة

وقال عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَيْعَةَ الْمَخْزُومِي<sup>(٧)</sup>:

يَمُجُّ ذَكِيَّ الْمِسْكِ مِنْهَا مُفْلَجٌ      نَقِيَّ الشَّيَا ذُو غُرُوبٍ مُؤَشِّرٍ<sup>(٨)</sup>  
يَرِفُ إِذَا تَقَطَّرَ عَنْهُ كَأَنَّهُ      حَصَى بَرْدٍ أَوْ أَقْحَوَانٍ مُنَوَّرٍ<sup>(٩)</sup>

- (١) أشنب: من الشنب، وهو برد ورقة وعلوية في الأسنان.
- (٢) العريض: القطعة من السحاب. والفضيض: ما تثار من المطر والماء. والهزيم: الصوت. والذرى: القمم. والهيذب: ذيل السحاب.
- (٣) تصوَّب: انحدر.
- (٤) جميل بن معمر، الديوان: ص ٦٠.
- (٥) الطارق: القادم ليلاً. الكرى: النوم، النعاس. الوهن: نحو نصف الليل، أو بعد ساعة منه، وقد وَهَنَ وَهْنًا: دخل في الوهن من الليل، أو ضعف في الأمر والعمل والبدن. وتعوَّر النجم: غاب.
- (٦) يستاف: يشم، ومنه قول رؤبة بن العجاج: «إِذَا الدَّلِيلُ اسْتَفَ أَخْلَاقَ الطُّرُقِ» وفي الديوان: يَسْتَفُ رِيحَ مُدَامَةٍ مَعْجُونَةٍ بِذَكِيِّ مِثْلِكَ، أَوْ مَحِيتِ الْعَبِيرِ
- (٧) عمر بن أبي ربيعة، الديوان: ٢٤٧/١.
- (٨) مَجَّ الماء أو الشراب من فيه مَجًّا: لفظه، ومنه: مَجَّت النحل العمل، ومَجَّت الشمس ريقها، والنبات يمج الندى. الْمُفْلَجُ: يقال: رجل مُفْلَجُ الشَّيَا: مُتَفَرِّجُهَا، وقد فَلَجَت المرأةَ أسنانها: فَرَّقَتْ بينها للزينة. والغروب: جمع غَرْب، وهو الرقيق، أو كثرته في الفم. ومؤشر: من الأشر، وهو تحزير أطراف الأسنان.
- (٩) يَرِفُ: يتلألأ. افترَّ فلان: ابتسم وابتدأ ثنياه. وفي الديوان: «تراه إِذَا مَا افْتَرَّ عَنْهُ كَأَنَّهُ».

## للهدلي

وقال الهدلي:

وَمَا صَهْبَاءُ صَافِيَةٌ لِّصَبِّ  
تُشَجُّ بِطُفْقَةٍ مِنْ مَاءٍ مُزِنِ  
بِأَطْيَبِ مَشْرَعاً مِنْ طَعْمٍ فِيهَا  
كَلَوْنِ الصَّرْفِ مُنْجَابٌ قَذَاهَا  
أَحْلَتْهُ بِرَضْرَاضٍ عُرَاهَا<sup>(١)</sup>  
إِذَا مَا طَارَ عَنْ سِنَةٍ كَرَاهَا

وقال آخر:

وَشَقَّ عَنْهَا قِنَاعَ الْخَزِّ عَنْ بَرَدٍ  
كَأَنَّهُ أَفْحَوَانٌ بَاتَ بَضْرِيَّةُ  
كَأَنَّ صِرْفًا كُمِيتَ اللَّوْنِ صَافِيَّةُ  
فُوهَا إِذَا مَا قَضَتْ مِنْ نَوْمِهَا سِنَةً  
كَالْتُرٍّ لَا كَسْرَ فِيهِ وَلَا تَعْلُ<sup>(٢)</sup>  
طَلٌّ مِنْ الدَّجْنِ مَقَاطُ النَّدى هَطْلُ<sup>(٣)</sup>  
شُجَّتْ بِمَاءِ سَمَاءٍ شَنُّ جَبَلٍ<sup>(٤)</sup>  
أَوْ اعْتَرَاهَا مُبَاتُ الثَّوْمِ وَالْكَسَلِ<sup>(٥)</sup>

وقال الآخر:

هَجَانُ اللَّوْنِ وَاضِحَةُ الْمُحْيَا  
تَبَّسُّمٌ عَنْ أَغْرَلِهِ غُرُوبٌ  
كَأَنَّ صَيِّبَ غَادِيَةِ لِّصَبِّ  
عَلَى فِيهَا إِذَا الْجَوَازَاءُ عَالَتْ  
قَطْبِعُ الصَّوْتِ آنَسَةٌ كَسُولُ<sup>(٦)</sup>  
فُرَاتُ الرِّيْقِ لَيْسَ بِهِ فُلُولُ<sup>(٧)</sup>  
تُشَجُّ بِهِ شَامِيَّةٌ مُثْمُولُ  
مُحَلَّقَةٌ وَأَرْدَفَهَا رَعِيلُ<sup>(٨)</sup>

- (١) الرَضْرَاضُ: الحصى الصغار في مجاري الماء، والقطر الصغار من المطر.
- (٢) الكَسْرُ: يقال: كَسَّ الرجلُ كَسًّا: برزت أسنانه السفلى مع الحنك الأسفل، وتأخر الحنك الأعلى، فهو أَكْسٌ، وهي كَسَاءٌ. والتَّعْلُ: زيادة سنٍّ أو دخول سنٍّ تحت آخر.
- (٣) الطَّلُّ: المطر الخفيف يكون له أثر قليل. والدَّجْنُ: إلباس الغيم الأرض وأقطار السماء، يقال: يَوْمٌ دَجْنٌ، ويَوْمٌ دَجْنٌ.
- (٤) كميت اللون: فيها سواد وحمرة. شُجَّتْ: مُرِجَتْ. مَنَّةٌ: صَبٌّ مَهْرَقًا ويرده.
- (٥) فوها: قمها.
- (٦) هجان اللون: بضاء. وقطيع الصوت: التي يتكسر كلامها لرقته.
- (٧) فُرَاتٌ: عَذْبٌ، قال تعالى: ﴿وَأَنْشَقْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ (سورة المرسلات، آية ٢٧).
- (٨) الرعيل: جماعة النجوم.



## لابن المعتز

وقال ابن المعتز:

يَا نَدِيمِي اشْرَبَا وَاسْقِيَانَا      قَدْ بَدَا الصُّبْحُ لَنَا وَاسْتَبَانَا  
وَأَقْتُلَا هَمِّي بِصَرْفِ عَقْسَارٍ      وَاتْرُكَا الذَّهْرَ فَمَا شَاءَ كَانَا  
إِنَّ لِلْمَكْرُوهِ لَذْعَةً شَرًّا      فَإِذَا دَامَ عَلَى الْمَرْءِ هَانَا  
وَأَمْزَجَا كَأْسِي بِرِيقَةِ الْمَيِّ      طَابَ لِلْعَطْشَانِ وَرْدًا وَحَانَا  
مِنْ فَمٍ قَدْ غَرَسَ الذُّرَّ فِيهِ      نَاصِحَ الرِّيقِ إِذَا الرِّيقُ خَانَا<sup>(١)</sup>

## لابن الرومي

وقال ابن الرومي<sup>(٢)</sup>:

يَا رَبَّ رَيْقٍ بَاتَ بَنْدَرُ الدُّجَى      يَمُجُّهُ بَيْنَ ثَنَائِيَاكَ  
يُرْوِي وَلَا يَنْهَكَ عَنْ شُرْبِهِ      وَالْمَاءُ يُرْوِيكَ وَيَنْهَاكَ

## لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر<sup>(٣)</sup>:

وَإِذَا سَأَلْتُكَ رَشْفَ رَيْقِكَ قُلْتَ لِي:      أَخَشَى عُقُوبَةَ مَالِكِ الْأَمْلاكِ  
مَاذَا عَلَيْكَ؟ جُعِلْتُ قَبْلَكَ فِي الثَّرَى!      مَنْ أَنْ أَكُونَ خَلِيفَةَ الْمِسْوَالِكِ  
أَيَجُوزُ عِنْدَكَ أَنْ يَكُونَ مُتَيْمٌ      صَبَّبَ بِحَبِّكَ دُونَ عُودِ أَرَاكِ

وهذا المعنى يجاوز الإحصاء، ويفوت الاستقصاء؛ وكله مأخوذ من قول امرئ

القيس<sup>(٤)</sup>:

(١) ناصح الريق: لم تتغير نكهته.

(٢) ابن الرومي، الديوان: ٧٦/٥.

(٣) هو أبو أحمد، عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي: أمير، فاضل، أديب، وشاعر

فصيح. ولد ببغداد، وكان رفيع المتزلة عند المعتضد العباسي. له تصانيف أشهرها: «الإشارة»

و«السياسة الملوكية». توفي سنة ٣٠٠ هـ/٩١٣ م. (الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد:

١٠/٣٤٠، حاجي خليفة، كشف الظنون: ٩٨).

(٤) امرؤ القيس، الديوان: ص ١١٠.

## لامرئ القيس

كَأَنَّ الْمُدَامَ وَصَوَّبَ الْغَمَامَ      وَرِيحَ الْخُزَامَى وَنَشَرَ الْقَطْرَ<sup>(١)</sup>  
يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا      إِذَا طَرَبَ الطَّائِرُ الْمُشْحَرُ<sup>(٢)</sup>

فجمع ما فرقوه، وأخذ الجعفري فقصر عنه:

## للجعفري

كَأَنَّ الْمُدَامَ وَصَوَّبَ الْغَمَامَ      وَرِيحَ الْخُزَامَى وَذَوَّبَ الْعَسْلَ  
يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا      إِذَا النَّجْمُ وَشَطَّ السَّمَاءُ اعْتَدَلَ

## للحاتمي

ويلحق بهذه المعاني من شعر أهل العصر قول أبي علي محمد بن الحسين بن المظفر  
الحاتمي - وذكر خمرًا:

مِنْ كَفِّ سَاقٍ أَهْيَفٍ حَرَكَاتُهُ      فِتْنٌ تَقَعَّ بِالْمَلَاكِ وَاعْتَجَرَ<sup>(٣)</sup>  
نَاولَتْهُ كَاسِي وَكَسَّرُ جُفُونِهِ      يُوحِي إِلَيَّ أَنْ ارْتَقِبْهُمْ وَاضْطَبِرْ  
فَتَنَى لَهَا أَقْلَامَ دُرٍّ رَخَصَةٍ      تَهْوِي إِلَى أَفْرَادِ دُرٍّ ذِي أُشْرٍ<sup>(٤)</sup>  
فَتَحَدَّرَتْ مِنْ كَاسِهِ فِي ثَغْرِهِ      كَالشَّمْسِ تَغْرُبُ فِي هِلَالٍ مِنْ قَمَرٍ

## لأبي الفتح كشاجم

وأهدى أبو الفتح كشاجم لبعض القيان مسواكاً وكتب إليها<sup>(٥)</sup>:

- (١) الْخُزَامَى: نبات من الفصيلة الشفوية، أنواعه عطرة، من أطيب الأفاويه، واحده: خزاماة. وَالنَّشْرُ: الريح الطيبة. الْقَطْرُ: العود الذي يُنَجَّرُ به.
- (٢) الْمُشْحَرُ: الْحَرَّانُ، ولعله أراد بالمستحر: الذي يُطَرَّبُ وقت الحر، أي في آخر الليل قبل الفجر. وَيُعَلُّ: يسقى مرة بعد أخرى. وَطَرَبَ: صَوَّتَ.
- (٣) اعْتَجَرَ: من الاعتجار، وهو لبسة خاصة بالنساء والعلماء.
- (٤) الرَخَصَةُ: اللينة.
- (٥) هو أبو الفتح، محمود بن الحسين بن شاهك، المعروف بكشاجم: شاعر أديب، من كتّاب الإنشاء، من أهل الرملة بفلسطين، تنقل بين القدس ودمشق وحلب وبغداد ومصر. وطال مكثه بحلب، فمدح أبا الهيثماء، وخدم في بلاط سيف الدولة الحمداني. توفي سنة ٣٦٠ هـ/ ٩٧٠ م. =

قَدْ بَعَثَاهُ لِكَيْ تَجْلُو بِهِ      وَاضِحاً كَاللُّؤْلُؤِ الرُّطْبِ أَغْرَ  
طَابَ مِنْهُ الْعَرْفُ حَتَّى خِلْتُهُ      كَانَ مِنْ رَيْفِكَ يُنْقَى فِي الشَّجَرِ  
وَأَمَّا وَاللَّهِ لَوْ بَعْلَمُ مَا      حَظُّهُ مِنْكَ لَأَتْنَسَى وَشَكَرُ  
لَيْتَنِي الْمُهْدَى فَيُرَوِّي عَطْشِي      بَرْدُ أَنْيَابِكَ فِي كُلِّ سَحَرٍ<sup>(١)</sup>

### [شعر عمر بن أبي ربيعة، وشعر الحارث بن خالد]

وكان ذَكَرَ بحضرة ابن أبي عتيق شِعْرُ عُمَرُ بن أبي ربيعة والحَارِثِ بن خالد<sup>(٢)</sup> المخزوميين، فقال رجلٌ من أولاد خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة: صاحبنا الحارث أشعر، فقال ابنُ أبي عتيق: دَعِ قولَكَ يابْنَ أخِي، فَلِشِعْرِ ابنِ أبي ربيعة لَوُطَةٌ بِالْقَلْبِ<sup>(٣)</sup>، وَعَلَقٌ بِالنَّفْسِ، وَذَكَرَ لِلْحَاجَةِ لَيْسَ لِشِعْرِ الحَارِثِ؛ وَمَا عُصِي اللَّهُ بِشِعْرِ قَطُّ أَكْثَرَ مِمَّا عُصِيَ بِشِعْرِ ابنِ أبي ربيعة، فَخُذْ عَنِّي مَا أَصِفُ لَكَ: أَشْعَرُ قَرِيشَ مَنْ رَقَّ مَعْنَاهُ، وَلَطْفٌ مَدْخَلُهُ، وَسَهْلٌ مَخْرَجُهُ، وَتَعَطَّفَتْ حَوَاشِيهِ، وَأَنَارَتْ مَعَانِيهِ، وَأَعْرَبَ عَنْ صَاحِبِهِ، فقال الذي من ولد خالد بن العاص: صاحبنا الذي يقول:

إِنِّي وَمَا نَحَرُوا غَدَاةَ مِنِّي      عِنْدَ الْجِمَارِ تَوُودَهَا الْعُقْلُ<sup>(٤)</sup>  
لَوْ بُدِّلَتْ أَعْلَى مَنَازِلِهَا      سُقْلًا وَأَصْبَحَ سُفْلُهَا يَعْلُو  
فَيَكَادُ يَعْرِفُهَا الْخَيْرُ بِهَا      فَيَرُدُّهُ الْإِقْوَاءُ وَالْمَحْلُ<sup>(٥)</sup>  
لَعَرَفْتُ مَعْنَاهَا بِمَا احْتَمَلْتُ      مِنِّي الضُّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ

فقال ابنُ أبي عتيق: يابْنَ أخِي، اسْتَرَّ عَلَى صَاحِبِكَ، وَلَا تَشَاهِدَ الْمُحَاضِرَ بِمِثْلِ هَذَا، أَمَا تَطَيَّرَ الْحَارِثُ عَلَيْهَا حِينَ قَلَبَ رَبْعَهَا فَجَعَلَ عَلَيْهِ سَافَلَهُ، مَا بَقِيَ إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ

= (ابن العماد، شذرات الذهب: ٣/٣٧؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ٢/٧٧).

(١) ليتني المهدى: أي ليتني المسواك الذي أهديته.

(٢) هو الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم: أحد شعراء قريش المعدودين الغزليين، نشأ بمكة، وقيل: ولها لعبد الملك بن مروان. توفي بعد ٨٠ هـ/ بعد ٦٩٩ م. (فروخ، تاريخ الأدب العربي: ٢/٥٨٢).

(٣) لوطة بالقلب: علق به.

(٤) العقول: جمع عقال، وهو الحبل الذي يُعْقَلُ به البعير. والعقال: القلوص الفنية من الإبل.

(٥) الإقواء: خُلُوُ الديار من ساكنيها. والمحل: الجذب.

حجارة من سجيل وعذاباً أليماً. ابن أبي ربيعة كان أحسن الناس للربيع مخاطبةً وأجمل مصاحبةً إذ يقول<sup>(١)</sup>:

سَائِلًا الرَّبْعَ بِالْبَلْيِ وَقُولًا      هَجَّتْ شَوْقًا لِي الْغَدَاةَ طَوِيلًا<sup>(٢)</sup>  
أَيْنَ أَهْلٍ حَلُّوكَ إِذْ أَنْتَ مَسْرُورٌ      رَبُّهُمْ أَهْلٌ أَرَاكَ جَمِيلًا  
قَالَ: سَارُوا وَأَمْعُنُوا، وَاسْتَقْلُوا      وَبَكَرْهِي لَوْ اسْتَطَعْتُ سَيْلًا<sup>(٣)</sup>  
سَمُّنَا وَمَا سَمْنًا مَقَامًا      وَاسْتَحَبُّوا دَمَانَةً وَسُهُولًا<sup>(٤)</sup>

وها هنا حكاية تأخذُ بطرفِ الحديث، دخل مزيد المدني على مولى لبعض أهل المدينة، وهو جالسٌ على سرير ممهد، ورجلٌ من ولد أبي بكر الصديق، وآخرٌ من ولد عمر - رضي الله عنهما! - جالسان بين يديه على الأرض؛ فلما رأى المولى مزيداً تجهماً، وقال: يا مزيد ما أكثرَ سؤالك! وأشدَّ إلحافك! جئتُ تسألني شيئاً؟ قال: لا والله، ولكنني أردتُ أن أسألك عن معنى قول الحارث بن خالد:

إِنِّي وَمَا نَحَرُوا غَدَاةَ مِنِّي      عِنْدَ الْجِمَارِ تَوَوَّدَهَا الْعُقُلُ  
لَوْ بُدِّلَتْ أَعْلَى مَنَازِلِهَا      سُفْلًا وَأَصْبَحَ سُفْلَهَا يَغْلُو

فلما رأيتك ورأيتُ هذين بين يديك عرفتُ معنى الذي قال. فقال: اعزب في غير حِفْظِ الله! وضحك أهلُ المجلس.

وأخذ الحارث قوله:

لَعَرَفْتَ مَعْنَاهَا بِمَا احْتَمَلْتُ      مَنِّي الضُّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ

من قول امرئ القيس؛ قال علي بن الصباح وَرَأَى بَنَ أَبِي مُحَلَمٍ، قال لي أبو محلم: أتعرفُ لامرئ القيس أبيتاً سينية قالها عند موته في قُرُوحه والحلة المسمومة، غير قصيدته التي أولها<sup>(٥)</sup>:

(١) عمر بن أبي ربيعة، الديوان: ١٤٥/٢.

(٢) البلي: اسم موضع.

(٣) استقلوا: مضوا وارتحلوا.

(٤) دمانة: سهولة، ومنه: أرض دميثة ودمثاء: سهلة لينة.

(٥) امرئ القيس، الديوان: ص ١١٧. والبيت بتمامه:

أَلَمَّا عَلَى الرَّبْعِ الْقَدِيمِ بَعَثَ كَأَنِّي أُنَادِي أَوْ أَكُذُّ : حرس .  
وَأَلَمَ بِالْقَوْمِ أَوْ بِالْمَكَانِ : أَنَاهُ فِي زِيَارَةِ غَيْرِ طَوِيلَةٍ . وَعَمَسَ : جَبَلَ طَوِيلَ لَبَنِي عَامِرٍ .

أَلَمَّا عَلَى الرَّبِّعِ الْقَدِيمِ بِعَسَعَا

فقلت: لا أعرف غيرها، فقال: أَتَشَدَّنِي جَمَاعَةٌ مِنَ الرُّوَاةِ<sup>(١)</sup>:

لِمَنْ طَلَّلَ دَرَسَتْ آيُهُ      وَغَيْرُهُ سَالَفُ الْأَحْرُسِ<sup>(٢)</sup>  
تَنَكَّرُهُ الْعَيْنُ مِنْ حَادِثٍ      وَيَعْرِفُهُ شَعَفُ الْأَنْفُسِ

### لَطْرِيحُ الثَّقَفِي

وقد أخذه طَرِيحُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الثَّقَفِيُّ<sup>(٣)</sup>، فقال:

تَسْتَخِيرُ الدَّمْنَ الْفِصَارَ وَلَمْ تَكُنْ      لِتَرُدَّ أَخْبَاراً عَلَى مُسْتَخِيرِ  
فَظَلَلْتُ تَحْكُمُ بَيْنَ قَلْبٍ عَارِفٍ      مَعْنَى أَحَبِّهِ وَطَرْفٍ مُكْرِ

### لِلْحَسَنِ بْنِ وَهَبٍ

وقال الحسن بن وهب، إشارة إلى هذا المعنى:

أَبْلَيْتَ جِسْمِي مِنْ بَعْدِ جِدَّتِهِ      فَمَا تَكَادُ الْعَيُونُ تُبْصِرُهُ  
كَأَنَّهُ رَسْمٌ مَنَزَلَ خَلْقِي      تَعْرِفُهُ الْعَيْنُ ثُمَّ تَكِرُهُ

### لِيَحْيَى بْنِ مَنْصُورِ الذَّهْلِيِّ

وقال يحيى بن منصور الذهلي:

أَمَا يَسْتَفِيقُ الْقَلْبُ إِلَّا ابْتَرَى لَهُ      تَذَكُّرَ طَيْفٍ مِنْ سُعَادَ وَمَرِيعِ  
أُخَادِعُ مِنْ عِرْفَانِهِ الْعَيْنُ؛ إِنَّهُ      مَتَى تَعْرِفِ الْأَطْلَالَ عَيْنِي تَدْمَعِ

(١) امرؤ القيس، الديوان: ١٢١.

(٢) آية: الواحدة آية: العلامة. والأحرس: الدهر. وفي الديوان:

لِمَنْ طَلَّلَ دَارِسُ آيُهُ      تَقَادَمَ فِي سَالِفِ الْأَحْرُسِ

وداثر: ممحو.

(٣) هو أبو الصلت، طريح بن إسماعيل بن عبيد بن أسيد الثَّقَفِي: شاعر مخضرم، نشأ في دولة بني أمية، واستفرغ شعره في الوليد بن يزيد. وأدرك دولة بني العباس، ومات في أيام المهدي، سنة ١٦٥ هـ/ ٧٨١ م. (الأصفهاني، الأغاني: ٣٠٤/٤؛ الزركلي، الأعلام: ٢٢٦/٣).

وقال آخر:

هي الدارُ التي تعرِّفُ      فِ لِمَ لا تعرِّفُ الدَّارَا  
تَعرِّى مِنْهَا لأَحْبَابَ      لَكَ أَعْلَاماً وَأَثَارَا  
فِيْهِدِي الْقَلْبُ عِرْفَانَا      وَتُبْهِدِي الْعَيْنُ إِنْكَارَا

### لأبي نواس

وقال أبو نواس، وتعلق أول قوله بهذا المعنى، وأنا أنشد الأبيات كلها لِمَلَاَحَتِهَا؛ إذ كان الغرض في هذا التصرف هو إرادة الإفادة<sup>(١)</sup>:

أَلَا لَا أَرَى مِثْلِي امْتَرَى الْيَوْمَ فِي رَسْمٍ      تَغَضُّ بِه عَيْنِي وَيَلْفِظُهُ وَهْمِي<sup>(٢)</sup>  
أَنْتَ صُورُ الْأَشْيَاءِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ      فَظَنُّنِي كَلَّا ظَنُّ وَعِلْمِي كَلَّا عِلْمِ<sup>(٣)</sup>  
فَطَبِّ بِحَدِيثٍ مِنْ حَبِيبٍ مُسَاعِدٍ      وَسَاقِيَةِ بَيْنِ الْمَرَاهِقِ وَالْحُلُمِ<sup>(٤)</sup>  
ضَعِيفَةً كَرَّ الطَّرْفِ تَحَسُّبُ أَنَّهَا      قَرِيبَةٌ عَهْدٍ بِالْإِفَاقَةِ مِنْ سُقَمِ  
يُفَوِّقُ مَالِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ      تَفَوَّقِي الصَّهْبَاءَ مِنْ حَلَبِ الْكَرَمِ<sup>(٥)</sup>  
وَإِنِّي لَأَتِي الْوَصْلَ مِنْ حَيْثُ يُتَنَفَّى      وَتَعْلَمُ قَوْسِي حِينَ أَنْزَعُ مِنْ أَرَمِي<sup>(٦)</sup>

(١) أبو نواس، الديوان: ص ٨٧.

(٢) امترى في رسم: شك فيه. تغضُّ به عيني: جعل تاذي العين من رؤية الطلل كغصة من يغص بالماء، فاستعار هذه لتلك. يلفظه: يرميه.

(٣) في الديوان: «فَجَهْلِي كَلَّا جَهْلٍ وَعِلْمِي كَلَّا عِلْمٍ».

(٤) رواية الديوان:

فَطَبِّ بِحَدِيثٍ مِنْ نَدِيمٍ مُسَاعِدٍ      وَسَاقِيَةِ بَيْنِ الْمَرَاهِقِ لِلْحُلُمِ  
و«بين المراهق والحلم»: أي سنها قاربت من الاحتلام، وليست مع ذلك طفلة.

(٥) رواية الديوان: «تَفَوَّقُ مَالِي». وتَفَوَّقُ الفصيل: شرب اللبن، والمقصود هنا أن الخمر أتت على كلِّ ماله (الطريف والتالد).

(٦) رواية الديوان:

وَإِنِّي لَأَتِي الْوَصْلَ مِنْ حَيْثُ يُتَنَفَّى      وَتَعْلَمُ سَهْمِي حِينَ أَنْزَعُ مِنْ أَرَمِي  
وفي رواية: «وَإِنِّي لَأَتِي الْأَمْرَ». وَأَنْزَعُ: أمد في وتر القوس.

## [شعر أبي نواس]

ورَوَى أَبُو هَفَّانَ<sup>(١)</sup> قال: كان أَبُو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي<sup>(٢)</sup> يطعن على أبي نواس، وَيَعِيبُ شِعْرَهُ، وَيَضَعُفَهُ، وَيَسْتَلِينُهُ؛ فجمعهم مع بَعْضِ رُؤَاةِ شعر أبي نواس مجلسٌ والشيخُ لا يَعْرِفُهُ، فقال له صاحبُ أبي نواس: أتعرفُ - أعزَّكَ اللهُ! - أَحْسَنَ من هذا؟ وأنشده: «ضَعِيفَةُ كَرِّ الطَّرْفِ...» الأبيات فقال: لا والله، فَلِمَنْ هُوَ؟ قال: للذي يقول<sup>(٣)</sup>:

رَسَمُ الْكَرَى بَيْنَ الْجَفُونِ مُحِيلٌ      عَفَى عَلَيْهِ بَكَا عَلَيْكَ طَوِيلٌ<sup>(٤)</sup>  
يَا نَاطِرًا مَا أَقْلَعْتَ لِحَظَاتُهُ      حَتَّى تَشْحَطَ بَيْنَهُنَّ قِتِيلٌ<sup>(٥)</sup>

فَطَرِبَ الشيخُ، وقال: وَيَحْكُ! لِمَنْ هذا؟ فوالله ما سَمِعْتُ أَجُودَ منه لقديم ولا لِمُحَدَّثٍ! فقال: لا أَخْبِرُكَ أو تكتبه؛ فكتبه، وكتب الأول، فقال: للذي يقول<sup>(٦)</sup>:

رَكِبْتَ تَسَاقَوْا عَلَى الْأَكْوَارِ بَيْنَهُمْ      كَأَسَ الْكَرَى فَانْتَشَى الْمَسْقِيُّ وَالسَاقِي<sup>(٧)</sup>  
كَأَنَّ أَرْوُسَهُمُ وَالنَّوْمُ وَاضِعُهَا      عَلَى الْمَنَاكِبِ لَمْ تُخْلَقْ بِأَعْنَاقِ<sup>(٨)</sup>

(١) هو أبو هَفَّانَ، عبد الله بن أحمد بن حرب المهزومي العبدي: شاعر، أديب، راوية. ولد بالبصرة، وسكن بغداد، وأخذ عن الأصمعي وحدث عنه، وكانت له مكانة كبيرة في الأدب، وشعره على الألسنة. وكان من ندمان أبي نواس ورؤاياه. توفي سنة ٢٥٧ هـ/ ٨٧١ م. (ابن المعتز، طبقات الشعراء: ٤٠٨).

(٢) هو أبو عبد الله، محمد بن زياد، المعروف بابن الأعرابي الكوفي، من موالي بني هاشم: لغوي، راوية، نَسَابة، لم يكن في الكوفيين أشبه برواية البصريين منه، وهو ربيب المفضل بن محمد الضبي صاحب «المفضليات». توفي سنة ٢٣١ هـ/ ٨٤٦ م. من آثاره: كتاب «النوادر» و«كتاب الأنواء»، وكتاب «صفة النخل»، وغيرها. (القفطي، إنباه الرواة: ١٢٨/٣؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٣٠٦/٤).

(٣) أبو نواس، الديوان: ٢٥٥.

(٤) الرسم: ما بقي من آثار الدار بعد أن تركها أهلها. محيل: مجذب، من المحل، وهو الجذب وانقطاع المطر. عَفَى عليه: محاه.

(٥) أَقْلَعْتَ لحظاته: كَفَّتْ وانتهت عن النظر. تشحط: يقال: شحطه تشحيطاً: مزجه بالدم فتشحط: تضرَّج به واضرب فيه.

(٦) أبو نواس، الديوان: ٢٨٥.

(٧) الأكوار: جمع كور، وهو الرحل.

(٨) المناكب: جمع منكب، وهو مجتمع رأس الكتف والعضد. وفي الديوان: «لم تُوصَلْ بِأَعْنَاقٍ».

سَارُوا فَلَمْ يَقْطَعُوا عَقْدًا لِرَاحِلَةٍ      حَتَّى أَنَاخُوا إِلَيْكُمْ قَبْلَ إِشْرَاقِ<sup>(١)</sup>  
مِنْ كُلِّ جَائِلَةِ الطَّرْفَيْنِ نَاجِيَةٍ      مُشْتَاقَةٍ حَمَلَتْ أَوْصَالَ مُشْتَاقِ<sup>(٢)</sup>

فقال: لمن هذا؟ وكتبه. فقال: للذي نَذَّمَهُ، وتَعَيَّبَ شعره، أَبِي عَلِيٍّ الْحَكَمِيِّ! قال:  
اَكْتُم عَلَيَّ، فوالله لا أعود لذلك أبداً.

\* \* \*

### لابن المعتز

أخذ قوله: «كَأَنَّ أَرْؤُسَهُم والنوم واضعها» أبو العباس بن المعتز، فقال يصف شرباً:

كَأَنَّ أَبَارِيقَ اللَّجَيْنِ لَدَيْهِمْ      ظَبَاءٌ بِأَعْلَى الرَّقْمَتَيْنِ قِيَامٌ  
وَقَدْ شَرِبُوا حَتَّى كَأَنَّ رُؤُوسَهُمْ      مِنَ اللَّبَنِ لَمْ يُخْلَقْ لَهُنَّ عِظَامٌ

البيت الأول من هذين من قول علقمة بن عبدة<sup>(٣)</sup>:

كَأَنَّ إِبْرِيْقَهُمْ ظَبْيٌ عَلَى شَرَفٍ      مُفْسَدٌ بِسَبَا الْكَثَّانِ مَلْثُومٌ<sup>(٤)</sup>

(١) رواية الديوان:

خَاضُوا إِلَيْكُمْ بِحَارَ اللَّيْلِ أَوْنَةً      حَتَّى أَنَاخُوا إِلَيْكُمْ فَلَّ أَشْوَاقِ  
وقوم فل: منهزمون، والمراد أنهم وصلوا إليكم أنضاء قد أجهدهم الشوق.

(٢) رواية الديوان:

مِنْ كُلِّ جَائِلَةِ النَّسْعَيْنِ ضَامِرَةٌ      مُشْتَاقَةٍ حَمَلَتْ عَيْنًا لِمُشْتَاقِ  
النَّسْعُ (بكسر النون): سير يسج عريضاً على هيئة سيور النعال، تُشَدُّ به الرحال، وسمي نسعاً لبطوله. والجولان: التحرك. وجائلة النسعين: كناية عن هزال المطايا وضمورها من السير وطول السفر، حتى أن سيور الرحال تتحرك حول بطون الدواب.

وقد نظر أحمد شوقي إلى الشطر الثاني من هذا البيت فقال:

رمضان وَلَّى هَاتِهَا يَا سَاقِي      مُشْتَاقَةٌ تَسْعَى إِلَى مُشْتَاقِ

(٣) هو علقمة بن عبدة بن النعمان، من بني نعيم: شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، ولقب بالفحل تمييزاً له عن علقمة بن سهل الذي كان يُطلق عليه «الخصي». صاحب امرأ القيس، وله معه مساجلات، وكان بدوياً لا يألف الحضرة، واشتهر بوصف النعام. توفي نحو ٢٠ ق. هـ/٦٠٣ م. (لويس شيخو، شعراء النصرانية: ٤٩٨/١؛ ياسين الأيوبي، معجم الشعراء في لسان العرب: ٢٩١).

(٤) مفدم: مسدود، والفدام: السدادة. والملثوم: الذي وُضِعَ عليه اللثام، وهو كالقدام.



أراد بسبائب<sup>(١)</sup>، فحذف.

### لمسلم بن الوليد

وقد أحسن مُسلم بن الوليد في قوله:

إِيرِيقُنَا سَلَبَ الْغَزَالَةِ جِيْدَهَا      وَحَكَى الْمُدِيرُ بِمُقْلَتَيْهِ غَزَالَا  
يَسْقِيكَ بِسَالِحِ الْخَاطِرِ كَأْسَ صَبَابَةٍ      وَيُدِيرُهَا مِنْ كَفِّهِ جَرِيَالَا<sup>(٢)</sup>

وأنشد الحارث بن خالد أبياته:

إِنِّي وَمَا نَحَرُوا غَدَاةَ مِتِّي .....  
لعبد الله بن عمر، فلما بلغ إلى قوله:

لَعَرَفْتُ مَعْنَاهَا بِمَا احْتَمَلْتُ      مِتِّي الضُّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ

قال له ابن عمر: قل إن شاء الله، قال: إذا يفسد الشعر يا أبا عبد الرحمن، فقال: لا خير في شيء يفسده إن شاء الله.

### [تشبيب الحارث بن خالد]

وكان الحارث بن خالد أحد المجيدين في التشبيب، ولم يكن يعتقد شيئاً من ذلك، وإنما يقوله تظرفاً وتخلعاً؛ وكان أكثر شعره في عائشة بنت طلحة، فلما قُتِلَ عنها مُصْعَبُ بن الزبير قيل له: لو خطبتها! قال: إني لأكره أن يتوهم الناس عليّ أني كنت معتقداً لِمَا أقول فيها، وهو القائل:

يَا أُمَّ عِمْرَانَ مَا زَالَتْ وَمَا بَرِحَتْ      بِنَا الصَّبَابَةَ حَتَّى مَسَّنَا الشَّفَقُ<sup>(٣)</sup>  
الْقَلْبُ تَاقَ إِلَيْكُمْ كَيْ يُلَاقِيَكُمْ      كَمَا يَتَوَقُّ إِلَى مَنْجَاتِهِ الْغَرَقُ<sup>(٤)</sup>  
تُوفِيكَ شَيْئاً قَلِيلاً وَهِيَ خَائِفَةٌ      كَمَا يَمَسُّ بِظَهْرِ الْحَيَّةِ الْفَرَقُ<sup>(٥)</sup>

(١) السبائب: جمع سبيبة، وهي الحبل.

(٢) الجريال: الخمر.

(٣) الشَّفَقُ: الخوف.

(٤) تاق: اشتاق.

(٥) الْفَرَقُ: الخائف.

أخذ هذا الطائي فحسّته فقال:

تَأْبَى عَلَى التَّضَرِيدِ إِلَّا نَائِلًا      إِلَّا يَكْسُنُ مَاءَ قَرَاخَا يُمَذَّقِ<sup>(١)</sup>  
نَزْرًا كَمَا اسْتَكْرَهْتَ عَابِرَ نَفْحَةٍ      مِنْ فَاوَةِ الْمِسْكِ الَّتِي لَمْ تُفْتَقِ

وَحَجَّتْ عَائِشَةُ بِنْتُ طَلْحَةَ، فَوَجَّهَ إِلَيْهَا يَسْتَأْذِنُهَا فِي الزِّيَارَةِ، فَقَالَتْ: نَحْنُ حَرَامٌ، فَأَخَّرَ ذَلِكَ حَتَّى نَحُلَّ، فَلَمَّا أَحَلَّتْ أَذْلَجَتْ وَلَمْ يَعْلَمْ، فَكَتَبَ إِلَيْهَا:

مَا ضَرَرَكُمْ لَوْ قُلْتُمْ سَدَدًا      إِنَّ الْمَنِيَّةَ عَاجِلٌ غَدُهَا<sup>(٢)</sup>  
وَلَهَا عَلَيْنَا نِعْمَةٌ سَلَفَتْ      لَسْنَا عَلَى الْأَيَّامِ نَجَحْدُهَا  
لَوْ تَمَمَّتْ أَسْبَابُ نِعْمَتِهَا      تَمَّتْ بِذَلِكَ عِنْدَنَا يَدُهَا  
إِنِّي وَإِيَاهَا كَمُفَّتَيْنِ      بِالنَّارِ نَحْرِقُهُ وَيَعْبُدُهَا

### [من أخبار ابن أبي عتيق وعائشة بنت طلحة]

وابنُ أبي عتيق هذا هو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، رضي الله عنه! وكان من أفاضل زَمَانِهِ عِلْمًا وَعِفَافًا، وَكَانَ أَحْلَى النَّاسِ فُكَاهَةً، وَأَظْرَفَهُمْ مَزَاحًا، وَلَهُ أَخْبَارٌ مُسْتَظَرَّةٌ سِيَمَرٌ مِنْهَا مَا يُسْتَحْسَنُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

رَوَى الزُّبَيْرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ - بِعَنِي بِنْتُ طَلْحَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا! - وَهِيَ لِمَابِهَا؛ فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتِ جُعِلْتُ فِدَاكِ؟ قَالَتْ: فِي الْمَوْتِ، قَالَ: فَلَا إِذَا، إِنَّمَا ظَنَنْتُ فِي الْأَمْرِ فُسْحَةً، فَضَحِكَتْ، وَقَالَتْ: مَا تَدْعُ مَزْحَكَ بِحَالٍ.

وَفِيهِ يَقُولُ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ الْفُرَشِيِّ<sup>(٣)</sup>:

لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَقُولُنْ لِرَكْبٍ      بِفَلَاةٍ هُمْ لَسَدِيهَا خُشُوعُ  
طَالَمَا عَرَّسْتُمْ فَاسْتَقِلُّوا      حَانَ مِنْ نَجْمِ الثَّرِيَّا طُلُوعُ<sup>(٤)</sup>

(١) التصريد: التقليل، وإسقاء ما لا يروي. يُمَذَّقُ: يُمَزَّجُ.

(٢) سددًا: أي كلاماً مستقيماً لا تغيره.

(٣) عمر بن أبي ربيعة، الديوان: ٤٧/٢.

(٤) عَرَّسَ المسافرين وأعرسوا: نزلوا آخر الليل للراحة. استقلوا: سبروا وأزحلوا. وفي الديوان: «طالما عرستم فاركبوا بي».

إِنَّ هَمِّي قَدْ نَفَى النُّومَ عَنِّي      وَحَدِيثُ النَّفْسِ مِنِّي يَرُوعُ<sup>(١)</sup>  
 قَالَ لِي فِيهَا عَتِيقٌ مَقَالاً      فَجَرْتُ مِمَّا يَقُولُ الدَّمُوعُ<sup>(٢)</sup>  
 قَالَ لِي: وَدَّعْ سُلَيْمَى وَدَعَهَا      فَأَجَابَ الْقَلْبُ: لَا أُسْطِيعُ<sup>(٣)</sup>  
 لَا تُلْمَنِي فِي اسْتِياقِي إِلَيْهَا      وَأَبْكَ لِي مِمَّا تُجِنُّ الضُّلُوعُ<sup>(٤)</sup>

### [مَثَلٌ مِنَ التَّعْرِيزِ]

قال أبو العباس محمد بن يزيد قوله: «حان من نجم الثريا طلوع» كناية، وإنما يريد الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر، وكانت موصوفةً بالجمال، وتزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، فنقلها إلى مصر، وفي ذلك يقول عمر، وضرب لهما المثل بالنجمين<sup>(٥)</sup>:

أَيُّهَا الْمُنْكَحُ الثَّرِيًّا سُهَيْلاً      عَمَّسَرَكَ اللَّهُ كَيْسَفَ يَلْتَقِيَانِ  
 هِيَ شَامِيَةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ      وَسُهَيْلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانِي

### بَيْنَ الثَّرِيَّا بِنْتِ عَلِيٍّ وَالْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ

فمات سهيل عنها، أو طلقها، فخرجت إلى الوليد بن عبد الملك وهو خليفة دمشق تَطْلُبُ فِي دَيْنٍ عَلَيْهَا، فبينما هي عند أُمِّ الْبَنِينَ ابنة عبد العزيز إذ دخل الوليدُ فقال: مَنْ هَذِهِ عِنْدَكَ؟ قالت: الثريا، جاءتك تَطْلُبُ فِي دَيْنٍ ارْتَكَبَهَا، فأقبل الوليد عليها، فقال: أتروين من شعرِ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ شَيْئاً؟ قالت: نعم، أما إنه رحمه الله كان عفيفاً، عفيف الشعر، أروي له قوله:

مَا عَلَى الرَّسْمِ بِالْبُلَيْنِ لَوْ بَ—يِّن رَجَعَ السَّلَامُ أَوَّلُوا أَجَابَا  
 فَإِلَى قَصْرِ ذِي الْعُشَيْرَةِ بِالصَّا      ثَفِ أُمْسَى مِنَ الْأَنْبَسِ يَبَابَا<sup>(٦)</sup>

(١) في الديوان: «وَحَدِيثُ النَّفْسِ قَدْ نَفَى النُّومَ عَنِّي». ونفى النوم: منعه. وَقَدْ نَفَى: قديماً. وَالْوَلُوعُ: المتشوق، التواق.

(٢) عتيق: هو ابن أبي عتيق، كان صديقاً لعمر، ومن الحريصين على ملازمة مجالسه.

(٣) في الديوان: «فَأَجَابَ الْقَلْبُ: أَنْ لَا أُطِيعُ».

(٤) تُجِنُّ: تَسْتُرُ، تُخَيِّئُ.

(٥) عمر بن أبي ربيعه، الديوان: ٣٣٩/٢.

(٦) الْيَبَابُ: الْخَرَابُ، وَالْخَالِي لَا شَيْءَ فِيهِ، يُقَالُ: أَرْضُ يَبَابٍ، وَدَارُهُمْ خَرَابُ يَبَابٍ، وَحَوْضُ =

وَبِمَا قَدْ أَرَى بِهِ حَيٍّ صِدْقٍ      ظَاهِرِي الْعَيْشِ نِعْمَةً وَشَبَابًا  
وَحَسَانًا جَوَارِيَا خَفِرَاتٍ      حَافِظَاتٍ عِنْدَ الْهَوَى الْأَحْسَابَا  
لَا يُكْثَرْنَ بِالْحَدِيثِ وَلَا يَذْ—بَعْنُ يَتَعَنَّ بِالْبَهَامِ الظَّرَابَا<sup>(١)</sup>

فلما خلا الوليد بأم البنين قال: لله دَرُّ الثريا؛ أتدريين ما أرادت بإنشادها ما أنشدت من شعر عمر؟ قالت: لا، قال: فَإِنِّي لما عَرَضْتُ لها بعمر عَرَضْتُ أَنَّ أُمِّي أعرابية، وأم الوليد وَلَادَةُ بنت العباس بن جزء بن الحارث بن زهير العبسي، وهي أُمُّ سليمان، ولا تُعلم امرأة ولدت خليفتين في الإسلام غيرها، وغير الخيزران، وهي سَيِّة من خَرَشَنَة، ولدت موسى الهادي وهارون الرشيد ابني محمد المهدي، وشاهسفرم بنت فيروز بن يزدجرد بن شهريار بن كِسْرَى أبرويز؛ فإنها ولدت للوليد بن عبد الملك يزيد بن الوليد الناقص وإبراهيم بن الوليد المخلوع؛ جلس في الخلافة بعد أخيه يزيد مدة يسيرة، ثم جاء مروان بن محمد بن مروان آخر ملوك بني أمية فخلعه وولِّي بعده.

### بين عزة كثير وعبد الملك بن مروان

وشبهه بقول الثريا في باب التعريض أنه دخلت عَزَّةً على عبد الملك بن مروان، فقال لها: أَنْتِ عَزَّةٌ كثير؟ قالت: أنا أم بكر الضَّمْرِيَّة، قال لها: يا عَزَّة؟ هل تروين من شعر كثير شيئاً؟ قالت: ما أعرفه، ولكن سمعت الرواة ينشدون له:

قَضَى كُلَّ ذِي دَيْنٍ فَوَفَّى غَرِيمَهُ      وَعَزَّةٌ مَمْطُولٌ مُعْتَى غَرِيمُهَا<sup>(٢)</sup>

قال: فتروين قوله:

وَقَدْ زَعَمْتُ أَنِّي تَغَيَّرْتُ بَعْدَهَا      وَمَنْ ذَا الَّذِي بَا عَزُّ لَا يَتَغَيَّرُ  
تَغَيَّرَ حَالِي وَالْخَلِيقَةُ كَالَّذِي      عَهْدَتْ وَلَمْ يُخْبَرْ بِسَرِّكَ مُخْبَرُ

قالت: ما سمعت هذا، ولكن سمعتهم ينشدون:

كَأَنِّي أَتَادِي صَخْرَةً حِينَ أَعْرَضْتُ      مِنَ الصَّمِّ لَوْ تَمَشَّى بِهَا الْعُصْمُ زَلَّتِ<sup>(٣)</sup>

= يباب: لا ماء فيه.

(١) الظراب: جمع ظرب، وهو الجبل المنبسط، أو الراية الصغيرة.

(٢) الغريم: الدائن. وممطول: اسم مفعول من: مطل فلاناً حَقَّهُ إِذَا أَجَلَ موعد الوفاء به مَرَّةً بعد أخرى.

(٣) «كأنِّي أَتَادِي صَخْرَةً»: أي لا تجيب النداء. والصَّمُّ: جمع أصم أو صمَاء، وقد صَمَّ فلان: =

غَضُوباً فَمَا تَلَقَّاكَ إِلَّا بِخَيْلَةٍ فَمَنْ مَلَّ مِنْهَا ذَلِكَ الْوَصْلَ مَلَّتْ<sup>(١)</sup>

### [بعض أخبار عمر بن أبي ربيعة وغزله]

قال: وكلُّ ما ذَكَرَ ابْنُ أَبِي رَبِيعَةَ فِي شعره من عتيق، أو أَبِي عتيق، فإنما هو ابْنُ أَبِي عتيق، وكان عمرُ بن عبد الله بن أبي ربيعة، واسمُ أبي ربيعة حذيفةُ بن المغيرة بن عبد الله [بن عمر] بن مخزوم، ويكنى أبا الخطاب، أمه أم ولد سبيّة من حضرموت، ويقال من حمير، ومن ثمّ أتاه الغزل؛ لأنه يقال: «عَشِقْتُ يمانِي، وَدَلَّ حِجَازِي». قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي:

إِنَّ قَلْبِي بِالتَّلِّ تَلَّ عَزَازٍ      مع ظَنِّي مِنَ الظَّبَاءِ الْجَوَازِي<sup>(٢)</sup>  
شَادِنٍ لَمْ يَرَ الْعِرَاقَ وَفِيهِ      مَعَ ظَرَفِ الْعِرَاقِ ذَلِكَ الْحِجَازِ<sup>(٣)</sup>  
وقال الطائي وذكر نفسه<sup>(٤)</sup>:

قَدْ تَقَفْتُ مِنْهُ الْحِجَازُ، وَسَهَّلْتُ      مِنْهُ الْعِرَاقُ، وَرَقَقْتُ الْمَشْرِقُ  
وهجرت الشريا عُمَرَ، فقال<sup>(٥)</sup>:

قَالَ لِي صَاحِبِي لَيْعَلَمْ مَا بِي:      أَتَحِبُّ الْقَتُولَ أَخْتَ الرَّبَابِ؟  
قُلْتُ: وَجِدِي بِهَا كَوَجْدِكَ بِالْمَا      إِذَا مَا فَقَدْتَ بَرْدَ الشَّرَابِ  
أَزْهَقْتُ أُمَّ نَوْفَلٍ إِذْ دَعَتْهَا      مُهَجَّتِي، مَا لِقَاتَلِي مِنْ مَتَابِ

= ذهب سَمْعُهُ. والعَصْمُ: جمع أعصم، وهو من الوعول والظباء ما في ذراعيه أو أحدهما بياض وسائره أسود.

(١) في رواية: «صَفُوحاً فَمَا تَلَقَّاكَ إِلَّا بِخَيْلَةٍ».

(٢) الجوازي: الظباء التي تجترى بالعشب عن الماء.

(٣) الشادن: ولد الظية الذي قوي وترعرع واستغنى عن أمه. والدَّلُّ: الحالة التي يكون عليها الإنسان من السكينة والوقار في الهيئة والمنظر والشمائل وغير ذلك، ويقال: امرأة ذات دَلٍّ: ذات شكل تَدُلُّ به. وقد دَلَّتِ المرأة على زوجها: أظهرت الجراءة عليه في تكسّر وملاحية، كأنها تخالفه وما بها من خلاف.

(٤) أبو تمام: الديوان: ٢٤٨/٢. والمشرق: مخلاف باليمن.

(٥) عمر بن أبي ربيعة، الديوان: ١٠٦/١.

أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَهَاةِ تَهَادَى      بَيْنَ خَمْسِ كَوَاعِبِ أَثْرَابٍ<sup>(١)</sup>  
وَهِيَ مَكُونَةٌ تَحْدَرُ مِنْهَا      فِي أَدِيمِ الْحَدِيثِ مَاءُ الشَّبَابِ  
ثُمَّ قَالُوا: تُحِبُّهَا؟ قُلْتُ: بَهْرًا      عَدَدَ الرَّمْلِ وَالْحَصَى وَالثَّرَابِ<sup>(٢)</sup>  
ولما بلغ ابن أبي عتيق قوله:

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَّرِيَاءِ؟ فَإِنِّي      ضِيقْتُ ذُرْعًا بِهِجْرِهَا وَالْكِتَابِ

قال: إياي أراد، وبى هتف ونوّه، لا جرم لا ذقت طعاماً أو أشخص إليها، وأصلح بينهما؛ قال مولى لبني تميم: فنهض ونهضت معه، ثم خرج إلى السوق إلى الضميرتين، فأتى قوماً من بني الدليل بن بكرٍ يَكْرُونَ النجائب، فقال: بكم تَكْرُونَنِي راحلتين إلى مكة؟ قالوا: بكذا وكذا درهمًا، فقلت لبعض التجار: اسْتَوْضِعُوا شيئاً، فقال ابن أبي عتيق: ويحك! إِنَّ الْمِكَّاسَ لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِ النَّاسِ<sup>(٣)</sup>. ثم ركب واحدة وركبت أخرى، وأجد السير، فقلت: ارفق بنفسك، فقال: ويحك! أَبَادِرْ حَبْلَ الرِّصْلِ أَنْ يَتَقَضَّبَا. وما أملح الدنيا إذا تَمَّ الوصلُ بين عمر والثريا! فقدمنا مكة وأتى باب الثريا، فقالت: والله ما كنت لَنَا زُؤَارًا، فقال: أجل، ولكن جئت برسالة، يقول لك ابن عمك عمر: ضِيقْتُ ذُرْعًا بِهِجْرِهَا وَالْكِتَابِ. فَلَامَهُ عمر، فقال ابن أبي عتيق: إِنَّمَا رَأَيْتُكَ مَبَادِرًا تَلْتَمِسُ رَسُولًا، فَخَفَفْتُ فِي حَاجَتِكَ، فَإِنَّمَا كَانَ ثَوَابِي أَنْ أَشْكُرَ.

ووصف ابن أبي عتيق لعمر امرأة من قومه، وذكر جمالاً رائعاً، وعقلاً فائقاً، فرأها عمر، فشَبَّبَ بها؛ فغَضِبَ ابنُ أَبِي عَتِيقٍ وَقَالَ: تَشَبَّبُ بِامْرَأَةٍ مِنْ قَوْمِي؟ فَقَالَ عُمَرُ<sup>(٤)</sup>:

لَا تَلْمَنِي عَتِيقُ حَسْبِيَ الَّذِي بِي      إِنَّ بِي يَا عَتِيقُ مَا قَدْ كَفَّانِي  
إِنْ بِي مُضْمَرًا مِنَ الْحَبِّ قَدْ أَبْ      لَمَى عِظَامِي مَكُونُهُ وَبِرَانِي<sup>(٥)</sup>  
لَا تَلْمَنِي فَإِنَّتِ زَيْنَتَهَا لِي .....

- (١) المهابة: البقرة الوحشية. الكواعب: جمع كاعب، وهي الفتاة التي شَبَّت ونهد ثديها. والأثراب: جمع تَرَبٍّ، وهو المثل في السن.
- (٢) بَهْرًا: عجباً، ويقال: بهراً له: تَعَباً وَهَلَاكاً. وفي الديوان: «عدد النجم».
- (٣) المكاس: الشدة في الأخذ والعطاء.
- (٤) عمر بن أبي ربيعة، الديوان: ٣٣٣/٢.
- (٥) في الديوان: «إِنْ بِي دَاخِلًا مِنَ الْحَبِّ». مَكُونُهُ: مستوره. براني: هدني وأنحلي.

فقال ابن أبي عتيق:

أَنْتَ مِثْلُ الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ .....

فقال عمر: هكذا وربّ الكعبة قلت.

فقال ابن أبي عتيق: إن شيطانك وربّ القبر ربما أَلَمَ بي!

وَحَجَّتْ رَمْلَةَ بِنْتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُلْفٍ أُخْتِ طَلْحَةَ الطَّلِحَاتِ، فَقَالَ عُمَرُ فِيهَا<sup>(١)</sup>:

أَصْبَحَ الْقَلْبُ فِي الْجِبَالِ رَهِينًا	مُقْصِدًا يَوْمَ فَارَقَ الطَّاعِنِينَ
وَلَقَدْ قُلْتُ يَوْمَ مَكَّةَ سِرًّا	قَبْلَ وَشِكِّ مِنْ بَيْنِكُمْ نَوَلِينَا
أَنْتِ أَهْوَى الْعِبَادِ قُرْبًا وَبُعْدًا	لَوْ تَوَاتَيْنَ عَاشِقًا مَحْزُونًا <sup>(٢)</sup>
قَادَهُ الْحَيْنُ يَوْمَ سِرْنَا إِلَى الْحِجَا	حَجَّ جَهَارًا وَلَمْ يَخَفْ أَنْ يَحِينَا <sup>(٣)</sup>
فَإِذَا نَعَجَةٌ تُرَاعِي نِعَاجًا	وَمَهًا تُجَلِّ النَوَاطِرَ عَيْنًا <sup>(٤)</sup>
فَسَيِّئَنِي بِمُقْلَةٍ وَبِجِيدٍ	وَبِوَجْهِ يُضِيءُ لِلنَّاطِرِينَ
قُلْتُ مَنْ أَنْتُمْ فَصَدَّتْ وَقَالَتْ	أُمَيْدُ سُؤَالِكَ الْعَالَمِينَ <sup>(٥)</sup>
قُلْتُ بِاللهِ ذِي الْجَلَالَةِ لَمَّا	أَنْ تَبَلَّتِ الْفُؤَادُ أَنْ تَصْدُقِينَ
أَيَّ مَنْ تَجْمَعِ الْمَوَاسِمُ أَنْتُمْ	فَأَيُّنِي لَنَا وَلَا تَكْذِبِينَ <sup>(٦)</sup>
فَرَأَتْ حِرْصِي الْفَتَاةُ، فَقَالَتْ	أَخْبِرْهُ بِعِلْمٍ مَا تَكْتُمِينَ
نَحْنُ مِنْ سَاكِنِي الْعِرَاقِ، وَكُنَّا	قَبْلَهَا قَاطِنِينَ مَكَّةَ حِينَ

(١) عمر بن أبي ربيعة، الديوان: ٢٩٦/٢.

(٢) في الديوان «أنت أهوى البلاد قُربًا ودَلًا». وأهوى البلاد: أَحَبُّهَا، أَحَبُّ مَنْ نَجَبَهُ فِي بَلَدِكَ. قُربًا: دُنُوًّا فِي الْمَكَانِ. دَلًا: دَلَالًا وَتَبَخَّرًا.

(٣) في الديوان:

قَادَهُ الطَّرْفُ يَوْمَ مَرَّ إِلَى الْحَيِّ  
الطرف: النظر. الحين: الهلاك.

(٤) نجلت المرأة: اتسعت عينها وحسنت، فهي نجلاء، ومنه: طعنة نجلاء: واسعة. وفي الديوان: «وَمَهًا بُهَّجَ الْمَنَاطِرَ عَيْنًا».

(٥) أُمَيْدُ سُؤَالِكَ الْعَالَمِينَ: أَيُّ هَلْ أَنْتِ مَقْسَمُهُ بَدَأَ وَتَفَارِقَ عَلَى النَّاسِ بِحَيْثُ يَعْتَمُهُمْ جَمِيعًا.

(٦) في الديوان: «وَلَا تَكْتُمِينَ».

قَدْ صَدَقْنَاكَ إِذْ سَأَلْتَ فَمَنْ أَذْ  
لَتَ عَسَى يَجْرُ شَأْنُ شُؤُنَا  
وَنَرَى أَنَّ عَرَفْنَاكَ بِالنَّعْمِ  
لَتَ ظُنُونَا وَمَا قَتَلْنَا يَقِينَا  
بِسَوَادِ الثَّنِيثَيْنِ وَنَعْمَتِ  
قَسْدُ نَرَاهُ لِنَظِيرِ مُسْتَيْنَا

قولها: «وكنّا قبلها قاطنين مكة حيناً» أرادت إذ كانت مكة لخزاعة.

### صفقة أبي غبشان الذي باع مفتاح الكعبة

وكان آخر من بَدَّ مفتاح الكعبة من خُزاعة أبو غبشان، فباعه من قُصَيِّ بَرْقِ خمر؛ فقبل في المثل: «أخسر صفقة من أبي غبشان». وكان أبو غبشان إذ باع المفتاح قُصَيًّا مريضاً قد يش من نفسه، فلما أبل من مرضه لامه قومه، وسألوه استرجاعه، وذلك الذي هاج الحرب بين خُزاعة وقريش، فظفر قُصَيِّ واستولى على مكة، وجمع قريشاً بها؛ ولذلك سمي مجمعاً، قال مطرف الخزاعي:

أَبُوكُم قُصَيِّ كَانَ يُدْعَى مُجْمَعاً  
بِهِ جَمَعَ اللَّهُ الْقَبَائِلَ مِنْ فَهْرٍ  
وَقَالَ الطَّائِي<sup>(١)</sup>:

وَلَمَّا نَضَا ثَوْبَ الْحَيَاةِ وَأَوْقَعَتْ  
بِهِ نَائِبَاتُ الدَّهْرِ مَا يَتَوَقَّعُ<sup>(٢)</sup>  
غَدَاً لَيْسَ يَذَرِي كَيْفَ يَصْنَعُ مُعْدِمُ  
ذَرَى دَمْعُهُ فِي خَدِّهِ كَيْفَ يَصْنَعُ  
وَلَمْ أَنْسَ سَعْيَ الْجُودِ خَلْفَ سَرِيرِهِ  
بِأَكْسَفِ بَالٍ يَسْتَقِلُّ وَيَظْلَعُ<sup>(٣)</sup>  
وَتَكْبِيرُهُ خَمْساً عَلَيْهِ مَعَا لَنَا  
وَإِنْ كَانَ تَكْيِيرَ الْمُصَلِّينَ أَرْبَعُ<sup>(٤)</sup>  
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي يَعْلَمُ اللَّهُ قَبْلَهَا  
بِأَنَّ النَّدَى فِي أَهْلِهِ يَشِيْعُ<sup>(٥)</sup>  
غَدَاً فِي زَوَايَا نَعْشِهِ وَكَأَنَّمَا  
قُرَيْشٌ قُرَيْشٌ يَوْمَ مَاتَ مُجْمَعُ

وقال الشاعر في أمر قُصَيِّ وأبي غبشان:

- (١) أبو تمام، الديوان: ٣٠٩/٢. والأبيات من قصيدة يرثي بها إدريس بن بدر الشامي.
- (٢) نضا الشيء عن الشيء: نزعه وألقاه، ونضا الثوب: أخلفه وأبلاه، ونزعه، وألقاه.
- (٣) يستقل ويظلع: ينهض ويسقط. وفي الديوان: «يَسْتَقِيمُ وَيَظْلَعُ».
- (٤) في الديوان: «وَتَكْبِيرُهُ خَمْساً عَلَيْهِ مُعَالِنَا».
- (٥) يَشِيْعُ: يتخرب.



أَبُو عُثْمَانَ أَظْلَمُ مِنْ قُصَيٍّ وَأَظْلَمُ مِنْ بَنِي فَهْرٍ خُزَاعَةَ  
فَلَا تَلْحَقُوا قُصَيًّا فِي شِرَاهُ وَلُومُوا شَيْخَكُمْ إِذْ كَانَ بَاعَهُ

وكان عمر أسود الشيتين .

قال مولى ابن أبي عتيق بلال: أتيتُ الثريا مسلماً عليها، فقالت: أنشدني لعمر،  
فأنشدتها:

أَصْبَحَ الْقَلْبُ فِي الْحَبَالِ رَهِينَا

فقالت الثريا: إي والله، لئن سلمت له لأردنَّ من شأوه، ولأثنين من عَنَانِهِ، ولأعرفنَّه  
نفسه! فمررت فيها حتى انتهيت إلى قوله:

قُلْتُ مَنْ أَنْتُمْ فَصَدْتُ وَقَالَتْ أُمِّدْ سؤَالَكَ الْعَالَمِينَ

فقالت: أو قد أجابته بهذا؟ أي وقت؟ فلما انتهيت إلى قوله:  
وَتَرَى أَنْتَا عَرَفْنَاكَ بِالنَّعْتِ

قالت: جاءت التوكاء بأخر ما عندها في مَوْقِفٍ واحد<sup>(١)</sup>.

وسأله أخوه الحارث - وهو المعروف بالقُبَاع، وكان من أفاضل أهل دهره - أن يترك  
الشعر، ورغب إليه في ذلك، ووعظه، فقال: أما ما دمتُ بمكة فلا أقدر، ولكنني أخرج إلى  
اليمن، فخرج؛ فلما سار إلى هناك لم تدعُه نفسه وترك الشعر، فقال<sup>(٢)</sup>:

هَيْهَاتَ مِنْ أُمَّةِ الْوَهَابِ مَنَزَلْنَا إِذَا نَزَلْنَا بِسَيْفِ الْبَحْرِ مِنْ عَدَنِ<sup>(٣)</sup>  
وَاحْتَلَّ أَهْلُكَ أَجِيادًا، وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا التَّذَكُّرُ أَوْ حَظٌّ مِنَ الْحَزَنِ<sup>(٤)</sup>  
بَلْ مَا نَسِيتُ غَدَاةَ الْخَيْفِ مَوْقِفَهَا وَمَوْقِفِي، وَكَلَانَا ثُمَّ ذُو شَجَنِ<sup>(٥)</sup>

(١) التوكاء: الحمقاء.

(٢) عمر بن أبي ربيعة، الديوان: ٣١٨/٢.

(٣) سيف البحر: ساحله. أُمَّة الوهاب: اسم امرأة.

(٤) أجياذ: موضع بين الطائف ومكة. والحظ: النصيب.

(٥) في الديوان: «بل ما نَسِيتُ بَيْطَنَ الْخَيْفِ». الخيف: واد بمنى حيث مرمى الجمار. ذو شجن: ذو حزن.

وَقَوْلُهَا لِلثَّرِيَّا وَهِيَ مُطَرِّقَةٌ وَالذَّمْعُ مِنْهَا عَلَى الْخَدَّيْنِ ذُو سَنَنِ<sup>(١)</sup>  
 بِسَالِهُ قَوْلِي لَهُ فِي غَيْرِ مَعْتَبَةٍ مَاذَا أُرِدَتْ بِطُولِ الْمُكْثِ فِي الْيَمَنِ<sup>(٢)</sup>  
 إِنْ كُنْتَ حَاوَلْتَ دُنْيَا أَوْ ظَفَرْتَ بِهَا فَمَا أَخَذْتَ بِتَرْكِ الْحَجِّ مِنْ ثَمَنِ<sup>(٣)</sup>  
 فلما بلغ الشعرُ الحارثَ قال: قد علمنا أنه لا يقي.

### بين ابن جريج ومعن بن أوس

وروى سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ<sup>(٤)</sup> قَالَ: لَزِمَنِي دَيْنٌ مَرَّةً فَضَاقَتْ سَاحَتِي وَبِلَادِي بِي، فَتَوَجَّهْتُ إِلَى مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ بِالْيَمَنِ، فَقَالَ: مَا أَقْدَمَكَ هَذِهِ الْبَلَدَةَ؟ قُلْتُ: دَيْنٌ طَرَدَنِي عَنْ وَطَنِي. قَالَ: يَقْضَى دَيْنُكَ، وَتُرَدُّ إِلَى وَطَنِكَ مَحْبُورًا مَحْبُورًا، قَالَ: فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ، ثُمَّ رَأَيْتُ النَّاسَ يَرْحَلُونَ إِلَى الْحَجِّ، فَحَنَنْتُ إِلَى مَكَّةَ، وَذَكَرْتُ قَوْلَ ابْنِ أَبِي رِبِيعَةَ، وَذَكَرَ الْآيَاتِ... فَأَتَيْتُ بَابَ مَعْنٍ، فَقُلْتُ لِلْحَاجِبِ: اسْتَأْذِنْ لِي عَلَى الْأَمِيرِ، فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ قَالَ: إِنَّ لَكَ لِحَادِثَ خَبْرٍ! قُلْتُ: اسْتَوْدَعُ اللَّهَ الْأَمِيرَ وَأَسْتَحْفِظُهُ عَلَيْهِ. قَالَ: وَمَا هَاجَ هَذَا مِنْكَ؟ فَقُلْتُ: رَأَيْتُ خُرُوجَ النَّاسِ إِلَى الْحَجِّ، وَذَكَرْتُ قَوْلَ عُمَرَ؛ فَحَنَنْتُ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ: أَنْتَ وَحَنِينِكَ، وَإِنْ كُنْتَ بِفِرَاقِكَ ضَيِّقًا، وَسَيَسْبَعُكَ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ؛ فَمِرْ مُصَاحِبًا، قَالَ: فَسِرْتُ إِلَى رَحْلِي، فَأَتَبَعَنِي بِمَالٍ وَثِيَابٍ وَمَطَايَا وَدَوَابٍّ، وَسَرْتُ إِلَى مَكَّةَ مِنْ قُورِي.

### عفة عمر

وكان عمر - على غزله، وما يذكره في شعره - عفيفاً. حَدَّثَ الْمَغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي مَكَّةَ، فَجَاءَهُ عُمَرُ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَأَنَا غُلَامٌ شَابٌّ وَعَلَيَّ جَبَّةٌ، فَجَعَلَ يَأْخُذُ بِخَصْلَةٍ مِنْ شَعْرِي فَتَمْتَدُّ فِي يَدِهِ، ثُمَّ يُرْسِلُهَا فَيَرْجِعُ، فَيَقُولُ: وَاشْبَابَاهُ! فَقَالَ

(١) السَّنَنُ: الطرائق. وفي الديوان: «وَقَوْلُهَا لِلثَّرِيَّا يَوْمَ ذِي خَشَبٍ».

(٢) عَتَبَ عَلَيْهِ عَتَبًا وَغَتَبًا وَغَتَبًا وَمَعْتَبَةً: لَامَهُ وَخَاطَبَهُ مَخَاطَبَةً الْإِدْلَالَ طَالِبًا حَسَنَ مَرَاجَعَتِهِ وَمَذْكَرًا إِيَّاهُ بِمَا كَرِهَهُ مِنْهُ.

(٣) فِي الدِّيَوَانِ: «أَوْ نَعِمْتَ بِهَا».

(٤) هُوَ أَبُو خَالِدٍ، وَأَبُو الْوَلِيدِ، عَبْدِ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ جُرَيْجٍ، الْقُرَشِيُّ بِالْوَلَاءِ، الْمَكِّي، مَوْلَى أُمِّةِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ: عَالِمٌ مَشْهُورٌ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ صَنَّفَ الْكُتُبَ فِي الْإِسْلَامِ. تَوَفَّى سَنَةَ ١٤٩ هـ/ ٧٦٧ م. (البغدادى، تاريخ بغداد: ٤٠٠/١٠؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان: ١٦٣/٣).

لي: يابن أخي، قد سمعتَ قولِي: «قُلْتُ لَهَا وَقَالَتْ لِي»؛ وكلّ مملوك لي حرّ إن كنتَ قطّ كَشَفْتَ عن فرجِ حَرَامٍ! قال: ففُقمْتُ وفي نَفْسِي من يمينه شيء؛ فسألتُ عن رَقِيقه، فقيل لي: أما في هذا الحول فسبعون.

ويستحسن قول عمر في المساعدة<sup>(١)</sup>:

وَخِلْ كُنْتُ عَيْنَ النَّصْحِ مِنْهُ إِذَا نَظَرْتُ وَاسْتَمِعْتُ مُطِيعَا  
أَطَافِ بَغْيَةٍ فَهَيَّيْتُ عَنْهَا وَقُلْتُ لَهُ: أَرَى أَمْرًا شَنِيعَا  
أَرَدْتُ رَشَادَهُ جَهْدِي، فَلَمَّا أَبَى وَعَصَى أَتَيْتَاهَا جَمِيعَا

وهذا مأخوذ من قول دريد بن الصّمة الجُشَمي<sup>(٢)</sup>:

أَمَرْتُهُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى فَلَمْ يَسْتَيِّنُوا الرُّشْدَ إِلَّا ضَحَا الْغَدِ  
فَقُلْتُ لَهُمْ: ظَنُّوا بِالْفَنَى مُدَجَّجِ سَرَائِهِمْ فِي الْفَارَسِيِّ الْمُسَرَّدِ<sup>(٣)</sup>  
فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَى غَوَايَتَهُمْ وَأَنْنِي غَيْرُ مُهْتَدِي  
وَمَا أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ، وَإِنْ تَرُشِدُ غَزِيَّةٌ أَرُشِدِ

ومن جيد شعره<sup>(٤)</sup>:

يَقُولُونَ إِنِّي لَسْتُ أَصْدُقُ فِي الْهَوَى وَإِنِّي لَا أَرَعَاكَ حِينَ أَغِيبُ<sup>(٥)</sup>  
فَمَا بِالْطَّرْفِي عَفَتْ عَمَّا تَسَاقَطْتُ لَهُ أَنْفُسٌ مِنْ مَعْشَرٍ وَقُلُوبُ<sup>(٦)</sup>

(١) عمر بن أبي ربيعة، الديوان: ٣٤/٢.

(٢) هو أبو قرة، معاوية بن بكر بن علقمة بن غزية، من قيس عيلان، ودريد لقبه، وأمه ربحانة بنت معدي كرب. كان سيد بني جشم وقائدهم. جعله ابن سلام في طليعة الشعراء الفرسان. غزا نحو مئة غزوة، ولم يهزم في واحدة منها. أدرك الإسلام ولم يسلم، وقتل على الكفر في وقعة حنين سنة ٨ هـ/ ٦٣٠ م. (ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٦٣٥/٢؛ لويس شيخو، شعراء النصرانية: ٧٥٢/١).

(٣) ظنوا هنا بمعنى: تيقنوا. والمدجج: التام السلاح. والمسرّد: المحكم النسيج، وهو صفة للدروع.

(٤) عمر بن أبي ربيعة، الديوان: ٧٦/١.

(٥) في الديوان: «إني لست أصدقك الهوى».

(٦) تساقط الأعين والقلوب: كناية عن الافتتان.

عَشِيَّةَ لَا يَسْتَكِرُّ الْقَوْمُ أَنْ يَرَوْا      سَفَاةَ حِجْجِي مِمَّنْ يُقَالُ لَيْبٌ<sup>(١)</sup>  
وَلَا فِتْنَةً مِنْ نَاسِكَ أَوْمَضَتْ لَهُ      بِعَيْنِ الصَّبَا كَسَلَى الْقِيَامِ لَعُوبٌ<sup>(٢)</sup>  
تَرْوِّحُ يَرْجُو أَنْ تُحْطَ ذُنُوبُهُ      فَآبَ وَقَدْ زِيدَتْ عَلَيْهِ ذُنُوبٌ<sup>(٣)</sup>  
وَمَا التُّسْكُ أَسْلَانِي، وَلَكِنَّ لِلْهَوَى      عَلَى الْعَيْنِ مَيِّ وَالْفؤَادِ رَقِيبٌ<sup>(٤)</sup>

ونظر عمر بن أبي ربيعة إلى فتى من قريش يكلم امرأة في الطواف، فعاب ذلك عليه، فذكر أنها ابنة عمه، فقال: ذلك أشنع لأمرك، قال: إني خطبتها إلى عمي، وإنه زعم أنه لا يزوجني حتى أصدقها أربعمائة دينار، وأنا غير قادر على ذلك، وذكر من حاله وحبه لها؛ فأتى عمر عمه، فكلّمه في أمرها، فقال: إنه مُمْلِقٌ، فزوجه، وساق عمر عنه المهر.

وكان عمر حين أسنّ حلف ألا يقول بيتاً إلا أعتق رقبة، فانصرف إلى منزله يحدث نفسه، فجعلت جاريته تُكلّمه ولا يُجيبها؛ فقالت: إن لك لشأناً، وأراك تريد أن تقول شعراً، فقال<sup>(٥)</sup>:

تَقُولُ وَلَيْدَنِي لِمَا رَأَيْتَنِي      طَرِئْتُ: وَكُنْتُ قَدْ أَقْصَرْتُ حِينَا  
أَرَاكَ الْيَوْمَ قَدْ أَحْدَثْتَ أَمْرًا      وَهَاجَ لَكَ الْهَوَى دَاءً دَفِينًا<sup>(٦)</sup>  
وَكُنْتَ زَعَمْتَ أَنَّكَ ذُو عَزَاءٍ      إِذَا مَا شِئْتَ فَارَقْتَ الْقَرِينَا  
لَعَمْرُكَ هَلْ رَأَيْتَ لَهَا سَمِيًّا      فَشَاقَكَ أَمْ لَقِيتَ لَهَا خَدِينًا<sup>(٧)</sup>  
فَقُلْتُ: شَكََا إِلَيَّ أَخٌ مُجِيبٌ      كَبَعْضِ زَمَانِنَا إِذْ تَعْلَمِينَا  
فَقَصَّ عَلَيَّ مَا يَلْقَى بِهِنْدٍ      فَذَكَرَ بَعْضَ مَا كُنَّا نَسِينَا<sup>(٨)</sup>

(١) في الديوان:

عَشِيَّةَ لَا يَسْتَكِرُّ الْقَوْمُ أَنْ يَرَوْا      سَفَاةَ امْرِئٍ مِمَّنْ يُقَالُ لَيْبٌ

(٢) أومضت له: سارقه النظر، أو غمزته بعينها غمزة غواية. كسلى القيام: مكتنزة سميكة، مترفة. لعوب: كثيرة الغنج والدلال.

(٣) تروّح: قصد، راح. تُحْطُ ذُنُوبُهُ: تُمَحَى عنه ويُغْفَرُ له. آب: رجع.

(٤) أسلاني: أزهدي وأساني الهوى.

(٥) عمر بن أبي ربيعة، الديوان: ٣٠٤/٢.

(٦) في الديوان: «قد أحدثت شوقاً»، «وعاد لك الهوى».

(٧) الخدين: الصديق، والجمع: خدناء. وفي الديوان: «برك هل أذاك لها رسول».

(٨) في الديوان: «فوافق بعض ما قد نعرفينا».

وَذُو الشُّوقِ الْقَدِيمِ وَإِنْ تَعَزَّى  
مَشُوقٌ حِينَ يَلْقَى الْعَاشِقِينَ<sup>(١)</sup>  
فَكَمْ مِنْ خُلَّةٍ أَعْرَضَتْ عَنْهَا  
لِغَيْرِ قَلْبٍ، وَكُنْتُ بِهَا ضَنِينًا<sup>(٢)</sup>  
أَرَدْتُ بِعَادَهَا فَصَدَدْتُ عَنْهَا  
وَإِنْ جُنَّ الْفُؤَادُ بِهَا جُؤْنَا<sup>(٣)</sup>

ثم دعا تسعة من رقيقه فأعتقهم.

قال عُمَانُ بن إبراهيم: حججت أنا وأصحابي لنا، فلما رجعنا من مكة مررنا بالمدينة، فرأينا عمر بن أبي ربيعة، وقد نسك وترك قول الشعر، فقال بعضنا لبعض: هل لكم فيه؟ فَمَلْنَا إِلَيْهِ، وَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ، وَجَلَسْنَا وَهُوَ سَاكِتٌ لَا يَكْلِمُنَا. فقال له بعضنا: أيعجبك قول الفرزدق<sup>(٤)</sup>:

سَرَتْ لِعَيْنِكَ سَلْمَى بَعْدَ مَفْآهَا  
فَقُلْتُ: أَهْلًا وَسَهْلًا! مَنْ هَذَا لَنَا؟  
تَأْتِي الرِّيحُ الَّتِي مِنْ نَحْوِ بَلَدِتُكُمْ  
وَقَدْ تَرَاخَتْ بِهِمْ عَنَّا نَوَى قُدُفٍ  
مِنْ أَجْلِهَا أَتَمَنَّى أَنْ يُلَاقِنِي  
كَيْمَا أَقُولَ: افْتِرَاقُ لَا اجْتِمَاعَ لَهُ،  
وَلَوْ تَمُوتُ لِرَاعَتِي وَقُلْتُ لَهَا:  
فَلَمْ يَهَشْ لِدَلِكْ! فقال الآخر: أيعجبك قول العنري<sup>(٥)</sup>:

لَوْ حُزَّ بِالسِّيفِ رَأْسِي فِي مَوَدَّتِهَا  
لَمَرَّ يَهْوِي سَرِيعًا نَحْوَهَا رَأْسِي  
وَلَوْ بَلَى تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى جَسَدِي  
لَكُنْتُ أَبْلَى وَمَا قَلْبِي لَكُمْ نَاسِي

(١) في الديوان: «وَذُو الْقَلْبِ الْمُصَابِ وَلَوْ تَعَزَّى».

(٢) الخُلَّةُ: الصديقة. أعرضت عنها: هجرتها، صَدَدْتُ عَنْهَا. الضنين: البخيل. والقلى: البغض. وفي الديوان: «من أجلكم وكنت بها ضنينًا».

(٣) في الديوان:

أَرَدْتُ فِرَاقَهَا وَصَبَرْتُ عَنْهَا      وَلَوْ جُنَّ الْفُؤَادُ بِهَا جُؤْنَا

(٤) لم نجد هذه الأبيات في ديوانه.

(٥) نَوَى قُدُفٍ: بعيدة، والنوى: الناحية يُدْهَبُ إِلَيْهَا، يقال: شَطَّتْ بِهِمُ النوى: أمعنوا في البُعْدِ.

(٦) لعله أراد: جميل بن معمر العنري، ولم نجد هذه الأبيات في ديوانه (دار صادر).

أَوْ يَقْبِضَ اللَّهُ رُوحِي صَارَ ذِكْرُكُمْ  
لَوْلَا نَسِمْ لِدِ ذِكْرَانِمْ يُرَوِّحُنِي  
رُوحاً أَعِيشُ بِهِ مَا عِشْتُ فِي النَّاسِ  
لَكُنْتُ مُحْتَرِقاً مِنْ حَرِّ أَنْفَاسِي

فتحرك ثم قال: يا وَيْحَه! أبعد ما يحز رأسه يميل إليه؟

ثم أنشأ يحدثنا، فقال: أتاني خالد الدليل، فقال: إن هنداً وأترابها بموضع كذا وكذا من الصحراء أيام الربيع، فقلت: كيف الحيلة؟ فقال: تَتَكَلَّمُ وَتَكْتَلِمُ<sup>(١)</sup> كأنك طالب ضالة، ففعلت، فدُفِعَت إليهن، فقلن: يا أعرابي، ما تطلب؟ قلت: ضالة لي، فقلن: قد كَلَيْتَ يا أعرابي، فلو جلست فأصبت مِنْ حديثنا وأصبنا من حديثك، ولعلك تروح إلى وجود ضالتك، فترلت؛ فلما امتد الحديث بنا حسرت هِنْدُ لثَامِي، وقالت: أَتَرَكَ خَدَعَتَا؟ نحن والله خَدَعْنَاكَ، وبعثنا إليك خالداً، رأينا خلاءً ومنظراً فَأَرَدْنَاكَ، ونظرت في دِرْعِي فأعجبني ما رَأَيْتَ، فقلت: يا أبا الخطاب! قال عمر: فقلت: لَيْتِكَ، وفي ذلك أقول<sup>(٢)</sup>:

أَلَمْ تَسْأَلِ الْأَطْلَالَ وَالْمُتَرَبَّعَا  
إِلَى السَّرْحِ مِنْ وَادِي الْمَغْمَسِ بُدِّلَتْ  
فَيَخْلُنَ أَوْ يُخِيرَنَّ بِالْعِلْمِ بَعْدَمَا  
لِهِنْدٍ وَأَتْرَابٍ لِهِنْدٍ إِذِ الْهَوَى  
وَإِذْ لَا نَطِيعُ الْعَاذِلِينَ وَلَا نَرَى  
وَإِذْ نَحْنُ مِثْلُ الْمَاءِ كَانَ مِزَاجُهُ  
تُنُوعُنَّ حَتَّى عَاوَدَ الْقَلْبُ خَبْلُهُ  
فَقُلْتُ لِمُطَرِّيهِنَّ بِالْحُسْنِ: إِنَّمَا  
يَبْطِشْنَ حُلِيَّاتِ دَوَارِسَ بَلَقَعَا<sup>(٣)</sup>  
مَعَالِمُهُ وَبَلَا وَنَكَبَاءَ زَعَزَعَا<sup>(٤)</sup>  
نَكَانَ فُؤَاداً كَانَ قِدْماً مُوجَعَا<sup>(٥)</sup>  
جَمِيعٌ وَإِذْ لَمْ نَخْشَ أَنْ يَتَّصِدَّعَا  
لِوَاشٍ لَدَيْنَا يَطْلُبُ الْهَجَرَ مَطْمَعَا  
كَمَا صَفَّقَ السَّاقِي الرِّحِيقَ الْمُشْعَشَعَا  
وَحَتَّى تَذَكَّرْتُ الْحَبِيبَ الْمُودَعَا<sup>(٦)</sup>  
ضَرَرْتَ، فَهَلْ تَسْتَطِيعُ نَفْعاً فَتَنْفَعَا؟

(١) اكتفل الرجل: ركب فوق الكفل، وهو شيء مستدير يتخذ من خرق أو غيرها، ويوضع على سنام البعير.

(٢) عمر بن أبي ربيعة، الديوان: ٢٢/٢.

(٣) حليات: اسم موضع. دوارس: جمع دارس، وقد درس الشيء درساً ودروساً: عفا وذهب أثره، وتقادم عهده. والبلقع: الخالي من كل شيء، يقال: مكان بلقع، وطريق بلقع، والجمع: بلاقع.

(٤) المغمس: موضع قرب مكة في طريق الطائف. النكباء: التي تتكبد عن مهاب الرياح. وريح زعنز: شديدة. وفي الديوان: «إلى الشَّري من...».

(٥) نكأ الجرح: أصابه من جديد. وفي الديوان: «كان قِدْماً مُفْجَعَا».

(٦) الخبل: الجراح، ومنه: وقع فلان في خَبْلِهِ: نَدِمَ وَتَحَيَّرَ، والخبلُ (بضم الخاء): فساد العقل.

وَأَشْرَيْتَ فَاسْتَشْرَى وَقَدْ كَانَ قَدْ صَحَا  
لَيْسَ كَانَ مَا حَدَّثْتُ حَقًّا فَمَا أَرَى  
فَقَالَ: فَقُمِ فَانْظُرِي، فَقُلْتُ: وَكَيْفَ لِي  
فَقَالَ: اكْمِلِي ثُمَّ التَّيْمُ فَأَتِ بَاغِيَا  
فَأَقْبَلْتُ أَهْوَى مِثْلَ مَا قَالَ صَاحِبِي  
فَلَمَّا تَوَافَقْنَا وَسَلَّمْتُ أَقْبَلْتُ  
تَبَاهُنَ بِالْعِرْفَانِ لَمَّا رَأَيْتَنِي  
وَقَرَّبَنَ أَسْبَابَ الْهَوَى لِمُيَمِّمٍ  
فَلَمَّا تَنَازَعَنَ الْأَحَادِيثَ قُلْنَ لِي  
فَبِالْأَمْسِ أَرْسَلْنَا بِذَلِكَ خَالِدًا  
فَمَا جِئْتِنَا إِلَّا عَلَى وَفْقِ مَوْعِدٍ  
رَأَيْنَا خِلَاءَ مَنْ عُبُودٌ وَمَنْظَرًا  
وَقُلْنَ: كَرِيمٌ نَالَ وَصَلَ كَرَامٍ

فُوَادٌ بِأَمْثَالِ الْمَهَا كَانَ مُوَلَعًا<sup>(١)</sup>  
كَمِثْلِ الْأَلَى أَطْرَيْتَ فِي النَّاسِ أَرْبَعًا<sup>(٢)</sup>  
أَخَافُ حَدِيثًا أَنْ يُشَاعَ فَيُشْنَعَا  
فَسَلَّمُ وَلَا تُكْثِرْ بَأْنَ تَوَرَّعَا  
لِمَوْعِدِهِ أَبْغَى قُلُوصًا مُوقَعًا<sup>(٣)</sup>  
وُجُوهَ زَهَاها الْحُسْنُ أَنْ تَتَقَنَّعَا<sup>(٤)</sup>  
وَقُلْنَ: امْرُؤٌ بَاغٍ أَكَلَ وَأَوْضَعَا<sup>(٥)</sup>  
يَقِيرُ ذِرَاعًا كُلَّمَا قَنَّ إِضْبَعَا<sup>(٦)</sup>  
أَخْفَتَ عَلَيْنَا أَنْ نَغَرَّ وَنُخْدَعَا<sup>(٧)</sup>  
إِلَيْكَ، وَيَبَيِّالَهُ الْأَمْرَ أَجْمَعَا  
عَلَى مَلَأَ مِنَّا خَرَجْنَا لَهُ مَعَا  
دَمِثَ الرُّبَى سَهْلَ الْمَحَلَّةِ مُمْرِعَا<sup>(٨)</sup>  
فَحَقَّ لَهُ فِي الْيَوْمِ أَنْ يَتَمَنَّعَا

وقوله: «وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا» يقول: هذه الوجوه مدلة بجمالها فلا تختمر، فتستر شيئاً عن الناظرين إليها. وقد أشار إلى هذا المعنى الشَّمَخُ بن ضَرَّارٍ<sup>(٩)</sup> يصف ناقته:

- (١) أشريته فاستشري: هجته فهاج، وشري الشر: استطار، وشري فلان: غضب وليج، ومثله استشري. وفي الديوان: «كان موزعاً».
- (٢) الإطراء: المبالغة في الثناء.
- (٣) الموقع: البعير تكثر عليه آثار الدبر. وفي الديوان: «أزجي قعوداً موقعاً».
- (٤) في الديوان: «فلما توافقنا وسلمت أشرفت». وتوافقنا: تقابلنا متواجهين. تتقن: تضع القناع.
- (٥) في الديوان: «لَمَّا عَرَفْتَنِي». وأكل وأوضع ناقته: أتعبها.
- (٦) في الديوان: «أسباب الضبا».
- (٧) تنازعنا الأحاديث: تداخلت أحاديثنا ووشجت العلاقة بيننا.
- (٨) الدميث: السهل، وقد دميث المكان وغيره دميثاً: سهل ولان، فهو دميث، وهي دميثة، والجمع: دميث، وقد دميث الرجل دميثةً ودُمُوثَةً: سهل خلُقُهُ، فهو دميث، ويقال: أرض دميثة ودمشاء. والمُمْرِعُ: المخصب.
- (٩) هو الشَّمَخ، معقل بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبياني الغطفاني: شاعر مخضرم، =

كَأَنَّ ذِرَاعَيْهَا ذِرَاعَ مُدِلَّةٍ      بَعِيدَ الشَّابِّ حَاوَلَتْ أَنْ تُعْذِرَا  
مِنَ الْبَيْضِ أَعْطَافًا إِذَا اتَّصَلَتْ دَعَتْ      فِرَاسَ بْنِ غَنَمٍ أَوْ لَقِيطَ بْنِ يَمْثُرَا  
بِهَا شَرَقٌ مِّنْ زَعْفَرَانٍ وَعَنْبَرٍ      أَطَارَتْ مِنَ الْحُسْنِ الرِّدَاءَ الْمُحِبِّرَا<sup>(١)</sup>

### [مَنْ لَا تَرَى سِتْرَ الْوَجْهِ مِنَ النِّسَاءِ، وَاحْتِجَاجُهَا لِذَلِكَ]

قال: وكانت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله لا تَسْتُرُ وجهها، فلما دخلت على مُصْعَبِ بْنِ الزَّيْبِرِ قال لها في ذلك، فقالت: إن الله تعالى وَسَمَنِي بِمِسْمِ جَمَالٍ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ، وَاللَّهِ مَا بِي وَصْمَةٌ أَسْتُرُ لَهَا.

وقال علي بن العباس الرومي يصف قينة<sup>(٢)</sup>:

لَمْ يَعْتَصِمْ عُودُهَا بِزَامِرَةٍ      وَلَا انْضَوَى وَجْهُهَا إِلَى السَّتْرِ

وقد ردد معنى قوله: «لم يعتصم عودها بزامرة» فقال: يصف بدعة الكبيرة<sup>(٣)</sup>:

عَنَّتْ فَلَمْ تُخَوِّجْ إِلَى زَامِرٍ      هَلْ تُخَوِّجُ الشَّمْسُ إِلَى شَمْعَةٍ<sup>(٤)</sup>  
كَأَنَّمَا عَنَّتْ لِشَمْسِ الضُّحَى      فَالْبَسَتْهَا حُسْنَهَا خِلْعَةً  
كَأَنَّمَا رَتَّبَتْ مَسْمُوعَهَا      رِقَّةً شَكْوَى سَبَقَتْ دَمْعَةً  
تُهْدِي إِلَى قَلْبِكَ مَا يَشْتَهِي      كَأَنَّهُمَا قَدْ أَطْلَعَتْ طَلْعَةً

= أدرك الجاهلية والإسلام. عذة الحظيئة أشعر غطفان، وجعله ابن سلام في الطبقة الثالثة، ووصف شعره بالمتانة والجزالة، وهو أشهر الشعراء في وصف الحمر والقوس، وأرجز الناس على بديهة. توفي سنة ٢٢ هـ/٦٤٣ م. (ابن سلام، طبقات الشعراء: ١/١٣٢؛ الأصفهاني، الأغاني: ١٥٤/٩).

(١) الْمُحِبِّرُ: الْمُزِينُ، الْمُتَّقُ.

(٢) ابن الرومي، الديوان: ٢٢/٣. والبيت من قصيدة رثى بها «بستان» المغنية جارية أم علي بنت الرأس.

(٣) ابن الرومي، الديوان: ٣٧/٤ - ١٣٨. والأبيات من قصيدة قالها في بدعة الكبرى، وهي مولاة عريب المغنية، مولاة المأمون. ذكر ابن الأثير أنها ماتت سنة ٣٠٢ هـ/٩١٥ م، وكانت على صلة بإبراهيم بن المديبر (ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٨/٩٠).

(٤) في الديوان: «هل يحوج الصبح إلى شمعه».



يَجْمَعُ الظَّرْفُ لِجَلَّاسِهَا      وَالْحُسْنُ وَالْإِحْسَانُ فِي بَقْعَةٍ  
 طَفَّلَ عَلَى مَنْ حَصَلَتْ عِنْدَهُ      فَبَعْضُ تَطْفِيلِ الْفَتَى رَفْعُهُ<sup>(١)</sup>  
 رَيِّعُ غَيْثٍ فَاتَّجَعَ رَوْضُهُ      فَلَنْ يُعَابَ الْحُرُّ بِالتَّجَعَةِ<sup>(٢)</sup>

### [سُتْرُ الرَّأْسِ لِإِخْفَاءِ الصَّلَعِ]

وكان ابن الرومي لا يزال مُعْتَمِّمًا، وكان يغضب إذا سُئِلَ عن ذلك، وسأله بعض الرؤساء: لِمَ تَعْتَمُّ؟ فقال بديها<sup>(٣)</sup>:

يَأْتِيهَا السَّائِلِي لِإِخْبَرِهِ      عَنِّي لِمَ لَا أَرَاكَ مُعْتَجِرًا<sup>(٤)</sup>  
 أَسْتُرُ شَيْئًا لَوْ كَانَ يُمَكِّنِي      تَعْرِيفُهُ السَّائِلِينَ مَا سُتِرَا

وقد بَيَّنَّ العلة التي أوجبت اهتمامه في قوله<sup>(٥)</sup>:

تَعَمَّمْتُ إِحْصَانًا لِرَأْسِي بُرْهَةً      مِنَ الْقَرِّ يَوْمًا وَالْحَرُورِ إِذَا سَفَعُ<sup>(٦)</sup>  
 فَلَمَّا ذَهَبَ طَوْلُ التَّعَمُّمِ لِمَتِّي      وَأَوْدَى بِهَا بَعْدَ الْإِطَالَةِ وَالْفَرَعُ<sup>(٧)</sup>  
 عَزَمْتُ عَلَى لُبْسِ الْعِمَامَةِ حِيلَةً      لِيَسْتُرَ مَا جَرَّتْ عَلَيَّ مِنَ الصَّلَعِ  
 فَيَا لَكَ مِنْ جَانٍ عَلَيَّ جِنَايَةً      جَعَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ جِنَايَتِهِ الْقَزَعُ  
 وَأَعْجِبْ لَشَيْءٍ كَانَ دَائِي جَعَلْتُهُ      دَوَائِي عَلَى عَمْدٍ وَأَعْجِبْ بَأَنْ نَفَعُ

وهذا كقوليه، وإن لم يكن في معناه، وقد رأيت من ينسبه إلى كُشَاجِمِ<sup>(٨)</sup>:

- (١) التطفيل: غشيان الوليمة من غير دعوة.
- (٢) النجعة: الارتحال في سبيل الكلا.
- (٣) ابن الرومي، الديوان: ٢٣٠/٣.
- (٤) اعتجر الرجل بالعمامة: لَقَّهَا على رأسه وردَّ طرفها على وجهه. وفي الديوان: «لم لا أزال معتجراً».
- (٥) ابن الرومي، الديوان: ١٠٥/٤.
- (٦) سفح الحرور، وسفعت الشَّمُومُ والنَّارُ والشمس وجهه: لفحته لفحاً يسيراً فغَيَّرَتْ لون بشرته وسَوَّدَتْه. وفي الديوان «من القَرِّ طَوْرًا».
- (٧) في الديوان: «بعد الجثالة». وشعر جثل: أسود وافر.
- (٨) ابن الرومي، الديوان: ٤٠٨/١.

طَرَبْتُ إِلَى الْمِرَاةِ فَرَوَّعْتَنِي      طَوَالِعُ شَيْبَتَيْنِ أَلَمَتَا بِي  
فَأَمَّا شَيْبَةٌ فَفَزِعَتْ مِنْهَا      إِلَى الْمِقْرَاضِ حُبًّا لِلتَّصَابِي  
وَأَمَّا شَيْبَةٌ فَصَفَحَتْ عَنْهَا      لِشَهْدِ الْبَرَاءَةِ مِنْ خِصَابِي  
فَأَعْجَبَ بِالذَّلِيلِ عَلَى مَشْيِي      أَقَمْتُ بِهِ الدَّلِيلَ عَلَى شَبَابِي  
وهو القائل في صفة رجل أصلع:

يَجْذِبُ مِنْ نُقْرَتِهِ طُرَّةً      إِلَى مَدَى يَقْصُرُ عَنْ مِثْلِهِ  
فَوَجْهُهُ يَأْخُذُ مِنْ رَأْسِهِ      أَخَذَ نَهَارَ الصَّيْفِ مِنْ لَيْلِهِ  
وقال أعرابي:

قَدْ تَرَكَ الدَّهْرُ صَفَاتِي صَفْصَفًا      فَصَارَ رَأْسِي جَبْهَةً إِلَى الْفَقَا<sup>(١)</sup>  
كَأَنَّهُ قَدْ كَانَ رَيْعًا فَعَفَا

### [من كلام الأعراب]

#### بين سليمان بن عبد الملك وأعرابي

قال أعرابي لسليمان بن عبد الملك: إني أكلمك يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمله، فإن وراءه إن قَبِلْتَهُ ما تحبه، قال: هاتِه يا أعرابي؛ فنحن نَجُودُ بِسَعَةِ الاحتمالِ على مَنْ لَا نَأْمَنُ غَيْبَتَهُ، وَلَا نَرْجُو نَصِيحَتَهُ، وَأَنْتَ الْمَأْمُونُ غَيْبًا، النَّاصِحُ جَبِيًّا<sup>(٢)</sup>. قال: فإني سأطْلِقُ لِسَانِي بِمَا خَرَسْتُ عَنْهُ الْأَلْسُنُ، تَأْدِيَةً لِحَقِّ اللَّهِ تَعَالَى؛ إِنَّهُ قَدْ اكْتَنَفَكَ رِجَالٌ أَسَاءُوا الْاِخْتِيَارَ لَأَنْفُسِهِمْ، وَابْتَاعُوا دُنْيَاكَ بِدِينِهِمْ، وَرِضَاكَ بِسَخَطِ رَبِّهِمْ، وَخَافُوكَ فِي اللَّهِ وَلَمْ يَخَافُوا اللَّهَ فَيْكَ، فَهَمَّ حَرْبٌ لِلْآخِرَةِ، وَسَلَمٌ لِلدُّنْيَا، فَلَا تَأْمَنُ لَهُمْ عَلَى مَا ائْتَمَنَكَ اللَّهُ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَأْلُوا الْأَمَانَةَ تَضْيِيعًا، وَالْأَمَةَ كَسْفًا وَخُسْفًا، وَأَنْتَ مَسْئُولٌ عَمَّا اجْتَرَمُوا، وَلَيْسُوا مَسْئُولِينَ عَمَّا اجْتَرَمْتَ؛ فَلَا تُصْلِحْ دُنْيَاهُمْ بِفَسَادِ آخِرَتِكَ؛ فَإِنْ أَعْظَمَ النَّاسُ عِنْدَ اللَّهِ غَيْبًا مَنْ بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ.

(١) الصفاة: الصخرة، والمراد بها هنا: حال المرء. والصَّفْصَفُ: المستوي من الأرض لا نبات فيه، والفلاة، قال تعالى: ﴿فَيَكْذِبُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ (سورة طه، آية ١٠٦).

(٢) نصح الجيب: كناية عن سلامة الطوية.

فقال سليمان: أما أنت يا أعرابي فقد سللت لسانك وهو سيفُك، قال: أجل يا أمير المؤمنين، لك لا عليك.

### وصف المطر لأعرابي

وروى العتبي عن أبيه عن مولى لعمر بن حريث قال: شخصت إلى سليمان بن عبد الملك، فقبل لي: إنك تردُّ على أفصح العرب، وسيسألك عن المطر، فانظر ما تجيبه، فقلت: ما عندي من الجواب إلا ما عند العامة، فقبل لي: ما ذلك بمُنْعٍ عنده، فلقيني أعرابي فقلت: هل لك في درهمين؟ فقال: إني والله محتاج إليهما، حريص عليهما، فما شأنك؟ فقلت: لو سألك سائل عن هذا المطر بم كنت تجيبه؟ قال: أو يعيا بهذا أحد؟ قلت: نعم، سألك! قال: أتعيأ أن تقول: أصابتنا سماء، عمَد لها الثرى، واتَّصل بها العرى، وقامت منها الغدُر، وأنتك في مثل وِجَار الضَّيْع<sup>(١)</sup>، فكتبتُ الكلام، وأعطيتُه درهمين: فكان هَجِيرَايَ على الرَّاحِلَة<sup>(٢)</sup>؛ فإذا نزلت أقبلت عليه وأمثل نفسي كأنني واقف بين يديه، وقد سلَّمت عليه بالخلافة وهو يسألني عن المطر!

فلما انتهيتُ إليه سألتني فاقتصصتُ الكلام، فكسَّر إحدى عينيه، وقال: إني لأسمع كلاماً ما أنت بأبي عُذْرَتِهِ<sup>(٣)</sup>. قلت: صدقت! وحياتك يا أمير المؤمنين اشتريته بدرهمين! فاستغرب ضحكاً، ثم أحسن صِلتي.

### أعرابي يمدح رجلاً

وقال أعرابي يمدح رجلاً:

حَلِيمٌ مَعَ التَّقْوَى، شَجَاعٌ مَعَ الْجَدَا	نَدِيحِينَ لَا يَنْدَى السَّحَابُ سَكُوبُ
وَيَجْلُو أُمُوراً لَوْ تَصَيَّفْنَ غَيْرُهُ	لَمَاتْ خُفَاتَا أَوْ لَكَادَ يَذُوبُ
شَدِيدُ مَنَاطِ الْقُلُوبِ فِي الْمَوْقِفِ الَّذِي	بِهِ لِقُلُوبِ الْعَالَمِينَ وَجِيبُ <sup>(٤)</sup>

(١) وِجَار الضَّيْع: جحره.

(٢) كان هجيراء على الراحلة: أي لم يزل يكرره وهو سائر.

(٣) أبو عذرتة: صاحبه، والعذرة: البكارة، وهو أبو عذرة هذا الكلام: أي هو أول من نطق به، أو هو من ابتدعه.

(٤) وجيب: خَفَقَانٌ، وَرَجَفَانٌ، واضطرابٌ.

فَتَى هُوَ مِنْ غَيْرِ التَّخْلُقِ مَاجِدٌ      وَمَنْ غَيْرِ تَأْدِيبِ الرِّجَالِ أَدِيبٌ  
وقال بعض المحدثين يمدح:

فَتَى يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ قَبْلَ سُؤَالِهِ      وَيَجْعَلُ دُونَ الْعُذْرِ فَضْلَ التَّكْرِمِ  
أَغْرُ مَتَى تَقْصِدُ بِهِ فَضْلَ حَظِّهِ      تُصِيبُ وَمَتَى تَطْلُبُ بِهِ الْغَنَمَ تَغْنَمِ  
عَلَى رَأْيِهِ يَنْضُمُ مُنْصَدَعُ الصِّفَا      وَيَنْحَلُّ مِنْ عَقْدِ الْعُرَى كُلُّ مُبْرَمِ  
لَهُ عَزْمَةٌ أَغْنَى مِنَ الْجَيْشِ فِي الْوَعَى      وَخَطَرَةٌ رَامَ كَالْحُسَامِ الْمُصَمِّمِ<sup>(١)</sup>

### جملة من كلام أبي الفضل أحمد بن الحسين الهمداني<sup>(٢)</sup> بديع الزمان

وهذا اسم وافق مُسَمَّاه، ولفظ طابق مَعْنَاه، وكلام غَضَّ المكاسر، أُنِيقَ الجواهر، يكادُ الهواء يسرقه لُطْفًا، والهوى يَعْشَقُه ظَرْفًا.

### كيف استوحى صنع المقامات

ولما رأى أبا بكر محمد بن الحسين بن مُرَيْدٍ الأَزْدِي<sup>(٣)</sup> أَغْرَبَ بِأَرْبَعِينَ حَدِيثًا، وَذَكَرَ أَنَّهُ اسْتَنْبَطَهَا مِنْ يَنَابِيعِ صَدْرِهِ، وَاسْتَنْخَبَهَا مِنْ مَعَادِنِ فِكْرِهِ، وَأَبْدَاهَا لِلْأَبْصَارِ وَالْبَصَائِرِ، وَأَهْدَاهَا لِلْأَفْكَارِ وَالضَّمَائِرِ، فِي مَعَارِضِ أَعْجَمِيَّةٍ، وَأَلْفَاظِ حَوْشِيَّةٍ، فَجَاءَ أَكْثَرُ مَا أَظْهَرَ تَبَيُّوْهُ عَنْ قَبُولِهِ الطَّبَاعِ، وَلَا تَرَفُّعَ لَهُ حُجْبَهَا الْأَسْمَاعُ، وَتَوَسَّعَ فِيهَا؛ إِذْ صَرَّفَ أَلْفَاظَهَا وَمَعَانِيَهَا، فِي وَجْهِهِ مُخْتَلَفَةً، وَضُرُوبَ مُتَصَرِّفَةً، عَارِضَهَا بِأَرْبَعِمِائَةِ مَقَامَةٍ فِي الْكُدْيَةِ، تَذُوبَ ظَرْفًا، وَتَقَطَّرَ حُسْنًا، لَا مَنَاسِبَةَ بَيْنَ الْمَقَامَتَيْنِ لَفْظًا وَلَا مَعْنَى، وَعَظَفَ مُسَاجِلَتَهَا، وَوَقَّفَ مَنَاقِلَتَهَا،

(١) عَزَمَ فَلَانُ عَزْمًا، وَعَزِيمًا، وَعَزِيمَةً، وَعَزْمَةً، وَمَعَزِمًا: جَدًّا وَصَبْرًا. وَخَطَرٌ فِي مِثْلِهِ خَطَرًا، وَخَطَرَانَا: اهْتَزَّ وَتَبَخَّرَ. وَالْحُسَامُ الْمُصَمِّمُ: السِّيفُ الْقَاطِعُ يَمُرُّ فِي الْعِظَامِ، وَيَمْضِي فِي الضَّرِيَّةِ.

(٢) هُوَ أَبُو الْفَضْلِ، أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْمَعْرُوفُ بِبَدِيعِ الزَّمَانِ الْهَمْدَانِي: أَدِيبٌ شَاعِرٌ، مُتَعَصِّبٌ لِأَهْلِ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ. انْفَرَدَ بِفَنِّ الْمَقَامَاتِ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ ابْتَدَعَهَا. تَوَفَّى مَسْمُومًا بِـ «هَرَاة» سَنَةِ ٣٩٨ هـ/ ٩٩٨ م.

(عمر كحالة، معجم المؤلفين: ٢٠٩/١).

(٣) هُوَ أَبُو بَكْرٍ، مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُرَيْدٍ بْنِ عَتَاهِيَةِ الْأَزْدِي، الْبَصْرِيُّ: أَدِيبٌ، شَاعِرٌ، لُغَوِيٌّ، نَحْوِيٌّ، نَسَّابَةٌ. وَلَدَ بِالْبَصْرَةِ، وَقَرَأَ عَلَى عِلْمَائِهَا، وَأَقَامَ بِبَغْدَادَ إِلَى أَنْ تَوَفَّى سَنَةَ ٣٢١ هـ/ ٩٣٣ م. مِنْ آثَارِهِ: «الْجُمُهرَةُ فِي اللُّغَةِ»، وَ«اشْتِقَاقُ أَسْمَاءِ الْقَبَائِلِ»، وَ«أَدَبُ الْكَاتِبِ»، وَغَيْرُهَا. (ياقوت الحموي، معجم الأدباء: ١٨/١٢٧).

بين رجلين سَمِيَ أحدهما عيسى بن هشام والآخَرَ أبا الفتح الإسكندري، وجعلهما يتهاديان الدُّرَّ، ويتافئان السَّحَر، في معانٍ تُضَحِّكُ الحزين، وتحرك الرِّصين، يتطَّلَعُ منها كلُّ طريفة، ويؤَوِّقُ منها على كلِّ لطيفة، وربما أفرد أحدهما بالحكاية، وخصَّ أحدهما بالرواية؛ وسأذكر منها ما لا يُخِلُّ طولُه بالشرط المعقود، ولا ينافي حصولُه الغرض المقصود.

### كتاب من البديع لأبي نصر الميكالي

كتب إلى أبي نصر أحمد بن علي الميكالي:

كتابي - أعز الله الأمير! - وبودي أن أكونه، فأسعد به دُونَه، ولكنَّ الحريصَ محروم، لو بلغ الرزق فاه، لَوَلَّاهُ قَفَاه. فَرَّقَ الله بين الأيام، تفریقها بين الكرام، وألهمها أن تورِدَ بعقل، وتُصَلِّرَ بتمييز، وما ذلك على الله بعزيز، وأنا في مفاتحة الأمير، بين ثقة تَعُدُّ، ويَدُ تَرْتَعُدُّ، ولم لا يكونُ ذلك؟ والبحرُ وإن لم أره، فقد سمعتُ خبره، ومن رأى مِنَ السيف أثره، فقد عاين أكثره، والليث وإن لم ألقه، فلم أجهل خلقه، وما وراء ذلك من تالِد أصْلٍ وحَسَب، وطارفِ فَضْلٍ وأدب، ويُعَدُّ همة وصيت، فمعلومُ تَشْهَدُ به الدفاتر، والخبرُ المتواتر، وتنطق به الأشعار، كما تصدق به الآثار، والعين أَقْلُ الحواس إدراكاً، والأذن أكثرها استمساكاً، وإن بعدت الدار فلا ضير؛ إِنَّ أَيْسَرَ البعدين بُعْدُ الدارين، وخيرَ القربين قُرْبُ القلبين.

### ومن البديع إلى الميكالي أيضاً

وكتب إليه في سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة:

الأمير الفاضل، والشيخ الرئيس، رفيعُ مَنَاطِ الهمة، بعيد منال الحرمة، وفسيح مجال الفضل، رَحِيبٌ مُنْخَرِقُ الجود، رطيب مَكْسِرُ العود.

فَلَوْ نَظَّمْتُ الثَّرِيًّا	وَالشُّعْرَيَّينَ قَرِيضًا <sup>(١)</sup>
وَكَاھِلَ الْأَرْضِ ضَرْبًا	وَشِعْبَ رَضْوَى عَرُوضًا
وَصُغْتُ لِلدَّرِّ ضِدًّا	وَلِلَّهِاءِ نَقِيضًا
بَلْ لَوْ جَلَوْتُ عَلَيْهِ	سُودَ النِّوَابِ بِيضًا

(١) الشُّعْرَيَّان: هما: الشُّعْرَى الْعَبُورُ، والشُّعْرَى الْعُمَيْصَاءُ، وهما: كوكبان نيران.

أَوْ ادَّعَيْتُ الثَّرِيَّاءَ      لِأَخْمَصِيهِ حَضِيضًا  
وَالْبَحْرُ عَنْدَ لَهَا      يَوْمَ الْعَطَاءِ مَغِيضًا<sup>(١)</sup>

لما كنت إلا في ذمة القصور، وجانب التقصير، فكيف وأنا قاعدُ الحالة في المدح، قاصرُ الآلة عن الشرح؟ ولكني أقول: الشاء مُنْجَحٌ أُنَى سلك، والسخي جوده بما ملك، وإن لم تكن غُرَّةً لائحة فُلْمَحَةٌ دالة، وإن لم يكن صَدَاءُ فمَاء<sup>(٢)</sup>، وإن لم يكن خمر فخل، وإن لم يُصِبْهَا وابل فطل، وبَدَلُ الموجود غاية الجود، وبعض الجهد آخر المجهود، وماش خير من لاش<sup>(٣)</sup>، ووجود ما قلَّ خيرٌ من عدم ما جَلَّ. وقليل في الجيب خير من كثير في الغيب، وجهد المقل خيرٌ من عذر المخل، وحمار أيس خيرٌ من فرس ليس<sup>(٤)</sup>، وكوخ في العيان خيرٌ من قصر في الوهم. وزيت خير من ليت، وما كان أجود من لو كان، وقد قيل: عصفور في الكف أجودٌ من كركي في الجو، ولأن تقطف خيرٌ من أن تقف<sup>(٥)</sup>، ومن لم يجد الجميم رعى الهشيم<sup>(٦)</sup>، ومن لم يحسن صهيلا نهق، ومن لم يجد ماء تيمم؛ والأمير الرئيس - أدام الله نعماءه! - لا ينظر في قوافي صنيعته إلى ركاكة ألفاظها، ويُعِدُّ أغراضها، ولكن إلى كثرة جذرها<sup>(٧)</sup>، وثقل مهرها، وقلة كفتها، وإنني منذ فارقت قَصَبَةَ جرجان، ووطئت عَتَبَةَ خراسان، ما زففتها إلا إليه، ولا وَفَّقْتُهَا إلا عليه، هذا على تمرغي في أعطاف المحن، وضرورتي إلى أبناء الزمن، وإن كان الأمير الرئيس يرفع لكل لفظ حجاب سمعه، ويُفَسِّحُ لكل شعر فناء طبعه، فهناك من الشر ما ترى، ومن النظم ما يرى:

(١) المَغِيضُ: المكان الذي يغبض فيه الماء، وقد غاض الماء غبضاً، ومَغَاضاً، ومَغِيضاً: نزل في الأرض وغاب فيها.

(٢) صَدَاءُ: ماء يُضْرَبُ به المثل في الحلاوة، يقال: ماءٌ ولا كَصَدَاءِ (الميداني، مجمع الأمثال: ٢٧٧/٢). وقال المفضل: صَدَاءُ: رَكِيَّةٌ لم يكن عندهم ماءٌ أعذب من مائها، وفيها بقول ضرار السعدي:

وَلَأَنِّي وَهَيْسَامِي بِزَيْتَبِ كَالَّذِي      تَطَلَّبَ مِنْ أَحْوَاضِ صَدَاءٍ مَشْرَبًا

(٣) لاش: لا شيء، ويقابله ماش، وهي عبارة مولدة.

(٤) الأيس: القهر. يريد أن حمار الضرورة خير من الفرس المعدوم.

(٥) تقطف: تسير ببطء، ومن أمثالهم: «أَقْطَفُ من أرْبَب»، و«أَقْطَفُ من ثَمَلَةٍ»، و«أَقْطَفُ من فُرَيْخِ الذَّرِّ». (الميداني، مجمع الأمثال: ١٢٩/٢).

(٦) الجميم: الثب الغزير، والهشيم: اليابس، قال تعالى: «فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ» (سورة الكهف، آية ٤٥).

(٧) الجندر: ما تكافأ به المغنية.

أَذْهَبِي الْكَاسَ فَعَرُفُ الْفَجْرِ قَدْ كَادَ يَلُوحُ<sup>(١)</sup>  
فَهُوَ لِلنَّاسِ صَبَاحُ وَلِذِي الرِّأْيِ صَبُوحُ  
وَالَّذِي يَفْرَحُ بِي فِي حُلْبَةِ اللَّهِ وَجَمُوحُ  
فَاسْقِنِيهَا وَالْأَمَانِي لَهَا عَرُفُ يَفُوحُ<sup>(٢)</sup>  
إِنَّ لِإِلَهِائِمْ أَسْرًا رَأَى بِهَا سَوْفَ تَبُوحُ  
لَا يَغُرُّكَ جِسْمٌ صَادَقَ الْحَسَّ وَرُوحُ  
إِنَّمَا نَحْنُ إِلَى الْإِمَامِ جَالٍ نَعْدُو وَنَرُوحُ  
وَيْسُكَ هَذَا الْعَمَرُ تَبْرِيحُ وَهَذَا السُّرُوحُ رِيحُ  
بَيْنَمَا أَنْتَ صَاحِبُ الْجَسَمِ إِذْ أَنْتَ طَرِيحُ  
فَاسْقِنِيهَا مِثْلَ مَا يَذُفُّهُ الدِّيكُ الذَّيْحُ  
قَبْلَ أَنْ يَضْرِبَ فِي الدَّهْرِ بِبِي الْقِدْحُ السَّيْحُ<sup>(٣)</sup>  
إِنَّمَا الدَّهْرُ غُرُورٌ وَلَمَنْ أَضْعَى نَصِيحُ  
وَلِسَانُ الدَّهْرِ بِالْوَعْدِ لِسَوَاعِيهِ فَصِيحُ  
نَسْتَبِيحُ الدَّهْرِ وَالْأَيَّامُ مِنْهَا تَسْتَبِيحُ  
نَحْنُ لَاهُونَ وَآجِبَا لُ الْمُنَايَا لَا تُسْرِيحُ  
يَا غِلَامُ الْكَاسِ فَالْيَا سُنِّ مِنَ النَّاسِ مُرِيحُ  
ضَاعَ مَا نَحْمِيهِ مِنْ أَنْ فُسِنَا وَهُوَ مُبِيحُ  
وَقُنُوعاً فَمَقَامُ الذِّ لُ بِالسُّرْرِ قَبِيحُ  
أَنَا يَا دَهْرُ بَأْنَا إِلَيْكَ شِقُّ وَسَطِيحُ<sup>(٤)</sup>  
وَبِأَبْكَارِ الْقَوَافِي لَا عَلَى كُفٍّ شَجِيحُ

(١) دَهَقَ الْكَاسُ دَهْقًا وَدَهَاقًا: مَلَأَهَا.

(٢) الْعَرُفُ: الرَّائِحَةُ مَطْلَقًا، وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي الطَّبِيعَةِ مِنْهَا.

(٣) السَّيْحُ: وَفِي رِوَايَةٍ: «السَّفِيحُ»، وَهُوَ أَحَدُ ثَلَاثَةِ أَفْدَاحٍ مِنْ أَفْدَاحِ الْمَيْسَرِ لَيْسَتْ تَرِيحُ شَيْئًا، وَثَانِيهَا يُسَمَّى الْوَعْدُ، وَثَالِثُهَا يُسَمَّى الْمَنِيحُ.

(٤) شِقُّ وَسَطِيحُ: كَاهِنَانِ مِنْ كَهَنَانِ الْجَاهِلِيَّةِ، كَانَ يَضْرِبُ بِهِمَا الْمِثْلَ فِي مَعْرِفَةِ الْغَيْبِ.

يَا بَنِي مِيكَالَ وَالْجَو  
شَرْفًا إِنْ مَجَّالَ الْ  
وَعَلَى قَلْبٍ سَنَّا الْمَم  
فَهْنَاكَ الشَّيْءُ الْكَرْ  
وَاللَّيْءُ وَالْخُلُقُ الطَّيِّبُ  
مُرْتَقَى مَجْدٍ يَحَارُ الْ  
أَيْهَذَا الْكِرْمُ الْمَا  
كَانَ هَذَا الْجُودُ مَيَّأً  
دُلَّيْلَاتِي مُزِيحُ  
فَضْلٍ فِيكُمْ لَفْسِيحُ  
سَدُوحِ يَأْتِيكَ الْمَدِيحُ  
فَعُ وَالطَّرْفُ الطُّمُوحُ  
هَرُ وَالْخُلُقُ الصَّيِّحُ  
طَّرْفُ فِيهِ وَيُطِيحُ  
ثُلُ وَالْخُلُقُ السَّجِيحُ<sup>(١)</sup>  
عَادَهُ مِنْكَ الْمَسِيحُ

هذه - أطال الله بقاء الأمير! - هدية الوقت، وَعَفُو الساعة، وَفَيْضُ البديهة، ومسارة القلم، ومسابقة اليد للضم، وجمرات الحدة، وثمرات المدة، ومجاراة خاطر الناظر، ومباراة الطبع للسمع، ومجاذبة الجنان للبيان، والشعر إذا لم تقدمه روية، ولم تنضجه نية، لم يفتح له السمع بابه، ولم يرفع له القلب حجابيه، وإذا لبس الأمير هذه على علاتها رجوت أن يكون بعدها ما هو أَقْن وأَحْس وأَرْصَن، فراهه أيده الله في الوقوف عليها موفقاً إن شاء الله.

### كتاب عتب من البديع إلى الميكالي

وله إليه معاتبه:

لَيْسَ سَاءَتِي أَنْ نِلْتَنِي بِمَسَاءَةٍ لَقَدْ سَرَّنِي أَنَّي خَطَرْتُ بِبَالِكَ

الأمير الفاضل الشيخ الرئيس، أطال الله بقاءه إلى آخر الدعاء، في حال برّه وجفائه مُقْضَل، وفي يَوْمِي إبعاده وإِذْنَانِهِ مُتَطَوَّل. وهنيئاً له من حِمَانَا ما يُحِلُّه، ومن عُرَانَا ما يُحِلُّه، ومن أَعْرَاضِنَا ما يستحلُّه؛ بلغني أنه - أدام الله عزّه! - استزاد صنيعته، وكنت أظنني مجيئاً عليه، مُسَاءً إليه، فإذا أنا في قرارة الذَّنْبِ، وبمِثَابَةِ الْعَثْبِ، وليت شعري أي محذور في العشرة حَضَرْتَهُ، أو مفروض من الخِدمة رَفَضْتَهُ، أو واجب في الزيارة أَهْمَلْتَهُ؟ وهل كنتُ إلا ضيفاً أهداه بلدٌ شاسع، وأداه أَمَلٌ واسع، وحده فضلٌ وإن قل، وهده رَأْيٌ وإن ضل، ثم لم يُلقِ إلّا في آلِ مِيكَالَ رَحْلَهُ، ولم يَصِلْ إلّا بهم حَبْلَهُ، ولم يَنْظِمْ إلّا فيهم

(١) الْخُلُقُ السَّجِيحُ: السهل.



شِعْرَهُ، وَلَمْ يَقِفْ إِلَّا عَلَيْهِمْ شُكْرَهُ؛ ثُمَّ مَا بَعُدَتْ صَحْبَةُ إِلَّا دَنَتْ مَهَانَةً، وَلَا زَادَتْ حُرْمَةً إِلَّا نَقَصَتْ صِبَايَةَ، وَلَا تَضَاعَفَتْ مِنْهُ إِلَّا تَرَاجَعَتْ مَنَزَلَةٌ، وَلَمْ تَزَلِ الضَّعْفَةُ بِنَا حَتَّى صَارَ وَابِلُ الإِعْظَامِ قَطْرَةً، وَعَادَ قَمِيصُ الْقِيَامِ صُدْرَةً، وَذَلِكَ التَّقَرُّبُ أَزْوَارًا، وَطَوِيلُ السَّلَامِ اخْتِصَارًا، وَالْإِهْتِرَازُ إِيْمَاءً، وَالْعِبَارَةُ إِشَارَةً؛ وَحِينَ عَاتَبَتْهُ أَمَلُ إِعْتَابِهِ، وَكَاتَبَتْهُ أَنْتَظَرُ جَوَابِهِ، وَسَأَلَتْهُ أَرْجُو إِيْجَابِهِ، أَجَابَ بِالسَّكُوتِ، وَأَعْتَبَ بِالْقُنُوتِ، فَمَا أَزْدَدَتْ إِلَّا لَهُ وَلَاءً، وَعَلَيْهِ ثَنَاءٌ؛ لَا جَرَمَ إِنِّي الْيَوْمَ أَبْيَضُ وَجْهَ الْعَهْدِ، وَاضْهِحَ مُحَجَّةَ الْوُدِّ، طَوِيلُ عِتَانِ الْقَوْلِ، رَفِيعَ حِكْمَةِ الْعُدْرِ؛ وَقَدْ حَمَلْتُ فَلَانًا مِنَ الرِّسَالَةِ مَا تَجَافَى عَنْهُ الْقَلَمُ؛ وَالْأَمِيرُ الرَّئِيسُ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ يُنْعِمُ بِالْإِصْغَاءِ لَمَّا يُوْرِدُهُ مَوْفَقًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

### كتاب عتاب من البديع إلى الميكالي أيضاً

وله إليه في هذا الباب:

أَنَا فِي خِدْمَةِ الْأَمِيرِ الرَّئِيسِ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ! - مُتَرْجِّحٌ بَيْنَ أَنْ أَشْرِبَهَا رَنْقَةً<sup>(١)</sup> وَلَا أُسِغُّهَا، وَالْجَلِجُ<sup>(٢)</sup> مِنْهَا مُضْغَةً وَلَا أُجِيزُهَا، وَبَيْنَ أَنْ أَطْوِيَهَا عَلَى عَرَّهَا<sup>(٣)</sup>، وَلَا أُرْتَضِعَ أَخْلَافَ دَرَّهَا.

فَلَا نَفْسِي تُطَاوِعُنِي لِرَفْضِ وَلَا هِمَمِي تُسَوِّطُنِي لِخَفْضِ

وَبَقِيَ أَنْ أَقْرِضَهُ بِأَنَامِلِ الْعَتَبِ، وَأَحْشُمُهُ بِالْحَاطِظِ الْعَذْلِ، وَأَعْرِفُهُ أَنِّي مَا أَطْوِي مَسَافَةً مَزَارَ إِلَّا مُتَجَشِّمًا، وَلَا أَطَا عَتَبَةَ دَارٍ إِلَّا مُتَبَرِّمًا؛ وَلَسْتُ كَمَنْ يَسْطُرُ يَدُهُ مُسْتَجْدِيًا، أَوْ يَنْقُلُ قَدَمَهُ مُسْتَعْدِيًا؛ فَإِنْ كَانَ الْأَمِيرُ الرَّئِيسُ - أَيَّدَهُ اللَّهُ! - يَسْرَحُ طَرْفَهُ مِنِّي فِي طَامَحٍ أَوْ طَامَعٍ، فَلْيَعِدْ لِلْفِرَاسَةِ نَظْرًا.

فَمَا الْفَقْرُ مِنْ أَرْضِ الْعَشِيرَةِ سَاقِنِي إِلَيْكَ، وَلَكِنَّا بِقُرْبَاكَ نَنْجَحُ

وَأَجِدُنِي كُلَّمَا اسْتَفْرَنْيَ الشُّوقُ إِلَى تِلْكَ الْمَحَاسِنِ، أَطِيرُ إِلَيْهَا بِجَنَاحَيْنِ عَجَلَا، وَأَرْجِعُ بِعَرَجَاوَيْنِ خَجَلًا، وَلَوْ لَا أَنَّ الرِّضَا بِذَلِكَ ضَرْبٌ مِنْ سَقُوطِ الْهَمَّةِ، وَأَنَّ الْعِتَابَ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْخِدْمَةِ، لَصُنْتُ مَجْلِسَهُ عَنْ قَلَمِي، كَمَا أَصُونَهُ عَنْ قَدَمِي، وَلَمِلْتُ إِلَى أَرْضِ الدَّعَاءِ فَهُوَ أَنْجَعُ، وَإِلَى جَانِبِ الشَّاءِ فَهُوَ أَوْسَعُ، وَسَأَفْعَلُ لِتَخَفِ مَوْئِنِي، وَلَا تَثْقُلَ وَطْأَتِي:

(١) الرَنْقَةُ: الماء القليل الكدير يبقى في الحوض، ويقال: صار الماء رَنْقَةً: غلب عليه الطين.

(٢) لَجْلَجَ الشَّيْءُ فِي فِيهِ: أَدَارَهُ لِلْمَضْغِ.

(٣) الْعَرُّ وَالْعُرُّ وَالْعُرَّةُ: الْجَرَبُ.

إِذَا مَا عَتَبْتُ فَلَمْ تُعْتَبِ      وَهُنْتُ عَلَيْكَ فَلَمْ تُعْنِ بِي<sup>(١)</sup>  
 سَلَوْتُ، وَلَوْ كَانَ مَاءَ الْحَيَاةِ      لَعَفْتُ الْوُرُودَ وَلَمْ أَشْرَبِ

### قطعة من مفردات الأبيات لأهل العصر في معان شتى

#### تجري مجرى الأمثال

##### لأبي فراس

أبو فراس الحمداني<sup>(٢)</sup>:

إِذَا كَانَ غَيْرُ اللَّهِ لِلْمَرْءِ غُدَّةً      أَتَتْهُ الرِّزَايَا مِنْ وُجُوهِ الْمَكَابِ<sup>(٣)</sup>  
 وله<sup>(٤)</sup>:

عَفَاكَ عَيٍّ، إِنَّمَا عَفَّةُ الْفَتَى      إِذَا عَفَّ عَنْ لَذَاتِهِ وَهُوَ قَادِرٌ

##### للمتنبي

وقال المتنبي<sup>(٥)</sup>:

كُلُّ حِلْمٍ أَتَى بِغَيْرِ اقْتِدَارٍ      حُجَّةٌ لِأَجْسَى إِلَيْهَا اللَّثَامُ<sup>(٦)</sup>  
 وله<sup>(٦)</sup>:

وَإِذَا كَانَتْ النُّفُوسُ كِبَاراً      تَعَبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ

(١) أعتبه: أزال عتبه.

(٢) هو أبو فراس، الحارث بن سعيد بن حمدان بن حمدون الحمداني: أمير، شاعر، فارس. تقلد «منبج» و «حران» وأعمالهما. أسره الروم مدة طويلة، وعُرف شعره في الأسر بـ «الروميات». كان الصاحب بن عباد يقول: «يُدَى الشعر بملك، وَخُتِمَ بملك» يعني امرأ القيس وأبا فراس. توفي سنة ٣٥٧ هـ/٩٦٨ م. (التعالي، يتيمة الدهر: ١/٥٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ١١/٢٩٧).

(٣) الرزايا: أجمع رزية، وهي المصيبة، ولم نجد هذا البيت في ديوانه.

(٤) أبو فراس، الديوان: ١٠٤. وفيه: «عَفَاكَ عَيٍّ».

(٥) ديوانه: ٣٠٨/١، يقول: إن الحلم الذي لا يصدر عن مقدرة لا يُسَمَّى حلمًا، وإنما هو حجة يحتاج بها اللثام سترًا لعجزهم.

(٦) ديوانه: ١٠/٢. يقول: إذا كانت النفوس كبيرة تطلب عظام الأمور، تعبت الأجسام في تحصيل مرادها، لما يقتضيه من المشقة وركوب الأهوال.

وله<sup>(١)</sup>:

وَإِذَا أَتَيْتُكَ مَذْمُومِي مِنْ نَاقِصٍ      فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلٌ

وله<sup>(٢)</sup>:

لَا يُعْجِبُنِي مَضِيمًا حُسْنُ بِرِّتِهِ      وَهَلْ تَرُوقُ دَفِينًا جَوْدَةُ الْكَفَنِ؟

وله<sup>(٣)</sup>:

مَنْ أَطَاقَ التَّمَّاسَ شَيْءٌ غَلَابًا      وَاعْتَصَابًا لَمْ يَلْتَمِسْهُ سُؤَالًا

وله<sup>(٤)</sup>:

وَالظُّلْمُ مِنْ شَيْمِ النُّفُوسِ، فَإِنْ تَجِدْ      ذَا عِفَّةٍ فَلِعَلَّةٍ لَا يَظْلِمُ

وله<sup>(٥)</sup>:

مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَعْجَبُهُ      أَنِّي بِمَا أَنَا بِكَ مِنْهُ مُحْسُودٌ

وله<sup>(٦)</sup>:

ذَكَرُ الْفَتَى عُمْرُهُ الثَّانِي، وَحَاجَتُهُ      مَا قَاتَهُ، وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ

والمتمني أكثر المحدثين افتناناً وإحساناً في الإغراب بهذا الباب؛ والاستقصاء يخرج عن شرط الكتاب.

(١) المتمني، الديوان: ٣٣٢/١.

(٢) نفسه: ٣١٧/١. والمضيم: المظلوم. والبزة: اللباس. وراقه الشيء: أعجبه. يقول: لا ينبغي له أن يفرح بذلك على ما هو فيه من الذل، فإنه كالميت الذي عليه أكفان حسنة.

(٣) المتمني، الديوان: ٢٠٢/٢. غلاباً: مغالبة. يقول: من استطاع أن ينال حاجته بالقهر والغلبة، لم يتكلف أن ينالها بلين السؤال وذلك الامتنان.

(٤) المتمني، الديوان: ٣٩/١. والشيم: الطباع. يقول: نفوس الناس مطبوعة على الظلم، فإن وجدت فيهم من يعف عنه فليسب كالعجز والخوف ونحوهما.

(٥) المتمني، الديوان: ٣٢٦/٢. وفيه: «بما أنا شاك منه». يقول: أعجب ما لقيت من الدنيا أن الناس يحسدوني على علاقتي بكافور، وهو علة شكواي.

(٦) المتمني، الديوان: ٣٠٧/٢. يقول: إذا بقي ذكر الإنسان بعد موته، فذلك بمنزلة حياة ثانية له، وحاجة الإنسان في حياته قدر القوت، وما فضل عنه، فهو شغل له لا حاجة إليه ولا منفعة فيه.

### للسري الرفاء

وقال السري الموصلي<sup>(١)</sup>:

خُذُوا مِنَ الْعَيْشِ فِالْأَعْمَارِ فَاتَّةٌ      وَالْدَهْرُ مُنْصَرِّمٌ وَالْعَيْشُ مُنْقَرِضٌ  
وله:

فَإِنَّكَ كُلَّمَا اسْتُودِعْتَ سِرًّا      أَنْتُمْ مِنَ السَّيِّمِ عَلَى الرِّيَاضِ<sup>(٢)</sup>

### للسابي

وقال أبو إسحاق الصابي<sup>(٣)</sup>:

الضَّبُّ وَالنُّونُ قَدْ يُرْجَى التِّقَاؤُهُمَا      وَلَيْسَ يُرْجَى التِّقَاءُ اللَّبِّ وَالذَّهَبِ<sup>(٤)</sup>

### لابن نباتة

وقال ابن نباتة<sup>(٥)</sup>:

مَثَلٌ خَلَعْتُ عَلَى الزَّمَانِ رِدَاءَهُ      عَوَزَ الدَّرَاهِمِ آفَسَةُ الْأَجْوَادِ

(١) هو أبو الحسن، السري بن أحمد بن السري الكندي الموصلي: شاعر، كان في صباه يرفو ويطرز في دكان بالموصل، فعرّف بالرفاء. أقام مدة عند سيف الدولة ومدحه، ومدح الوزير المهلبى ببغداد. توفي سنة ٣٦٦ هـ/ ٩٧٦ م. (البغدادى، تاريخ بغداد: ٩/ ١٩٤؛ الثعالى، يتيمة الدهر: ١٣٧/٢).

(٢) أَنْتُمْ: أكثر نَمَاءً، وقد نَمَّ الحديث: سعى به، ونَمَّ بين القوم: حَرَّشَ، ونَمَّ الشيء: انتشرت رائحته.

(٣) هو أبو إسحاق، إبراهيم بن هلال بن هرون الصابي الحراني: كاتب، شاعر، بليغ. خدم الخلفاء والوزراء، وتقلّد جليل الأعمال. وكان متشدداً في دينه، ولم يهده الله تعالى إلى الإسلام. توفي ببغداد سنة ٣٨٤ هـ/ ٩٩٤ م. (الثعالى، يتيمة الدهر: ٢/ ٢٨٧؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء: ٢٠/ ٩٤).

(٤) الضَّبُّ: حيوان من الزواحف، غليظ الجسم خشنة، وله ذَنْبٌ عريض حَرَّشَ أعقد، يكثر في صحارى الأقطار العربية. والنون: الحوت. واللَّبُّ: العقل.

(٥) هو أبو نصر، عبد العزيز بن عمر بن نباتة التميمي السعدي: شاعر مجيد، جمع بين حسن السبك وجودة المعنى. طاف في البلاد ومدح الملوك والوزراء، وله في سيف الدولة الحمداني غرّ القصائد. توفي ببغداد سنة ٤٠٥ هـ/ ١٠١٥ م. (ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٣/ ١٩٠).

وله:

يَهْوَى الثَّاءَ مُرَّرٌ وَمُقَصَّرٌ حُبُّ الثَّاءِ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ

### للسلامي

وقال أبو الحسن السَّلامي<sup>(١)</sup>:

تَبَسَّطْنَا عَلَى اللَّذَاتِ لَمَّا رَأَيْنَا الْعُقُورَ مِنْ ثَمَرِ الذُّنُوبِ

### لابن لنك

وقال ابن لَنَكِّ البَصْرِي<sup>(٢)</sup>:

وَمَاذَا أَرْجِي مِنْ حَيَاةٍ تَكَلَّرَتْ وَلَوْ قَدْ صَفَتْ كَانَتْ كَأَحْلَامِ نَائِمٍ

### للمأموني

وقال أبو طالب المأموني:

لِي فِي ضَمِيرِ الدَّهْرِ سِرٌّ كَامِنٌ لَا بُدَّ أَنْ تَسْتَلْسَهُ الْأَقْدَارُ

### لابن العميد

وقال أبو الفضل بن العميد<sup>(٣)</sup>:

(١) هو أبو الحسن، محمد بن عبد الله بن محمد، من بني الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم: شاعر مطبوع محسن، ولد بالكرك، ونشأ في مدينة السلام فعرف بالسَّلامي وبالبغدادي. توفي سنة ٣٩٣ هـ/١٠٠٣ م. (الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٢/٣٣٥؛ الصفيدي، الوافي بالوفيات: ٣/٣١٧).

(٢) هو أبو الحسن، محمد بن محمد بن جعفر المعروف بابن لَنَكِّ البصري: شاعر واضح المعاني، متين التركيب. كان معاصراً للمنتهي، فحمل ذكره، وكسده شعره. وكانت وفاته بين ٣٦٠ - ٣٦٢ هـ/٩٧٠ - ٩٧٢ م. (الثعالبي، يتيمة الدهر: ٢/٣٢٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٨/٢٤٤).

(٣) هو أبو الفضل، محمد بن العميد: ناثر، شاعر، ولكنه شهرٌ بالنثر، وفاق أقرانه حتى قيل: بُدِثَتِ الكتابةُ بعبد الحميد، وَخُتِمَتْ بابن العميد. توفي سنة ٣٦٠ هـ/٩٧٠ م. (أبو حيان التوحيد، أخلاق الصاحب بن عباد وابن العميد (دراسة كاملة)؛ الثعالبي، يتيمة الدهر: ٣/١٨٣؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب: ٣/٣١).

الرُّأْيُ يَصْدَأُ كَالْحُصَامِ لِعَارِضٍ يَطْرَأُ عَلَيْهِ وَصَفْلُهُ التَّذْكِيرُ

### لأبي الفتح بن العميد

وقال أبو الفتح<sup>(١)</sup>:

بَطَرْتُمْ فَطَرْتُمْ وَالْعَصَا زَجْرٌ مِّنْ عَصَى وَتَقْوِيمٌ عَبْدُ الْهُونِ بِالْهُونِ رَادِعٌ

وله:

إِذَا بَلَغَ الْمَرْءُ أَمَالَهُ فَلَيْسَ لَهُ بَعْدَهَا مُقْتَرَحٌ

### لابن عباد

وقال صاحب إسماعيل بن عباد:

إِنْ أُمَّ الصَّمْفِ فِي الْوُدِّ دَلِمَةٌ لَّاتٌ نَسْرُورُ<sup>(٢)</sup>

وله:

مَنْ لَمْ يُعْذِنَا إِذَا مَرِضْنَا إِنْ مَاتَ لَمْ نَشْهَدْ الْجَنَازَةَ

وله:

حِفْظُ اللِّسَانِ رَاحَةُ الْإِنْسَانِ فَاحْفَظْهُ حِفْظَ الشُّكْرِ لِإِحْسَانِ

### للنَّاشِئِ

وقال إسماعيل النَّاشِئُ:

وَكُنْتُ أَرَى أَنَّ النِّجَارَ عُدَّةٌ فَخَانَتْ ثِقَاتُ النَّاسِ حَتَّى التَّجَارِبُ

(١) هو أبو الفتح، علي بن محمد بن العميد: ناثر، شاعر، جمع تدبير السيف والقلم لركن الدولة، فلقب بـ «ذي الكفايتين». وكان أبو بكر الخوارزمي يدعوه «القمغدي» لأنه كان قمي المولد، بغدادي المنشأ. سُجِنَ فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِهِ وَعُذِّبَ حَتَّى مَاتَ سَنَةَ ٣٦٦ هـ/ ٩٧٧ م. (الثعالبي، يتيمة الدهر: ٢١٥/٣).

(٢) المقولات: التي لا يعيش لها ولد، أو التي تضع واحداً ثم لا تحمل، والنزور من الإناث: القليلة الولد أو اللين.

### لأبي الفتح البستي

وقال أبو الفتح البستي:

لَا تَرْجُ شَيْئاً خَالِصاً نَفْعُهُ      فَالْعَيْثُ لَا يَخْلُو مِنْ الْعَيْثِ<sup>(١)</sup>

وله:

وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الشُّكْرِ جَنَّةَ غَارِسٍ      وَلَا مِثْلَ حُسْنِ الصَّبْرِ جُبَّةَ لَابِسٍ

وله:

وَطَوَّلُ مَقَامِ الْمَاءِ فِي مُسْتَقَرِّهِ      يُعَيِّرُهُ رِيحاً وَلَوْناً وَمَطْعَمَا

وله:

مَا اسْتَقَامَتْ قَنَاءُ رَأْيِي إِلَّا      بَعْدَ مَا عَوَّجَ الْمَشِيبُ قَنَاتِي

### للميكالي

وقال أبو الفضل الميكالي:

هُوَ الشُّوكُ لَا يُعْطِيكَ وَافِرَ مِثَّةٍ      يَدُ الدَّهْرِ إِلَّا حِينَ تَضْرِبُهُ جَلْدَا

وله:

ذُو الْفَضْلِ لَا يَسْلَمُ مِنْ قَذَحٍ      وَإِنْ غَدَا أَقْوَمَ مِنْ قِذْحٍ

### لشمس المعالي

وقال شمس المعالي:

وَفِي السَّمَاءِ نُجُومٌ مَا لَهَا عَدَدٌ      وَلَيْسَ يُكْشَفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

هذا مأخوذ من قول الطائي:

إِنَّ الرِّيحَ إِذَا مَا اسْتَعْصَفَتْ قَصَفَتْ      عِيدَانِ تَجْدٍ فَلَمْ يَعْبَأَنَّ بِالرَّتَمِ<sup>(٢)</sup>

(١) العَيْثُ: الإفساد.

(٢) الرتم: نبت ضعيف.

بَنَاتُ نَعِيشٍ وَنَعِيشٌ لَا كُوفَ لَهَا وَالشَّمْسُ وَالْبَدْرُ مِنْهَا الدَّهْرُ فِي الرَّقْمِ

### للجرجاني

وقال أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي<sup>(١)</sup>:

الْهَجْرُ أَرْوَحُ مَنْ وَضِلَ عَلَى حَذَرٍ وَالْمَوْتُ أَطْيَبُ مَنْ عَيْشَ عَلَى غَرَرٍ

### للخوارزمي

وقال أبو بكر الخوارزمي<sup>(٢)</sup>:

لَا تَغُرَّنْكَ هَذِهِ الْأَوْجُهُ الْغُـرُفِيَّارُ رَبِّ حَيَّةٍ فِي رِيَاضِ

[من تبطره النعمة لم يؤسف على زوالها عنه]

### بين أبي العيناء وابن فرخان شاه

قال أبو العيناء<sup>(٣)</sup>: كان عيسى بن فرخان شاه يتيه علي في ولايته الوزارة، فلما صُرف رهبني، فلقيني فسلم علي فأخفى. فقلت لغلامي: مَنْ هذا؟ قال: أبو موسى؛ فدنوت منه وقلت: أعزك الله، والله لقد كنتُ أُنْعِمُ بإيمانك دون بِيَانِكَ، وَبِلَحْظِكَ دُونَ لَفْظِكَ، فالحمد لله على ما آلت إليه خالك، فلئن كانت أخطأت فيك النعمة، فلقد أصابت فيك الثَّمَنَةُ، ولئن كانت الدنيا أَبَدَتْ مَقَابِحَهَا بِالْإِقْبَالِ عَلَيْكَ، لقد أظهرت محاسنها بالانصرافِ عنك، وَلِلَّهِ

(١) هو أبو الحسن، علي بن عبد العزيز الجرجاني: قاضٍ، وإمام فاضل، وشاعر، ونائر، وفقه، ومتكلم. ولد بجرجان، وتطوَّف في البلاد، وكان على صلة وثيقة بالصاحب بن عباد. توفي وهو قاضي القضاة في الري سنة ٣٩٣ هـ/١٠٠٣ م، ودفن بجرجان. (فروخ، تاريخ الأدب العربي: ٥٨٥/٢).

(٢) هو أبو بكر، محمد بن العباس الخوارزمي: أديب، شاعر، نائر، لغوي، وعالم بأخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم. ولد في خوارزم، وتوفي في نيسابور سنة ٣٨٢ هـ/٩٩٣ م. (ابن العماد، شذرات الذهب: ١٠٥/٣).

(٣) هو أبو عبد الله، محمد بن القاسم بن خَلَاد بن ياسر بن سليمان اليمامي، مولى بني هاشم من بني العباس: أديب، فصيح، بليغ، إخباري، وآية في الظرف والذكاء وسرعة الجواب واللسن. ولقب بأبي العيناء لأنه قال لأبي زيد الأنصاري: كيف تصغر عيناً؟ فقال: عيناً يا أبا العيناء، فبقي عليه. (ابن خلكان، وفیات الأعيان: ٣٤٣/٤؛ فروخ، تاريخ الأدب العربي: ٣٣٨/٢).



الْمِنَّةُ إِذْ أَغْنَانَا عَنِ الْكَذِبِ عَلَيْكَ، وَنَزَّهَنَا عَنْ قَوْلِ الزُّورِ فِيكَ، فَقَدْ وَاللَّهِ أَسَاتَ حَمَلَ النِّعَمِ،  
وَمَا شَكَرْتَ حَقَّ الْمُنْعَمِ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ؛ لَقَدْ بَالِغْتَ فِي السَّبِّ، فَمَا كَانَ الذَّنْبُ؟  
قَالَ: سَأَلْتَهُ حَاجَةً أَقْلَ مِنْ قِيَمَتِهِ، فَرَدَّ عَنْهَا بِأَقْبَحَ مِنْ خِلْقَتِهِ.

### بين ابن الرومي وأبي الصقر

وقال علي بن العباس الرومي لأبي الصقر إسماعيل بن بلبل لما نكبه الموفق بن أحمد  
وَأَلَمَ فِي بَعْضِ قَوْلِهِ بِقَوْلِ أَبِي الْعِينَاءِ<sup>(١)</sup>:

لَا زَالَ يَوْمُكَ عِبْرَةً لِعَسَدِكَ	وَبَكَتْ بِشَجْوٍ عَيْنُ ذِي حَسَدِكَ
فَلَيْسُنْ نُكِبَتْ لَطَالَمَا نُكِبَتْ	بِكَ هِمَّةٌ لَجَأَتْ إِلَى سَنَدِكَ
لَوْ تَسْجُدُ الْأَيَّامُ مَا سَجَدَتْ	إِلَّا لِيَوْمٍ فَسَتْ فِي عَضُدِكَ
يَا نِعْمَةً وَلَتْ غَضَارَتُهَا	مَا كَانَ أَقْبَحَ حُسْنَهَا بِيدِكَ
فَلَقَدْ غَدَتْ بَرْدًا عَلَى كَبَدِي	لَمَّا غَدَتْ حَرًّا عَلَى كَبَدِكَ
وَرَأَيْتُ نُعْمَى اللَّهَ زَائِدَةً	لَمَّا اسْتَبَانَ النَّقْصُ فِي عَدَدِكَ
وَلَقَدْ تَمَتَّتْ كُلُّ صَاعِقَةٍ	لَوْ أَنَّهَا صَبَّتْ عَلَى كَتَدِكَ <sup>(٢)</sup>
لَمْ يَتَّقَ لِي مِمَّا بَرَى جَسَدِي	إِلَّا بَقَاءَ الرُّوحِ فِي جَسَدِكَ

وله فيه أهاج كثيرة لما نكب، منها قوله<sup>(٣)</sup>:

خَفَضَ أَبَا الصَّقَرِ فَكَمْ طَائِرٍ	خَرَّ صَرِيحاً بَعْدَ تَحْلِيْقٍ
زُوِّجَتْ نُعْمَى لَمْ تَكُنْ كُفَاهَا	فَصَّانَهَا اللَّهُ بِتَطْلِيْقٍ
لَا قُدْسَتْ نُعْمَى تَسْرِبَلَتْهَا	كَمْ حُجَّةٍ فِيهَا لِزُنْدِيْقٍ <sup>(٤)</sup>

(١) ابن الرومي، الديوان: ٧٦/٥.

(٢) الكَتْدُ: مجمع الكتفين من الإنسان والفرس، أو الكاهل، والجمع: أكتاد وكُتود. وفي الديوان: «على كبَدِكَ».

(٣) ابن الرومي، الديوان: ٢٧٢/٤. وفيه: «صبراً أبا الصقر فكم طائر».

(٤) تَسْرِبَلَتْهَا: لبستها، وهو من تسربل السربال (القميص) إذا لبسه. والزنديق: من يؤمن بالزندقة، وهي القول بأولية العالم، وتطلق على كل شاك أو ضال أو ملحد. يريد: أن النعم التي تربلها هذا الرجل وليس لها بأهل، مما تقوى به حجة الزنادقة في جحود الله.

## مدحه لابن الرومي في أبي الصقر

وكان أبو الصقر لَمَّا ولي الوزارة مَدَحَهُ ابن الرومي بقصيدته النونية التي أولها<sup>(١)</sup>:

أَجْنَيْنَكَ الورد أغصانٌ وكُتُبَانُ      فِيهِنَّ نَعْوَانِ تَفَاحٍ وَرُمَانُ  
وَفَوْقَ ذِيكَ أَعْنَابٌ مُهْدَلَةٌ      سُودٌ لَهُنَّ مِنَ الظُّلُمَاءِ أَلْوَانُ<sup>(٢)</sup>  
وَتَحْتَ هَاتِيكَ عُنَابٌ تَلُوحُ بِهِ      أَطْرَافُهُنَّ قُلُوبُ الْقَوْمِ قِنَوَانُ<sup>(٣)</sup>  
عُصُونُ بَانٍ عَلَيْهَا الزَّهْرُ فَأَكِهَةٌ      وَمَا الْفَوَاكِهُ مِمَّا يَحْمِلُ الْبَانُ  
وَنَرَجِسٌ بَاتَ سَارِي الطَّلِ يَضْرِبُهُ      وَأَفْحَوَانُ مَيِّرُ اللَّيْلِ رِيَانُ  
الْفَنِّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ طَيِّبٍ حَسَنِ      فَهِنَّ فَأَكِهَةٌ شَتَّى وَرِيحَانُ  
ثَمَارِ صِدْقٍ إِذَا عَايَنْتَ ظَاهِرَهَا      لَكِنَّهَا حِينَ تَبْلُو الطَّعْمَ خُطْبَانُ<sup>(٤)</sup>  
وَلَا يَدُمْنَ عَلَى عَهْدٍ لِمُعْتَقِدٍ      وَالْغَانِيَاتُ كَمَا شُبُهْنَ بُسْتَانُ<sup>(٥)</sup>  
يَمِيلُ طَوْرًا بِحِمْلٍ ثُمَّ يَعْدُمُهُ      وَيَكْتَسِي ثُمَّ يُلْفَى وَهُوَ عُزْيَانُ

وهي أكثر من مائتي بيت، مرَّ له فيها إحسانٌ كثير، فأنشدنا أبا الصَّقر، فلما سمع قوله:  
قالوا أبو الصَّقر من شَيِّانٍ قُلْتُ لَهُمْ      كَسَلًا لِعَمْرِي وَلَكِنْ مِنْهُ شَيِّانُ  
قال: هجاني، قيل له: إِنَّ هَذَا مِنْ أَحْسَنِ الْمَدْحِ؛ أَلَا تَسْمَعُ مَا بَعْدَهُ:

وَكَمْ أَبٍ قَدْ عَلَا بِابْنِ ذُرِّي شَرَفٍ      كَمَا عَلَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ عَذْنَانُ  
قال أنا بشيان لا شيان بي. فقليل له فقد قال:

وَلَمْ أَقْصُرْ بِشَيِّانٍ الَّتِي بَلَغَتْ      بِهَا الْمِبَالِغُ أَعْرَاقُ وَأَغْصَانُ  
لَهُ شَيِّانٌ قَوْمٌ لَا يَشُوبُهُمْ      رَوْحٌ إِذَا الرُّوعُ شَابَتْ مِنْهُ وَلَدَانُ

(١) ابن الرومي، الديوان: ١٧٣/٦. وفيه: «أَجَنَّتْ لَكَ الرَّجْدَ».

(٢) مُهْدَلَةٌ: مُتْدَلَّةٌ.

(٣) قِنَوَان: جمع قِنُو: العِدْقُ بما فيه من الرُّطْبِ، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنَوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ (سورة الأنعام، آية ٩٩).

(٤) الْخُطْبَان: نبتة في آخر الحشيش كأنها الهليون، أو أذنان الحيات، وأطرافها رقاق تشبه البفسج، وهي شديدة المرارة، ويقال: أَخْطَبَ الْحَنْظَلُ: اصْفَرَّ وصارت فيه خطوط خضراء.

(٥) في الديوان: «أَتَى وَهْنٌ كَمَا شُبُهْنَ بُسْتَانُ».

فقال: لا والله لا أُثيبه على هذا الشعر، وقد هجاني.

قال أبو بكر محمد بن يحيى الصُّولي<sup>(١)</sup>: كنتُ يوماً عند عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، وقد ذكروا قصيدة ابن الرومي هذه النونية، فقال: هذه دارُ البطيخ، فافرقوا تشبيهاها تعلموا ذلك! فضحك جميع من حضر.

وفي هذه القصيدة يقول من المختار في النسب:

يَا رَبَّ حُسَانَةٍ مِنْهُنَّ قَدْ فَعَلْتُ سَوْءًا، وَقَدْ يَفْعَلُ الْأَسَوَاءُ إِحْسَانُ  
تُشْكِي الْمُحِبَّ وَتُلْفِي الدَّهْرَ شَاكِيَةً كَالْقَوْسِ تُصَيِّ الرَّمَايَا وَهِيَ مِرْنَانُ<sup>(٢)</sup>

وهذا كقوله في قصيدة يصف فيها قوس البُنْدُق<sup>(٣)</sup>:

لَهَا رَنَّةٌ أُولَى بِهَا مَنْ تُصَيِّهُ وَأَجْدَرُ بِالْإِعْوَالِ مَنْ كَانَ مُوجِعًا  
يقول فيها:

لَا تَلْحَيَانِي وَإِيَّاهَا عَلَى ضَرَعِي  
إِنِّي مُلِكْتُ فِيهِ لِلرَّقِّ مَسْكَنَةً  
لِي مُذْ نَأَتْ وَجَنَّةٌ رِيًّا بِمَشْرِبِهَا  
وَزَهْوَهَا، لَجَّ مَقْتُونٌ وَفَتَانٌ  
وَمُلَكْتُ فَلَهَا بِالْمُلْكِ طُغْيَانٌ  
مِنْ عَبَرَتِي وَفَمَّ مَا عِشْتُ ظِمَانٌ

وفيها في مدح بني شيبان:

قَوْمٌ سَمَاحَتُهُمْ عَيْثُ، وَتَجَدُّتُهُمْ  
تَلْقَاهُمْ وَرِمَاحُ الْخَطِّ حَوْلَهُمْ  
غَوِثٌ، وَآرَاؤُهُمْ فِي الْخَطْبِ شُهْبَانٌ  
كَالْأُسَيْدِ أَلْبَسَهَا الْآجَامُ خَفَانُ<sup>(٤)</sup>

(١) هو أبو بكر، محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن العباس بن محمد بن صول تكين: راوية، أديب، لغوي، مُصَنِّفٌ، وله معرفة بالغناء والشرنخ. اتخذه الخلفاء مؤدباً لأبنائهم، و كاتباً ونديماً لهم. توفي بالبصرة سنة ٣٣٥ هـ/ ٩٤٧ م. (الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٤٢٧/٣؛ ابن العماد، شذرات الذهب: ٣٣٩/٢).

(٢) تشكي المُحِب: تحمله بظلمها على الشكاية. تُصَيِّ: تقتل، تهلك، وقد أصمى الرجل الرمية: أنفذ فيها السهم ونحوه، وقد صَمَى الصَّيْدَ ونحوه: أصيب ومات بين يدي صائده. والرمايا: جمع الرمية بمعنى: المرمية. ومرنان: لَذَنَةٌ.

(٣) ابن الرومي، الديوان: ١١٩/٤. وفيه: «لها عَوْلَةٌ».

(٤) خَفَان: أجمة في سواد الكوفة.

صَانُوا النُّفُوسَ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَابْتَذَلُوا  
مِنْهُمْ فِي سُبُلِ الْعِلْيَاءِ مَا صَانُوا  
الْمُنْعَمُونَ وَمَا مَتُّوا عَلَى أَحَدٍ  
يَوْمًا بِنِعْمِي، وَلَوْ مَتُّوا لَمَا مَانُوا<sup>(١)</sup>  
يقول فيها في أبي الصقر:

يَقْدِيهِ مَنْ فِيهِ عَن مِقْدَارِ فِدْيَتِهِ  
عَنِ الْمَفَادَةِ تَقْصِيرٌ وَنُقْصَانٌ  
قَوْمٌ كَأَنَّهُمْ مَوْتَى إِذَا مُدِحُوا  
وَمَا لَهُمْ مِنْ حَيِّرِ الشَّعْرِ أَكْفَانُ<sup>(٢)</sup>  
صَاحِي الطَّبَاعِ إِذَا سَالَتْ هَوَاجِسُهُ  
وَإِنْ سَأَلْتَ يَدَيْهِ فَهَوَ نَشْوَانُ  
يُضْحِيهِ ذَهْنٌ وَبَأْبَى صَحْوُهُ كَرَمٌ  
مُسْتَحْكِمٌ فَهَوَ صَاحٌ وَهُوَ سَكْرَانُ  
فَرَدَّ جَمِيعَ يَرَاهُ كُلُّ ذِي بَصَرٍ  
كَأَنَّهُ النَّاسُ طُرًّا وَهُوَ إِنْسَانُ  
وهذا كقول أبي الطيب<sup>(٣)</sup>:

وَلَقَيْتُ كُلَّ الْفَاضِلِينَ كَأَنَّمَا  
رَدَّ إِلَيْهِ نَفُوسَهُمْ وَالْأَغْصَارُ<sup>(٤)</sup>  
نُسِقُوا لَنَا نَسَقَ الْحِسَابِ مُقَدِّمًا  
وَأَتَى فَذَلِكَ إِذْ أَتَيْتُ مُؤَخَّرًا<sup>(٥)</sup>  
وقد تقدم.

وقال:

فَإِنْ يَكُ سَيَّارُ بْنُ مَكْرَمٍ انْقَضَى  
فَإِنَّكَ مَاءُ الْوَرْدِ إِنْ ذَهَبَ الْوَرْدُ  
مَضَى وَبَنُوهُ وَانْفَرَدَتْ بِفَضْلِهِمْ  
وَأَلْفٌ إِذَا مَا جُمِعَتْ وَاحِدٌ فَرْدُ  
وقال البحتري<sup>(٦)</sup>:

- (١) مان: كذب، فهو مائن وميَّان، يقال: فلان متماين الود: غير صادقه.
- (٢) حَبَرُ الشَّعْرِ وَالْكَلَامِ وَالْخَطِّ: زِينَتُهُ وَتَمَقُّهُ، فهو حبير، ومنه ثوبٌ حبير: ناعم موشى.
- (٣) المتنبى، الديوان: ٣٥١/٢.
- (٤) يقول: لقيت بلقائه كل فاضل من الأولين، لأنه قد جمع فضلهم، فكأنني مُعاصر لهم، وكأن الله قد أحياهم وردَّ عصورهم.
- (٥) نسقوا: سردوا. يقول: إن هؤلاء الفضائل قد تابعوا واحداً بعد آخر متقدمين عليك في الزمان، فلما أتيت بعدهم جمعت ما كان فيهم من الفضائل، فكنت منهم بمنزلة إجمال الحساب الذي تذكر تفاصيله أولاً، ثم تُجمل تلك التفاصيل فيكتب في آخرها، فذلك كذا وكذا.
- (٦) البحتري، الديوان: ٦٥/١. وفيه: «أمثال الرجال تفاوتت... إلى الفضل».

وَلَمْ أَرِ أَمْثَالَ الرِّجَالِ تَفَاوُتاً لَدَى الْمَجْدِ، حَتَّى عُدَّ أَلْفٌ بِوَاحِدٍ

ومدحه وعاتبه بقصائد كثيرة فما أنجحت، فمن ذلك قوله في قصيدة طويلة يمدحه<sup>(١)</sup>:

### لابن الرومي في أبي الصقر أيضاً

فِي وَجْهِهِ رَوْضَةٌ لِلْحَسَنِ مُونِقَةٌ      مَا رَادَ فِي مِثْلِهَا طَرْفٌ وَلَا سَرَحًا<sup>(٢)</sup>  
 طَلُّ الْحَيَاءِ عَلَيْهَا سَاقِطٌ أَبَدًا      كَاللُّؤْلُؤِ الرُّطْبِ لَوْ رَقَرَقَتْهُ سَفْحًا<sup>(٣)</sup>  
 أَنَا الزَّعِيمُ لِمَكْحُولٍ بِخُرَّتِهِ      أَلَّا يَرَى بَعْدَهَا بُؤْسًا وَلَا تَرَحًا  
 مَهْمَا أَتَى النَّاسَ مِنْ طَوْلٍ وَمِنْ كَرَمٍ      فَإِنَّمَا دَخَلُوا الْبَابَ الَّذِي فَتَحَا  
 يُعْطِي الْمَزَاحَ وَيُعْطِي الْجَدَّ حَقَّهُمَا      فَالْمَوْتُ إِنْ جَدَّ، وَالْمَعْرُوفُ إِنْ مَزَحَا  
 وَافَى عُطَارِدَ وَالْمَرِيخَ مَوْلِدُهُ      فَأَعْطِيَاهُ مِنَ الْحَطِّينِ مَا اقْتَرَحَا  
 إِنْ قَالَ: لَا، قَالَهَا لِأَمْرِيهِ بِهَا      وَلَمْ يَقُلْهَا لِمَنْ يَسْتَمْنَحُ الْمِنَحَا  
 فِي كَفِّهِ قَلَمٌ نَاهِيكَ مِنْ قَلَمٍ      نُبْلًا، وَنَاهِيكَ مِنْ كَفِّ بِمَا اتَّشَحَا<sup>(٤)</sup>  
 يَمْحُو وَيُثَبِّتُ أَرْزَاقَ الْعِبَادِ بِهِ      فَمَا الْمَقَادِيرُ إِلَّا مَا مَحَا وَوَحَى<sup>(٥)</sup>  
 كَأَنَّمَا الْقَلَمُ الْعُلُويُّ فِي يَدِهِ      يُجْرِيهِ فِي أَيِّ أَنْحَاءِ الْبِلَادِ نَحَا  
 لَمَّا تَبَسَّمَ عَنْكَ الْمَجْدُ قُلْتَ لَهُ      فَهَقُّهُ فَلَا نَغْلًا تُسْدِي وَلَا قَلْحًا<sup>(٦)</sup>  
 أَتُشِي عَلَيْكَ بِنِعْمَاكَ الَّتِي عَظُمَتْ      وَقَدْ وَجَدْتُ بِهَا فِي الْقَوْلِ مُنْقَسَحَا

(١) ابن الرومي، الديوان: ٣٨/٢.

(٢) راد الشيء وارتاده: طلبه، ورادت الإبل: جالت.

(٣) في الديوان: «عليها واقعٌ أبدًا».

(٤) اتَّشَحَ بسيفه وتوشَّح: تَقَلَّدَ، ومنه: اتشحت المرأة: لبست الوشاح، واتَّشَحَ فلانًا: عانقه.

(٥) وَحَى: كتب، والوحي: الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي، وكل ما أُلْقِيَته إلى غيرك، قال العجاج:

حَتَّى نَحَاهُمْ جَدُّنَا وَالنَّاحِي لِقَسْدَرٍ كَانَ وَحَسَاهُ الْوَاجِسِي

(ابن منظور، اللسان: وحي).

(٦) النَّغْلُ: فساد الجرح، والجلد، والأسنان، والنَّيَّةُ، ومنه: نغل قلبه على فلان ضغن. والقَلْحُ: فساد الأسنان، يقال: قَلَحَتِ السِّنُّ قَلْحًا: تَغَيَّرَتْ بِصَفْرَةٍ وَخَضْرَاءٍ تَعْلُوهَا.

أَمْطِرْ بِذَاكَ جَنَانِي تَكْسُهُ زَهْرًا      أَنْتَ الْمُحِبَّاءُ بِرَبِّاهُ إِذَا نَفَحَا  
أنشدتها على متوالي الاختيار، وكذلك أجري في كثير من الأشعار.

### وله إليه أيضاً

وقال يعاتبه ويستبطنه:

عَقِيدَ النَّدى، أَطْلِقْ مَدَائِحَ جَمَّةً      حَبَائِسَ حَسَرَى قَدْ أَبَتْ أَنْ تُسَرِّحَا  
وَكُنْتَ مَنَى تُشَدُّ مَدِيحاً ظَلْمَتُهُ      يُرَى لَكَ أَهْجَى مَا يُرَى لَكَ أَمْدَحَا  
عَذْرُوكَ لَوْ كَانَتْ سَمَاءً تَقَشَّعَتْ      سَحَابُهَا أَوْ كَانَ رَوْضٌ تَصَوَّحَا<sup>(١)</sup>  
وَلَكِنَهَا سُفِيَا حُسِرِمْتَ رَوِيَّهَا      وَعَارِضُهَا مُلِقِي كَلَاكِلَ جُنَّحَا<sup>(٢)</sup>  
وَأَكْلَاءَ مَعْرُوفٍ حُرِمْتَ مَرِيَعَهَا      وَقَدْ عَادَ مِنْهَا السَّهْلُ وَالْحَزَنُ مَسْرَحَا<sup>(٣)</sup>  
عَرَضْتَ لِأَوْرَادِي وَبَحْرُكَ زَاخِرٌ      فَلَمَّا أَرَدْتَ الْوَرْدَ أَلْفَبْنَ ضَحَضَحَا<sup>(٤)</sup>  
فَلَوْ لَمْ تُرِدْ أَذْوَادَ غَيْرِي غِمَارُهُ      لَقُلْتُ: سَرَابٌ بِالْمِثْنَانِ تَوَضَّحَا<sup>(٥)</sup>

(١) صَوَّحَ النبت وتصَوَّحَ: يَسَّ حَتَّى تَشَقَّقَ.

(٢) الكَلَاكِلُ: الصدور، الواحد: كَلَكَلٌ، ويستعار الكَلَكَلُ لما ليس بجسم كقول امرئ القيس في وصف الليل:

قُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِضُلْبِهِ      وَأَرَدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءً يَكْكَكِلِ  
(ديوانه: ص ٤٨).

وجعل البحري للدهر كَلَكَلًا بقوله:

فَهُوَ يُبْدِي تَجَلُّدًا وَعَلِيهِ      كَلَكَلٌ مِنَ كَلَاكِلِ الدَّهْرِ مُرْسِي  
(ديوانه: ١/ ١٩٣).

(٣) الأَكْلَاءُ: جمع كَلَا: العشب رطبه ويابس، ومنه: كَلَا اللهُ فَلَانًا كَلَاً وَكِلَاءً وَكِلَاءَةً: حفظه. والسَّهْلُ: ما سهل ولان من الأرض، والحزن: ما غلظ منها واشتد. والمَسْرَحُ: مرعى السَّحَرِ، وهو الماشية.

(٤) الضَّحَضُحُ والضَّحَضَاخُ: ماء قليل لا عمق فيه. والضَّحَضُحُ عند الجغرافيين: رمل أو صخر يجتمع قريباً من سطح الماء في بحر أو نهر، وَيُخْشَى مِنْهُ عَلَى الْمَلَاةِ.

(٥) الأَذْوَادُ: جمع ذود، وهو من الإبل من الثلاثة إلى العشرة. وفي المثل: «الذود إلى الذود إبل»، يضرب في اجتماع القليل إلى القليل حتى يؤدي إلى الكثير. (الميداني، معجم الأمثال: ٢٧٧/١).

فِيَا لَكَ بَحْرًا لَمْ أَجِدْ فِيهِ مَشْرَبًا      وَإِنْ كَانَ غَيْرِي وَاجِدًا فِيهِ مَسْبَحًا  
مَدِيحِي عَصَا مُوسَى، وَذَلِكَ أَنِّي      ضَرَبْتُ بِهِ بَحْرَ النَّدَى فَتَضَحَّضَا  
سَأْمَدُحَ بَعْضِ الْبَاخِلِينَ لَعَلَّهُ      إِذَا اطَّرَدَ الْمَقْيَاسُ أَنْ يَتَسَمَّحَا  
فِيَا لَيْتَ شِعْرِي إِنْ ضَرَبْتُ بِهِ الصَّفَا      أَيَبَعْتُ لِي مِنْهُ جَدَاوِلَ مَيْحَا<sup>(١)</sup>  
كَتَلِكَ الَّتِي أَبَدْتُ نَرَى الْأَرْضَ يَابِسًا      وَشَقَقْتُ عَيْونًا فِي الْحَجَارَةِ سُفْحَا<sup>(٢)</sup>  
مَلَكَتْ فَأَسْجِجُ يَا أَبَا الصَّفَرِ إِنَّهُ      إِذَا مَلَكَ الْأَحْرَارَ مِثْلُكَ أَسْجَحَا<sup>(٣)</sup>

وما ضرع إلى أحد هذه الضراعة، ولا في طوقه هذا الاحتمال؛ وهذه الأبيات الأخيرة إنما ولد أكثرها من قول أبي تمام الطائي لمحمد بن عبد الملك الزيات<sup>(٤)</sup>:

فَلَوْ حَارَدَتْ شَوْلٌ عَذَرْتُ لِقَاحَهَا      وَلَكِنْ حُرِمْتُ الدَّرَّ وَالضَّرْعُ حَافِلُ<sup>(٥)</sup>  
أَكَابِرْنَا عَطْفًا عَلَيْنَا؛ فَإِنَّا      بِنَا ظَمًا بَرَحُ وَأَنْتُمْ مَنَاهِلُ  
وفيه يقول<sup>(٦)</sup>:

هَذَا مُقَامِي يَا بَنِي وَائِلِ      مِنْ مُسْتَجِيرٍ بِكُمْ عَائِلِ  
أَشَبَّ فِيهِ الدَّهْرُ أَظْفَارَهُ      وَغَضَبُهُ بِالنَّابِ وَالنَّاجِدِ  
فَأَنْصِبُوا مِنْهُ أَخَا حُرْمَةٍ      لَآذٍ بِكُمْ مِنْهُ مَعَ السَّلَاحِ  
فَمَا أَرَى الدَّهْرَ عَلَى جَوْرِهِ      يَخْرُجُ مِنْ حُكْمِكُمُ النَّافِذِ  
وقال أيضاً<sup>(٧)</sup>:

يَأْيَهَا السَّيْدُ الَّذِي وَهَنْتُ      أَنْصَارُ أَمْوَالِهِ وَلَسَمَ يَهِنُ

(١) الصفا: جمع صَفَاة: الحجر العريض الأملس. وساح الماء ونحوه سَيْحًا، وَسَيْحَانًا: سال وجرى.

(٢) سَفَحَ الدَّمَّ ونحوه سَفُوحًا، وَسَفَحَانًا: انصب، وسفع الدمع والماء: صَبَّهُمَا.

(٣) «مَلَكَتْ فَأَسْجِجُ»: أَحْسَنَ العَفْوَ وَتَكَرَّمَ، وَمِنْهُ: إِذَا سَأَلْتَ فَأَسْجِجْ: سَهَّلَ أَلْفَاظَكَ وَارْفُقْ.

(٤) أبو تمام، الديوان: ٦٠/٢.

(٥) حَارَدَتْ الْإِبِلُ: انْقَطَعَتْ أَلْبَانُهَا أَوْ قَلَّتْ، وَيُقَالُ: حَارَدَتِ السَّنَةُ: قَلَّ مَاؤُهَا وَمَطَرُهَا، وَحَارَدَ الرَّجُلُ: بَخِلَ بَعْدَ جُودٍ. وَالشَّوْلُ: الْبَقِيَّةُ مِنَ اللَّبَنِ فِي الضَّرْعِ. وَحَافِلُ: اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ حِفْلِ الْمَاءِ

وَاللَّبَنِ حِفْلًا: اجْتَمَعَ. وَقَدْ حِفَلَ فَلَانُ اللَّبَنِ فِي الضَّرْعِ، وَالْمَاءُ فِي الْمَكَانِ: جَمَعَهُ.

(٦) ابن الرومي، الديوان: ٣٠٧/٢.

(٧) نفسه: ١٩٨/٦.

فَأَصْمَحَتْ فِي يَدِ الضَّعِيفِ وَذِي الْقُوَّةِ وَالْبَاقِلِيِّ وَاللَّسِينِ<sup>(١)</sup>  
 غَيْرِي - عَلَى أَنِّي مُؤْمَلِكُ الْأَقْدَمِ - سَائِلُ بِذَلِكَ وَامْتَحِنُ  
 مَادِحَ عَشْرِينَ حِجَّةً كَمَلًا مَحْرُومَهَا عَنْكَ غَيْرَ مُضْطَغِنِ  
 فَضْلُكَ أَوْ عَذْلُكَ الَّذِي أَتَمَّنَ الْإِلَهُ عَلَيْهِ أَجَلٌ مُؤْتَمَنِ  
 إِنْ كُنْتَ فِي الشَّعْرِ نَاقِدًا فَطَنَّا فَلْتُعْطِنِي حَقَّ حِصَّةِ الْفَطْنِ  
 وَإِنْ أَكُنْ فِيهِ سَاقِطًا زَمَنًا فَلْتُعْطِنِي حَقَّ حِصَّةِ الزَّمَنِ  
 سِمَ بِي دِيَوَانِكَ الَّذِي عَدَلْتُ جَدْوَاهُ بَيْنَ الصَّحِيحِ وَالضَّمَنِ<sup>(٢)</sup>  
 كَثُرَ بِشَخْصِي مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنَ النَّاسِ فَإِنْ لَمْ أَرْنِكَ لَمْ أَشْنِ  
 مَا حَقُّ مَنْ لَانَ صُلْبُهُ لَكَ بِالْهُدُودِ لِقَاءً بِجَانِبِ خَشَنِ

### لابن الرومي

وقال أبو العباس الرومي لرجل مدحه في كلمة<sup>(٣)</sup>:

أَبْعَدُ لِقَائِي دُونَكَ كُلِّ قَفَرٍ يَدِيقُ الشَّخْصُ فِيهِ أَنْ يُلَاقِي  
 وَإِعْمَالِي إِلَيْكَ بِهِ الْمَطَايَا وَقَدْ ضَرَبَ الظَّلَامُ لَهُ رِوَاقًا<sup>(٤)</sup>  
 وَرَفِضِي النَّوْمَ إِلَّا أَنْ تَرَانِي أَعَانِقُ وَاسِطَ الْكُورِ اعْتِنَاقًا  
 تَسُوقُ بِنَا الْحُدَاةُ فَلَيْسَ تَذِرِي أَسْوَاقًا كَانَ ذَلِكَ أَمَّ سِيَاقًا  
 أَصَادِفُ دِرَّةَ الْمَعْرُوفِ شُكْرِي لَدَيْكَ وَلَا أَذُوقُ لَهَا ذَوَاقًا<sup>(٥)</sup>

(١) صَمَحَتْ فَلَانًا، أَصْمَحُهُ صَمَحًا: إِذَا غَلْظْتُ لَهُ فِي مَسْأَلَةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَصَمَحَهُ بِالْوَطِ صَمَحًا: ضَرَبَهُ. وَالباقلي: نسبة إلى باقل، وهو رجل من إباد، وقيل: من ربيعة، ضرب به المثل في العي فقيل: «أعيان من باقل». وقد بلغ من عيِّه أنه اشترى ظيًّا بأحد عشر درهماً، فمرَّ يقوم فقالوا له:

بكم اشتريت الظي؟ فمدَّ يديه ودلَّعَ لسانه، يريد أحد عشر، فشرد الظي وكان تحت إبطه. (الميداني، مجمع الأمثال: ٤٣/٢).

(٢) الضَّمين: المريض.

(٣) ابن الرومي، الديوان: ٢٧٥/٤.

(٤) أَعْمَلَ الناقة: ساقها وحشَّها على المسير، والبعملة من الإبل، والعاملة: النجبية الْمُعْتَمَلَةُ المطبوعة على العمل، ولا يقال ذلك إلاَّ للأثني. والرواق: طنب فسيح.

(٥) شُكْرِي: ملانة. وفي الديوان: «ضُرَّةُ المعروف»، و«فَوَاقًا».



يقول فيها:

غَدَا يَعْطُو الْجِيَادَ وَكَانَ يَعْطُو - إِذَا مَا اسْتَفْرَه - السَّبْتَ الرَّفَاقَا<sup>(١)</sup>  
أَعْنَتْهَا الشُّسُوعُ فَإِنْ عَرَاهَا - حَفَاءُ الْكَدِّ أَنْعَلَهَا طِرَاقَا<sup>(٢)</sup>  
فَزُوجَ بَعْدَ فَقْرٍ مِنْهُ نَعْمَى - أَرَانِي اللَّهُ صُبْحَتَهَا الطَّلَاقَا

### [ترجمة أبي العيناء وطُرف من أخباره]

#### نسب أبي العيناء

قال أبو القاسم علي بن حمزة بن شمردل: حدثني أبي قال: سألت أبا العيناء عن نسبه، فقال: أنا محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان، وأصل قومي من بني حنيفة من أهل اليمامة، ولحقهم سبأ في أيام المنصور؛ فلما صار ياسر في قيده أعتقه، فولأنا لبني هاشم؛ وكان أبو العيناء ضريع البصر؛ ويقال: إن جده الأكبر لقي علي بن أبي طالب - رضي الله عنه! - فأساء مخاطبته؛ فدعا عليه وعلى ولده بالعمى، فكل من عمي منهم صحيح النسب!

#### بين المتوكل وأبي العيناء

قال الصولي: حدثني أبو العيناء، قال: لما أُدْخِلْتُ على المتوكل فدعوت له وكلمته استحسناً كلامي، وقال لي: بلغني أن فيك شراً! فقلت: يا أمير المؤمنين؛ إن يكن الشرُّ ذكراً المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته فقد زكى الله تعالى وذم، فقال في الترية: ﴿يَعْمُ الْقَبْدَانَةُ أَوَّابٌ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال في الذم: ﴿هَمَزَ مَشْلَمَ بَنِي مِمْزٍ﴾<sup>(٤)</sup> مَنَاعَ لِلْخَيْرِ مَعْتَدِ أُمِيرٍ<sup>(٥)</sup>. وقال الشاعر:

إِذَا لَمْ أَمْدَحْ عَلَى الْخَيْرِ أَهْلَهُ      وَلَمْ أَذْمَعْ الْجِبْسَ اللَّثِيمَ الْمُذْمَمَا<sup>(٥)</sup>

(١) استفره: طلب الفاره القوي من الخيل. والسبب: جلود البقر. يريد أنه يركب الخيل من الدواب.

(٢) الطراق: يقال: طارق الرجل نعلين: خصف إحداهما فوق الأخرى، وجلد النعل: طراقها.

(٣) سورة ص، آية (٤٤).

(٤) سورة القلم، الآيتان (١١ و ١٢).

(٥) الجبس: الدنيا، الجبان، اللثيم، قال البحرني:

صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يُدْنَسُ نَفْسِي      وَتَرَفَعْتُ عَنْ جَدَا كُلِّ جِبْسٍ

(ديوانه: ١٩٠/١)، وجمع الجبس: أَجْبَاسٌ وَجُبُوسٌ. والأجْبَسُ: الضعيف الجبان كالجبس، =

فَقِيمَ عَرَفْتُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ بِاسْمِهِ وَشَقَّ لِي اللَّهُ الْمَسَامَحَ وَالْفَمَا؟

وإن كان الشر كفعل العُقُوبِ التي تُلْسَعُ السَّيِّئُ والدُّنْيَى بِطَبْعٍ لا بتمييز فقد صَانَ اللَّهُ عَبْدَكَ عن ذلك!

فقال لي: بلغني أنك رَافِضِيٌّ، فقلت: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وكيف أكون رافِضِيًّا وبلدي الْبَصْرَةُ وَمَنْشَأِي فِي مَسْجِدِ جَامِعِهَا، وَأَسْتَاذِي الْأَصْمَعِي، وليس يَخْلُو الْقَوْمُ أَنْ يَكُونُوا أَرَادُوا الدِّينَ أَوْ الدُّنْيَا؛ فَإِنْ كَانُوا أَرَادُوا الدِّينَ فَقَدْ أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى تَقْدِيمِ مَنْ أَخْرَوْا، وَتَأْخِيرِ مَنْ قَدَّمُوا، وَإِنْ كَانُوا أَرَادُوا الدُّنْيَا فَأَنْتَ وَأَبَاؤُكَ أَمْرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ، لَا دِينَ إِلَّا بِكَ، وَلَا دُنْيَا إِلَّا مَعَكَ. قال: كيف ترى دَارِي هذه؟ قال: قلت: رأيت الناس بَنَوْا دَوْرَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَأَنْتَ بَنَيْتَ الدُّنْيَا فِي دَارِكَ.

فقال لي: ما تقول في عبيد الله بن يحيى؟ قلت: نِعَمَ الْعَبْدُ لِلَّهِ وَلَكَ؛ مُقَسَّمٌ بَيْنَ طَاعَتِهِ وَخِدْمَتِكَ، يُوَثِّرُ رِضَاكَ عَلَى كُلِّ فَائِدَةٍ، وَمَا عَادَ بِصَلَاحٍ لِمَلِكِكَ عَلَى كُلِّ لَذَةٍ.

قال: فما تقول في صاحب البريد ميمون بن إبراهيم؟ - وكان قد علم أنني واجدٌ عليه بتقصير وَقَعَ مِنْهُ فِي أَمْرِي - فقلت: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، يَدُ تَسْرِقُ وَاسْتُ تَضْرِبُ! وهو مثل اليهودي سرق نصف جِزْيَتِهِ، فَلَهُ إِقْدَامٌ بِمَا أَدَى، وَإِحْجَامٌ بِمَا أَبْقَى، إِسَاءَتُهُ طَبِيعَةٌ، وَإِحْسَانُهُ تَكَلُّفٌ!

قال: قد أَرَدْتُكَ لِمَجَالِسَتِي، قلت: لا أُطِيقُ ذَاكَ، وَمَا أَقُولُ ذَلِكَ جَهْلًا بِمَا لِي فِي هَذَا الْمَجْلِسِ مِنَ الشَّرَفِ، وَلَكِنِّي مُحْجُوبٌ، وَالْمُحْجُوبُ تَخْتَلِفُ عَلَيْهِ الْإِشَارَةُ، وَيَخْفَى عَلَيْهِ الْإِيمَاءُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامِ غَضْبَانٍ وَوَجْهُهُ رَاضٍ أَوْ بِكَلَامِ رَاضٍ وَوَجْهُهُ غَضْبَانٌ، وَمَتَى لَمْ أُمِيزْ بَيْنَ هَذَيْنِ هَلَكْتُ، قال: صدقت، وَلَكِنْ تَلَزَمْنَا، قلت: لَزُومَ الْفَرَضِ الْوَاجِبِ الْإِلَازِمِ، فَوَصَّلْنِي بِعَشْرَةِ آلَافِ دَرَاهِمٍ.

ولأبي العيَّان مع المتوكل مجالس أَدْخَلَ الرُّوَاةَ بَعْضَهَا فِي بَعْضٍ، وَسَأُورِدُ مُسْتَظَرَفَهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ:

قال بشر بن أبي خازم: =  
عَلَى مِثْلِهَا أَتَى الْمَهَالِكَ وَاحِدًا إِذَا خَامَ عَنْ طُولِ الْكَرَى كُلُّ أَجْبَسٍ  
(ديوانه: ١٣٩).

قال له المتوكل يوماً: يا أبا العيناء؛ لا تُكثِرِ الوقعةَ في الناس، قال: إن لي في بَصْرِي لَشُغْلاً عن الوقعة فيهم، قال: ذلك أشدَّ لحيفك في أهلِ العافية!

وقال له يوماً: هل رأيتَ طالبياً حسنَ الوجهِ قطَّ؟ فقال: يا أمير المؤمنين، أرايتَ أحداً قطَّ سألَ ضريباً عن هذا؟ قال: لم تكن ضريباً فيما تقدم، وإنما سألتُك عما سلف، قال: نعم، رأيتُ منهم ببغداد منذ ثلاثين سنة فتى ما رأيتُ أجمل منه، قال المتوكل: تَجِدْهُ كان مؤاجراً، وَتَجِدْكَ كنتَ قَوَّاداً عليه! فقال أبو العيناء: وفرغت لهذا يا أمير المؤمنين، أتراني أدعُ مَوَالِيَّ على كَثَرَتِهِمْ، وأقودُ على الغُرباء؟ قال: اسكت يا مأبُون<sup>(١)</sup>؟ قال: مَوْلَى القوم منهم! قال المتوكل: أردتُ أن أشتني به منهم فاشتتني لهم مني.

وكان أبو العيناء أحدَ الناسِ خاطراً، وأحضرَهم نادرة، وأسرعَهم جواباً، وأبلغَهم خطاباً.

### المتوكل أول من أظهر الانهماك على شهوته

والمتوكلُ أوَّلُ من أظهرَ من خلفاء بني العباس الانهماك على شهوته، وكان أصحابه يتخفون ويستخفون بحضرته، وكان يُهَاتِرُ الجلساء، ويفاخِرُ الرؤساء، وهو مع ذلك من قلوب الناس مُحَبَّبٌ، وإليهم مُقَرَّبٌ؛ إذ أَمَاتَ ما أحياءُ الواقع من إظهار الاعتزال، وإقامة سوق الجدال.

### منزلة أبي العيناء في الكتابة

قال محمد بن مكرم الكاتب: مَنْ زعم أن عبد الحميد أكتبُ من أبي العيناء إذا أحسن بكرم، أو شرع في طمع، فَقَدْ ظلم.

كتب إلى أبي عبيد الله بن سليمان وقد نكبه وأباه المعتمد، وهما يُطالَبَانِ بمال يبيعان له ما يَمْلِكَانِهِ من عَقَارٍ وَأَثَاثٍ وَعَبْدٍ وَأَمَةٍ، وقد أعطى بخادم أسود لعبيد الله خمسون ديناراً:

قد علمت - أَصْلَحَكَ اللَّهُ! - أن الكريمَ المنكوبَ أجراً على الأحرار من اللئيم الموفور؛ لأنَّ اللئيمَ يزيدُ مع التَّعَمُّعِ لُؤْماً، والكريم لا يزيدُ مع المِحْنَةِ إِلَّا كَرَمًا، هذا مُكَلِّفٌ على رازقه، وهذا يُسِيءُ الظَّنَّ بخالقه، وعبدك إلى ملك «كافور» فقيرٌ، وثمرته على ما اتَّصَلَ

(١) المَأْبُونُ: الْمُتَّهَمُ، تقول: أبنتُ الرجلَ ابْنُهُ إذا رميته بقيح، وقذفته بُوءً.

بي يسير؛ لأنه بخدمته السلطان يعرفني الرؤساء والإخوان؛ ولست بواجد ذلك في غيره من الغلمان؛ فإن سمحت به فتلك عادتك، وإن أمرت بأخذ ثمنه فمالك مادتي، أدام الله دولتك، واستقبل بالنعمة نكبتك. فأمر له به.

وسمع ابن مكرم رجلاً يقول: من ذهب بصره قلت حيلته، قال: ما أغفلك عن أبي العيناء!

### من أبي العيناء لعبيد الله بن سليمان

وكتب أبو العيناء إلى عبيد الله بن سليمان: أنا - أعزك الله تعالى! - وولدي وغيالي زرع من زرعك، إن سقيته راع وزكا، وإن جفوته ذبل ودوى؛ وقد مستني منك جفاء بعد بر، وإغفال بعد تعاهد، حتى تكلم عدو، وشمت حاسد، ولعبت بي ظنون رجال كنت بهم لاعبا، ولهم مجرساً<sup>(١)</sup>، ولله در أبي الأسود<sup>(٢)</sup> في قوله:

لا تهني بغد إذ أكرممتني وشديد عادة منتزعه

فوقع في رقعة: أنا - أسعدك الله! - على الحال التي عهدت، وميلي إليك كما علمت، وليس من أنساناه أهملناه، ولا من أخرناه تركناه، مع اقتطاع الشغل لنا، واقتسام زماننا، وكان من حقل علينا أن تذكرنا بنفسك، وتعلمنا أمرك؛ وقد وقعت لك برزق شهرين؛ لتريح غلتك، وتعرفني مبلغ استحقاقك، لأطلق لك باقي أرزاقك، إن شاء الله، والسلام.

وكان إذا خرج من داره يقول: اللهم إني أعوذ بك من الركب والركب، والآجر والخشب، والروايا والقرب.

### قطعة من خطابه وجوابه

#### من أجوبة أبي العيناء

دخل على أبي الصقر بعدما تأخر عنه، فقال: ما أخرَكَ عنا؟ قال: سرق حماري،

(١) كنت لهم مجرساً: كنت أكثر التسميع بهم.

(٢) هو أبو الأسود، ظالم بن عمر بن سفيان بن جندل الدولي، من كنانة: نحوي، فقيه، شاعر، فارس، من سادات التابعين وأعيانهم. سكن البصرة في خلافة عمر بن الخطاب، وشهد مع علي وقعة صفين، وهو أول من وضع علم النحو. عاش فقيراً متهماً بالخل، وتوفي بالبصرة بطاعون الجارف سنة ٦٩ هـ/ ٦٨٨ م. (الأصفهاني، الأغاني: ١٢/ ٣٠١؛ الآمدي، المؤتلف والمختلف: ٢٢٤).

قال: وكيف سُرِق؟ قال: لم أكن مع اللص فأخبرك! قال: فلم تأتينا على غيره؟ قال: قعدت بي عن الشراء قلة يساري، وكرهت ذلة المُكاري، ومنّة العوّاري<sup>(١)</sup>.

وزحمه رجل بالجسر على حمّاره، فضرب يديه على أذني الحمار، وقال: يا فتى، قلّ للحمار الذي فوقك يقول: الطريق!

ودخل على إبراهيم بن المدير، وعنده الفضل بن اليزيدي، وهو يلقي على ابنه مسائل من النحو، فقال: في أي باب هذا؟ قال: في باب الفاعل والمفعول به، قال: هذا بابي وباب الوالدة حفظها الله! فغضب الفضل وانصرف؛ وكان البحري حاضراً فكتب بعد ذلك بقصيدته إلى إبراهيم بن المدير التي أولها<sup>(٢)</sup>:

ذَكَرْتِيكَ رَوْحَةً لِلشُّمُولِ      أَوْقَدْتَ لَوْعَتِي وَهَاجَتْ غَلِيلِي  
أَي شَيْءٍ أَلْهَاكَ عَنْ سُرٍّ مَنْ رَأَى      وَأَظِلُّ لِلْعَيْشِ فِيهَا ظَلِيلِ<sup>(٣)</sup>  
وفيها يقول:

أَفْصَاراً عَلَى أَحَادِيثِ فَضْلِ      وَهُوَ مُشْكِرَةٌ كَثِيرُ الْفُضُولِ  
فَعَلَامَ اضْطَفَيْتَ مُنْكَشِفَ الْبَا      لِ مَعَادِ الْمَخْرَاقِ نَزَرَ الْقَبُولِ<sup>(٤)</sup>  
إِنْ تَزُرُهُ تَجِدْهُ أَخْلَقَ مِنْ شَيْءٍ      سَبِ الْغَوَانِي وَمَنْ تَعْقِي الطُّلُولِ  
مُسْرِجاً مُلْجِماً وَمَا مَتَعَ الصُّبُ      سَحِ ادْلَاجاً لِلشُّحْذِ وَالتَّطْفِيلِ<sup>(٥)</sup>  
غَيْرَ أَنَّ الْمَعْلَمِينَ عَلَى حَا      لِ قَلِيلُو التَّمْيِيزِ ضَعْفَى الْعُقُولِ  
فَإِذَا مَا تَذَاكُرَ النَّاسِ مَعْنَى      مِنْ مَتِينِ الْأَشْعَارِ وَالْمَجْهُولِ  
قَالَ: هَذَا لَنَا وَنَحْنُ كَشَفْنَا      غِيَّهُهُ لِلشُّوَالِ وَالْمَسْئُولِ

(١) العوّاري: جمع عارية: ما يتداوله الناس فيما بينهم من الأشياء، يقال: أعاره الشيء، وأعاره منه، وعاوره إياه. والعارية: منسوبة إلى العارة، وهو اسم من الإعارة، وقال الجوهري: العارية (بالتشديد): كأنها منسوبة إلى العار، لأن طلبها عار وعيب.

(٢) البحري، الديوان: ٢٢٤/٢.

(٣) سُرٍّ من رأى: هي مدينة «سُرٍّ من رأى».

(٤) المخراق: المتصرف في الأمور. النزر: اليسير، القليل. وفي الديوان: «مُنْكَشِفَ الرِّيفِ». والزيف: الغش.

(٥) متع الصبح: ظهر. والشحذ والتطفيل: التسؤل والسؤال.

ضَرَبَ الْأَصْمَعِيُّ فِيهِمْ أَمَ الْأَحْمَرُ — رُ أَمَ أَلْفَحُوا بِأَيْرِ الْخَلِيلِ<sup>(١)</sup>  
جُلُّ مَا عِنْدَهُ التَّرَدُّدُ فِي الْفَا عِلِّ مِنْ وَالِدَيْهِ وَالْمَفْعُولِ

### تعزية أبي العيناء لبعض الأمراء

وَعَزَى بَعْضُ الْأُمَرَاءِ، فَقَالَ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ؛ كَانَ الْعَزَاءُ لَكَ لَا بِكَ، وَالْفَنَاءُ لَنَا لَا لَكَ،  
وَإِذَا كُنْتَ الْبَقِيَّةَ فَالرِّزْيَةُ عَطِيَّةٌ، وَالتَّعْزِيَةُ تَهْنِئَةٌ.

### سؤاله عن مالك بن طوق

وَسُئِلَ أَبُو الْعَيْنَاءِ عَنْ مَالِكِ بْنِ طُوقٍ، فَقَالَ: لَوْ كَانَ فِي زَمَنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَنَزَلَ ذُبْحُ  
الْبَقَرَةِ مَا ذُبِحَ غَيْرُهُ! قِيلَ: فَأَخُوهُ عَمْرُو؟ قَالَ: كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسِبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ  
لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا<sup>(٢)</sup>.

### سؤاله عن موسى بن عبد الملك

وَكَانَ مُوسَى بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ قَدْ اغْتَالَ<sup>(٣)</sup> نَجَاحَ بْنِ سَلَمَةَ فِي شَرَابٍ شَرِبَهُ عِنْدَهُ، فَقَالَ  
الْمَتَوَكِّلُ بَعْدَ ذَلِكَ لِأَبِي الْعَيْنَاءِ: مَا تَقُولُ فِي نَجَاحِ بْنِ سَلَمَةَ؟ قَالَ: مَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فَوَكَرَهُ  
مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ! فَاتَّصَلَ ذَلِكَ بِمُوسَى، فَلَقِيَ الْوَزِيرَ عُيَيْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى بْنِ خَاقَانَ، فَقَالَ:  
أَيُّهَا الْوَزِيرُ، أَرَدْتُ قَتْلِي فَلَمْ تَجِدْ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا إِلَّا بِإِدْخَالِ أَبِي الْعَيْنَاءِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ  
عَدَاوَتِهِ لِي؛ فَعَاتَبَ عُيَيْدُ اللَّهِ أَبَا الْعَيْنَاءِ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا اسْتَعَذَّبْتُ الْوَقِيعَةَ فِيهِ حَتَّى  
ذَمَمْتُ سَرِيرَتَهُ لَكَ؛ فَأَمْسَكَ عَنْهُ.

ثُمَّ دَخَلَ بَعْدَ ذَلِكَ أَبُو الْعَيْنَاءِ عَلَى الْمَتَوَكِّلِ فَقَالَ: كَيْفَ كُنْتَ بَعْدُ؟ قَالَ: فِي أَحْوَالٍ

(١) الأحمر: هو أبو مُحَرِّزٍ، خَلَفَ بَنُ حَيَّانَ الْأَحْمَرُ الْبَصْرِيَّ، مَوْلَى أَبِي بَرْدَةَ بْنِ بِلَالٍ بْنِ أَبِي مُوسَى  
الْأَشْعَرِيِّ: رَاوِيَةً، وَنَسَابَةً، وَنَحْوِيَّ، وَنَاقِدٌ، وَشَاعِرٌ. أَصْلُهُ مِنْ فُرْغَانَةٍ، وَمَسْكَنُهُ الْبَصْرَةُ. تُوْفِيَ  
سَنَةَ ١٨٠ هـ/ ٧٩٦ م. (فروخ، تاريخ الأدب العربي: ١٢٢/٢).

(٢) هو من قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسِبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا  
جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (سورة النور، آية ٣٩).

(٣) هو أبو عمران، موسى بن عبد الملك الأصبهاني، صاحب ديوان الخراج: كان من جلة الرؤساء،  
وفضلاء الكتاب وأعيانهم، وكان له ديوان السواد وغيره في أيام المتوكل. وله أخبار كثيرة. تُوْفِيَ  
سَنَةَ ٢٤٦ هـ/ ٨٦٠ م.

(ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٣٣٧/٥).

مختلفة، خَيْرُهَا رُؤْيُكَ وَشَرُّهَا غَيْبُكَ، فقال: قد واللهِ اشْتَقْتُكَ! قال: إنما يَشْتَأُقُ الْعَبْدُ؛ لأنه يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ لِقَاءُ مَوْلَاهُ، وأما السَّيِّدُ فمَتَى أَرَادَ عَبْدَهُ دَعَاهُ.

وقال له المتوكل: مَنْ أَسْخَى مَنْ رَأَيْتَ؟ قال: ابنُ أَبِي دُوَادَ، قال المتوكل: تأتي إلى رجل رفضته فتسبه إلى السخاء؟ قال: إِنَّ الصَّدَقَ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ليس في موضع من المواضع أَفْئَقَ منه في مجلسك؛ وَإِنَّ النَّاسَ يَغْلَطُونَ فِيمَنْ يَنْسُبُونَهُ إِلَى الْجُودِ؛ لَأَنَّ سَخَاءَ الْبِرَامِكَةِ مَنْسُوبٌ إِلَى الرَّشِيدِ، وَسَخَاءُ الْفَضْلِ وَالْحَسَنِ ابْنِي سَهْلٍ مَنْسُوبٌ إِلَى الْمَأْمُونِ، وَجُودُ ابْنِ أَبِي دُوَادَ مَنْسُوبٌ إِلَى الْمُعْتَصِمِ؛ فَإِذَا نَسَبَ النَّاسُ الْفَتْحَ وَعَبِيدَ اللَّهِ ابْنِي يَحْيَى إِلَى السَخَاءِ فَذَلِكَ سَخَاؤُكَ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قال: صدقت؛ فمَنْ أَبْخَلُ مِنْ رَأَيْتَ؟ قال: موسى بن عبد الملك، قال: وما رأيت من بُخْلِهِ؟ قال: رأيته يخدم القريب كما يخدم البعيد، وَيَعْتَذِرُ مِنَ الْإِحْسَانِ كما يعتذر من الإساءة، فقال له: قد وَقَعْتَ فِيهِ عِنْدِي مَرَّتَيْنِ، وما أَحَبُّ لَكَ ذَلِكَ؛ فَأَلْقَهُ وَاعْتَذِرْ إِلَيْهِ، ولا يعمم أَنِّي وَجَّهْتُ بِكَ، قال: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَنْ يَسْتَكَتُمْنِي بِحُضْرَةِ أَلْفٍ؟ قال: لَنْ تَخَافَ، قال: علي الاحتراس من الخوف.

فصار إلى موسى فاعتذر كُلُّ واحد منهما إلى صاحبه، وافترقا عن صلح؛ فلقبه بعد ذلك بالجعفري، فقال: يا أبا عبد الله، قد اصطَلَحْنَا، فما لك لا تَأْتِينَا؟ قال: أُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كما قتلت نَفْسًا بِالْأَمْسِ؟ فقال: موسى: ما أَرَانَا إِلَّا كما كُنَّا.

وقال له المتوكل: إِبْرَاهِيمُ بْنُ نُوحٍ النَّصْرَانِي وَاجِدٌ عَلَيْكَ، قال: وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ! قال: إِنْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْكِتَابِ يَلُومُونَكَ! فقال:

إِذَا رَضِيتُ عَنِّْي كِرَامُ عَشِيرَتِي فَسَلَا زَالَ غَضَبَانَا عَلَيَّ لِأَمْهَاتِهَا

قال المتوكل له: أَكُنْ أَبُوكَ فِي الْبَلَاغَةِ مِثْلَكَ؟ قال: لو رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي لَرَأَى عَبْدًا لَهُ لَا يَرْضَانِي عَبْدًا لَهُ.

وقيل لأبي العيْناء: إِنْ المتوكل قال: لَوْلا أَنَّهُ ضَرِيرُ الْبَصَرِ لَنَادَمْتُهُ، فقال: إِنْ أَغْفَانِي مِنْ رُؤْيَةِ الْأَهْلَةِ، وَقِرَاءَةِ نَقْشِ الْفُصُوصِ، فَأَنَا أَصْلَحُ لِلْمَنَادَةِ.

ولقيه رجلٌ من إِخْوَانِهِ فِي السَّحَرِ، فَجَعَلَ يُعْجَبُ مِنْ بُكُورِهِ، فقال: أَرَأَيْكَ تَشَارِكُنِي فِي الْفِعْلِ وَتُقَرِّدُنِي بِالتَّعْجَبِ!

ووقف به رجلٌ مِنَ الْعَامَّةِ فَأَحَسَّ بِهِ، فقال: مَنْ هَذَا؟ قال: رجلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ! قال:

مرحباً بك، أطل الله بقاءك! وبقيت في الدنيا، ما ظننتُ هذا السَّلَّ إلا قد انقطع!

ودخل على عبيد الله بن سليمان فقال: أَقْرُبْ مِنِّي يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ؟ فقال: أَعَزَّ اللَّهُ الوزير، تقريبُ الأولياء، وحرمانُ الأعداء، قال: تَقْرِيْبُكَ عُنْم، وحرمانك ظلم؛ وأنا ناظرٌ في أمرِك نظراً يُصْلِحُ مِنْ حَالِكِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وقال له يوماً: اعذرني فَإِنِّي مشغول، فقال له: إذا فرغت من شغلك لم نَحْتَجْ إليك، وأنشده:

فَلَا تَعْتَزِرْ بِالشُّغْلِ عَنَّا؛ فَإِنَّمَا تَنَاطُ بِكَ الْأَمَالُ مَا اتَّصَلَ الشُّغْلُ

ثم قال: يَا سَيِّدِي قَدْ عَذَرْتُكَ، فَإِنَّهُ لَا يَصْلَحُ لِشُكْرِكَ مَنْ لَا يَصْلَحُ لِعُذْرِكَ.

وأقبل إليه يوماً فقال: مِنْ أَيْنَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ؟ قال: مِنْ مَطَارِحِ الْجَفَاءِ!

وقال له مرة: نحن في العطلة مَرْحُومُونَ، وفي الوزارة محرومون، وفي القيامة كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ.

وسار يوماً إلى باب صاعد بن مخلد، فقيل: هو مشغولٌ يُصَلِّي، قال: لكلِّ جديدٍ لَذَّةٌ! وكان صاعداً نصرانياً قَبْلَ الوزارة.

ودخل إلى عبيد الله بن سليمان، فشكا إليه حاله، فقال: أَلَيْسَ قَدْ كَتَبْنَا لَكَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَدْبَرِ؟ كَتَبْتُ إِلَى رَجُلٍ قَدْ قَصَرَ مِنْ هِمَّتِهِ طَوْلُ الْفَقْرِ، وَذُلُّ الْأَسْرِ، وَمَعَانَاةُ مِحْنِ الدَّهْرِ، فَأَخْفَقَتْهُ فِي طَلِبَتِي! قال: أَنْتَ اخْتَرْتَهُ؟ قال: وَمَا عَلَيَّ - أَعَزَّ اللَّهُ الوزير! - فِي ذَلِكَ؟ قَدْ اخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا، فَمَا كَانَ مِنْهُمْ رَشِيدٌ، وَاخْتَارَ النَّبِيُّ ﷺ ابْنَ أَبِي سَرْحٍ كَاتِبًا، فَرَجَعَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ مُرْتَدًّا، وَاخْتَارَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَبَا مُوسَى حَاكِمًا لَهُ فَحَكَمَ عَلَيْهِ!

### [إبراهيم بن المدبر]

وكان إبراهيم بن المدبر أَسْرَهُ صَاحِبِ الزَّيْجِ بِالْبَصْرَةِ وَحَبَسَهُ؛ فَاحْتَالَ حَتَّى نَقِبَ السُّجْنَ وَهَرَبَ، فَلِذَلِكَ ذَكَرَ أَبُو الْعِيَاءِ ذُلَّ الْأَسْرِ، وَكَانَ قَدْ ضُرِبَ فِي وَجْهِهِ ضَرْبَةٌ بَقِيَ أَثَرُهَا إِلَى أَنْ مَاتَ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ الْبَحْتَرِيُّ<sup>(١)</sup>:

(١) الْبَحْتَرِيُّ، الدِّيَوَانُ: ٢٥١/١.







وقال لابن مكرم، وقد قدم من سفر: ما لك لم تُهدِ إلينا هدية؟ قال: لم آت بشيء، وإنما قدمت في خف. قال: لو قدمت في خف لَخُلِّفَتْ رُوحُكَ!

وأتى إلى باب إبراهيم بن رباح، فَحُجِبَ، فقال: إذا شغل بكأس يمينه وبحر يسراه، وانتسب إلى أب لا يعرف أباه، لا يَحْفِلُ بِحِجَابٍ مَنْ أَتَاهُ.

وقدم إليه أبو عيسى بن المتوكل سِكْبَاجَةً، فجعل لا تقعُ يدهُ إلا على عظم؛ فقال: جعلت فداك! هذه قَدْرٌ أو قَبْرٌ؟

ودعا ضريراً ليعشيه، فلم يدع شيئاً إلا أكله، فقال: يا هذا، دعوتك رحمةً فتركتني رحمة<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

قد تم - بحول الله وقوته، وحسن معونته - الجزء الأول من كتاب «زهر الآداب، وثمر الألباب» لأبي إسحاق الحُسْري، ويليهِ - إن شاء الله تعالى - الجزء الثاني، مفتتحاً بقول المصنف «ألفاظ لأهل العصر في صفات الطعام ومقدماته، وموائده وآلاته» نسأل الله - جلت قدرته! - أن يعين على إكماله، إنه ولي ذلك.

(١) انظر كتاب «وفيات الأعيان» لابن خلكان: ٣٤٣/٤، فيه بعض ما أورده الحصري من ملح أبي العيناء، وغيرها.

## فهرس المحتويات

٥	المقدمة
١٢	ترجمة المؤلف
٢١	مقدمة المؤلف
٢٢	منهج المؤلف في الكتاب
٢٣	الداعي لتأليف الكتاب
٢٧	إن من البيان لسحراً
٢٧	الزُّبْرَقَان بن بدر وعمرو بن الأَهم بين يدي رسول الله ﷺ
٢٨	ترجمة عمرو بن الأَهم
٢٩	ترجمة الزُّبْرَقَان بن بدر
٢٩	عمر بن عبد العزيز و غلام يتقدم وفد قومه
٣٠	من ابن العميد لبعض إخوانه
٣١	من وصف الكلام بالسحر
٣٢	وصف رجل محبوب
٣٢	عود إلى وصف الكلام بالسحر
٣٣	عليه بنت المهدي أخت الرشيد
٣٤	أشباه لشعر عليه بنت المهدي
٣٧	ما قيل في معنى «قيد الأوابد»
٣٨	ما يستملح مما قيل في حسن الحديث
٤٤	تفسير حديث وضبط لفظه
٤٥	الحطيئة وبنو أُنْبُ الناقة
٤٥	بنو العجلان والنجاشي الحارثي
٤٨	الفرزدق يهجو ابن هبيرة
٤٩	نميري يجيب جريراً
٤٩	فضل الشعر
٥١	شذور من كلام الرسول
٥٥	ترجمة أبي سفيان بن الحارث

- النضر بن الحارث ..... ٥٦
- من كلام أبي بكر رضي الله تعالى عنه ..... ٥٧
- رثاؤه لرسول الله ﷺ ..... ٥٧
- حال الصحابة عندما بلغهم موت الرسول ..... ٥٨
- خطبة أبي بكر يوم موت الرسول ..... ٥٩
- رثاء فاطمة الزهراء لأبيها رسول الله ﷺ ..... ٦٠
- عود إلى المختار من كلام أبي بكر ..... ٦٠
- رثاء عائشة أم المؤمنين لأبيها الصديق ..... ٦٢
- من كلام عمر ..... ٦٣
- من عمر إلى ابنه عبد الله ..... ٦٣
- بين عمر وعدي بن حاتم الطائي ..... ٦٣
- عمر يصف السيد ..... ٦٣
- فصول قصار من كلامه رضي الله عنه ..... ٦٣
- وصف صعصعة بن صوحان لعمر بن الخطاب ..... ٦٤
- عمر يذكر ماضيه وحاضره ..... ٦٤
- من شعر عمر يوم فتح مكة ..... ٦٤
- زوج عمر تربيته ..... ٦٥
- ترجمة عائكة بنت زيد بن عمرو زوج عمر ..... ٦٦
- ومن كلام عثمان بن عفان رضي الله عنه ..... ٦٦
- ومن كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ..... ٦٨
- وصف ضرار الصدائي لمعاوية عليًا ..... ٦٩
- علي يرثي خباب بن الأرت ..... ٧٠
- علي أمام القبور ..... ٧٠
- علي يصف الدنيا ..... ٧٠
- من قصار كلام علي ..... ٧١
- تعقيب للجاحظ على فقرة من كلام علي ..... ٧٢
- دعاء لعلي في الحروب ..... ٧٢
- من شعر علي رضي الله عنه ..... ٧٣
- عمرو بن ود ..... ٧٤
- عاملة قوم عدي بن الرقاع ..... ٧٦
- عزم المؤلف على ضروب من الاختيار ..... ٧٦
- من كلام الصحابة والتابعين ..... ٧٧

- ٧٧ ..... من كلام معاوية
- ٧٧ ..... بين معاوية ومصقلة بن هبيرة
- ٧٨ ..... بين معاوية والأحنف بن قيس
- ٧٩ ..... محاورة بين معاوية وأهل العراق
- ٨٠ ..... منزلة شعر زهير بن أبي سلمى
- ٨١ ..... معاوية يبين النبل والمروءة
- ٨٢ ..... عبد الله بن همام السلولي عند يزيد بن معاوية يهنئه ويعزيه
- ٨٢ ..... الجمع بين التهئة والتعزية
- ٨٣ ..... فقر لجماعة الصحابة والتابعين رضي الله عنهم
- ٨٦ ..... وصف أهل البيت
- ٨٧ ..... فصل لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في ذكر قريش وبني هاشم
- ٨٩ ..... بين الحسين بن علي السبط وحبيب بن مسلمة الفهري
- ٩٠ ..... صفة الحسن بن علي السبط
- ٩٠ ..... محمد بن الحنفية يرثي أخاه الحسن بن علي
- ٩٠ ..... رجل من ولد أبي سفيان بن الحارث يرثي الحسن بن علي
- ٩١ ..... ألفاظ لأهل العصر في ذكر المصيبة بأبناء النبوة
- ٩١ ..... رجع إلى كلام أهل البيت
- ٩١ ..... بين الحسن بن علي وأخيه محمد بن الحنفية
- ٩٢ ..... خطبة للحسين بن علي
- ٩٢ ..... بين معاوية والحسين بن علي
- ٩٣ ..... من شعر الحسين بن علي
- ٩٣ ..... لابن أبي ربيعة في سكينه بنت الحسين
- ٩٤ ..... سكينه ترثي مصعب بن الزبير
- ٩٤ ..... لعلي بن الحسين
- ٩٥ ..... الفرزدق يمدح علياً زين العابدين بن الحسين
- ٩٨ ..... للأخطل في قثم بن العباس
- ٩٩ ..... لذى الرمة يمدح بلال بن أبي بردة
- ١٠٠ ..... للبحري يمدح الفتح بن خاقان
- ١٠٥ ..... للبحري أيضاً
- ١٠٦ ..... لأبي تمام
- ١٠٩ ..... لابن الخياط يمدح الإمام مالك بن أنس
- ١٠٩ ..... لأشجع السلمي

- لأبي تمام ..... ١١٠
- بين أبي تمام وابن الزيات ..... ١١٠
- لأبي تمام في أبي دلف ..... ١١١
- رجع ما انقطع ..... ١١٢
- لمحمد بن علي بن الحسين (أبي جعفر الباقر) ..... ١١٢
- محمد بن علي يصف أخاه زيد بن علي ..... ١١٤
- بلاغه جعفر بن الحسن بن الحسين وزيد بن علي بن الحسين ..... ١١٤
- من كلام عبد الله بن الحسن بن الحسين ..... ١١٥
- للعديل بن الفرخ ..... ١١٧
- بين عبد الله بن الحسن ورجل تعرض له بما يكره ..... ١١٧
- بين السفاح وعبد الله بن الحسن ..... ١١٧
- المنصور وعبد الله بن الحسن ..... ١١٨
- بين المنصور وامرأة محمد بن عبد الله بن الحسن ..... ١١٩
- بين المنصور وجعفر الصادق ..... ١١٩
- تعزية لجعفر الصادق ..... ١١٩
- من كلام جعفر الصادق ..... ١٢٠
- من عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر إلى بعض إخوانه ..... ١٢٠
- لعامر بن الطفيل ..... ١٢١
- عبد الله بن معاوية يهنيء بإملاك ..... ١٢٢
- بين أبي عاصم الأسلمي الشاعر والحسن بن زيد ..... ١٢٣
- بين الحسن بن زيد وداود بن سلم التيمي ..... ١٢٣
- بين الحسن بن زيد وابن هرمة ..... ١٢٤
- بين أبي جعفر المنصور وابن هرمة ..... ١٢٥
- من شعر موسى بن عبد الله الطالبي ..... ١٢٥
- بعض أخبار موسى ..... ١٢٦
- بين علي بن محمد العلوي والحسين بن إسماعيل ..... ١٢٦
- العباس بن الحسين الهاشمي ..... ١٢٧
- بين موسى بن جعفر والفضل بن الربيع ..... ١٢٨
- علي بن موسى الرضا ..... ١٢٩
- رثاء دعبل لآل البيت ..... ١٣٠
- بين دعبل والمأمون ..... ١٣٠
- لسليمان بن قتيبة يرثي آل البيت ..... ١٣١

- ألفاظ لأهل العصر في أوصاف الأشراف ..... ١٣٢
- لها في هذا الموضع مؤقع ..... ١٣٢
- بدء الكتاب ..... ١٣٤
- الكلام في حمد الله ..... ١٣٤
- من شعر محمود الوراق ..... ١٣٥
- البيان والبلاغة ..... ١٣٦
- لابن المعتز في فضل البيان ..... ١٣٦
- فضل القرآن على سائر الكلام ..... ١٣٦
- تفسير الرماني للبلاغة ..... ١٣٧
- ألفاظ لأهل العصر في ذكر القرآن ..... ١٣٧
- أقوال في البلاغة ..... ١٣٨
- رأي عمرو بن عبيد في البلاغة ..... ١٣٨
- من أخبار عمرو بن عبيد ..... ١٣٩
- البلاغة عند أهل الهند ..... ١٤٠
- البلاغة عند ابن المقفع ..... ١٤١
- الإطالة والإيجاز ..... ١٤٢
- العتابي يصف الرجل البليغ ..... ١٤٣
- عدة الخطابة عند أبي داود ..... ١٤٣
- سزلة اللفظ من المعنى عند الجاحظ ..... ١٤٣
- البيان عند الجاحظ ..... ١٤٤
- الدلالات على المعاني ..... ١٤٤
- فضل اللسان ..... ١٤٥
- صلة اللفظ بالمعنى عند ابن المعتز ..... ١٤٥
- البيان عند جعفر بن يحيى البرمكي ..... ١٤٦
- سهل بن هارون يصف بلاغة جعفر بن يحيى البرمكي ..... ١٤٦
- بشار بن برد يذكر أسباب تفوقه على أهل عصره ..... ١٤٦
- وصية أبي تمام للبحري ..... ١٤٧
- وصف البليغ ..... ١٤٨
- بعض مزايا الليل للحاتمي ..... ١٤٨
- فضل الروية والأناة ..... ١٤٨
- تخير ابن المقفع ما يرد عليه من الكلام ..... ١٤٩
- يغتفر في المخاطبة ما لا يغتفر في المكاتبة ..... ١٤٩



- ١٤٩ ..... ما يجب في النسخ
- ١٥٠ ..... أوصاف بليغة في البلاغات على ألسنة من أهل الصناعات
- ١٥٣ ..... فقر في وصف البلاغة لغير واحد
- ١٥٥ ..... ومن كلام أهل العصر في صفة البلاغة والبلغاء
- ١٥٨ ..... ومن ألفاظهم في وصف النظم والنثر والشعر والشعراء
- ١٦٠ ..... جملة من فصول أهل العصر تليق بهذا الموضع
- ١٦٠ ..... من ابن العميد إلى خلاد الرامهرمزي
- ١٦١ ..... من الصاحب بن عباد إلى الشيباني
- ١٦٢ ..... من أبي الفضل الميكالي إلى أبي القاسم الداودي
- ١٦٣ ..... ومنه إلى الثعالبي
- ١٦٣ ..... أبو منصور الثعالبي
- ١٦٥ ..... من كتب لأبي الفضل الميكالي
- ١٦٧ ..... أبو منصور الثعالبي يصف أبا الفضل الميكالي
- ١٦٨ ..... عود إلى ذكر فصول من كلام الميكالي
- ١٦٩ ..... المطوعي يذكر أنواع الشعراء ثم يذكر الميكالي
- ١٧٠ ..... مقطعات لأهل العصر في وصف البلاغة
- ١٧٠ ..... لأبي الفتح البستي
- ١٧١ ..... للمطوعي يمدح الميكالي
- ١٧٢ ..... للثعالبي يمدح الميكالي
- ١٧٣ ..... للثعالبي في وصف فرس
- ١٧٣ ..... للثعالبي جواباً على الميكالي
- ١٧٤ ..... جواب الميكالي على أبيات الثعالبي
- ١٧٤ ..... للصائبي يمدح الوزير المهلي
- ١٧٥ ..... ترجمة الوزير المهلي
- ١٧٦ ..... منزلة العقل وطريق رياسته
- ١٧٧ ..... الحكمة وواجب العاقل إزاءها
- ١٧٧ ..... وصف الكتب
- ١٧٧ ..... وصف الكتاب للجاحظ
- ١٧٨ ..... المأمون يصف الكتاب لأبيه الرشيد
- ١٧٨ ..... بعض العلماء يصف سروره بالكتب
- ١٧٨ ..... لأبي الطيب المتنبّي
- ١٧٩ ..... فقر في الكتب

- ١٨٠ ..... جملة من ألفاظ أهل العصر
- ١٨٠ ..... في صفة الكتب وتهاديبها، وما يتعلق بأسمائها ومعانيها
- ١٨٠ ..... لابن طباطبا
- ١٨١ ..... لأحمد بن يوسف
- ١٨١ ..... لأبي الفتح البستي
- ١٨١ ..... لأبي إسحاق الصّابي
- ١٨٢ ..... من أبي الطيب المتنبّي إلى ابن العميد
- ١٨٥ ..... فقر في وصف الكتب
- ١٨٧ ..... المحادثة والمجالسة
- ١٨٨ ..... بين المأمون وسعيد بن مسلم
- ١٨٨ ..... المتوكل وأبو العيّن
- ١٨٩ ..... بين حكيم وتلميذه
- ١٨٩ ..... أبو تمام يصف جارية تغني بالفارسية
- ١٨٩ ..... أبو تمام يذكر أنه أخذ المعنى من بشار
- ١٩٠ ..... أشباه لمعنى بشار
- ١٩١ ..... كيسان مستملي أبي عبيدة
- ١٩١ ..... ما يجب للمحدث على جليسه
- ١٩٢ ..... تكرار الحديث
- ١٩٣ ..... الآداب
- ١٩٣ ..... السر وتنف الأحاديث
- ١٩٤ ..... نظام كسرى في حياته
- ١٩٤ ..... رسول الله ﷺ يجزىء نهاره على المصالح
- ١٩٥ ..... عود إلى الإطالة والإيجاز
- ١٩٥ ..... إياس بن معاوية يحتج للإطّباب
- ١٩٥ ..... الجاحظ يرد عليه
- ١٩٦ ..... ابن هبيرة يريد إياساً على القضاء
- ١٩٦ ..... أبو العيّن وبعض القيان
- ١٩٦ ..... فطنة إياس
- ١٩٦ ..... قوة لسن إياس
- ١٩٧ ..... الحديث المملوك
- ١٩٨ ..... المُلح
- ١٩٨ ..... منزلة الملح

- ١٩٨ ..... بعض ملح الغاضري
- ١٩٩ ..... أشعب المشهور بالطمع
- ٢٠٠ ..... ظرف أبي نواس ومرعة بديهته
- ٢٠١ ..... صفة أبي نواس
- ٢٠١ ..... ترجمة الحجاز
- ٢٠٢ ..... لأبي تمام يمدح عمرو بن طوق
- ٢٠٢ ..... وله يمدح الحسن بن وهب
- ٢٠٤ ..... لأبي الفتح البستي
- ٢٠٤ ..... المزاح
- ٢٠٤ ..... الكلام في المزاح
- ٢٠٤ ..... إنشاد الشعر
- ٢٠٥ ..... النسب
- ٢٠٥ ..... لعروة بن أذينة
- ٢٠٦ ..... ترجمة أبي السائب المخزومي
- ٢٠٧ ..... للأحوص في الغزل
- ٢٠٨ ..... ظرف أهل الحجاز ورقتهم
- ٢٠٨ ..... بعض أخبار أبي حازم
- ٢٠٩ ..... لأبي العتاهية
- ٢٠٩ ..... لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة
- ٢٠٩ ..... فقهاء المدينة السبعة
- ٢١٠ ..... لعبيد الله المسعودي أيضاً
- ٢١٠ ..... أشباه لقول المسعودي
- ٢١١ ..... لأبي محمد بن أبي أمية
- ٢١١ ..... لأبي نواس
- ٢١٣ ..... شيم أهل المدينة
- ٢١٣ ..... طرب أبي ربحانة
- ٢١٤ ..... بين الأوقص المخزومي وسكران
- ٢١٤ ..... ابن المسيب يستمع إلى منشد شعر
- ٢١٥ ..... بين الحجاج والنميري
- ٢١٥ ..... لمحمد بن عبد الله بن نمير الثقفي
- ٢١٦ ..... من أدب ابن المعتز
- ٢١٦ ..... بين ابن المعتز وأستاذه ثعلب

- بعض أخبار ابن المعتز والمختار من قوله ..... ٢١٨
- للسري الرفاء ..... ٢٢٠
- لأبي الفرج البيهقي ..... ٢٢١
- لأبي الفضل الميكالي ..... ٢٢١
- لابن المعتز ..... ٢٢١
- لابن الرومي ..... ٢٢٥
- من نشر ابن المعتز ..... ٢٢٥
- وصف الماء وما يتصل به ..... ٢٢٧
- لابن المعتز يصف ماء ..... ٢٢٧
- وله أيضاً يحن للدويرة ويصف ماء ..... ٢٢٧
- لعاتكة المرية في وصف ماء ..... ٢٢٨
- لجابر بن الأرق يصف الماء ..... ٢٢٨
- لزهير ..... ٢٢٩
- لابن الرومي ..... ٢٢٩
- وصف الدور والقصور ..... ٢٣٠
- للبحري يصف بركة الجعفري ..... ٢٣٠
- لعلي بن الجهم يصف قصور المتوكل ..... ٢٣١
- للبحري ..... ٢٣١
- للمصنوعي يصف موضعاً في حلب ..... ٢٣٣
- للميكالي يصف بركة ..... ٢٣٤
- لعلي بن محمد الإيادي يصف داراً بالمنصورية ..... ٢٣٤
- لعبد الكريم بن إبراهيم يصف موضعاً ..... ٢٣٥
- ألفاظ لأهل العصر في وصف الماء وما يتصل به ..... ٢٣٦
- ولهم في مقدمات المطر ..... ٢٣٧
- وفي الرعد والبرق ..... ٢٣٨
- ويتصل بهذه الأثناء ..... ٢٣٨
- لأبي الفتح البستي ..... ٢٤٠
- لأبي العباس الناشيء ..... ٢٤٠
- لابن المعتز ..... ٢٤١
- لحسان بن ثابت ..... ٢٤١
- لابن المعتز أيضاً ..... ٢٤١
- لابن المعتز يمدح الشراب في الصحو ..... ٢٤٢

- ٢٤٣ ..... وصف شدة الشوق
- ٢٤٣ ..... لأبي حية في هذا المعنى
- ٢٤٤ ..... وصف رجل حازم لابن المقفع
- ٢٤٤ ..... لابن كناسة يصف ابن أدهم
- ٢٤٥ ..... ألفاظ لأهل العصر في ذكر التقى والزهد
- ٢٤٥ ..... من أخبار ابن المقفع
- ٢٤٦ ..... ترجمة للأحوص
- ٢٤٦ ..... ألطف تعريض، وأدق فهم
- ٢٤٧ ..... الحسد والحساد
- ٢٤٧ ..... لابن المقفع في صفة الحاسد
- ٢٤٨ ..... لأبي تمام في فضل الحاسد على المحود
- ٢٤٨ ..... للبحثري في هذا المعنى
- ٢٤٨ ..... لابن الرومي
- ٢٤٩ ..... لمعن بن زائدة
- ٢٤٩ ..... ألفاظ لأهل العصر في ذكر الحسد
- ٢٤٩ ..... التلطف في الطلب
- ٢٤٩ ..... بين الوثائق ومحمد بن حماد
- ٢٥٠ ..... بـين الحسن بن سهل وعلي بن عبيدة
- ٢٥٠ ..... بعض كلام علي بن عبيدة الريحاني
- ٢٥١ ..... لبعض المحدثين من الشعراء في الشوق
- ٢٥١ ..... الأدب في مجلس الحكم
- ٢٥١ ..... بين إبراهيم بن المهدي والطيب ابن بختيشوع عند ابن أبي دواد
- ٢٥٢ ..... حكمة أردشير وحضه على العلم
- ٢٥٣ ..... أخلاق الملوك
- ٢٥٣ ..... وصف ملك الروم
- ٢٥٤ ..... وصف ملك الحبشة
- ٢٥٤ ..... فضل أخت ملك الخزر
- ٢٥٥ ..... قطعة صادرة من أقوال الملوك دالة على فضل كرمهم وبعد همهم
- ٢٥٧ ..... من كلام أهل العصر
- ٢٥٨ ..... من كلام الملوك الجاري مجرى الأمثال
- ٢٦٠ ..... لسعد بن ناشب
- ٢٦١ ..... مقتل المتوكل العباسي

- لإبراهيم بن أحمد الأمدي يرثي المتوكل ..... ٢٦١  
 لعبد الكريم التيمي يرثي صاحب خراج المغرب ..... ٢٦٢  
 للبحثري في رثاء المتوكل ..... ٢٦٢  
 من شعر البحثري ..... ٢٦٣  
 ليزيد بن محمد المهلب يرثي المتوكل ..... ٢٦٤  
 لأبي حبة النميري ..... ٢٦٥  
 لأبي حبة النميري يرثي سلمة بن عياش ..... ٢٦٦  
 معنون بني عامر ..... ٢٦٧  
 لهارون بن علي بن يحيى المنجم في الشباب ..... ٢٦٨  
 لأشجع السلمي في الشباب ..... ٢٦٨  
 فقر تتصل بهذه الأبيات، في وصف الشباب ..... ٢٦٩  
 ويتعلق بهذه الألفاظ ألفاظ لهم في نجابة الشباب وترشحهم للمعالي ..... ٢٧٠  
 للبحثري ..... ٢٧٠  
 للفضل بن جعفر الكاتب ..... ٢٧٠  
 مما قيل في أثر الأيام والليالي ..... ٢٧١  
 بين أبي حبة وابن مناذر ..... ٢٧١  
 لعمر بن قميئة ..... ٢٧١  
 للنمر بن تولب ..... ٢٧٢  
 لحميد بن ثور ..... ٢٧٢  
 لمحمود الوراق ..... ٢٧٣  
 للمتنبي ..... ٢٧٤  
 للبحثري ..... ٢٧٤  
 لابن هانيء ..... ٢٧٤  
 لابن الرومي ..... ٢٧٥  
 لأبي تمام ..... ٢٧٦  
 وصف الثغور ..... ٢٧٦  
 لأبي حبة النميري ..... ٢٧٦  
 لذي الرمة ..... ٢٧٧  
 للناطقة الذبياني ..... ٢٧٧  
 للمتوكل اللبشي ..... ٢٧٨  
 لبشار بن برد ..... ٢٧٨  
 تفضيل السواد ..... ٢٧٩

- ٢٧٩ ..... لابن الرومي في وصف جارية
- ٢٨٠ ..... لأبي حفص الشطرنجي
- ٢٨٠ ..... لابن الرومي
- ٢٨١ ..... لأبي نواس
- ٢٨٢ ..... لابن الرومي أيضاً
- ٢٨٣ ..... للفرزدق
- ٢٨٣ ..... لابن الرومي
- ٢٨٤ ..... وعلى ذكر التوأمين ألفاظ لأهل العصر في التهئة بتوأمين
- ٢٨٤ ..... شيء من الهجاء يشتمل على تضمين
- ٢٨٥ ..... عود إلى وصف الثغور ونقائها
- ٢٨٥ ..... لجميل بن معمر العذري
- ٢٨٦ ..... لعمر بن أبي ربيعة
- ٢٨٧ ..... للذهلي
- ٢٨٨ ..... لابن المعتز
- ٢٨٨ ..... لابن الرومي
- ٢٨٨ ..... لعبد الله بن عبد الله بن طاهر
- ٢٨٩ ..... لامرئ القيس
- ٢٨٩ ..... للجعفري
- ٢٨٩ ..... للحاتمي
- ٢٨٩ ..... لأبي الفتح كشاجم
- ٢٩٠ ..... شعر عمر بن أبي ربيعة، وشعر الحارث بن خالد
- ٢٩٢ ..... لطريح الثقفي
- ٢٩٢ ..... للمحسن بن وهب
- ٢٩٢ ..... ليحيى بن منصور الذهلي
- ٢٩٣ ..... لأبي نواس
- ٢٩٤ ..... شعر أبي نواس
- ٢٩٥ ..... لابن المعتز
- ٢٩٦ ..... لمسلم بن الوليد
- ٢٩٦ ..... تشبيب الحارث بن خالد
- ٢٩٧ ..... من أخبار ابن أبي عتيق وعائشة بنت طلحة
- ٢٩٨ ..... مثل من التعريض
- ٢٩٨ ..... بين الثريا بنت علي والوليد بن عبد الملك

- بين عزة كثير وعبد الملك بن مروان ..... ٢٩٩
- بعض أخبار عمر بن أبي ربيعة وغزله ..... ٣٠٠
- صفقة أبي غبشان الذي باع مفتاح الكعبة ..... ٣٠٣
- بين ابن جريج ومعن بن أوس ..... ٣٠٥
- عفة عمر ..... ٣٠٥
- من لا ترى ستر الوجه من النساء، واحتجاجها لذلك ..... ٣١١
- ستر الرأس لإخفاء الصلح ..... ٣١٢
- من كلام الأعراب ..... ٣١٣
- بين سليمان بن عبد الملك وأعرابي ..... ٣١٣
- وصف المطر لأعرابي ..... ٣١٤
- أعرابي يمدح رجلاً ..... ٣١٤
- جملة من كلام أبي الفضل أحمد بن الحسين الهمداني بديع الزمان ..... ٣١٥
- كيف استوحى صنع المقامات ..... ٣١٥
- كتاب من البديع لأبي نصر الميكالي ..... ٣١٦
- ومن البديع إلى الميكالي أيضاً ..... ٣١٦
- كتاب عتب من البديع إلى الميكالي ..... ٣١٩
- كتاب عتاب من البديع إلى الميكالي أيضاً ..... ٣٢٠
- قطعة من مفردات الأبيات لأهل العصر في معان شتى تجري مجرى الأمثال ..... ٣٢١
- لأبي فراس ..... ٣٢١
- للمتنبي ..... ٣٢١
- للسري الرفاء ..... ٣٢٣
- للمصافي ..... ٣٢٣
- لابن نباتة ..... ٣٢٣
- للسلامي ..... ٣٢٤
- لابن لتك ..... ٣٢٤
- للمأموني ..... ٣٢٤
- لابن العميد ..... ٣٢٤
- لأبي الفتح بن العميد ..... ٣٢٥
- لابن عباد ..... ٣٢٥
- للمناشيء ..... ٣٢٥
- لأبي الفتح البستي ..... ٣٢٦
- للميكالي ..... ٣٢٦



- ٣٢٦ ..... لشمس المعالي  
 ٣٢٧ ..... للجرجاني  
 ٣٢٧ ..... للخوارزمي  
 ٣٢٧ ..... من نبطه النعمة لم يؤسف على زوالها عنه  
 ٣٢٧ ..... بين أبي العيناء وابن فرخان شاه  
 ٣٢٨ ..... بين ابن الرومي وأبي الصقر  
 ٣٢٩ ..... مدحة لابن الرومي في أبي الصقر  
 ٣٣٥ ..... لابن الرومي  
 ٣٣٦ ..... ترجمة أبي العيناء وطُرف من أخباره  
 ٣٣٦ ..... نسب أبي العيناء  
 ٣٣٦ ..... بين المتوكل وأبي العيناء  
 ٣٣٨ ..... المتوكل أول من أظهر الانهماك على شهوته  
 ٣٣٨ ..... منزلة أبي العيناء في الكتابة  
 ٣٣٩ ..... من أبي العيناء لعبيد الله بن سليمان  
 ٣٣٩ ..... قطعة من خطابه وجوابه  
 ٣٣٩ ..... من أجوبة أبي العيناء  
 ٣٤١ ..... تعزية أبي العيناء لبعض الأمراء  
 ٣٤١ ..... سؤاله عن مالك بن طوق  
 ٣٤١ ..... سؤاله عن موسى بن عبد الملك  
 ٣٤٣ ..... إبراهيم بن المدبر  
 ٣٤٤ ..... للبحثري في ابن المدبر  
 ٣٤٤ ..... حديث صاحب الزنج ودعواه وبطلانها  
 ٣٤٥ ..... عود إلى ملح أبي العيناء